الجامعة الإسلامية – غـــــزة
الدراســـــــــات العليـــا
كلية الآداب – قسم اللغة العربية

الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"

إعداد الطالبة
رانية جهاد إسماعيل الشوبكي

إشراف
أ.د. محمد شعبان علوان

قدم هذا البحث استكمالا للحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية

١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(الإسراء:٨٨).

" وإن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلمي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح ".

محمد الطاهر بن عاشور

إهداء

إلى إنسان بقلب ولسان . . .

شكر وتقدير

الشكر أولاً وآخرا لله تعالى شكر لا يوازيه شكر، يليه شكر خاص لأسرتي – متوجة بوالديّ– التي حفتني بكامل الرعاية حتى أوصلتني إلى ما وصلت إليه.

وبأرفع وأسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل، إلى من عرفني معنى البلاغة وحببني بها، وأخذ بيدي للولوج في أعماق البلاغة العربية بشكل عام، والبلاغة القرآنية بشكل خاص، إلى الأب والمعلم الأستاذ الدكتور محمد شعبان علوان فله مني كل تقدير واحترام.

والشكر موصول لمناقشي الرسالة: الأستاذ الدكتور نعمان شعبان علوان، و الدكتور وليد أبو ندى حفظهما الله.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، الذين استسقيت من أفواههم حب اللغة العربية، والغوص في بحارها، وانتقاء لآلئها.

يليه شكر خاص للأستاذ عبد اللطيف زكي أبو هاشم لما وفره لي من مراجع كانت عونًا لي في إتمام هذا البحث.

وأوجه شكراً محفوفاً بالود والإخلاص إلى رفيقة درب العلم إلى صديقتي الأستاذة سهام رمضان الزعبوط.

كما أوجه شكراً موسوماً بمحبة الإخاء إلى صديقاتي وزميلاتي في مرحلتي البكالوريوس والماجستير اللواتي لازلت على ودهم ومحبتهم.

كما وأوجه شكري وتقديري إلى أمناء مكتبة الجامعة الإسلامية والقائمين عليها الذين لم يبخلوا عليّ بأي مساعدةٍ أو عونٍ.

والشكر المرقوم بماء العيون، ومتوج بالعرفان بالجميل، لصرح العلم والعلماء، إلى جامعتي الغراء الجامعة الإسلامية التي توجت حلم الصغر.

المقدمة

الحمد والشكر لخالق العلماء والعلوم، والمنثور والمنظوم، الذي جمّلهم بالنطق، وفوّههم بالبيان، والذي ميّزهم من بين أنواع الحيوان بمنطق أبدع به بالفصاحة والتبيان، القائل في محكم التنزيل: ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خلق الإنسان * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾(الرحمن: ١-٤).

والصلاة والسلام على نبي الهدى، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وهاديهم إلى الصراط المستقيم، الذي أرسل بكتاب عربي مبين، يهدي به الله من اتبع السلام، فهو النور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، وبعد

العرب أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وجاء القرآن متحديا لهم بإعجازه وبيانه، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾(البقرة:٢٣)، فالقرآن معجز بنظمه – لفظه ومعناه – وهذا ما أوضحه الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – وغيره .

لقد اهتم علماؤنا القدماء بالبحث القرآني، واحتلت الدراسات القرآنية حيزًا لا بأس به في مجال الدراسات والأبحاث، فألّف القدماء من علمائنا في هذه القضية كتبا كثيرة، منها على سبيل المثال: كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، وكتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني.

فلا يزال هذا القرآن دفاق الفيض، مستمر العطاء، لا تنقضي عجائبه، فقد تعاقبت عليه أفهام العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فاحتج به النحوي، ونهل منه البلاغي، ونظر فيه المفسر، وتأمل فيه الفقيه، وتوقف عنده المتكلم، وأفاد منه المناظر والأديب، فلم يمنع واحدا منهم ورده، بل وجد فيه مبتغاه وقصده، وهو مع ذلك متجدد المعاني، وهذا من دلائل إعجازه الذي بهر العالمين، ولا يزال مستمرًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد أدت معالم الهدى، وطرائق البيان في هذا الكتاب العظيم، إلى الانكباب على دراسة آياته من كبار العلماء، يرث اللاحق السابق فيه، وقد حبب هذا الأمر إليهم مزيتان: أولها: ابتغاء الأجر العظيم من الله تعالى بالتدبر في القرآن، واستشرافا لمنزلة العلم التي كرمها الله.

وثانيها: ما امتاز به القرآن من طاقة بيانية مكنونة تتدفق مع البحث والتأمل.

ومن ثم كان علم التفسير أعلى العلوم وأجلها إذا رتبت العلوم حسب الشرف، فدراسة كتاب الله – عز وجل– من أعظم الدراسات التي تغمر الدارس بفوائد علمية رفيعة، يليه الجزاء الأخروي حين تصلح النية، ويستقيم الهدف.

وقد تنوعت مذاهب العلماء في إقبالهم على تفسير القرآن الكريم، فإلى جانب تمسكهم بالمعارف الأساسية في علم التفسير، إلا أن كل واحد منهم نحى المنحى الذي يميل إليه ويرغب فيه وتعمق فيه، فهناك التفسير اللغوي والنحوي والتفسير البلاغي والفقهي والعقدي...

وقد اهتمت كتب التفسير بإظهار الإعجاز القرآني، والعناية به والكشف عن معانيه وأسراره، ومن هذه الكتب: كتاب (الكشاف) للزمخشري وقد قامت حوله دراسات عديدة، وكتاب (فتح القدير) للشوكاني، و(المحرر الوجيز) لابن عطية، ومنها أيضا كتاب (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد) لمحمد الطاهر بن عاشور الذي نحن بصدد دراسته .

وقد لمسنا من خلال جهود العلماء في تفسيرهم أن العلاقة وطيدة بين البلاغة والتفسير، فاللغة العربية والبلاغة هما الآلتان الأساسيتان في تذوق النص القرآني، والإلمام بفحوى خطابه، ومعرفة أسرار بيانه، فالقرآن نزل بلغة عربية ميزتها البلاغة الربانية، فهما كالروح والجسد لا ينفصلان، تظل البلاغة تضفي عليه جمالها الروحي الذي لا يخبو.

أسباب اختيار البحث:

- ابتغاء مرضاة الله.
- يعد كتاب (التحرير والتنوير) لابن عاشور واحدا من كتب التفسير التي تستحق الدراسة من الناحية البلاغية، فقد ظهرت جهوده الجلية في مجال تطبيق الدرس البلاغي، وإظهار بلاغة القرآن الكريم وبيان إعجازه.
- اهتمام ابن عاشور بالدقائق البلاغية، وهذا نجده بكثرة في كل آي الكتاب الحكيم، فقلما تخلو آية من كتاب الله منه، فهو لا يكتفي بسرد الأوجه البلاغية المتضمنة، بل يعمد إلى تفنيدها ومناقشتها، ويرد على أعلام البلاغة كالزمخشري وغيره، وهذا ما يدل على تضلع شيخنا بعلوم العربية بأنواعها البلاغية.
- إبراز علم من أعلام العلوم الإسلامية للاهتمام بأفكاره واجتهاداته.
- إظهار الصفحة المشرقة في تراثنا لما يحتويه من شتى أصناف المعرفة، ومن هذه الأصناف بلاغة القرآن وإعجازه.
- يساعد هذا البحث على إثراء المكتبة العربية من الناحية البلاغية في مجال تطبيق الدرس البلاغي.
- كما أن هذا الكتاب يعد موسوعة علمية ضخمة تستحق منا الدراسة والتنقيب.

الدراسات السابقة:

شخصية ابن عاشور بفكره المميز وآرائه الاجتهادية العقلانية، لفتت انتباه الكثير من الباحثين فاهتموا بدراسته، وشملت هذه الدراسات جوانب متعددة من فكره وجهده العلمي، منها ما يتعلق بمنهجه العام، ومنها ما يبحث الجانب الأصولي أو الاجتماعي، ومنها ما ينصب على قضايا محددة في تفسيره، ولما كانت بعض هذه الدراسات بعيدة عن موضوعي، رأيت أن أقتصر على ذكر الدراسات التي تشترك مع هذا البحث في الجانب البلاغي، التي عجزت في الحصول عليها، عدا واحدة منها، وهي:

١- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، دراسة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، من الباحث: مشرف بن محمد الزهراني.

أما باقي الدراسات فلم أحصل إلا على عناوينها، وهي:

٢- مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير، دراسة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، من الباحث: شعيب بن أحمد الغزالي.

٣- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير (التحرير والتنوير) دراسة مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، من الباحث: إبراهيم الجعيد.

٤- الاستعارة التمثيلية في تفسير (التحرير والتنوير) رسالة علمية مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراه، من الباحث: علي محمد العطار.

٥- المقاييس البلاغية في تفسير (التحرير والتنوير) للدكتور حواس بري، كتاب مطبوع.

٦- جهود الطاهر بن عاشور في الدرس البلاغي من خلال تفسيره ،أحمد عزوز.

وهي كما يتضح من عناوينها تعالج موضوعات بلاغية ولا تتعرض لتكوين خط متكامل لدراسة علمي المعاني والبديع عند ابن عاشور، وهذا كما يبدو هو الفارق الأساس بينها وبين هذه الدراسة، فهدف دراستي وضع تصور كامل ومترابط لعلمي المعاني والبديع عند ابن عاشور.

وهناك دراسات غير مباشرة أضاءت لي الطريق وهي: الدراسات التطبيقية للدرس البلاغي من خلال تفسير الزمخشري، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير أبي السعود، وتفسير فتح القدير للشوكاني وغيرها.

منهج البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة المسائل البلاغية عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وبالنسبة لآلية الدراسة فتتمثل في استقراء القضايا البلاغية ورصدها، ومن ثم تصنيفها وتحليلها ومناقشتها وقياسها بما ورد عند العلماء، وهذا حسب ما سيأتي في خطة البحث.

خطة البحث:

المقدمة ...

التمهيد: الحديث عن حياة الطاهر بن عاشور، اسمه ونسبه ومولده، وعصره، وحياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، والمناصب التي تقلدها، ومكانته العلمية، وآثاره العلمية، ووفاته، وتفسير التحرير والتنوير، أسلوبه العام في تفسيره.

الفصل الأول: تأثر ابن عاشور بالعلماء السابقين، منهم: الزمخشري وابن عطية.

الفصل الثاني: مسائل علم المعاني في تفسير ابن عاشور، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مادة الكلمة وملاءمتها للسياق.

- وظيفة الكلمة وما تحمله من معانٍ بلاغية من حيث تعريفها وتنكيرها.
- أدوات الربط وما تحمله من معان بلاغية.

المبحث الثاني: البحث في الجملة.

- الخبر والإنشاء.
- المجاز العقلي.
- خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
- القصر وأسراره البلاغية.

المبحث الثالث: بلاغة الإيجاز والإطناب.

الفصل الثالث: علم البديع في تفسير ابن عاشور، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحسنات المعنوية.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية.

الفصل الرابع: توجيه القراءات القرآنية بلاغيا عند ابن عاشور.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وأهم التوصيات.

وأسأل الله الهدي والرشاد، وعلى الله قصد السبيل

التمهيد

حياة الطاهر ابن عاشور

- اسمه ونسبه ومولده
- عصره
- حياته العلمية
- شيوخه
- تلاميذه
- المناصب التي تقلدها
- مكانته العلمية
- آثاره العلمية
- وفاته
- تفسير التحرير والتنوير
- أسلوبه العام في تفسيره

محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتيين، وشيخ الإسلام، وأستاذ التفسير والبلاغة في جامع الزيتونة[١]، وقاضي الجماعة، وشيخ الجامع الأعظم، وعضو مجامع اللغة العربية، وهو قطب الإصلاح التعليمي والاجتماعي في عصره، فهي حياة حافلة بمهمات العلم والإدارة والإصلاح، دالة على جذور كريمة وشخصية فذة[٢].

اسمه ونسبه ومولده[٣]:

هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد

---

(١) تعد جامعة الزيتونة أعرق فضاء تعليمي في العالم الإسلامي بالمعنى المؤسسي الشامل استطاع أن يحافظ على استمراريته، وينسب تأسيس الجامع إلى حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاج في حدود سنة ٧٩هـ (٦٩٨- ٦٩٩م) وهناك من ذهب إلى أن تأسيسه تم في عهد عبد الله بن الحبحاب، كما تم توسيع الجامع في عهد زيادة بن الأغلب، وهذه الاختلافات التاريخية متعلقة بتحديد أزمنة التطورات التوسيعية التي شهدها الجامع في عهوده الأولى، ولهذا الجامع تجربة تعليمية ثرية عريقة، ومحاولات الإصلاح التربوية والتعليمية للمؤسسة متكررة ومتعددة.

- انظر، تجليات العقل الإسلامي من خلال الصيرورة التاريخية لجامعة الزيتونة، د. عز الدين عناية، مجلة النهج، تصدر عن مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، العدد٧٣، ٢٠٠٠م، ص٤ وما بعدها، وانظر، صفحات من تاريخ جامع الزيتونة، الشيخ محمد الشاذلي النيفي، مجلة جوهر الإسلام، العدد٩-١٠، ص٦ وما بعدها.

- وللاستزادة عن كل ما يتعلق بهذا الجامع: انظر، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، محمد العزيز بن عاشور، دار سرار للنشر، تونس.

قال عنه السراج في كتابه الحلل السندسية: " جامع الزيتونة مسجد إذا بدا لك تبلج نوره اللامع، أيقنت أنه الجامع والمفرد الجامع، ما سرح ناظر المؤمن في أثنائه إلا امتلأ علما من بادرات ثنائه، يحاكي بجماله عروس صيغ لها من معادن الطروس قائد حلق الدروس، لا عيب فيه غير أنه غدا بين أقرانه بمرتبة الصدر، واختص بأن يشرح لوارديه الصدر، فما ضاق صدر مهموم ودخله إلا انفرج، وانفتحت له بلطيف عنايته أبواب الفرج".

- انظر، جامع الزيتونة حصن للتنوير والتحرير، من الأهرام العربي، مجلة المجاهد، تصدر عن المكتب الإعلامي المركزي لحركة الجهاد الإسلامي، غزة، م١٢، العدد١٠٤، ٢٠٠٠م، ص٩.

(٢) انظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن محمد الزهراني، تحت إشراف: أ. د. محمد عطية باشة، ١٤٢٦- ١٤٢٧هـ، ص١٥.

(٣) انظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور، ضبطه: د. طه بن علي بوسريح التونسي، دار السلام، القاهر، ط١، ٢٠٠٦م، ص٧، وانظر، الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢ م، ج٦، ص١٧٤.

- وللاطلاع على حياة ابن عاشور وكل ما يتعلق بها انظر من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

الطيب بن محمد بن محمد بوعتّور، أصل عائلته بلاد الأندلس، ثم انتقلت إلى سلا ببلاد المغرب، ثم إلى تونس. ولد الشيخ ابن عاشور بقصر جده لأمه بالمرسى في جمادى الأول (١٢٩٦هـ=١٨٧٩م)، " وهو من عائلة عريقة في العلم، وطبقة اجتماعية رفيعة، فجده لأبيه كان قاضي الحاضرة التونسية، وجده لأمه العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتّور"(١).

عصره:

عاصر الطاهر بن عاشور أسوأ حقبة مرت بها الأمة العربية والإسلامية، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا وثقافيا، هذه الحقبة العصيبة التي غدت فيها أقطار العروبة والإسلام مستعمرات أو محميات تابعة للقوى الاستعمارية الكبرى، ولم تبق إلا بعض المقاطعات التابعة اسميا للخلافة العثمانية الضعيفة، وقد شهدت تونس في الحقبة التي ولد فيها وعاش وتربى حقبة اضطرابات وفوضى سياسية، ولا سيما بعد فرض بنود معاهدة الحماية المذلة عليها، وضعف الخلافة العثمانية عن حمايتها، وتنازع الأمراء على الحكم، هذه الفوضى انعكست على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والديني والأخلاقي والعلمي، فقد عم الجهل وسيطرت الخرافات والأباطيل والبدع على أذهان العامة، كما سيطرت الطرق الصوفية ورجال الزوايا على عامة الناس، وسلبتها أموالها باسم الدين، وتفشت الأمية بين أفراد الشعب التونسي، وفي ظل هذه الأوضاع والظروف المتردية ولد ونشأ وتربى وتعلم وتكون ودعا ووعظ وأرشد وكتب وناظر... الشيخ الطاهر محمد بن عاشور رحمه الله، وبسبب تردي الأوضاع وخطورتها على الوجود الحضاري والإسلامي، انبرت الحركات الإصلاحية في جميع الأقطار، تحرك الهمم، وتوقظ الضمائر، وتنير الطريق، فاجتمعت عوامل النهوض الداخلية والخارجية لتصنع الرجال المصلحين، والعلماء المجددين أمثال الطاهر بن عاشور(٢).

حياته العلمية:

نشأ ابن عاشور في كنف جده لأمه الشيخ الوزير محمد العزيز بوعتّور، وبعناية والده الشيخ محمد بن عاشور، فاهتما به اهتماما دينيا وتربويا(٣).

---

(١) نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، د. حسن عبد الجليل عبد الرحيم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م٢١، العدد الأول، ٢٠٠٥م، ص٣٦٨.

(٢) انظر، العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، د. أحمد عيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، العدد الثالث، ٢٠٠٣م، ص١٠١- ١٠٢.

(٣) انظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ٧.

بدأ بحفظ القرآن الكريم في السادسة من عمره في بيته وفي الكتاب، وتلقى علوم العربية والدين على جهابذة من علماء عصره، ودرس عليهم العديد من كتب النحو والبلاغة والمنطق وعلم الكلام والفقه والفرائض والأصول والحديث والسيرة[١].

التحق بجامع الزيتونة عند بلوغه الرابعة عشرة من عمره، فلقي عناية علمية من أساتذته، وكانت فترة دراسته بالزيتونة سبع سنوات، درس فيها أهم الكتب التي كونت شخصية العالم العلمية ومن أهمها[٢]:

- **النحو العربي:** حيث درس ألفية ابن مالك بشروحها التي منها: التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري، وكذلك شرح المكوّدي، وشرح الأشموني، ومغني اللبيب لابن هشام بشرح الدماميني الذي سماه (تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب) وهو أشهر شروحه وأوعبها.
- **أما في البلاغة:** فقد درس شرح السعد التفتازاني على التلخيص، وكذلك شرحه المطول على التلخيص، وشرح الرسالة السمرقندية.
- **وفي الفقه:** فقد درس أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للدردير، وشرح الشيخ ميَّاره الفارسي على كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الأندلسي، وشرح التاودي على تحفة الحكام لابن عاصم المالكي الذي سماه (حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم).
- **أما في أصول الفقه:** فقد درس شرح الحطاب على ورقات إمام الحرمين، وتنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي، وشرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي.
- **وفي علم الكلام:** درس العقائد النسفية لعمر بن محمد النسفي، والمواقف في علم الكلام لعضد الدين الآيجي مع شرحه للشريف الجرجاني.
- **وفي المنطق:** درس السُلَّم في المنطق لعبد الرحمن محمد الصغير، والتهذيب لسعد الدين التفتازاني.
- **وفي السيرة:** فقد درس الشفا للقاضي عياض وشرحه لشهاب الدين الخفاجي.

شيوخه:

من خلال عرض العلوم التي تربى عليها ابن عاشور، ونمت وتغذت عليها عقليته العلمية الدينية التربوية، كان لابد من وجود رجال صنّاع أفذاذ لهم دور عظيم، وأثر قوي في تشكيل مثل هذه الشخصية، وشيوخ ابن عاشور كثر ولنا أن نذكر أهم شخصيتين ذاع صيتهما

(١) انظر، نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية: ٣٦٨.

(٢) انظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: ٢٠- ٢٢.

في ذلك الزمن، وكان لهما وقع كبير في الأوساط العلمية في تونس، وكان لهم الأثر الواسع في تربيته وتعليمه، وهما(١):

١- الشيخ سالم بوحاجب (تـ ١٩٢٤هـ) أحد المصلحين والمحققين الأذكياء، فنظرا لنباهة هذا الشيخ، وتميزه وعلو كعبه في العلم، لازمه الشيخ ابن عاشور فقرأ (صحيح البخاري) بشرح القسطلاني قراءة تحقيق بجامع الزيتونة، كما قرأ عليه أجزاء من (شرح الزُّرقاني على موطأ مالك).

٢- الشيخ محمد العزيز بوعتّور(٢) الذي كان له عناية خاصة بحفيده، فإضافة على قراءة الطالب على شيخه بعض أمهات الكتب، فإن الأستاذ دوَّن له بخط يده مجموعا فريدا جمع له به عيون الأدب، ونصوص الحكم وبدائع النظم والنثر.

تلاميذه:

يعتبر الشيخ ابن عاشور معلم الأجيال، فقد عمر طويلا وبارك الله له في عمره حتى تتلمذ علي يديه الصغار والكبار، وانتفع به القاصي والداني، فمن أشهر تلاميذه(٣):

١- العلامة المحقق محمد الفاضل بن عاشور(٤).

---

(١) انظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ٨.

(٢)(١٢٤٠- ١٣٢٥هـ= ١٨٢٥- ١٩٠٧م) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتّور الصفاقسي التونسي، من العلماء الكتاب، أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان) ومولده ووفاته بتونس، ولي الكتابة في حكومتها سنة ١٢٦٢هـ، كان كاتبا خاصا لأسرار الملك، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص، وكانت الخطب الملكية والرسائل الهامة، والمنشورات كلها من إنشائه، وتناول قانون (عهد الأمان) بالشرح والتفريع، وعلق عليه تحريرات أصولية في إجراء بعض كلياته على قواعد الشريعة الإسلامية، وكان عضدا لخير الدين التونسي حين ولي رياسة الوزارة، فسمي في أيامه وزير استشارة (سنة ١٢٩٠) وكان من العاملين في تأسيس المدرسة الصادقية وجمعية الأوقاف، وفي تنظيم المحاكم الشرعية وسن قانون العدول، ثم تقلد منصب الوزارة الكبرى سنة١٣٠٠ فقام بالأعباء قياما حسنا، ولما توفي أمر المولى (محمد الناصر باي) بدفنه في مقبرة الأسرة المالكة.

- الأعلام: ج٦، ٢٦٨.

(٣) انظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: ٢٥- ٢٧، وانظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ٩- ١٠.

(٤)(١٣٢٧-١٣٩٠هـ=١٩٠٩-١٩٧٠م) محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس، مولده ووفاته بها، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذا فيه فعميدا، وكان من أنشط أقرانه، دؤوباً على مكافحة الاستعمار الذي كان يسمى (الحماية) وشارك في ندوات علمية كثيرة وفي بعض مؤتمرات المستشرقين، وشغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية، وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة، طبع من=

٢- محمد الحبيب بن خوجة[١].

٣- الشيخ عبد الحميد بن باديس[٢].

المناصب التي تقلدها:

دخل الشيخ ابن عاشور ميدان التدريس في جامعة الزيتونة، وترقى في سلم المناصب مما أهله أن يكون من ذوي الرتب العليا، وخاض مناظرات ونجح في جميع امتحاناته، حتى أصبح مقدما بين أقرانه، ممسكا بزمام التعليم والتربية والتوجيه، كما تمرس إلى جانب ذلك بالأعمال الإدارية، والوظائف الشرعية التي تأهل لها بمواهبه الفائقة العالية، فعين مرات عدة في مجلس إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، وبحكم وظيفته الشرعية عين عضوا في النظارة العلمية، وقاضيا أو كبير أهل الشورى في المجلس الشرعي، وباشر مشيخة الجامع الأعظم في هذه السنوات (١٩٣٢- ١٩٣٣) و(١٩٤٥- ١٩٥٢م)، كما عين قاضيا مالكيا بالمجلس الشرعي، ثم مفتيا، ثم شيخا للإسلام على المذهب المالكي سنة ١٩٣٣م، وإثر الاستقلال التونسي عين عميدا للجامعة الزيتونية من سنة (١٩٥٦إلى ١٩٦٠م)، ونظرا لبعد صيته في

=كتبه:(أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي) و (الحركة الأدبية والفكرية في تونس) و (أركان الحياة العلمية بتونس) و (أركان النهضة الأدبية بتونس) و (التفسير ورجاله) وعاش في حياة أبيه مسترشدا بتوجيهه، ومعتمدا على مكتبته الحافلة بالنفائس.

- الأعلام: ج٦، ٣٢٥- ٣٢٦.

(١) تلقى العلم على يد الشيخ الطاهر، ولزمه وحضر دروسه التي كان يعقدها في بيته بعد صلاة التراويح في رمضان، وقد تقلد جملة من المناصب التي تقلدها ابن عاشور من قبل مثل: عمادة الكلية الزيتونية، ومنصب الإفتاء في تونس، ثم شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، وله مجموعة من المؤلفات والمقالات المتعلقة بدراسة الجوانب اللغوية والبيانية في التحرير والتنوير.

- انظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: ٢٧.

(٢)(١٣٠٥-١٣٥٩هـ= ١٨٨٧-١٩٤٠م) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م، إلى وفاته، ولد في قسطنطينية، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس، وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي، وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده، وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس، وتوفي بقسطنطينية في حياة والده، له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما، ونشرت نبذة منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير- ط) ونشر في الجزائر (آثار ابن باديس) في ٤ مجلدات.

- الأعلام: ج٣، ٢٨٩.

العلم وتبحره في العلوم، وتوسعه في اللغة العربية انتخب عضوا بالمجمعين: مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٠م، والمجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٥م[١].

مكانته العلمية:

قال فيه شيخ الأزهر العلاّمة المحقق قرينه في الدراسة محمد الخضر حسين[٢]: " وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف غزارة العلم، وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب العربية... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه، وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"[٣].

---

(١) انظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: ٢٢- ٢٤، وانظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ٩. وانظر، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي، أ. محمد مسعود جبران، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد الخامس، ١٩٨٨م، ص٢٠٠- ٢٠٣، و انظر، العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي: ١٠٥.

(٢)(١٢٩٣- ١٣٧٧هـ= ١٨٧٦- ١٩٥٨م) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم إسلامي، أديب وباحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر، ولد في نفطة (من بلاد تونس) وتخرج بجامع الزيتونة ودرس فيه، وأنشأ مجلة (السعادة العظمى) سنة ١٣٢١هـ، وولي قضاء بنزرت (١٣٢٣) واستعفى وعاد إلى التدريس بالزيتونة (سنة ١٣٢٤) وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونة، كان من أعضاء (لجنة التاريخ التونسي) وانتقل إلى المشرق فاستقر في دمشق مدرسا في المدرسة السلطانية قبل الحرب العامة الأولى، وانتدبته الحكومة العثمانية في خلال تلك الحرب للسفر إلى برلين، مع الشيخ عبد العزيز جاويش وآخرين، فنشر بعد عودته إلى دمشق سلسلة من أخبار رحلته، في جريدة (المقتبس) الدمشقية، ولما احتل الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة (١٩٢٢)، وعمل مصححا في دار الكتب خمس سنوات، وتقدم لامتحان (العالمية) الأزهرية فنال شهادتها، ودرس في الأزهر، وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها وتحرير مجلتها، وترأس تحرير مجلة (نور الإسلام) الأزهرية، ومجلة (لواء الإسلام) ثم كان من (هيأة كبار العلماء) وعين شيخا للأزهر (أواخر ١٣٧١) واستقال (١٣٧٣) وتوفي بالقاهرة، ودفن بوصية منه في تربة صديقة أحمد تيمور (باشا)، وكان هادئ الطبع وقورا، خص قسما كبيرا من وقته لمقاومة الاستعمار، وانتخب رئيسا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقية في مصر، وله تآليف، منها: (حياة اللغة العربية – ط) و (بلاغة القرآن – ط) و (تونس وجامع الزيتونة – ط) وغيرها.

- الأعلام: ج٦، ١١٣- ١١٤.

(٣) مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٠.

قال فيه العلامة المصلح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي(١) قائلا: " علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذَّرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي"(٢).

وقال الدكتور العلمي عبد الرحمن العثيمين: " من أفاضل الرجال في عصرها، أدركته ولم يقدر لي رؤيته - وهو بلا شك- من محاسن العصر، ونوادر الرجال، رئيس المفتين في تونس، وشيخ جامعة الزيتونة بها، خلف مكتبة حافلة بنوادر المخطوطات والمطبوعات، وألف آثاراً جليلةً"(٣).

---

(١)(١٣٠٦-١٣٨٥هـ= ١٨٨٩-١٩٦٥م) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، مجاهد جزائري، من كبار العلماء، انتخب رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد ونشأ بدائرة سطيف (اصطيف) في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم (ابن يحيى بن مساهل) من أعمال قسطنطينية وتفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق (سنة ١٩١١) فأقام في المدينة إلى سنة ١٧ وفي دمشق إلى حوالي ١٩٢١ وعاد إلى الجزائر وقد نشطت حركة صديقه ابن باديس (عبد الحميد بن محمد) وأصبح له نحو ألف تلميذ، وأنشأ جمعية العلماء (١٩٣١) وتولى ابن باديس رئاستها والإبراهيمي النيابة عنه، وأبعد هذا إلى صحراء وهران (١٩٤٠) وبعد أسبوع من وصوله إلى المعتقل توفي ابن باديس، وقرر رجال الجمعية انتخاب الإبراهيمي لرئاستها، واستمر في (معتقل آفلو) من سنة ١٩٤٠-٤٣ وأطلق، فأنشأ في عام واحد ٧٣ مدرسة بل كتابا، وكان الهدف نشر اللغة العربية. وجعل ذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، إبعادا لتدخل سلطات الاحتلال، وتهافت الجزائريون على بناء المدارس فزادت على ٤٠٠ وزج في السجن العسكري (سنة ٤٥) وعذب، وأفرج عنه فقام بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس والأندية، ثم استقر (سنة ٥٢) في القاهرة واندلعت الثورة الجزائرية الكبرى (٥٤) فقام برحلات إلى الهند وغيرها لإمدادها بالمال، وعاد إلى الجزائر بعد انتصارها، فلم يجد مجالا للعمل، فانزوى إلى أن توفي. وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وله شعر منه (ملحمة) في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار، قال: إنها ٣٦ ألف بيت، وكان ينشر مقالاته في جريدة البصائر، بالجزائر وهو رئيس تحريرها، فجمعت المقالات في كتاب (عيون البصائر- ط) وهو من خطباء الارتجال نقد سيرته، وخصه محمد الطاهر فضلاء بجزء مستقل من كتابه (أعيان الجزائر) سماه (الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي- ط) في ٢٢٥ صفحة.

- الأعلام: ج٦، ٥٤.

(٢) مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٠، وانظر، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي: ٢٠٠- ٢٠١.

(٣) مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٠.

وقد سماه الشيخ محمد عبده[1] منذ ريعان شبابه في أوائل القرن العشرين (سفير الدعوة
في الجامعة الزيتونية)[2].

آثاره العلمية:

تنوعت مصنفات الطاهر بن عاشور، فشملت ضروبا من الثقافة الإسلامية، وذلك بسبب التنشئة العلمية التي لمسناها في تكوينه العلمي وقد أشرت إلى ذلك في حياته العلمية، فمن مؤلفاته[3]:

١- أصول الإنشاء والخطابة.

٢- أليس الصبح بقريب.

٣- التحرير والتنوير.

٤- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة.

٥- المترادف في اللغة.

٦- قصة المولد النبوي الشريف.

٧- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.

---

(١)(١٢٦٦- ١٣٢٣هـ= ١٨٤٩-١٩٠٥م) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، قال أحد من كتبوا عنه: (تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة)، ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها، ولما احتل الانكليز مصر ناوأهم، وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة ١٢٩٩هـ(١٨٨١) وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة، له (تفسير القرآن الكريم – ط) لم يتمه وغيره من الكتب، وللسيد محمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره وأخباره، وما قيل في رثائه سماه (تاريخ الأستاذ الإمام – ط).

- الأعلام: ج٦، ٢٥٢- ٢٥٣.

(٢) انظر، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي: ٢٠١.

(٣) نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية: ٣٦٨، وانظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: ٢٧- ٢٩، وانظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٠- ١٢.

٨- مقاصد الشريعة الإسلامية.

٩- موجز البلاغة.

١٠- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.

١١- النظام الاجتماعي في الإسلام.

١٢- الوقف وأثره في الإسلام.

وفاته(١):

أفنى الشيخ – رحمه الله– عمرا مديدا قضاه مابين البحث والتدريس، والعلم والتأليف، توفي رحمه الله – رحمه الله– يوم الأحد ١٣ رجب سنة ١٣٩٣هــ – ١٩٧٣م.

تفسير التحرير والتنوير:

" يعد تفسير التحرير والتنوير من أهم الأعمال العلمية الإسلامية، لا على مستوى تونس والشمال الإفريقي فحسب، بل وعلى مستوى العالمين العربي والإسلامي، فقد انتهت إلى الشيخ الرئاسة العلمية في شمال إفريقيا ممثلة في الجامعة الزيتونية"(٢)؛ لذلك يعد ثمرة إنتاج ضخمة وتجارب متعددة اكتسبها الطاهر من مشايخه الكثر.

وهذه شهرته واسمه " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد".

وقد قدم له بتمهيد وافٍ ذكر فيه مراده من هذا التفسير، معتبرا أن التمسك بما كتبه الأقدمون، تعطيل لإعجاز القرآن وتجميد لحكمه، فعبر عن ذلك بقوله: " أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع، متوسطا في معترك أنظار الناظرين، حقًا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعولة في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحالتين ضر كثير"(٣).

---

(١) انظر، نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية: ٣٦٨، وانظر، مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٢، وانظر، الأعلام: ١٧٤.

(٢) القيمة العلمية لتفسير الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، محمد صلاح المستاوي، مجلة البلاغ، العدد٧٤٠، ١٩٨٤م، ص٤٨.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، م١، ج١، ٦- ٧.

كما وقد أشار إلى إفادته من كلام المتقدمين بوجه من الوجوه اعترافا بجهودهم، فقال: " وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون، فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علما بأن غمص فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة"(١).

وقد شمل تفسيره معظم التفاسير التي سبقته، وقد ذكر في تمهيده أهمها في نظره، وكأنها مراجعه الأساسية التي اعتمدها في تفسيره، فقال: " وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف، و المحرر الوجيز لابن عطية، و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف، ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الآلوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي، والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي، وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير؛ لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني، ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها "(٢).

ثم أشار بعد ذلك بأن تفسيره لم يكن تكراراً لسابقيه، بل ذكر فيه ما لم يذكروه، فقال معللا ذلك: " وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه، وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم"(٣).

كما وضح أن فن البلاغة لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا أفانين القرآن الأخرى، ولم يعط القدر الذي ينبغي بما يستحقه من العناية الكاملة، فهو من أولويات اهتمامه؛ لأنها أولى ميزات إعجاز القرآن التي تحدى الله بها أمة الفصاحة والبيان، ومن أجل ذلك التزم أن لا يغفل التنبيه له في ذلك، وكأن هدف كتابه الأساسي إبراز الجانب البلاغي، فقال: " إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة، بعيدة المدى، مترامية الأطراف، موزعة على آياته، فالأحكام مبينة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر، وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكن

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦- ٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧- ٨.

فنا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته، بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر"(١).

منهج التفسير:

وقد أشار إلى محتوى تفسيره ومنهجيته التي اعتمدها في تتبع وتفسير كل ما يتعلق بالآيات والسور، فقال: " وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع... واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق، مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير"(٢).

كما وقد أفصح عن السبب لاهتمامه بتحديد أغراض السورة في طليعة ما يهتم به قبل تفسير آياتها قائلا: " أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر، ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته، ومعاني جمله، كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله"(٣).

وقد امتدح تفسيره بأنه: " ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير(٤)، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٨.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٨.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٨.

(٤) القِمَطْرُ الجمل القويّ السريع، وقيل: الجمل الضَّخْمُ القويّ، وكل شيء جمعته فقد قَمْطَرْتَه، والقِمَطْرُ والقِمْطَرَةُ ما تُصان فيه الكتب.

– لسان العرب: (قمطر).

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٨.

وفي نهاية تمهيده أشار إلى اسم التفسير ومختصره، فقال: " وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير"(١).

وقد أتبع كلامه عن تفسيره بعشر مقدمات، وبين ذلك فقال: " وها أنا أبتدئ بتقديم مقدمات تكون عونا للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير"(٢).

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علما.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: قصص القرآن.

المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

أسلوبه العام في تفسيره:

وطريقة مؤلفه فيه أن يذكر مقطعا من السورة، ثم يشرع في تفسيره مبتدئا بذكر المناسبة، ثم اللغويات، ثم التفسير الإجمالي مضمنا إياه الجمال البلاغي، ومناقشا لآراء العلماء مابين مؤيد ومرجح ومعارض، منفردا برأيه، معتدا به في كثير من الأحيان، باعتباره أنه تفرد بهذا الرأي، وخرج عن قاعدة قعّدها سابقوه من البلاغيين واللغويين والنحويين... كل هذا يعرضه بطريقة فلسفية ومنطقية، وهذا يعود لتأثره بهذين العلمين وهضمه لمصطلحاتهما منذ الصغر، كما ويتعرض فيه للفقهيات مناقشا جميع الآراء الفقهية، ونجده قد اهتم بالأخبار التاريخية، وفي أكثرها كان معتمدا على الإسرائيليات، وكان يختتم المقطع بذكر القراءات المختلفة بشكل عابر في أغلبها؛ لأنه لم يرغب أن يخوض في هذا العلم؛ لأن العلماء أشبعوه تخصصا وبحثا، ولولا تعرض سابقيه لهذا العلم لما تعرض هو له، وسنوضح هذا في موطنه من البحث، كما أنه يقدم عرضا تفصيليا لما في السورة، ويتحدث عن ارتباط آياتها، إضافة

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٨- ٩.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٩.

إلى مقارناته بين مواطن الآيات وخاصة في المواطن البلاغية، ولا يضيره أن يعيد هذه المقارنة في أكثر من موطن، مما جعله يقع في كثير من التكرار والإطناب، وربما يرجع هذا لطول التفسير، كي يبقى على اتصال مع المتلقي ويذكره فيما مضى، وربما يرجع هذا لطول الفترة الزمنية التي قضاها في كتابته، فيقال أنه كتبه في ثلاثين عاما أو أربعين عاما، أو خمسين عاما، والله أعلم.

كما وقد تميز ابن عاشور بالأمانة العلمية، فكان يسند كل رأي لصاحبه سواء بالمعنى أو النص كما هو، إضافة إلى تحريه صدق المعلومة حتى عند غيره، ويشير إليها في كتاب صاحبها، وما أكثر هذا في أبيات الشعر.

وتفسير التحرير والتنوير يعتبر في الجملة تفسيرا بلاغيا بيانا لغويا عقلانيا، يعتمد فيه على تحليله العقلي، ولا يغفل المأثور ويهتم به.

ومن الملاحظ في جميع أرجاء تفسيره أنه يعتمد على استقراء جميع جزئيات الموضوع ومسائله التي يتعرض لبحثه ودراسته، سواء كانت لغوية أو بلاغية أو فقهية أو اجتماعية وغير ذلك، وإخضاع كل ما له علاقة بالموضوع للشرح والتحليل والتفصيل، ليستنبط بعد ذلك النتيجة التي قاده إليها البحث.

ومن خلال تفسيره استطعنا أن نلمح بعض جوانب من شخصيته التي أثرت على أسلوبه، منها أنه ذو ولع شديد بالنقد، ذو ثقة زائدة بنفسه، مما جعلته في كثير من ردوده على سابقيه أن يكون قاسيا في رده، بل ومجرحا أحيانا أخرى، وأكثر المفسرين الذين لاحظت قسوته عليه الزمخشري، رغم إعجابه الشديد به والثناء عليه، وسنوضح هذا في موطنه بإذنه تعالى.

فمن عباراته التي دلت على ثقة عالية برأيه قوله: " وهذه الجملة عقبة حيرة للمفسرين في الإبانة عن معناها ونظمها، ولنأت على ما لاح لنا في موقعها ونظمها وتفسير معناها، ثم نعقبه بأقوال المفسرين"(١).

" موقع هذه الآية هنا غامض، وانتزاع المعنى من نظمها وألفاظها أيضا، ولم يأت فيها المفسرون بما ينثلج له الصدر، والذي يظهر لي أن..."(٢).

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٣٦- ٤٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٤١.

وقد أكثر من قوله والوجه عندي، أو قولي، أو عندي، قال: " وقد تحير الناظرون في الإخبار عن جميع المذكورين... والوجه عندي أن المراد..."(١). وهذا دليل على قوة ثقته برأيه، واعتماده على التحليل العقلي، ولا يسلم بالأمور ويأخذها على علاتها.

ومن عباراته القاسية:

قوله: " ولبعض المفسرين من المتقدمين ومن بعدهم، تأويلات للمعنى على هذه القراءة فيها سماجة(٢)"(٣).

و قد ختم تفسيره بكلمة عظيمة مؤثرة قال فيها: " وإن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلمي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح"(٤).

وأخيرا أسأل الله- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى- أن يغفر للشيخ ابن عاشور، وأن يسكنه فسيح جناته، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٦٩.

(٢) سَمُجَ الشيءُ بالضم قَبُحَ، يَسْمُجُ سَماجَةً إِذا لم يكن فيه مَلاحَةٌ، وهو سَمِيجٌ لَمِيجٌ وسَمْجٌ لَمْجٌ، وقد سَمَّجَه تَسْمِيجاً إِذا جعله سَمْجاً، وسَمِيجٌ مثل قَبُحَ فهو قَبِيحٌ، ولبن سَمْجٌ لا طعم له، والسَّمْجُ الخبيث الريح، والسَّمَجُ والسَّمِيجُ اللبن الدَّسِمُ الخبيثُ الطَّعْمِ.

- اللسان: (سمج).

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٥٥.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٦٣٦.

الفصل الأول
تأثر الطاهر ابن عاشور بالعلماء السابقين

أولا: الزمخشري.

ثانيا: ابن عطية.

القرآن معين لا ينضب، فهو صالح لكل زمان ومكان، فمنذ نزوله سعى الجميع لخدمته ففسره رسول الله ومن بعده صحابته، لذلك لا يستطع من خاض في مجال التفسير أن يبعد نفسه عما سبقه في ذلك، فاللاحق أفاد من السابق، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن ابن عاشور كان قد اطلع على نتاج من سبقه في هذا العلم، مضيفا ثقافته وخبراته، وقد ذكر ذلك في مقدمته، كما أشار إلى أسماء المفسرين ونتاجهم، ومن أكثر العلماء الذين تأثر بهم، الزمخشري ويليه ابن عطية.

أولا: الزمخشري(٤٦٧ – ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ – ١١٤٤م)[(١)]:

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى

---

(١) انظر ترجمته في:
- الأعلام: ج٧، ١٧٨.
- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص٥٤.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٥، ص١٦٨.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م، ج٢٠، ص١٥١ وما بعدها.
- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ج٨، ص٨.
- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٤.
- المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. نور الدين عتر، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ج٢، ص٢٨٤.
- العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج٢، ص٤٥٥.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م ج٢، ص٧١.
- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ط١، ج١، ص٤٧.

خوارزم) فتوفي فيها، أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف.

فالزمخشري من المفسرين البلاغيين الأوائل، وتفسيره الكشاف من التفاسير المهمة والمتخصصة في البلاغة ويعتبر مرجعا لذلك، وهو من أكثر التفاسير التي اعتمد عليها ابن عاشور، وما أكثر ما أشار إليه في تفسيره، فكانت إشاراته ما بين مدح وتحليل ومناقشة، أو معارضة وتشنيع، ورغم ذلك فقد اعتبره أهم التفاسير، فقال: " والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق، بحيث لاحظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف"(١).

كما وقد اعتبره عمدة في تبيين الإعجاز القرآني، فقال: " وأن نحيل في تفاصيلها الواصفة لإعجاز آي القرآن على التفاسير المؤلفة في ذلك، وعمدتها كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري"(٢).

وعقد مقارنة مدح بينه وبين المحرر الوجيز لابن عطية، معتبرا الكشاف أخص في علم البلاغة، فقال: " جاء في عصر واحد عالمان جليلان أحدهما بالمشرق، وهو العلامة أبو القاسم محمود الزمخشري صاحب الكشاف، والآخر بالمغرب بالأندلس وهو الشيخ عبد الحق ابن عطية، فألف تفسيره المسمى بـــ (المحرر الوجيز) كلاهما يغوص على معاني الآيات، ويأتي بشواهدها من كلام العرب، ويذكر كلام المفسرين، إلا أن منحى البلاغة والعربية بالزمخشري أخص، ومنحى الشريعة على ابن عطية أغلب، وكلاهما عضادتا الباب، ومرجع من بعدهما من أولي الألباب"(٣).

ورغم هذا المديح والإعجاب بالكشاف وصاحبه، إلا إننا نرى أن الطاهر بن عاشور متحاملا على الزمخشري، متعسفا في أحكامه عليه، قاسيا في ألفاظه ونعوته له، من ذلك نعته بالتزييف: " وأما ما خالف الوجوه الصحيحة في العربية ففيه نظر قوي؛ لأنا لا ثقة لنا بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار إلى نحاة البصرة والكوفة، وبهذا نبطل كثيرا مما زيفه الزمخشري من القراءات المتواترة، بعلة أنها جرت على وجوه ضعيفة في العربية، لا سيما ما كان منه في قراءة مشهورة كقراءة عبد الله بن عامر"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٠٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦١.

كما وقد نعته بالاستخفاف والتعسف في مواطن عدة، منها: " كما تعسفه صاحب (الكشاف) على عادته في الاستخفاف بتوهيم القراء"(١).

واتهمه في مواطن أخرى بالتبجح، فقال: " وأما ما تبجح به الزمخشري في (الكشاف) فذلك من عدوان تعصبه على مخالفيه على عادته، وما كان ينبغي لعلماء طريقتنا التنازل لمهاجاته بمثل ما هاجاهم به، ولكنه قال فأوجب"(٢).

كما اتهمه بتوهين القراءات المتواترة، فقال: " وجاء الزمخشري في ذلك بالتهويل، والضجيج والعويل... وزاد طنبور الإنكار نغمة... وهذا جري على عادة الزمخشري في توهين القراءات المتواترة، إذا خالفت ما دون عليه علم النحو، لتوهمه أن القراءات اختيارات وأقيسه من القراء، وإنما هي روايات صحيحة متواترة، وفي الإعراب دلالة على المقصود، لا تناكد الفصاحة"(٣).

وإننا لنرى أن الطاهر بن عاشور قد وضع الكشاف نصب عينيه وبدأ ينقده آية آية، وحرفا حرفا، ونستدل بذلك من قوله: " وفي أكثر ما رجح به نظر سنذكره في مواضعه"(٤).

وربما يرجع كل هذا التحامل المنتشر في أرجاء التفسير إلى مذهب الزمخشري الاعتزالي، وهذا واضح من فحوى كلامه، وكان حريا بابن عاشور أن يرد على الكشاف بطريقة ألين وأرقى من ذلك، والدليل على ذلك من مثل قوله: " وأما نسبة التفاضل بين نوع الإنسان وأنواع من الموجودات الخفية عنا كالملائكة والجن فليست بمقصودة هنا، وإنما تعرف بأدلة توقيفية من قبل الشريعة، فلا تفرض هنا مسألة التفضيل بين البشر والملائكة المختلف في تفاصيلها بيننا وبين المعتزلة، وقد فرضها الزمخشري هنا على عادته من التحكك على أهل السنة والتعسف؛ لإرغام القرآن على تأييد مذهبه، وقد تجاوز حد الأدب في هذه المسألة في هذا المقام، فاستوجب الغضاضة والملام"(٥).

ولا تكاد تخلو صفحة من ذكر الكشاف والاستدلال به، سواء بالمعارضة أو التأكيد أو السكوت عند رأيه.

فمن مناقشاته لأري الكشاف بالموافقة والتأييد، قوله في **(حَتَّى)**، قال تعالى: **﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٨٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٩٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٠٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٦٦.

يَنسِلُونَ﴾(الأنبياء:٩٦)، قال ابن عاشور: " **(حَتَّى)** ابتدائية، والجملة بعدها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب، ولكن **(حَتَّى)** تكسبه ارتباطا بالكلام الذي قبله، وظاهر كلام الزمخشري: أن معنى الغاية لا يفارق **(حَتَّى)** حين تكون للابتداء، ولذلك عني هو ومن تبعه من المفسرين بتطلب المغيا بها هاهنا فجعلها في (الكشاف) غاية لقوله: **(وَحَرَامٌ)** فقال: **(حَتَّى)** متعلقة بـــ **(حَرَامٌ)** وهي غاية له؛ لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة اهـــ، أي: فهو من تعليق الحكم على أمر لا يقع... ويتركب على كلامه الوجهان اللذان تقدما في معنى الرجوع من قوله تعالى: **(أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)**(الأنبياء:٩٥)، أي: لا يرجعون عن كفرهم حتى ينقضي العالم، أو انتفاء رجوعهم إلينا في اعتقادهم يزول عند انقضاء الدنيا، فيكون المقصود الإخبار عن دوام كفرهم على كلا الوجهين، وعلى هذا التفسير ففتح يأجوج ومأجوج هو فتح السد الذي هو حائل بينهم وبين الانتشار في أنحاء الأرض بالفساد، وهو المذكور في قصة ذي القرنين في سورة الكهف"[1].

وهذا مقابل ما ورد في الكشاف حيث قال: " فإن قلت: بم تعلقت **(حَتَّى)** واقعة غاية له، وآية الثلاث هي؟ قلت: هي متعلقة بـــ **(حَرَامٌ)**، وهي غاية له؛ لأنّ امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة، وهي **(حَتَّى)** التي يحكى بعدها الكلام"[2].

ومن موافقاته له بالشرح والتوضيح **في تقديم الظرف**، قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾(البقرة:٢)، قال ابن عاشور: " وقد ذكر (الكشاف) أن الظرف وهو قوله: **(فِيهِ)** لم يقدم على المسند إليه وهو **(رَيْبَ)** أي: على احتمال أن يكون خبرا عن اسم **(لاَ)** كما قدم الظرف في قوله: **(لَا فِيهَا غَوْلٌ)**(الصافات:٤٧)؛ لأنه لو قدم الظرف هنا لقصد أن كتابا آخر فيه الريب اهـــ. يعني لأن التقديم في مثله يفيد الاختصاص، فيكون مفيدا أن نفي الريب عنه مقصور عليه، وأن غيره من الكتب فيه الريب وهو غير مقصود هنا، وليس الحصر في قوله: **(لاَ رَيْبَ فِيهِ)** بمقصود؛ لأن السياق خطاب للعرب المتحدين بالقرآن، وليسوا من أهل كتاب حتى يرد عليهم، وإنما أريد أنهم لا عذر لهم في إنكارهم أنه من عند الله، إذ هم قد دعوا إلى معارضته فعجزوا"[3].

وهذا ما ورد في الكشاف حيث قال: " فإن قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى: **(لَا فِيهَا غَوْلٌ)**(الصافات:٤٧)، قلت لأن القصد في ايلاء الريب

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٤٧.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص١٣٥.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٢٤.

حرف النفي نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه، ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب"(١).

ومنها قوله في **التكثير المراد من التعريف**، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾(البقرة:٨٧)، قال ابن عاشور: " والجمع في الرسل للعدد والتعريف للجنس وهو مراد به التكثير قاله صاحب (الكشاف) أي: لأن شأن لفظ الجنس المعرف إذا لم يكن عهد أن يدل على الاستغراق، فلما كان الاستغراق هنا متعذرا دل على التكثير مجازا؛ لمشابهة الكثير بجميع أفراد الجنس، كقولك: لم يبق أحد في البلد لم يشهد الهلال إذا شهده جماعات كثيرة، وهو قريب من معنى الاستغراق العرفي"(٢).

وهذا ما ورد معناه في الكشاف، فقال: " ويقال: قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب، وقفاه به اتبعه إياه، يعني: وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل"(٣).

ومن موافقته له في **الاستفهام التقريري**، في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾(البقرة:١٠٧)، قال ابن عاشور: " والاستفهام تقريري ... وهو شأن الاستفهام الداخل على النفي... أي: إنكم تعلمون أن الله قدير، وتعلمون أنه مالك السماوات والأرض بما يجري فيهما من الأحوال، فهو ملكه أيضا فهو يصرف الخلق كيف يشاء، وقد أشار في (الكشاف) إلى أنه تقريري... ولم يسمع في كلام العرب استفهام دخل على النفي إلا وهو مراد به التقرير"(٤).

وقد ورد معناه في الكشاف، فقال: " فهو يملك أموركم يدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم، وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ، لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره، وقررهم على ذلك بقوله: **(أَلَمْ تَعْلَمْ)** أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به، وينزل عليهم، وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم"(٥).

---

(١) الكشاف: ج١، ٧٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٩٣.

(٣) الكشاف: ج١، ١٨٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٦٥.

(٥) الكشاف: ج١، ٢٠٢.

ومن موافقته له إشارته للتضمين دون تصريح بقول الزمخشري، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾(البقرة:١٤٣)، قال ابن عاشور: " وتعدية شهادة الرسول على الأمة بحرف (**عَلَى**) مشاكلة لقوله قبله (**لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ**) وإلا فإنها شهادة للأمة، وقيل بل لتضمين (**شَهِيداً**) معنى رقيبا ومهيمنا في الموضعين كما في (الكشاف)"(١).

أما نص ذلك في الكشاف: " فإن قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم، قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى: (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)(المجادلة:٦)، كنت أنت الرقيب عليهم، (**وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)(المائدة:١١٧)، وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار، ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم، فإن قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا، قلت: لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم"(٢).

ومن باب تأييده للكشاف ذكره النص كما هو دون تعليق عليه، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(البقرة:٢٥)، قال ابن عاشور: " وفي (الكشاف) من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط؛ لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة. ا هـ"(٣).

وهذا نفس ما ذكره الزمخشري، فقال: " من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط؛ لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة"(٤).

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢١.

(٢) الكشاف: ج١، ٢٢٥.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣٥٠.

(٤) الكشاف: ج١، ١٣٣.

أما مواطن اعتراضه على الكشاف كثيرة، منها رأيه في (**مَّنْ**)، في قوله تعالى: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾(النمل:٦٠)، قال ابن عاشور: " و(**مَّنْ**) للاستفهام، وهي مبتدأ والخبر جملة (**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...**) الخ، وهو استفهام تقريري على أن الله إله واحد لا شريك له، ولا تقدير في الكلام، وذهب الزمخشري وجميع متابعيه إلى أن (**مَّنْ**) موصولة وأن خبرها محذوف دل عليه قوله فيما تقدم (**آللَّهُ خَيْرٌ**)(النمل:٥٩) وأن بعد (**أَم**) همزة استفهام محذوفة، والتقدير: بل أمن خلق السموات الخ خير أم ما تشركون، وهو تفسير لا داعي إليه، ولا يناسب معنى الإضراب؛ لأنه يكون من جملة الغرض الأول على ما فسر به في (الكشاف) فلا يجدر به إضراب الانتقال"(١).

أما ما ورد معناه في الكشاف قوله: " فإن قلت: ما الفرق بين (**أَمْ**) و(**أَمَّ**) في (**أَمْ مَا تُشْرِكُونَ**) و (**أَمَّنْ خَلَقَ**)؟ قلت: تلك متصلة؛ لأنّ المعنى: أيهما خير، وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة، لما قال تعالى: آلله خير أم الآلهة ؟ قال: بل أمّن خلق السموات والأرض خير؟ تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء"(٢).

ومن اعتراضه قوله في **الاستئناف**، في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾(البقرة:٣)، قال ابن عاشور: " وجوز صاحب (الكشاف) كونه كلاما مستأنفا مبتدأ وكون: (**أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى**)(البقرة:٥) خبره، وعندي أنه تجويز لما لا يليق؛ إذ الاستئناف يقتضي الانتقال من غرض إلى آخر، وهو المسمى بالاقتضاب، وإنما يحسن في البلاغة إذا أشيع الغرض الأول وأفيض فيه حتى أوعب، أو حتى خيفت سآمة السامع، وذلك موقع (أما) بعد أو كلمة هذا ونحوهما، وإلا كان تقصيرا من الخطيب والمتكلم، لا سيما وأسلوب الكتاب أوسع من أسلوب الخطابة؛ لأن الإطالة في أغراضه أمكن"(٣).

وقد ورد معناه في الكشاف، فقال: " **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**... إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون، وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بـــ (**أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى**)"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٠.

(٢) الكشاف: ج٣، ٣٨٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٢٩.

(٤) الكشاف: ج١، ٧٩.

وأما معارضته في **تغليب الماضي على المستقبل** في قوله تعالى: ﴿ **والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾(البقرة:٤)، قال ابن عاشور: " فالإيمان بما سينزل في المستقبل حاصل بفحوى الخطاب، وهي الدلالة الأخروية، فإيمانهم بما سينزل مراد من الكلام، وليس مدلولا للفظ الذي هو للماضي، فلا حاجة إلى دعوى تغليب الماضي على المستقبل في قوله تعالى: (**بِمَا أُنزِلَ**) والمراد ما أنزل وما سينزل كما في (الكشاف) "(١).

وهذا ما معناه في الكشاف، حيث قال: " فإن قلت قوله: (**بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**) إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم، فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم، فهو إيمان ببعض المنزل، واشتمال الإيمان على الجميع سالفة ومترقبة واجب، قلت المراد المنزل كله، وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا، تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب، فيقال: أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان؛ ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول، جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله، ويدل عليه قوله تعالى: (**إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى**)(الأحقاف:٣٠)، ولم يسمعوا جميع الكتاب، ولا كان كله منزلا، ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا"(٢).

ومن معارضته في **الحصر الحاصل من التقديم**، قوله تعالى: ﴿ **والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾(البقرة:٤)، قال ابن عاشور: " وفي قوله تعالى: (**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**) تقديم للمجرور الذي هو معمول (**يُوقِنُونَ**) على عامله، وهو تقديم لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة، وأرى أن في هذا التقديم ثناء على هؤلاء بأنهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن، فليس التقديم بمفيد حصرا إذ لا يستقيم معنى الحصر هنا، بأن يكون المعنى أنهم يوقنون بالآخرة دون غيرها، وقد تكلف صاحب (الكشاف) وشارحوه لإفادة الحصر من هذا التقديم، ويخرج الحصر عن تعلقه بذات المحصور فيه إلى تعلقه بأحواله، وهذا غير معهود في الحصر"(٣).

وقد ورد معناه في الكشاف حيث قال: " وفي تقديم (**وَبِالآخِرَةِ**) وبناء (**يُوقِنُونَ**) على (**هُمْ**) تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وإن

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٣٩.

(٢) الكشاف: ج١، ٨٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٤٠.

قولهم ليس بصادر عن إيقان، وإن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما انزل من قبلك، والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه"(١).

ومن معارضته للكشاف في **تقدير الشرط بعد فاء الفصيحة**، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾(البقرة:٦٠)، قال ابن عاشور: " وعندي أن الفاء لا تعد فاء فصيحة إلا إذا لم يستقم عطف ما بعدها على ما قبلها، فإذا استقام فهي الفاء العاطفة، والحذف إيجاز، وتقدير المحذوف لبيان المعنى؛ وذلك لأن الانفجار مترتب على قوله تعالى لموسى: (**اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ**) لظهور أن موسى ليس ممن يشك في امتثاله، بل ولظهور أن كل سائل أمرا إذا قيل له افعل كذا، أن يعلم أن ما أمر به هو الذي فيه جوابه، كما يقول لك التلميذ ما حكم كذا؟ فتقول افتح كتاب (الرسالة) في باب كذا... وأما تقدير الشرط هنا، أي: فإن ضربت فقد انفجرت إلخ، فغير بين، ومن العجب ذكره في (الكشاف)"(٢).

وأما نص ذلك في الكشاف قوله: " (**فَانفَجَرَتْ**) الفاء متعلقة بمحذوف، أي: فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت... وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ"(٣).

ومن معارضته له في **الالتفات**، قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ**﴾(البقرة:٢١٤)، قال ابن عاشور: " والخطاب للمسلمين وهو إقبال عليهم بالخطاب بعد أن كان الكلام على غيرهم فليس فيه التفات، وجعل صاحب الكشاف التفاتا بناء على تقدم قوله: (**فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ**)(البقرة:٢١٣)، وأنه يقتضي أن يقال: أم حسبوا، أي: الذين آمنوا، والأظهر أنه لما وقع الانتقال من غرض إلى غرض بالإضراب الانتقالي الحاصل بــ (**أَمْ**) صار الكلام افتتاحا محضا، وبذلك يتأكد اعتبار الانتقال من أسلوب إلى أسلوب فالالتفات هنا غير منظور إليه على التحقيق"(٤).

---

(١) الكشاف: ج١، ٨٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥١٨- ٥١٩.

(٣) الكشاف: ج١، ١٧٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣١٤.

وأما نصه في الكشاف: " ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين على الثبات والصبر، مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب، وإنكارهم لآياته وعداوتهم له، قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ"(١).

ومن معارضته له في **التضمين**، قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(آل عمران:١٧٦)، قال ابن عاشور: " نهي للرسول عن أن يحزن من فعل قوم يحرصون على الكفر، أي: على أعماله، ومعنى: (**يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**) يتوغلون فيه، ويعجلون إلى إظهاره وتأييده، والعمل به عند سنوح الفرص، ويحرصون على إلقائه في نفوس الناس، فعبر عن هذا المعنى بقوله: (**يُسَارِعُونَ**)، فقيل: ذلك من التضمين ضمن يسارعون معنى يقعون، فعدي بفي، وهي طريقة (الكشاف) وشروحه، وعندي أن هذا استعارة تمثيلية: شبه حال حرصهم وجدهم في تفكير الناس، وإدخال الشك على المؤمنين، وتربصهم الدوائر، وانتهازهم الفرص، بحال الطالب المسارع إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته، وهو متوغل فيه متلبس به، فلذلك عدي بـــ (**فِي**) الدالة على سرعتهم سرعة طالب التمكين، لا طالب الحصول، إذ هو حاصل عندهم، ولو عدي بـــ (**إلى**) لفهم منه أنهم لم يكفروا عند المسارعة، قيل: هؤلاء هم المنافقون، وقيل: قوم أسلموا ثم خافوا من المشركين فارتدوا"(٢).

أما نصه في الكشاف: " يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين هم قوم ارتدوا عن الإسلام"(٣).

فالزمخشري لم يصرح بوجود التضمين، بل ذكر المعنى المراد والمقصود من الآية، وابن عاشور وجه كلام الزمخشري إلى التضمين وعارضه، ولا نجد محلا للمعارضة؛ فالاستعارة قائمة على مبدأ التضمين، والتضمين قائم على الاستعارة؛ لأن المستعار له يتضمن معنى لفظ المستعار لنكتة بلاغية.

---

(١) الكشاف: ج١، ٢٨٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٧٢- ١٧٣.

(٣) الكشاف: ج١، ٤٧١.

ثانيا: ابن عطية (٤٨١- ٥٤٢هـ= ١٠٨٨- ١١٤٨م) [(١)]:

هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية الغرناطي المالكي، الإمام الكبير قدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي الغرناطي القاضي، حدث عن أبيه وغيره، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بارعاً في الأدب، ذا ضبط وتقييد وتجويد وذهن سيّال، ولو لم يكن له إلا تفسيره لكفى، وذكر في أسامي الكتب أنه المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وهو تفسير شريف جليل القدر والشأن، قد تداوله فحول العلماء وأثنوا عليه خيرا، حتى قال أبو حيان: هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تصدر للتنقيح فيه، ولد سنة ثمانين وأربع مائة وتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة، وقيل سنة إحدى، خامس عشرين شهر رمضان، ومات بحصن لورقة.

وقد مدح ابن عاشور ابن عطية وتفسيره كثيرا، واعتبره في مقابل الزمخشري، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، ومما يلاحظ عليه أن ابن عاشور كان متحيزا لابن عطية كثيرا، حتى فيما عارضه فيه، فنجده لا يصرح بالمعارضة كما فعل مع سابقه، بل كان هينا لينا في ذلك، وربما يرجع هذا الأمر إلى اتفاقهما معا في المذهب المالكي، وربما لكونه أيضا عالمًا من المغرب العربي.

ومن موافقاته له في **الاستثناء**، قوله تعالى: ﴿**وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ**﴾(الأنعام:٨٠)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً)** استثناء مما قبله، وقد جعله ابن عطية استثناء منقطعا بمعنى لكن، وهو ظاهر كلام الطبري[(٢)]، وهو الأظهر، فإنه لما نفى أن يكون يخاف إضرار آلهتهم، وكان ذلك قد يتوهم منه السامعون أنه لا يخاف

---

(١) انظر ترجمته في:

- الأعلام: ج٣، ٢٨٢.
- تذكرة الحفاظ: ج٤، ٤٥.
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه السِّلَفي الأصبهاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٣م، ص٣٠- ٣١.
- سير أعلام النبلاء: ج١٩، ٥٨٦- ٥٨٧.

(٢) قال الطبري: " إلا أن يشاء ربي شيئًا"، يقول: ولكن خوفي من الله الذي خلقني، وخلق السماوات والأرض، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاءٍ، أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك، نالني به؛ لأنه القادر على ذلك".

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج١١، ٤٨٩.

شيئا، استدرك عليه بما دل عليه الاستثناء المنقطع، أي: لكن أخاف مشيئة ربي شيئا مما أخافه، فذلك أخافه، وفي هذا الاستدراك زيادة نكاية لقومه؛ إذ كان لا يخاف آلهتهم في حين أنه يخشى ربه المستحق للخشية، إن كان قومه لا يعترفون برب غير آلهتهم على أحد الاحتمالين المتقدمين"[1].

وهذا مقابل ما معناه في المحرر الوجيز: " استثناء ليس من الأول و (**شَيْئاً**) منصوب بـــ (**يَشَاءَ**) ولما كانت قوة الكلام أنه لا يخاف ضرا، استثنى مشيئة ربه تعالى في أن يريده بضر"[2].

ومنه أيضا في **الاستئناف**، قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ** (٨٧) **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ**﴾(الشعراء:٨٨)، قال ابن عاشور: " و (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ**) الخ، يظهر أنه من كلام إبراهيم عليه السلام، فيكون (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ**) بدلا من (**يَوْمَ يُبْعَثُونَ**) قصد به إظهار أن الالتجاء في ذلك اليوم إلى الله وحده، ولا عون فيه بما اعتاده الناس في الدنيا من أسباب الدفع عن أنفسهم، واستظهر ابن عطية: أن الآيات التي أولها: (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ**) يريد إلى قوله: (**فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)(الشعراء:١٠٢) منقطعة عن كلام إبراهيم عليه السلام، وهي إخبار من الله تعالى صفة لليوم الذي وقف إبراهيم عنده في أن لا يخزى فيه دعائه اهـــ. وهو استظهار رشيق فيكون: (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ**) استئنافا خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هو يوم لا ينفع مال ولا بنون"[3].

وقد ورد نصه في المحرر الوجيز: " (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ**) هي عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام، وهي إخبار من الله عز وجل تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزى فيه"[4].

ومن تأييده في **فاء الواصلة**، قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾(النحل:٩٨)، قال ابن عاشور: " وقول ابن عطية: الفاء في (**فَإِذَا**) واصلة بين الكلامين، والعرب تستعملها في مثل هذا، فتكون الفاء على هذا لمجرد وصل كلام بكلام، واستشهد له بالاستعمال والعهدة عليه"[5].

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٢٨- ٣٢٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م، ج٢، ص٣١٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٤٧.

(٤) المحرر الوجيز: ج٤، ٢٣٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٧٤.

وهذا ما ذكره ابن عطية، فقال: " الفاء في قوله: **(فَإِذَا)** واصلة بين الكلامين، والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير الآية: فإذا أخذت في قراءة القرآن كما قال عز وجل: **(إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ)** وكما تقول لرجل: إذا أكلت فقل بسم الله"(١).

ومن موافقته في **التأكيد**، قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ**﴾(الروم:٤٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(مِّن قَبْلِهِ)** تكرير لقوله: **(مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم)**(الروم:٤٩)، لتوكيد معنى قبلية نزول المطر، وتقريره في نفوس السامعين، قال ابن عطية: أفاد التأكيد الإعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار اهـ. يعني أن إعادة قوله: **(مِّن قَبْلِهِ)** زيادة تنبيه على الحالة التي كانت من قبل نزول المطر"(٢).

وهذا ما ورد نصه في المحرر الوجيز: " وقوله تعالى من قبله تأكيدا أفاد سرعة تقلب قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار، وذلك أن قوله: **(مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم)** يحتمل الفسحة في الزمان، أي: من قبل بكثير كالأيام ونحوه، فجاء قوله: **(مِّن قَبْلِهِ)** بمعنى أن ذلك متصل بالمطر فهو تأكيد مفيد"(٣).

ومنها قوله في **الخبر** في قوله تعالى: ﴿ **يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(الدخان:١١)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** قال ابن عطية: يجوز أن يكون إخبارا من جانب الله تعالى تعجيبا منه، كما في قوله تعالى في قصة الذبيح **(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ)** (الصافات:١٠٦)، ويحتمل أن يكون ذلك من قول الناس الذين يغشاهم العذاب، بتقدير: يقولون هذا عذاب أليم، والإشارة في **(هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** إلى الدخان المذكور آنفا، عدل عن استحضاره بالإضمار، وأن يقال: هو عذاب أليم إلى استحضاره بالإشارة، لتنزيله منزلة الحاضر المشاهد تهويلا لأمره، كما تقول: هذا الشتاء قادم فأعد له"(٤).

وهذا نفس ما ذكره ابن عطية في قوله: " وقوله تعالى: **(هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** يحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى كأنه يعجب منه على نحو من قوله تعالى لما وصف قصة الذبح **(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ)**(الصافات:١٠٦)، ويحتمل أن يكون **(هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** من قول الناس، كان تقدير الكلام يقولون: هذا عذاب أليم"(٥).

---

(١) المحرر الوجيز: ج٣، ٤٢٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٢٢.

(٣) المحرر الوجيز: ج٤، ٣٤٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٨٩.

(٥) المحرر الوجيز: ج٥، ٧٠.

ومن موافقته له في **المعنى المجازي للأمر** في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾(ق:٤١)، قال ابن عاشور: " وابتداء الكلام بـــ **(اسْتَمِعْ)** يفيد توثيقا إلى ما يرد بعده على كل احتمال، والأمر بالاستماع حقيقته: الأمر بالإنصات والإصغاء... ونحا ابن عطية حمل **(اسْتَمِعْ)** على المجاز، أي: انتظر، قال: لأن محمدا – صلى الله عليه وسلم– لم يؤمر بأن يستمع في يوم النداء؛ لأن كل من فيه يستمع، وإنما الآية في معنى الوعيد للكفار فقيل لمحمد – صلى الله عليه وسلم – تحسس هذا اليوم وارتقبه، فإن فيه تبين صحة ما قلته اهــ. ولم أر من سبقه إلى هذا المعنى، ومثله في (تفسير الفخر)[1] وفي (تفسير النسفي)[2]، ولعلهما اطلعا عليه؛ لأنهما متأخران عن ابن عطية، وهما وإن كانا مشرقيين فإن الكتب تنقل بين الأقطار"[3].

قال ابن عطية: " قوله تعالى: **(واسْتَمِعْ)** بمنزلة وانتظر، وذلك أن محمدا – صلى الله عليه وسلم– لم يؤمر بأن يستمع في يوم النداء؛ لأن كل من فيه يستمع، وإنما الآية في معنى الوعيد للكفار، وقيل: لمحمد تحسس وتسمع هذا اليوم وارتقبه، وهذا كما تقول لمن تعده بورود فتح: استمع كذا وكذا، أي: كن منتظرا له مستمعا"[4].

ومن تأييده في **(من) الموصولة**، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾(المزمل:١٩)، قال ابن عاشور: " والإتيان بموصول **(مَن شَاء)** من قبيل التحريض؛ لأنه يقتضي أن هذا السبيل موصل إلى الخير، فلا حائل يحول بين طالب الخير وبين سلوك هذا السبيل إلا مشيئته؛ لأن قوله: **(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ)** قرينة على ذلك... فليس ذلك إباحة للإيمان والكفر، ولكنه تحريض على الإيمان، وما بعده تحذير من الكفر، أي: تبعة التفريط في ذلك على المفرط، ولذلك قال ابن عطية: ليس معناه إباحة الأمر وضده، بل يتضمن معنى الوعد والوعيد"[5].

---

(١) قال الفخر: " يحتمل أن يقال بأن استمع بمعنى انتظر فيحتمل الجمع في الدنيا".

– تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، ص٤١٥٧.

(٢) قال النسفي: " **(واسْتَمِعْ)** لما أخبرك به من حال يوم القيامة، وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به، وقد وقف يعقوب عليه، وانتصب **(يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ)** بما دل عليه **(ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ)** أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور، وقيل: تقديره: واستمع حديث يوم ينادي المنادي".

– مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ج٣، ص٣٥٥.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٢٩.

(٤) المحرر الوجيز: ج٥، ١٦٩.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٧٨.

قال ابن عطية: " وقوله تعالى: **(فَمَن شَاء)** الآية ليس معناه إباحة الأمر وضده، بل يتضمن معنى الوعد والوعيد، والسبيل هنا سبيل الخير والطاعة"(١).

وقد كان ابن عاشور ينقل ما نقله ابن عطية في تفسيره عن علماء آخرين، وهذا باب من أبواب تأييده له وتأثره به، كقوله في **(أَنَّهَا) للتعليل** في قوله تعالى: **﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**(الأنعام:١٠٩)، قال ابن عاشور: " وذكر ابن عطية: أن أبا علي الفارسي جعل **(أَنَّهَا)** تعليلا لقوله: **(عِندَ اللّهِ)** أي: لا تأتيهم بها؛ لأنها إذا جاءت لا يؤمنون، أي: على أن يكون **(عِندَ)** كناية عن منعهم من الإجابة لما طلبوه"(٢).

وهذا ما أورده ابن عطية، فقال: " ... فهذه كلها بمعنى **(لعل)** وضعف أبو علي هذا بأن التوقع الذي فيه لا يناسب الآية بعد التي حكمت بأنهم لا يؤمنون، وترجح عنده في الآية أن تكون أن على بابها وأن يكون المعنى قل إنما الآيات عند الله لأنها إذا جاءت لا يؤمنون فهو لا يأتي بها لإصرارهم على كفرهم"(٣).

أما ما جاء به ابن عاشور من اعتراضات على رأي ابن عطية في بعض ما أورده في تفسيره فهو قليل جدا، من ذلك معارضته في قراءة قوله تعالى: **﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(النمل:١١)، قال ابن عاشور: " وفي تفسير ابن عطية أن أبا جعفر قرأ: **(أَلَّا مَن ظَلَمَ)** بفتح همزة **(أَلَّا)** وتخفيف اللام فتكون حرف تنبيه، ولا تعرف نسبة هذه القراءة لأبي جعفر فيما رأينا من كتب علم القراءات، فلعلها رواية ضعيفة عن أبي جعفر"(٤).

قال ابن عطية: " وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وزيد بن أسلم **(أَلَّا مَن ظَلَمَ)** على الاستفتاح"(٥).

ومن مخالفته له في **الخبر الخارج للأمر**، قوله تعالى: **﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**

---

(١) المحرر الوجيز: ج٥، ٣٩٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٤٠.

(٣) المحرر الوجيز: ج٢، ٣٣٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٢٣١.

(٥) المحرر الوجيز: ج٤، ٢٥١.

(البقرة٢٣٣)، قال ابن عاشور: " قال ابن عطية: قوله: **(يُرْضِعْنَ)** خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات، والأمر على الندب، والتخيير لبعضهن، وتبعه البيضاوي[١]، وفي هذا استعمال صيغة الأمر في القدر المشترك، وهو مطلق الطلب ولا داعي إليه"[٢].

قال ابن عطية: " يرضعن أولادهن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات، والأمر على جهة الندب والتخيير لبعضهن"[٣].

---

(١) قال البيضاوي: " **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ)** أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب أو الوجوب، فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه، أو لم يوجد له ظئر، أو عجز الوالد عن الاستئجار".

- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٥٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٤٣٠.

(٣) المحرر الوجيز: ج١، ٣١٠.

الفصل الثاني

مسائل علم المعاني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مادة الكلمة وملاءمتها للسياق، وتتمثل في:

- التعريف والتنكير.
- أدوات الربط.

المبحث الثاني: البحث في الجملة، وتتمثل في:

- الخبر والإنشاء.
- المجاز العقلي.
- خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
- القصر وأسراره البلاغية.

المبحث الثالث: بلاغة الإيجاز والإطناب.

علم المعاني هو علم يعرف به أحول اللفظ العربي، فقد قالوا: " إن علم المعاني يعلمنا كيف نركب الجملة العربية، لتصيب بها الغرض المعنوي الذي نريد على اختلاف الظروف والأحوال"(١).

وقد تعددت تعريفات العلماء له، لكنها جميعا دارت حول معنى واحد، فقالوا : " هو قواعد يعرف بها أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال"(٢)، أو " هو تتبع خواص التراكيب في الإفادة تفاديا من الخطأ في التطبيق"(٣)، أو" هو العلم الذي تؤدي به الكلام حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال"(١).

والتعريف الأكثر شهرة ودورانا ما عرفه الخطيب القزويني بقوله: " هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"(٤).

نلاحظ أن جميع التعريفات دارت حول محورين أساسيين، وهما: أحوال اللفظ العربي، ومطابقة الكلام مقتضى الحال، ويقصد بأحوال اللفظ " الأمور العارضة للفظ من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وغيرها من الأحوال التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال بخلاف الأحوال التي ليست كذلك كالإعلال والإدغام "(٥).

أما مطابقة مقتضى الحال فهي موجزة بقولنا: لكل مقام مقال .

وعليه فإن التعريفات السابقة تفيد أن " موضوع علم المعاني هو اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني المقصودة للمتكلم، وفائدته الوقوف على أسرار البلاغة العربية في معرفة إعجاز القرآن الكريم، والفصاحة في منثور الكلام ومنظومه، والتفريق بين جيد الكلام ورديئه"(٦).

---

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٥م، ج١، ص ٤٩.

(٢) معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرباط، ط٣، ١٩٨٨، ص ٤٠٥٣.

(٣) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبى، تحقيق : د. هادى عطية قطر الهلالي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م ، ص٤٩.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ط ٤، ١٩٧٥م، ص ٨٤ .

(٥) فتح منزل المباني بشرح أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني، أبى يحي زكريا الأنصاري، تصحيح: سالم رضوان العيوني، الجمالية محارة الروم، مصر، ط ٦، ١٩٤١ م، ص ١٤. وانظر، (علم المعاني- البيان- البديع) د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ص٣٣.

(٦) انظر،(علم المعاني- البيان- البديع) د.عبد العزيز عتيق: ٣٣، وانظر، التأسيس في علوم البلاغة، عبد الحميد قاسم النجار، الجامعة الإسلامية، غزة، ص ١٢ .

وعلم المعاني له فوائد وضع لأجلها، وهي(١):

- معرفة الإعجاز القرآني في إدراك كلام الله.
- التمكن من إدراك معاني البلاغة والفصاحة، في منثور الكلام ومنظومه.
- معرفة مقاصد الكلام واتجاهاته.
- إدراك قوة الأساليب.

وعلم المعاني يبنى على عناصر الكلام التي تعتمد الجمل، إذ لكل جملة ركنان أساسيان هما(٢):

- المسند إليه، ويسمى محكوما عليه، أو مخبرا عنه.
- المسند، ويسمى محكوما به، أو مخبرا به.

والإسناد هو انضمام كلمة (المسند) إلى أخرى – أي كلام جاء في الجملة عدا المسند والمسند إليه – (المسند إليه) على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا(٣).

فأحوال اللفظ العربي هي صلب موضوع علم المعاني التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره لآيات القرآن الكريم، حيث لاحظنا قدرة ابن عاشور العقلية في توجيهه المعاني الثواني– التي خرجت إليها الآيات– التي تنم عمّا يتمتع به من عقلية نيرة ونظرة ثاقبة، وسعة ثقافة ودراية بعلوم العربية، وسأحاول في هذا الفصل تناول موضوعات علم المعاني التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره.

---

(١) انظر، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ا.د. حميد آدم ثويني، دار المناهج، عمان، ط١، ٢٠٠٧م، ص٥٦– ٥٧، وانظر، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح: د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٥٦– ٥٧.

(٢) انظر، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق: ٧٥– ٦٦، وانظر، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٥٨.

(٣) انظر، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٥٨– ٥٩.

مسائل علم المعاني

أولا:التعريف والتنكير

اهتم القدماء من النحاة العرب بالعرض للقضايا اللغوية المتصلة بالنكرة والمعرفة، ومن أشهرها ما يسمى بـــ (الأصل والفرع) وانتهوا إلى أن النكرة أصل والمعرفة فـــرع، واهـــتم علماء البلاغة بهما في ضوء النظر في الأداء اللغوي مع الربط بالجمال داخل النص نفسه؛ لأن التعبير بالنكرة قد يكون أبلغ من التعبير بالمعرفة وربما العكس[١].

وقد وضح العلوي الفرق بين المعرفة والنكرة، فقال: " المعرفة مادلت على شيء بعينه، والنكرة مادلت على شيء لا بعينه "[٢]. فكلاهما عكس الآخر.

التعريف لغة:

التعريف هوالإعلام[٣].

اصطلاحا:

هو اسم يدل على شيء واحد بعينه؛ لأنه متميز بأوصاف وعلامات لا يشاركه فيها فرد من نوعه[٤].

فالتعريف إذن" هو التمييز، هو الإفراد، هوالتخصيص بعد التعميم، هو أن يكون شيء ما محددا بين المتكلم والسامع، فيدور حوله الكلام، هذا يتحدث عنه، وذاك يفكر فيه، وهـــو نفســـه يفرض نفسه على المتكلم والمخاطب "[٥].

أما ابن عاشور فقد قربه إلى المواطأة في المنطق في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾(الأعراف:٥٤)، فقال: "فالمقصود من تعريف المسند إفادة ما يسمّى في المنطق بحمل المواطأة، وهو حمل (هُو هُو) ولذلك يخيّر المتكلّم في جعل أحد الجزأين مســـند إليه، وجعل الآخر مسنداً، لأنّ كليهما معروف عند المخاطب، وإنّما الشّأن أن يجعـــل أقواهمـــا معرفة عند المخاطب هو المسندَ إليه"[٦].

---

(١) انظر، علم الجمال اللغوي " المعاني – البيان – البديع "، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص ٣٦٦ .

(٢) الطراز، العلوي، تدقيق: محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م ، ص٢٠٨.

(٣) اللسان: (عرف).

(٤) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط ١٥، ج١، ص ٢٩١ .

(٥) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٦م، ص ٣٣.

(٦) التحرير والتنوير: م٤،ج٨، ق١٦٠،٢-١٦١.

فحق المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معرفا، ليكون الحكم مقيدا(١)، ويعرف المسند لإفادة السامع حكما على أمر عنده بأمر آخر مثله بإحدى طرق التعريف، ولإفادة قصره على المسند إليه حقيقة أو ادعاءً؛ مبالغة لكمال معناه في المسند إليه(٢).

وقد وضح الجرجاني فائدة تعريفه بقوله : " فائدة تعريفه إجمالا: أن المعرفة أخص من النكرة، وكلما كانت أخص، كانت أتم دلالة على المراد، لكونه أقل احتمالا لغير المراد من النكرة "(٣).

وقد فسر أحمد مطلوب ذلك، فقال: " ويدخل التعريف على المسند إليه؛ لان الأصل فيه أن يكون معرفة لأنه المحكوم عليه، والحكم على مجهول لا يفيد، ولذلك فإنه يعرف لتكون الفائدة أتم؛ لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف"(٤).

وأدوات التعريف كثيرة، وهي: الضمير، والعلمية، والموصلية، والإشارة، والتعريف بأل، والتعريف بالإضافة (٥).

النكرة لغة:

والنَّكِرَةُ إِنكارك الشيء وهو نقيض المعرفة والنَّكِرَةُ خلاف المعرفة، والتنكير خلاف التعريف(٦).

اصطلاحا:

النكرة ما دل على شيء لا بعينه (٧)، قال التفتازاني: " التنكير أي تنكير المسند إليه؛ للقصد إلى فرد غير معين، مما يصدق عليه اسم جنس نحو قوله تعالى: ﴿ **وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾(يس:٢٠)، أو النوعية أي القصد إلى نوع منه نحو: ﴿ **وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ**

---

(١) انظر، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٣٧.

(٢) انظر، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٦٥- ١٦٦.

(٣) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن على الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر، ص ٣٦ .

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٨٢. ص٢٨٢.

(٥) انظر، بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٣٣- ٣٨ ، وانظر، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ٢، ص ٦٨- ٧١ .

(٦) اللسان: (نكر).

(٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٢٨٢.

غِشَاوَةٌ﴾(البقرة:٧)، أي نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعالي عن آيات الله"(١).

" ويؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاءً، كقولك جاء هنا رجل يسأل عنك، إذا لم تعرف ما يعنيه من علم أو صلة أو نحوها"(٢).

وينكر المسند لعدم الموجب لتعريفه، وذلك لقصد إرادة العهد أو الحصر، ولإتباع المسند إليه في التنكير، ولإفادة التفخيم ولقصد التحقير(٣).

أما الأغراض التي تستفاد من التنكير، فإنما تستفاد من السياق لامن التنكير، وحده السياق هو الذي يدل على المراد من هذا التنكير، فهو الذي يرشد إلى الأغراض الكثيرة حين التأمل فيه وآلية الاستفادة منه(٤). وهذا لا ينطبق فقط على النكرة، بل يتخطاه إلى كل علوم العربية، فالسياق هو الذي يحدد الغرض والمطلوب.

وللنكرة درجات ومراتب حسب الغرض الذي سيقت لأجله، يقول أحمد مطلوب: " وتتفاوت النكرات أيضا في مراتب التنكير، وكلما ازدادت النكرة عموما زادت إبهاما في الوضع"(٥). وكلما زادت إبهاما، زادت إعمالا للعقل، وبالتالي زادت قوة وجمالا.

أما عن أدوات التنكير، يقول منير سلطان: " لا أداة للتنكير سوى أن يخلى اللفظ من أدوات التعريف، والأصل في الكلمة التنكير؛ لأنه مطلق، ثم يأتي التعريف لتحصيره في العلمية والإحاطة بحدوده، ومعرفة كنهه على وجه التحديد"(٦).

الأغراض البلاغية للتعريف

١- التعظيم:

وهو التَّبجيل (٧)، والمقصود به التفخيم، وجميعها مترادفات لمقصد واحد، وقد تعددت هذه المترادفات عند ابن عاشور، والمقصود بها علو الشأن.

---

(١) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٢٣٤.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٤٩.

(٣) انظر، نفسه: ١٦٦.

(٤) انظر، البلاغة فنونها وأفنانها: ٣٤٢.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٢٨٢.

(٦) بلاغة الكلمة والجملة والجمل:٤٦.

(٧) اللسان: (عظم).

وعادة ما يأتي اسم الإشارة البعيد في التعظيم، سواء تعظيما سلباً أو إيجابا، كقوله تعالى: ﴿ولَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(الأنفال:٥١)، قال ابن عاشور: " وجيء بإشارة البعيد لتعظيم ما يشاهدونه من الأهوال"(١). فعظم الأمر جاء سببا لما اقترفوه من الذنوب والخطايا.

وكقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾(المائدة:١٠٦)، قال ابن عاشور: " وإضافة الشهادة إلى اسم الجلالة تعظيم لخطرها عند الشهادة وغيره، لأن الله لما أمر بأدائها كما هي وحضّ عليها، أضافها إلى اسمه حفظاً لها من التغيير، فالتصريح باسمه تعالى تذكير للشاهد به حين القسم"(٢)، ويوضح معنى قوله تعالى: (وَلاَ نَكْتُمُ) " دليل على أن المراد بالشهادة هنا معناها المتعارف، وهو الإخبار عن أمر خاص يعرض في مثله الترافع، وليس المراد بها اليمين كما توهمه بعض المفسرين"(٣). فكل شيء يقرن بالعظيم فهو معظم، فما بالنا بالعظيم المعظم؛ لذلك اقترنت الشهادة الشهادة به لعظمها عنده، وعظم ثواب من يؤديها، وعظم عذاب من يكتمها.

وتعددت مواطن التعظيم في القرآن الكريم على رأي ابن عاشور، وآراؤه جميعها في موطنها، وإن كان في بعض الأحيان يعضد رأيه من خلال توضيح رأي بعض العلماء السابقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾(البقرة:١٤٣)، قال ابن عاشور: " ووجه الإتيان بإشارة البعيد التنبيه على تعظيم المشار إليه، وهو الذي عناه في الكشاف(٤) بالجعل العجيب، فالتعظيم هنا لبداعة الأمر وعجابته"(٥). فالتعريف باسم الإشارة خرج للتعظيم، والتعظيم والتعظيم خرج للبداعة وعجابة الأمر، فالغرض الواحد تفرع منه معانٍ عدة، وهذا ما يدلل على قدرة ابن عاشور على التحليل واستخلاص المعاني الخصبة، كما وضح ذلك في الإتيان بالموصول في قوله تعالى: ﴿ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ﴾(التوبة:٣٧)، "والإتيان بالموصول دون أن يعبر

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٤١.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٨٨.

(٣) نفسه.

(٤) قال الزمخشري: " ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم ﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾ خيارا، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث".

- الكشاف: ج١، ٢٢٤.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ١٥.

بنحو عدة الأشهر الحرم، للإشارة إلى تعليل عملهم في اعتقادهم بأن حافظوا على عدة الأشهر التي حرمها الله تعظيماً فيه تعريض بالتهكم بهم"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾(الرحمن:٢٤)، " ووصفت الجواري بأنها كالأعلام، أي: الجبال، وصفاً يفيد تعظيم شأنها في صنعها المقتضي بداعة إلهام عقول البشر لصنعها، والمقتضى عظم المِنّة بها؛ لأن السفن العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من الناس والمتاع"(٢).

وقد يقرن ابن عاشور التعظيم بمعان تفيد نفس المعنى، وذلك من باب التأكيد على هذا التعظيم كالرفعة، فـ (رفع) في أَسْماء الله تعالى، والرِّفْعة خلاف الضّعة، رَفُع يَرْفُع رَفاعة فهو رَفيع إذا شَرُف(٣)، وهذا ما تضح في قوله تعالى: ﴿ **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(الأعراف:٤٣)، قال ابن عاشور: " والإشارة إلى الجنة بـ (**تِلْكُمُ**)، الذي حقه أن يستعمل في المشار إليه البعيد ، مع أنّ الجنة حاضرة بين يديهم؛ لقصد رفعة شأنها وتعظيم المنة بها"(٤).

وهذا قريب من قول القزويني: " وإن كان بالإشارة، فإما لتمييزه أكمل تمييز؛ لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً"(٥).

أما صاحب الدر المصون فقد وضح الغرض من استخدام الإشارة البعيد، فقال: " وأشير إليها بإشارة البعيد؛ لأنهم وعدوها في الدنيا، وعبارة بعضهم هي إشارة لغائب مسامحة؛ لأن الإشارة لا تكون إلا لحاضر، ولكن العلماء تطلق على البعيد غائباً مجازاً "(٦)، وقال فضل عباس:" الأصل في الإشارة أن تكون لمحسوس، وقد ينزل غير المحسوس منزلة المحسوس"(٧). فقد عظم الله الجنة باسم الإشارة لعظمها وعظم عمل من سينالها، فهي بعيدة حاضرة، بعيدة بمشوارها وعناء الوصول إليها، وحاضرة في وعد الله لمن جاهد لنيلها.

وقد ذكر في مواطن أخرى أن التعريف قد خرج لمعنى الرفعة، وهي في نفس مقام التعظيم، كما وضح هذا في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾(الأعراف:٢٠٦)، قال ابن عاشور: " ووجه العدول عن لفظ الملائكة

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٩٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٥٢.

(٣) اللسان: (رفع).

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٣٤.

(٥) الإيضاح: ٤٤.

(٦) الدر المصون، السمين الحلبي، تحقيق: الشيخ محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، م٣، ص٢٧٢.

(٧) أساليب البيان، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٤٨.

إلى الموصولية ما تؤذن به الصلة من رفعة منزلتهم ، فيتذرع بذلك إلى إيجاد المنافسة في التخلق بأحوالهم"[١].

وكثيراً ما قرن ابن عاشور التعظيم بالتنويه، وكأنه أراد من ذلك أن الله ينوه بأن هذا عظيم، أو كقولنا انتبه هذا هو الذي كذا وكذا، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾(يونس:٥٨)، قال ابن عاشور: " والإشارة في قوله: (**فَبِذَلِكَ**) للمذكور، وهو مجموع الفضل والرحمة، واختير للتعبير عنه اسم الإشارة لما فيه من الدلالة على التنويه والتعظيم مع زيادة التمييز والاختصار"[٢].

ومن مرادفات التعظيم: التَّفْخِيم، وفَخَّم الكلام عظَّمه [٣]، كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الأعراف:٦١)، قال ابن عاشور: " واختيار طريق الإضافة في تعريف المرسِل لما تؤذن به من تفخيم المضاف، ومن وجوب طاعته على جميع الناس، تعريضاً بقومه إذ عصوه"[٤].

ومن مرادفات التعظيم التشريف، يقال: هو شَرَفُ قومه وكَرَمُهم، أَي: شَرِيفُهُم وكَرِيمهم[٥]، والشرف هو علو الشأن والمكانة وعظمها، فهو قريب جداً من معنى التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(الأعراف:٧٣)، قال ابن عاشور: " وإضافة (**نَاقَةُ**) إلى اسم الله تعالى تشريف لها؛ لأن الله أمر بالإحسان إليها وعدم التعرض لها بسوء، وعظم حرمتها"[٦]، فاكتسبت الناقة مكانتها وعظمها من عظم خالقها، واقترانها باسمه دليل على صدق هذه المعجزة، وتشريف لصالح عليه السلام، ويعقب بعد ذلك فيقول: " وأما إضافة (**أَرْضِ**) إلى اسم الجلالة فالمقصود منه أن للناقة حقاً في الأكل من نبات الأرض؛ لأن الأرض لله وتلك النّاقة من مخلوقاته فلها الحق في الانتفاع بما يصلح لانتفاعها"[٧].

وكقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾(الإسراء:١)، قال ابن عاشور: "

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٤٣.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٠٤.
(٣) اللسان: (فخم).
(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٩٣.
(٥) اللسان: (شرف).
(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢١٨.
(٧) نفسه.

والإضافة إضافة تشريف لا إضافة تعريف؛ لأن وصف العبودية لله متحقق لسائر المخلوقات فلا تفيد إضافته تعريفاً"(١) .

فالإضافة هنا تدل على مدى قرب المصطفى وحب الله له، حيث قرنه باسمه فهذا تشريف له ولمقامه صلى الله عليه وسلم، كما أنه لم يقتصر تعريفه بالإضافة، بل استخدم الصلة وهو من باب تأكيد أمر قرب المصطفى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى، أو تلطفه في نسبته إليه، فالاسم الموصول في حد ذاته مبهم، فالصلة أزالت هذا الإبهام لتنير لنا معنى التشريف لمقام صاحب هذه الصلة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً...**﴾(البقرة:١١٩)، قال ابن عاشور: " وجيء بالمسند إليه ضمير الجلالة تشريفاً للنبي- صلى الله عليه وسلم- بعز الحضور لمقام التكلم مع الخالق تعالى وتقدس، كأن الله يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة فلذا لم يقل له إن الله أرسلك"(٢).

وهناك مواضع سبق فيها التنويه التشريف، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(الأنفال:٤١) قال ابن عاشور: " فإضافة يوم إلى الفرقان إضافة تنويه به وتشريف"(٣).

وفي مواضع أخرى أفادت التشريف والتيمن وذلك في قوله تعالى: ﴿ **بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾(هود:٨٦)، قال ابن عاشور: " وإضافة (**بَقِيَّةُ**) إلى اسم الجلالة على المعاني كلها جمعا وتفريقاً إضافة تشريف وتيمن" (٤).

وفي بعض المواضع جاء معنى التشريف مقترنا بالتهويل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ**﴾(يوسف:٧٢)، يقول ابن عاشور: " وإضافة (**صُوَاعَ**) إلى الملك لتشريفه، وتهويل سرقته على وجه الحقيقة؛ لأن شؤون الدولة كلها للملك"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٦،ج١٥، ١٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١،ج١، ٦٩١.

(٣) التحرير والتنوير: م٥،ج١٠، ١٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٤٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٢، ٢٨.

٢- الاختصاص:

والاختصاص من اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ له إِذا انفرد، ويقال خصّصَه واخْتصّه أَفْرَدَه به دون غيره[١]. وهذا هو المقصود الذي حملته الآيات وخرجت إليه من خلال تعريفهـا، كما في قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(البقرة:٥)، قال ابن عاشور: " وتعريف المسند بلام الجنس إذا حمل على مسندٍ إليه معرف أفاد الاختصاص، فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة، أي: تأكيداً للاختصاص، فأما إذا كان التعريف للجنس وهـو الظاهر فتعريف المسند إليه مع المسند من شأنه إفادة الاختصاص غالباً، لكنه هنا مجـرد عـن إفادة الاختصاص الحقيقي، ومفيد شيئاً من الاهتمام بالخبر، فلـذلك جلـب لـه التعريـف دون التنكير "[٢].

وقد عزز رأيه هذا باستناده إلى قول عبد القاهر الجرجاني[٣]، حيث قال: " وهذا مثلـه عبد القاهر بقولهم : هو البطل الحامي، أي إذا سمعت بالبطل الحامي وأحطت به خبـراً فهـو فلان"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾(الأنعام:١٤١)، قال ابن عاشور: " وتعريف المسـند يفيد الاختصاص، أي هو الذي أنشأ لا غيره، والمقصود من هذا الحصر إبطال أن يكون لغيـره حظ فيها، لإبطال ما جعلوه من الحرث والأنعام من نصيب أصنامهم مع أن الله أنشأه"[٥]

(١) اللسان: (خصص).

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٤٦.

(٣) قال عبد القاهر الجرجاني: " واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك، وله مسلك دقيق، ولمحة كالخلس، يكون المتأمل عنده، كما يقال يعرف وينكر، وذلك قولك: هو البطل المحامي وهو المتقى المرتجى، وأنت لا تقصد شيئا مما تقدم، فلست تشير إلى معنى قد علم المخاطب أنه كان، ولم يعلم ممن كان كما مضى في قولك: زيد هو المنطلق، ولا تريد أن تقصر معنى عليه على معنى أنه لم يحصل لغيره على الكمال كما كان في قولك، ولكنك تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه؟ فإن كنت قلته علما وتصورته حق تصوره، فعليك صاحبك، واشدد به يدك فهو ضالتك، وعنده بغيتك".

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٨٢.

(٤) نفسه.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١١٧.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾(الأنعام:٢٢)، قال ابن عاشور: " وأضيف الشركاء إلى ضمير المخاطبين إضافة اختصاص؛ لأنهم الذين زعموا لهم الشركة مع الله في الإلهية فلم يكونوا شركاء إلا في اعتقاد المشركين"(١).

فقد تعددت مواطن الاختصاص في ثنايا التفسير، وكل موطن كان لدلالة خاصة حسب الموقف الذي أنزلت فيه الآية، وحسب السياق الذي وردت فيه، وحسب نفسية المخاطب، فجاء الاختصاص وقعاً واقعاً على أصحابه، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(التوبة:٢٨)، يعقب ابن عاشور فيقول: " وإضافة (**عَام**) إلى ضمير(**هِمْ**) لمزيد اختصاصهم بحكم هائل في ذلك العام"(٢). فهذا العام خاص بهم وبشركهم، وينتهي بانتهاء المدة التي خصصت لها، لذلك اعتبر العام لهم وحدهم دون غيرهم.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:١٤٥)، قال ابن عاشور: " وإضافة قبلة إلى ضمير الرسول؛ لأنها أخص به لكونها قِبلة شرعِه، ولأنه سألها بلسان الحال"(٣).

وقد أضافها الله سبحانه وتعالى في موطن آخر إلى المسلمين؛ وذلك لخصوصيتها بهم، فالمسلمين ورسولهم أصحاب قبلة واحدة خاصة بدينهم وشرعهم، قال تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(البقرة:١٤٢)، وعقب ابن عاشور عليها فقال: " وإضافة القبلة إلى ضمير المسلمين للدلالة على مزيد اختصاصها بهم، إذ لم يستقبلها غيرهم من الأمم؛ لأن المشركين لم يكونوا من المصلين، وأهل الكتاب لم يكونوا يستقبلون في صلاتهم"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾(الأنعام:٩٣)، قال ابن عاشور: " وإضافة العذاب إلى الهون لإفادة ما

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٧٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٦٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٧.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٩.

تقتضيه الإضافة من معنى الاختصاص والملك، أي العذاب المتمكن في الهون الملازم لـــه"(١).
وكأن الله سبحانه وتعالى كتب عليهم العذاب المعنوي النفسي وهو ضرب الذلة عليهم.

وقد برع ابن عاشور في إخراج الآيات التي كانت تختص بإسناد الأمور إلى الله، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾(الإسراء:٨٥)، قال ابن عاشور: " فإضافة (**أَمْرِ**) إلى اسم الجلالة على معنى لام الاختصاص، أي أمر اختص بالله اختصاص علم"(٢). فقد ترك الله لنفسه الروح وذلك لقداسة هذا الأمر وعظمه عنده، فلا يختص ملك بذلك كما اختص بقبض هذه الروح، ولولا عظم هذا الأمر ما خصه الله لنفسه.

وجميع ما ذكر من مواطن القصر والحصر أفادت الاختصاص، فالقصر قَصَرَ الشيءَ يَقْصُره قَصْراً حبسه (٣)، أما الحصر فهو: الضيق، قال تعالى: ﴿ **حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ**﴾(النساء:٩٠) أي ضَاْقَتْ صُدُورُهُمْ (٤)، فكلاهما تعطي نفس معنى الاختصاص، فعندما أقول قصرت الشيء لفلان، أي: خصصته به دون غيره.

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحكيم الخبير**﴾(الأنعام:١٨)، قال ابن عاشور: " وقد أفاد تعريف الجزأين القصر، أي لا قاهر إلا هو، لأن قهر الله تعالى هو القهر الحقيقي الذي لا يجد المقهور منه ملاذاً؛ لأنه قهر بأسباب لا يستطيع أحد خلقه أن يدفعه "(٥). فجاء التعريف لأجل القصر، فالقهر الحقيقي مقصور على الله سبحانه وتعالى دون غيره، مما يترتب عليه معنى التأكيد للصفة الإلهية الثابتة.

وكقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(يونس:٦٤)، قال ابن عاشور: " وذكر ضمير الفصل بعد اسم الإشارة لزيادة التأكيد ولإفادة القصر، أي: هو الفوز العظيم لا غيره مما يتقلب فيه المشركون في الحياة الدنيا من رزق ومنعة وقوة؛ لأن ذلك لا يعد فوزاً إذا عاقبته المذلة والإهانة في الدنيا وبعده العذاب الخالد في الآخرة "(٦). واستخدام اسم الإشارة البعيد يدل على البعد الزمني لهذا الفوز، فهو نتيجة بعيدة مترتبة على أعمالهم في الدنيا.

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٨٠.
(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٩٨.
(٣) اللسان: (قصر).
(٤) اللسان: (حصر).
(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٦٤.
(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٢٠.

ومن المواطن التي ذكر فيها الحصر، قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...**﴾(النحل:١٠)، قال ابن عاشور: " وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي: هو لا غيره، وهذا قصر على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكاً في ذلك... فكان القصر قصر إفراد تخريجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر"(١).

٣- التمييز:

المَيْزُ: التمييز بين الأشياء تقول، مِزْتُ بعضه من بعض فأنا أَمِيزُه مَيْزاً وقد أَمازَ بعضَه من بعض، ومِزْتُ الشيء أَمِيزُه مَيْزاً عزلته وفَرَزْتُه(٢). والمراد به التخصيص والتفرد بأمر ما لأناس دون غيرهم، وقد وضح ابن عاشور هذا الغرض بأكثر من معنى، كما في قوله تعالى: ﴿ **أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾(النساء:٦٣)، قال ابن عاشور: " جاء باسم الإشارة لتمييزهم للسامعين أكمل تمييز؛ لأنهم قد حصل من ذكر صفاتهم ما جعلهم كالمشاهدين"(٣)، وقال في موطن آخر يشير إلى الكفار والمشركين، قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾(الكهف:١٠٥)، قال: " وجيء باسم الإشارة لتمييزهم أكمل تمييز؛ لئلا يلتبسوا بغيرهم على نحو قوله تعالى: ﴿ **وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(البقرة :٥)"(٤).

فاسم الإشارة له مميزات اختص بها عن غيره من أدوات التعريف، قال عبد القادر عبد الجليل: " إن من المميزات التي يحتويها السياق الإشاري إيمان المتكلم على الاختزال، ومفارقة التكرار الذي ينأى عنه الأسلوب البلاغي الجيد"(٥). وعلل ذلك في موطن آخر:" لأن اسم الإشارة الإشارة بطبيعته الدلالية يحدد المراد منه تحديدا حسيا ظاهرا"(٦).

ونجد الطاهر ابن عاشور يوضح الهدف من مجيء معنى التمييز، فقال في قوله تعالى: ﴿ **وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾(الأنعام:٩٢): " وأتي باسم الإشارة لزيادة تمييزه؛ تقوية لحضوره في الأذهان، وافتتاح الكلام باسم الإشارة المفيد تمييز الكتاب أكمل

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٣.

(٢) اللسان: (ميز).

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٠٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٤٧.

(٥) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د.عبد القادر عبد الجليل، عمان، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٩٨.

(٦) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية:٢٩٧.

تمييز"[1]. فقد جاء ذكر القرآن في كل مواطنه معرفاً بعدة طرق، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في قوله: " فقد تكرر ذكر القرآن بالتصريح والإضمار واسم الإشارة ست مرات، وجمع له طرق التعريف كلها وهي اللام والإضمار والعلمية والإشارة والإضافة"[2]. فتعريفه في كل موطن جاء لتمييزه عن غيره من الكتب السماوية.

وكقوله تعالى: ﴿ **فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ (يونس:٣٣)، قال ابن عاشور: " والإتيان في صدرها باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز؛ لأنهم امتروا في صفة الإلهية، وضلوا فيها ضلالاً مبيناً، فكانوا أحرياء بالإيقاظ بطريق اسم الإشارة، وللتنبيه على أن المشار إليه حقيق بما سيذكر بعد اسم الإشارة من حيث إنه اتصف بتلك الأوصاف التي أشير إليه من أجلها"[3].

وكقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾(يوسف:١٠٢)، قال ابن عاشور: " واسم الإشارة لتمييز الأنباء أكمل تمييز؛ لتتمكن من عقول السامعين لما فيها من المواعظ"[4].

كما أنه في موطن آخر أضاف للتمييز معنى التعريض، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾(الأنعام:٩٥)، قال ابن عاشور: " والإشارة بـ (**ذَلِكُمُ**) لزيادة التمييز، وللتعريض بغباوة المخاطبين المشركين؛ لغفلتهم عن هذه الدلالة على أنّه المنفرد بالإلهية"[5]، وقال في نفس هذا المعنى في موطن آخر في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(الأنفال:٧٢)، " واسم الإشارة لإفادة الاهتمام بتمييزهم للإخبار عنهم، وللتعريض بالتعظيم لشأنهم، ولذلك لم يؤت بمثله في الإخبار عن أحوال الفرق الأخرى"[6].

ومن المعاني التي أضافها على التمييز التنبيه، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا**

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٦٩.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٠٤.
(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٨٨.
(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج٣، ٦٠.
(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٨٩.
(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٨٥.

﴿أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(الأعراف:١٧٩)، قال ابن عاشور: " وعرفوا بالإشارة لزيادة تمييزهم بتلك الصفات، وللتنبيه على أنهم بسببها أحرياء بما سيذكر من تسويتهم بالأنعام، أو جعلهم أضل من الأنعام"(١).

وفي مكان آخر أضاف للتمييز الاعتناء؛ لزيادة التأكيد وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾(الأنعام:٨٩)، قال ابن عاشور: " واسم الإشارة لزيادة الاعتناء بتمييزهم وإخطار سيرتهم في الأذهان"(٢).

فالتمييز في الآيات جاء لهدف، فالتوضيح والتخصيص سمة القرآن الكريم، حتى لا يختلط الأمر على السامع أو القارئ.

٤- التنبيه:

النُّبْه القيامُ والانْتِباهُ من النوم، وقد نَبَّهَهُ وأَنْبَهَهُ من النوم، فتَنَبَّه وانْتَبَه، وانْتَبَهَ من نومه استَيقَظ، ونَبِهْتُ للأَمر أَنْبَهُ نَبهاً فَطِنْتُ، وهو الأَمر تنساه ثم تَنْتَبِهُ له(٣). وهذا المعنى تقريباً هو ما خرجت إليه الآيات، وكأن المتلقي يكون قد شرد ذهنه في أمر ما، فيضيء القرآن له بمعلومة مهمة يريد منه أن يستيقظ من شروده؛ لأن ما سيقال مهم لا بد من الانتباه له، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾(الأنفال:٦٢)، قال ابن عاشور: " وإضافة النصر إلى الله تنبيه على أنه نصر خارق للعادة، وهو النصر بالملائكة والخوارق، من أول أيام الدعوة"(٤).

فكأن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله الكريم، انتبه ولا تخف من مواجهة العدو فأنا أنصرك بقوتي، وقوتي التي لا يمكن أن تقارن بقوتهم، فوضع أمام الرسول الكريم قوتين: قوة محال أن تهزم، وقوة بشرية زائلة بأمره، فالنصر نصر الله فلا يمكن غلبته، ووجود الموصول في السياق دليل على أن الرسول له عهد ومعرفة بهذا النصر.

وكقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الأعراف:٨)، قال ابن عاشور: " والإتيان بالإشارة للتنبيه على أنهم إنما حصلوا الفلاح لأجل ثقل موازينهم، واختير اسم إشارة البعد تنبيهاً على البعد المعنوي الاعتباري"(٥). والمقصود على اعتبار ما سيكون لهم يوم القيامة.

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٨٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٥٢.

(٣) اللسان: (نبه).

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٦٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٣١.

وعادة ما يستخدم اسم الإشارة في ذكر أوصاف سبقت، وتليها المآثر والنتائج لهذه الأوصاف، وهذا ما أشار إليه فضل عباس مبينا الهدف من مجيئه، فقال: " أن يسبق ذكر اسم الإشارة أوصاف ويليه مآثر، فيؤتى هنا باسم الإشارة تنبيها على أنه جدير بالمزايا التي أخبر بها عنه"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾(الإسراء:٧١)، قال ابن عاشور: " والإتيان باسم الإشارة بعد فاء جواب (أما) للتنبيه على أنهم دون غيرهم يقرؤون كتابهم؛ لأن في اطلاعهم على ما فيه من فعل الخير والجزاء عليه مسرة لهم ونعيماً بتذكر ومعرفة ثوابه"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(البقرة:١٧٩)، قال ابن عاشور: " تنبيه بحرف النداء على التأمل في حكمة القصاص، ولذلك جيء في التعريف بطريق الإضافة الدالة على أنهم من أهل العقول الكاملة؛ لأن حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل النظر الصحيح"(٣).

وقال ابن عاشور: " والإشارة في قوله: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ** ﴾(إبراهيم: ٣)، للتنبيه على أنهم أحرياء بما وصفوا به من الضلال، بسبب صدّهم عن سبيل الحق، وابتغائهم سبيل الباطل"(٤).

وفي مواضع أخرى خرج التنبيه لتأكيد معنى آخر وهو التنديم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾(التوبة:٣٥)، قال ابن عاشور: " وعبر بالموصولية في قوله: (**مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**) للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا لقصد التنديم"(٥) .

كما يأتي التنبيه ليكون القصد منه التمهيد الذي أريد منه التحقير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ...** ﴾ (يونس:١٨)، قال ابن عاشور: " وإيثار اسم الموصول في قوله: (**مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ**) لما تؤذن به صلة الموصول من التنبيه على أنهم مخطئون في عبادة ما لا يضر ولا ينفع، وفيه

(١) أساليب البيان: ١٤٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٦٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٤٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٢، ١٨٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٨٠.

تمهيد لعطف **(وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ)** لتحقير رأيهم من رجاء الشفاعة من تلك الأصنام، فإنها لا تقدر على ضر ولا نفع في الدنيا فهي أضعف مقدرة في الآخرة"[١].

٥- التنويه:

يقال: نُهْتُ بالشيء رفعته ونَوَّهْتُ باسمه رفعت ذكْرَهُ، ونَوَّهَ فلانٌ بفلان إذا رفعه وطَيَّرَ بهِ قَوَّاه[٢]، وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾(البقرة:٢٥٣)، قال ابن عاشور: " وقرن اسم الإشارة بكاف البعد تنويهاً بمراتبهم"[٣]. والمقصود من ذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد رفع قدر هؤلاء الرسل، وقدر تفضيل بعضهم على بعض بما ذكره من مزايا لكل رسول مرسل، واستخدام كاف البعد ربما لبعدهم الزمني بزمن الرسول لا لبعدهم الحقيقي، فجميعهم رسل الله لا يفرق بين أحد منهم فلكل مكانته وخصوصيته.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنعام:٨٣)، قال ابن عاشور: " وإضافة **(الحُجَّة)** إلى اسم الجلالة للتنويه لشأنها وصحتها"[٤]. فاكتسبت الحجة رفعتها وعلو شأنها من انتسابها إلى الله سبحانه وتعالى، فدمج هنا التنبيه بالتنويه، أي: احذر فهذه حجة الله تم رفع شأنها بإضافتها إليه.

وكقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾(النساء:٥٩)، قال ابن عاشور: " فجيء باسم الإشارة للتنويه، وهي إشارة إلى الرد المأخوذ من **(فَرُدُّوهُ)**"[٥].

ونرى أن التنويه هنا لم يشابه المعنى اللغوي فكان قريباً من معنى التنبيه، فكأنه قال انتبه يا مؤمن إذا أطعت الله والرسول وأولي الأمر، فهو الخير بإذنه تعالى، فالتنبيه والتنويه هما نفس المعنى في مثل هذا المقام والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٢٥.

(٢) اللسان: (نوه).

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٣٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٠١.

٦- **الاعتزاز:**

والعِزُّ في الأَصل القوة والشدة والغلبة، والعِزُّ والعِزَّة الرفعة والامتناع[(١)]، كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(الأنعام:١٦١)، قال ابن عاشور: " وتعريف المسند إليه بالإضافة للاعتزاز بمربوبية الرسول – صلى الله عليه وسلم– لله تعالى، وتعريضاً بالمشركين الذين أضلهم أربابهم، ولو وحدوا الرب الحقيق بالعبادة لهداهم"[(٢)]. فالرسول عليه السلام يفتخر ويعتز في هذا المقام أن هدايته من الله سبحانه وتعالى، وليس كما ادعوا أنها ضرب من الجنون أو السحر، فاكتسبت رسالته عزتها من عز خالقها، وبالتالي كان هذا الأمر بمثابة الرد عليهم وعلى ادعائهم، وتعريض وتحقير لهم وإن لم يصرح بذلك، فأينما وجد الفخر والاعتزاز وجد التعريض بمقابله.

٧- **التحبيب:**

الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ، والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ، وتَحَبَّبَ إِليه تَوَدَّدَ، والتَّحَبُّبُ إِظْهارُ الحُبِّ[(٣)]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾(الأعراف:٥٩)، قال ابن عاشور: " وأضاف **(قَوْمِ)** إلى ضميره للتحبيب والترقيق؛ لاستجلاب اهتدائهم"[(٤)]. فإضافة ضمير المتكلم توحي بالقرب النفسي والمادي، فنوح عليه السلام جزء من قومه وهم جزء منه، فإضافته لقومه لدنوه منهم وذلك لاستجلاب قلوبهم؛ ليشعرهم أنه جزء لا يتجزأ عنهم، وما يقع عليهم يقع عليه، كي لا يعتقدوا أن بإيمانهم سيصيبهم الضرر، فهم في مركب واحد فلا خوف عليهم.

٨- **الملاطفة:**

وهي المُبارَّة، والتلَطُّف للأَمر الترفُّق له، لَطف به وله يَلْطُف لُطْفاً إذا رَفَقَ به[(٥)]، وهذا هو المعنى المراد في قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً**﴾(الكهف:٢٤)، قال ابن عاشور: " وفي تعريف الجلالة بلفظ

---

(١) اللسان: (عزز).

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٩٨.

(٣) اللسان: (حبب).

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٨٨.

(٥) اللسان: (لطف).

الرب مضافا إلى ضمير المخاطب دون اسم الجلالة العلم من كمال الملاطفة مـــا لا يخفـــى"[١]. فإسناده إلى الله يوحي بالقرب والحنو من المخاطب، فلا رب سواه يمكن اللجوء إليه.

وقد يقرن أحيانا الرأفة بالملاطفة، وذلك لأهمية الأمر والمقام، كقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(الأنعام:١٤٥)، قال ابن عاشور: " وإنما جاء المسند إليه في جملـــة الجـــزاء وهـــو (**رَبَّكَ**) معرفا بالإضافة دون العلمية كما في آية سورة البقرة (**فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)(البقرة: ١٩) لما يؤذن به لفظ الرب من الرأفة واللطف بالمربوب والولاية، تنبيها على أن الله جعل هذه الرخصة للمسلمين الذين عبدوه ولم يشركوا به"[٢].

٩- تعريف الحضور:

الحُضورُ نقيض المَغيب والغَيْبةِ[٣]، وهذا هو المعنى الذي خرج إليه التعريف في مواطن عدة، كقوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾(هود:٧٣)، قال ابن عاشور: " وتعريف (**الْبَيْتِ**) تعريف حضور، وهو البيت الحاضر بينهم الذي جرى فيه هذا التحاور، أي: بيت إبراهيم عليه السلام، والمعنى أهل هذا البيت" [٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـــهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾(الأعراف:١٣٨)، قال ابن عاشور: " والبحر هو بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر، وهو المراد باليم في الآية السابقة، فالتعريف للعهد الحضوري، أي: البحر المذكور كما هو شأن المعرفة إذا أعيدت، معرفة واختلاف اللفظ تفنن وتجنباً للإعادة "[٥].

وتعريف الحضور من ضمن مواطن عدة للتعريف بـــ (أل) وهي متقاربة في المعنى، فمن هذه الموطن:

- **العهد:** والعهد الالتقاء، وعَهِدَ الشيءَ عَهْداً عرفه [٦]، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن**

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٤٠-١٤١.

(٣) اللسان: (حضر).

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٢٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٨٠.

(٦) اللسان: (عهد).

مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾(الأنفال:٦٥)، قال ابن عاشور: " فالتعريف في (**الْقِتَالِ**) للعهد، وهو القتال الذي يعرفونه، أعني: قتال أعداء الدين"[١].

وكقوله تعالى: **﴿ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾** (الأعراف:١١٣)، قال ابن عاشور: " فالتعريف في قوله: (**السَّحَرَةُ**) تعريف العهد، أي: السحرة المذكورون"[٢].

وكقوله تعالى: **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾**(يوسف:٥٥)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الأَرْضِ**) تعريف العهد، وهي الأرض المعهودة لهم، أي أرض مصر "[٣].

وكقوله تعالى: **﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**(التوبة:١١٨)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الثَّلاَثَةِ**) تعريف العهد فإنهم كانوا معروفين بين الناس"[٤].

وكقوله تعالى: **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾**(الأنعام:٩٣)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الْيَوْمَ**) للعهد وهو يوم القيامة الذي فيه هذا القول، وإطلاق اليوم عليه مشهور"[٥]. فهو معهود لديهم من خلال إخبار إخبار الله ورسوله لهم، فأصبح مشهورا لديهم، حاضرا في أذهانهم؛ لأن حياتهم الدنيا مترتبة على هذا اليوم العظيم.

- **العهد الذكري**: وقد عرفه ابن عاشور في قوله: " وهو من الإظهار في مقام الإضمار لإعطاء الكلام استقلالاً بالدلالة، اهتماماً بالجملة"[٦]، وهذا ما وضحه في قوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾**(يوسف:١١٠)، فقال: " فالتعريف في الرسل عليهم السلام تعريف العهد الذكري"[٧].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٦٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٥١.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٧٩.

(٦) التحرير والتنوير: م٦، ج١٢، ٩٦.

(٧) التحرير والتنوير: م٦، ج١٢، ٩٦.

وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾(النساء:٨)، قال ابن عاشور: " فالتعريف في قوله: **(الْقِسْمَةَ)** تعريف العهد الذكري"[١].

- **العهد الذهني:** وقد وضح ابن عاشور هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾(الفاتحة:٧)، قال: " وزان تعريفه بالصلة وزان المعرف بأل الجنسية المسماة عند علماء المعاني بلام العهد الذهني، فكان في المعنى كالنكرة، وإن كان لفظه لفظ المعرفة، فلذلك عرف بمثله لفظاً ومعنى"[٢].

وقال في موطن آخر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:١٣١)، قال: " واعْلم أن التفرقة بين تعريف الجنس والتنكير من لطائف الاستعمال البَلاغي... وأما من جهة مفاد اللفظ فالمعرف بلام الجنس والنكرة سواء، فلا تظن أن اللام للعهد لحسنة معهودة، ووقوع المعرف بلام الجنس والنكرة في سياق الشرط في هذه الآية يعم كل حسنة وكل سيئة، والحسنة والسيئة هنا مراد بهما الحالة الحسنة والحالة السيئة"[٣]. وقد عرف الحسنة لأنها أقرب إلى النفس وأعرف بخلاف السيئة.

وأثبت هذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾(الإسراء:٩٧)، قال ابن عاشور: " والتعريف في **(الْمُهْتَدِ)** تعريف العهد الذهني، فالمعرف مساوٍ للنكرة، فكأنه قيل: فهو مهتدٍ"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف:١٣٦)، قال ابن عاشور: " فالتعريف في قوله: **(الْيَمِّ)** هنا تعريف العهد الذهني عند علماء المعاني المعروف بتعريف الجنس عند النحاة، إذ ليس في العبرة اهتمام ببحر مخصوص، ولكن بفرد من هذا النوع "[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾(يوسف:١٠)، قال ابن عاشور: " والتعريف في **(الْجُبِّ)** تعريف العهد

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٩٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢١٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٥.

الذهني، أي: في غيابة جب من الجباب، مثل قولهم: ادخل السوق، وهو في المعنى كالنكرة"[١]، وفي نفس الموطن لتعريف السيارة قال: " والتعريف فيه تعريف العهد الذهني؛ لأنهم علموا أن الطريق لا تخلو من قوافل بين الشام ومصر للتجارة والميرة"[٢].

وقد قسم ابن هشام (أل) إلى عهدية وجنسية، وفرق بين (أل) الجنسية والنكرة، فقال: " والفرق بين (أل) هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيد والمطلق، وذلك لأن ذا الألف واللام يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد"[٣].

- **الحقيقة:** وقد وضحه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾(يوسف:١٣)، قال: " والتعريف في **(الذِّئْبُ)** تعريف الحقيقة والطبيعة، ويسمى تعريف الجنس، وهو هنا مراد به غير معين من نوع الذئب أو جماعة منه، وليس الحكم على الجنس بقرينة أن الأكل من أحوال الذوات لا من أحوال الجنس، لكن المراد أية ذات من هذا الجنس دون تعيين"[٤]. وكأن يعقوب عليه السلام أعطاهم الوسيلة في كيفية إخفائه؛ لأنه يشك في حقيقة نواياهم، حتى يحافظ على حياة ابنه، فهو إيحاء من الله سبحانه وتعالى بأن ابنه سيكون له شأن عظيم فيما بعد.

١٠- التأكيد:

يقال: أَكَّد العهدَ والعقدَ والتأْكيد لغة في التوكيد، وقد أَكَّدْت الشيء ووكَدْته، قال ابن الأَعرابي: دستُ الحنطة ودرستها وأَكَدْتها[٥]. ومن قبيل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**﴾(الأنفال:١٨)، قال ابن عاشور: " الإشارة بـــ **(ذَلِكُمْ)** إلى البلاء الحسن، وهذه الإشارة لمجرد تأكيد المقصود من البلاء الحسن، وأن ذلك البلاء علة للتوهين"[٦].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(البقرة:١٠١)، قال ابن عاشور: "

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٢٦.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، جدة، ج١، ص٧٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٣١.

(٥) اللسان: (أكد).

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٩٧.

وإضافة الوراء إلى الظهر لتأكيد بعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد ذلك، فجعل للظهر وراء وإن كان هو هنا بمعنى الوراء"(١).

١١- الشمول:

وهذا بمعنى الاحتواء، واشْتَمَلَ عليه الأَمْرُ أَحاط به (٢)، كما في قوله تعالى: ﴿ **كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(التوبة:٦٩)، قال ابن عاشور: " والإتيان بالموصول لأنه أشمل وأجمع للأمم التي تقدمت، مثل عاد وثمود ممن ضرب العرب بهم المثل في القوة"(٣).

وقد ظهر عند ابن عاشور ما يقارب هذا المعنى وهو الاستغراق، والاستغراق من الغَرَقُ الرُّسُوب في الماء، والغَرَق في الأَصل دخول الماء في سَمَّيِ الأَنف حتى تمتلئ مَنافِذُه فيَهلك(٤)، والاستغراق يوحي بالشمول والاحتواء، ومن خلال هذا المعنى المصور خرج الاستغراق في الآيات ليصور هذا المعنى بكل ما يحمل من معانٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾(البقرة:١٥٠)، قال ابن عاشور: "والتعريف في (**النَّاسِ**) للاستغراق يشمل مشركي مكة، فإن من شبهتهم أن يقولوا لا نتبع هذا الدين إذ ليس ملة إبراهيم؛ لأنه استقبل قبلة اليهود والنصارى وأهل الكتاب، والحجة أن يقولوا: إن محمدا اقتدى بنا، واستقبل قبلتنا فكيف يدعونا إلى إتباعه!"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(الأنعام:١٣٥)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الظَّالِمُونَ**) للاستغراق، فيشمل هؤلاء الظالمين ابتداء، والضمير المجعول اسم (**إِنَّ**) ضمير الشأن تنبيها على الاهتمام بهذا الخبر وأنه أمر عظيم"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٢٦.

(٢) اللسان: (شمل).

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٥٧.

(٤) اللسان: (غرق).

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٤٦.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٩٣.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ**﴾(الأنعام:١٢٠)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الإِثْمِ**) تعريف الاستغراق؛ لأنه في المعنى تعريف للظاهر وللباطن منه، والمقصود من هذين الوصفين تعميم أفراد الإثم لانحصارها في هذين الوصفين، كما يقال: المشرق والمغرب والبر والبحر، لقصد استغراق الجهات"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾(يونس:١٣)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**) للاستغراق فلذلك عم القرون الماضية وعم المخاطبين، وبذلك كان إنذاراً لقريش بأن ينالهم ما نال أولئك"(٢).

وقريب من معنى الشمول الإحاطة، يقال: تُحيطُ دَعْوَتُه من وَرائهم أَي تُحْدِقُ بهم من جميع نَواحِيهم (٣)، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(الأعراف:١٣٩)، قال ابن عاشور: " اختير في تعريفها طريق الموصولية؛ لأن الصلة تحيط بأحوالهم التي لا يحيط بها المتكلم ولا المخاطبون"(٤).

وقريب من معنى الإحاطة العموم، فالعموم من عَمَّهُم الأَمرُ يَعُمُّهم عُموماً شَمِلهم(٥)، كقوله تعالى: ﴿ **لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(الأعراف:١٢٤)، قال ابن عاشور: " ووقوع الجمع معرفاً بالإضافة يكسبه العموم، فيعم كل يد وكل رجل من أيدي وأرجل السحرة "(٦).

١٢- الاهتمام:

الاهتمامُ: الاغتمامُ واهْتَمَّ له بأَمره(٧)، وقد وضح أهمية هذا الغرض وأهمية وقعه على السامعين في قوله تعالى: ﴿ **رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ...**﴾(الإسراء:٦٦)، قال ابن عاشور: " وافتتحت الجملة بالمسند إليه معرفا بالإضافة، ومستحضرا بصفة الربوبية؛ لاستدعاء إقبال السامعين على الخبر المؤذن بأهميته، حيث افتتح بما يترقب منه خبر عظيم، لكونه من شؤون

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٣٧.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١١٤.
(٣) اللسان: (حوط).
(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٨٣.
(٥) اللسان: (عمم).
(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٩٦.
(٧) اللسان: (همم).

الإله الحق، وخالق الخلق، ومدبر شؤونهم تدبير اللطيف الرحيم، فيوجب إقبال السامع بشراشره إن مؤمنا متذكرا، أو مشركا ناظرا متدبرا"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾ (الكهف:١٠٧)، قال ابن عاشور: "وجعل المسند إليه الموصول بصلة الإيمان وعمل الصالحات للاهتمام بشأن أعمالهم ، فلذلك خولف نظم الجملة التي تقابلها فلم يقل: جزاؤهم الجنة"(٢).

وقد يذكر أحيانا معنى آخر للاهتمام وهو العناية وكلاهما نفس المعنى، فالعناية من اعْتَنى هو بأَمره اهْتَمَّ، وعُنِيَ بالأَمر عنايةً، والعكس منها عدم الاهتمام، ويقال هذا الأَمر لا يَعْنِيني، أَي: لا يَشْغَلُني ولا يُهِمُّني (٣)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنفال:٥٣)، قال ابن عاشور: "والإشارة تفيد العناية بالمخبر عنه، وبالخبر"(٤).

١٣- العبرة:

والعِبْرة هي كالمَوْعِظة مما يَتَّعِظُ به الإِنسان ويَعملُ به (٥)، وهذا ما ترتب عليه معنى التعريف في قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾(الأعراف:١٠١)، قال ابن عاشور: "و (**الْقُرَى**) يجوز أن يكون خبرا عن اسم الإشارة؛ لأن استحضار القرى في الذهن بحيث صارت كالمشاهد للسامع، فكانت الإشارة إليها إشارة عبرة بحالها، وذلك مفيد للمقصود من الإخبار عنها باسمها لمن لا يجهل الخبر"(٦).

١٤- التقريب:

القُرْبُ نقيضُ البُعْدِ، وقَرُبَ الشيءُ يَقْرُبُ قُرْباً وقُرْباناً وقِرْباناً، أَي: دَنا فهو قريبٌ، وقَرَّبْتُه تقريباً أَدْنَيْتُه (٧)، وهذا ما تضح معناه في قوله تعالى: ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** (٥٤) **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(الأعراف:٥٥)، قال ابن

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٥٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٤٩.

(٣) اللسان: (عنا).

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٤٥.

(٥) اللسان: (عبر).

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٠.

(٧) اللسان: (قرب).

عاشور: "وجيء لتعريف الرب بطريق الإضافة دون ضمير الغائب، مع وجود معاد قريب في قوله: (**تَبَارَكَ اللّهُ**) ودون ضمير المتكلم؛ لأن في لفظ الرب إشعارا بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية"(١).

وكما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(النساء:٢٥)، قال ابن عاشور: " والإضافة في قوله: (**أَيْمَانُكُم**) وقوله: (**مِّن فَتَيَاتِكُمُ**) للتقريب وإزالة ما بقي في نفوس العرب من احتقار العبيد والإماء، والترفع عن نكاحهم وإنكاحهم، وكذلك وصف المؤمنات، وإن كنا نراه للتقيد فهو لا يخلو مع ذلك من فائدة التقريب"(٢). والمقصود هنا تقريب الأمر لعقولهم ونفوسهم في طريقة عرضه؛ لإفهامهم حتى لا يكون لهم حجة، فالتقريب هنا تقريب عقلي وجداني، له دلالة نفسية تحمل معنى التودد.

١٥- البداهة:

بده البَدْهُ والبُدْهُ والبَدِيهة والبُداهة، أَوّل كل شيء وما يفجأُ منه، والاسم البَدِيهةُ في أَول ما يُفاجأُ به، وبَدَهَهُ بالأَمر استقبله به (٣)، وهذا هو المعنى المراد من التعريف في قوله تعالى: ﴿ **غُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ**﴾(الأعراف:١١٩)، قال ابن عاشور: "و(**هُنَالِكَ**) اسم إشارة المكان، أي: غلبوا في ذلك المكان، فأفاد بداهة مغلوبيتهم وظهورها لكل حاضر"(٤).

١٦- الحال:

حالَ الرجلُ يَحُول مثل تَحَوَّل من موضع إِلى موضع، وحال الشيءُ نفسُه يَحُول حَوْلاً بمعنيين يكون تَغَيُّراً ويكون تَحَوُّلاً (٥)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**﴾(الكهف:٤٤)، قال ابن عاشور: "واسم إشارة المكان البعيد مستعار للإشارة

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٧١.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٤.

(٣) اللسان: (بده).

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٥١.

(٥) اللسان: (حول).

إلى الحال العجيبة بتشبيه الحالة بالمكان لإحاطتها بصاحبها، وتشبيه غرابتها بالبعد لندرة حصولها، والمعنى: أن في مثل تلك الحالة تقصر الولاية على الله"(١).

١٧- الاستحقاق:

الحَقُّ نقيض الباطل، واستحقَّ الشيءَ استوجَبَه (٢)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(التوبة:٨٨)، قال ابن عاشور: " والإتيان باسم الإشارة لإفادة أن استحقاقهم الخيرات والفلاح كان لأجل جهادهم"(٣). فكان بمثابة المكافأة لهم.

١٨- الإيضاح:

وَضَحَ الشيءُ يَضِحُ وُضُوحاً وَضَحَةً وضِحَةً واتَّضَحَ: أي بان (٤)، والمراد منه تفسير الأمر وإظهاره، كما في قوله تعالى: ﴿ **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(المائدة٨٩)، قال ابن عاشور: " **وقوله: (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ)** إشارة إلى المذكور، زيادة في الإيضاح"(٥).

والإيضاح كالبيان، فالبَيانُ ما بُيِّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيرها وبانَ الشيءُ بَياناً اتَّضَح، وكذلك أَبانَ الشيءُ فهو مُبينٌ، والبَيان الإفصاح مع ذكاء (٦)، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾(الكهف:١٠٧)، قال ابن عاشور: " وإضافة الجنات إلى الفردوس بيانية، أي: جنات هي من صنف الفردوس"(٧).

وكقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً**﴾(الإسراء:٣٨)، قال ابن عاشور: " و**(كُلُّ ذَلِكَ)** هو نفس السيئ فإضافة **(سَيِّئُ)** إلى ضميره إضافة بيانية تفيد قوة صفة السيئ حتى

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٢٩.

(٢) اللسان: (حقق).

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٩١.

(٤) اللسان: (وضح).

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٩.

(٦) اللسان: (بين).

(٧) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٥٠.

كأنه شيئان يضاف أحدهما إلى الآخر، وهذه نكتة الإضافة البيانية كلما وقعت، أي كان ما نهى عنه من ذلك مكروهاً عند الله"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأعراف:١٨٥)، قال ابن عاشور: " وإضافته إلى السماء والأرض بيانية، أي: الملك الذي هو السماوات والأرض، أي: ملك الله لهما، فالمراد السماء بمجموعها، والأرض بمجموعها الدالين على عظم ملك الله تعالى"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً(٤) فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً**﴾(الإسراء:٥)، قال ابن عاشور: " وإضافة (**وَعْدُ**) إلى أولاهما بيانية، أي الموعود الذي هو أولى المرتين من الإفساد والعلو"[٣].

١٩ - التذكير:

الذِّكْرُ: الحِفْظُ للشيء، والذِّكْرُ والذِّكْرى بالكسر نقيض النسيان، والتَّذَكُّر تذكر ما أُنسيته[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (الأعراف:١٥٠)، قال ابن عاشور: " واختيار التعريف بالإضافة؛ لتضمن المضاف إليه معنى التذكير بصلة الرحم؛ لأن أخوة الأم أشد أواصر القرابة؛ لاشتراك الأخوين في الألف من وقت الصبا والرضاع"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ **رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً**﴾(الإسراء:٥٤)، قال ابن عاشور: " وأوتي بالمسند إليه بلفظ الرب مضافاً إلى ضمير المؤمنين الشامل للرسول؛ تذكيراً بأن الاصطفاء للخير شأن من معنى الربوبية التي هي تدبير شؤون المربوبين بما يليق بحالهم، ليكون لإيقاع المسند على المسند إليه بعد ذلك بقوله: (**أَعْلَمُ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٠٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٩٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٠.

(٤) اللسان: (ذكر).

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١١٧.

بِكُمْ) وقع بديع، لأن الذي هو الرب هو الذي يكون أعلم بدخائل النفوس وقابليتها للاصطفاء"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً** ﴾(الإسراء:١٠٢)، قال ابن عاشور: " وعبر عن الله بطريق إضافة وصف الرب للسماوات والأرض تذكيراً بأن الذي خلق السماوات والأرض هو القادر على أن يخلق مثل هذه الخوارق"[٢].

٢٠- التقرير:

القَرُّ تَرْدِيدُك الكلام في أُذن الأَبكم حتى يفهمه، ويقال: أَقْرَرْتُ الكلامَ لفلان إِقراراً، أَي: بينته حتى عرفه، وتَقْرِيرُ الإِنسان بالشيء جعلُه في قَراره، وقَرَّرْتُ عنده الخبر حتى اسْتَقَرَّ [٣]، وهو من باب التأكيد كما في قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً** ﴾(الكهف:٩١)، قال ابن عاشور: " واسم الإشارة يشير إلى المحذوف؛ لأنه كالمذكور لتقرر العلم به، والمعنى: من أراد تشبيهه لم يشبهه بأكثر من أن يشبهه بذاته"[٤].

٢١- النفي:

نفَى الشيءُ يَنْفِي نَفْياً تنَحَّى، ونَفى الشيءَ نَفْياً جَحَده [٥]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(التوبة:١٢٠)، قال ابن عاشور: " والإشارة بـــ **(ذَلِكَ)** إلى نفي كون التخلف عن الرسول ثابتاً لهم، أي أن ما ينالونه من فضل وثواب وأجر عظيم، يقضي بأنه ما يكون لهم أن يتخلفوا عن رسول الله"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٣٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٢٧.

(٣) اللسان: (قرر).

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢٩.

(٥) اللسان: (نفي).

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٥٦.

٢٢- التعليل:

وعَلَّله بطعام وحديث ونحوهما شَغَلهُ بهما، يقال: فلان يُعَلِّل نفسَه بتَعِلَّةٍ وتَعَلَّل به، أَي: تَلَهَّى به وتَجَزَّأ، وتَعالَلْت نفسي وتَلوَّمْتها، أَي: استَزَدْتُها[١]، فهي من ذكر السبب لاستزادة المعرفة، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾(الأعراف:٦)، قال ابن عاشور: " وعبر عنهم بالموصول لما تدل عليه الصلة من التعليل، فإن فائدة الإرسال هي إجابة الرسل، فلا جرم أن يسأل عن ذلك المرسل إليهم"[٢].

وأحيانا نجده يومئ بالسبب وهو من باب التعليل المبطن، فالإيماء الإشارة بالأَعْضاء، كالرأْس واليد والعين والحاجب[٣]، قال المبرد: " من كلام العرب الاختصار المفهم والإطناب المفخم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عنه ذوي الألباب عن كشفه، كما قيل لمحة دالةً "[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(الأنعام:٧٩)، قال ابن عاشور: " وأتي بالموصول في قوله: (**لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**) ليومئ إلى علة توجهه إلى عبادته؛ لأن الكواكب من موجودات السماء، والأصنام من موجودات الأرض فهي مفطورة لله تعالى"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾(هود:٨)، قال ابن عاشور: " والإتيان بالموصول في موضع الضمير للإيماء إلى أن استهزاءهم كان من أسباب غضب الله عليهم، وتقديره إحاطة العذاب بهم بحيث لا يجدون منه مخلصاً "[٦].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(النحل:٦٤)، قال ابن عاشور: " وعبر عن الضلال بطريقة الموصولية (**الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ**) للإيماء إلى أن سبب الضلال هو اختلافهم على أنبيائهم، فالعرب اختلفت ضلالتهم في عبادة الأصنام، عبدت كل قبيلة منهم صنماً، وعبد بعضهم الشمس والكواكب، واتخذت كل قبيلة لنفسها أعمالاً يزعمونها ديناً صحيحاً، واختلفوا مع المسلمين في جميع ذلك الدين"[٧].

---

(١) اللسان: (علل).

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٦-٢٧.

(٣) اللسان: (ومي).

(٤) انظر، الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٣، ١٩٩٧ م، م١، ج١، ص١٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٢٣.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١١.

(٧) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٩٦.

وكقوله تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ**﴾(يونس:٧٣)، قال ابن عاشور: " وتعريف قوم نوح بطريق الموصولية في قوله: (**وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا**) للإيماء إلى سبب تعذيبهم بالغرق"[١].

٢٣- التسجيل:

يقال سَجَّل القاضي لفلان بماله، أَي: استَوْثق له به [٢]، وهي كالتدوين وأخذ الميثاق، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾ (الأنعام:٤)، قال ابن عاشور: " وإضافة الرب إلى ضمير(**هِمْ**) لقصد التسجيل عليهم بالعقوق لحق العبودية؛ لأن من حق العبد أن يقبل على ما يأتيه من ربه وعلى من يأتيه"[٣].

٢٤- الاختصار:

اخْتَصارُ الطريق سلوكُ أَقْرَبِه، واخْتِصارُ الكلام إِيجازه، والاختصارُ حذفُ الفضول من كل شيء [٤]، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾(الأنفال:٦٠)، قال ابن عاشور: " هم المشركون فكان تعريفهم بالإضافة؛ لأنها أخصر طريق لتعريفهم، ولما تتضمنه من وجه قتالهم وإرهابهم، ومن ذمهم"[٥]، وقد عدّه فضل عباس هدفًا أساسيًا للتعريف بالإضافة، فقال: " والإضافة تأتي للاختصار "[٦].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(الأعراف:١٥٣)، قال ابن عاشور: " وتعريفهم بطريق الموصولية؛ لأنها أخصر طريق في استحضارهم بصفة عرفوا بها، ولأنه يؤذن بسببية ما نالهم من العقاب، والمراد بالغضب ظهور أثره من الخذلان ومنع العناية، وأما نفس الغضب فهو حاصل في الحال"[٧].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٤٣.

(٢) اللسان: (سجل).

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٣٤.

(٤) اللسان: (خصر).

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٥٦.

(٦) أساليب البيان: ١٥٧.

(٧) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١١٩.

والعوض ضرب من ضروب الاختصار كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(آل عمران:١٥٢)، قال ابن عاشور: " والتعريف في قوله: (**فِي الأَمْرِ**) عوض عن المضاف إليه، أي: في أمركم، أي: شأنكم"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾(الإسراء:٢٤)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الرَّحْمَةِ**) عوض عن المضاف إليه، أي: من رحمتك إياهما"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً**﴾(الكهف:١٧)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (**الْيَمِينِ**)، و(**الشِّمَالِ**) عوض عن المضاف إليه، أي: يمين الكهف وشماله، فيدل على أن فم الكهف كان مفتوحاً إلى الشمال الشرقي، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف ولا تخترقه أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حينَ طلوعها "[٣].

٢٥- التحقير:

الحَقْرُ في كل المعاني الذِّلَّة، والحَقِيرُ الصغير الذليل، والتَّحْقِيرُ التصغيرُ، واسْتَحقَرهُ استَصْغَره ورآه حقيراً [٤]، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً**﴾(الإسراء:٦٢)، قال ابن عاشور: " واسم الإشارة مستعمل في التحقير"[٥].

وقد يدخل التحقير أحياناً في نزاع مع مصطلح التعجيب، والعَجَبُ إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلَّةِ اعْتِيادِه [٦]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا**

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٧١.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٧٩.

(٤) اللسان: (حقر).

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٥١.

(٦) اللسان: (عجب).

أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾(الأنعام:٥٣)، قال ابن عاشور: " **(أَهَــؤُلاء)** والإشارة مستعملة في التحقير أو التعجيب"(١).

٢٦- التعريض:

والتعْرِيضُ ضد التصريح، كأن يقول في خِطْبةِ للمرأة بكلام يشبه خِطْبتها ولا يصرّح به(٢)، فهو يلمح بالإشارة دون اللفظة، كقوله تعالى: **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾**(الكهف:٧٨)، قال ابن عاشور: " وفي صلة الموصول من قوله **(مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)** تعريض باللوم على الاستعجال، وعدم الصبر إلى أن يأتيه إحداث الذكر حسبما وعده"(٣).

٢٧- التوبيخ:

وبَّخَه لامَه وعذله، والتوبيخ التهديد والتأنيب واللوم يقال وبَّخت فلاناً بسوءٍ فعله توبيخاً (٤)، وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾**(الأنعام:٢)، قال ابن عاشور: " وجيء بالمسند إليه ضميراً بارزاً للتوبيخ"(٥).

ويكون في بعض المواقف زيادة في التوبيخ، كما في قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**(النحل:٢٧)، قال ابن عاشور: " وإضافة الشركاء إلى ضمير الجلالة زيادة في التوبيخ؛ لأن مظهر عظمة الله تعالى يومئذ للعيان ينافي أن يكون له شريك، فالمخاطبون عالمون حينئذٍ بتعذّر المشاركة "(٦).

٢٨- التهويل:

الهَوْلُ المخافة من الأَمر لا يَدْرى ما يَهْجِم عليه منه كَهَوْل الليل وهَوْل البحر، وهالَني أَفزَعَني، والتَّهْوِيل التفريع (٧)، وهذا هو المراد الذي وضحه ابن عاشور في قوله تعالى: **﴿ قُلْ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٥٤.

(٢) اللسان: (عرض).

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٠.

(٤) اللسان: (وبخ).

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٣٢.

(٦) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٣٦.

(٧) اللسان: (هول).

أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(الأنعام:٤٠)، فقال: " وإضافة العذاب إلى اسم الجلالة لتهويله لصدوره من أقدر القادرين"[١].

٢٩- التعجيز:

العَجْزُ نقيض الحَزْم، والتَّعْجيزُ التَّثْبيط، وعَجَّزَ الرجلُ وعاجَزَ ذهب فلم يُوصَل إِليه [٢]، ومثله في قوله تعالى: **﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** (الأنعام:١٥٠)، قال ابن عاشور: " وأضيف الشهداء إلى ضمير المخاطبين لزيادة تعجيزهم؛ لأن شأن المحق أن يكون له شهداء يعلمهم فيحضرهم إذا دعي إلى إحقاق حقه"[٣].

٣٠- التفظيع:

من فظّ، والفَظَظُ خشونة في الكلام، وأفظع الأمر اشتد وشنع وجاوز المقدار[٤]، كقوله تعالى: **﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ... ﴾**(الكهف:٥٠)، قال ابن عاشور: " والعدول في قوله: **(عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)** إلى التعريف بطريق الإضافة دون الضمير؛ لتفظيع فسق الشيطان عن أمر الله بأنه فسق عبد عن أمر من تجب عليه طاعته لأنه مالكه"[٥].

وكقوله تعالى: **﴿ يفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ...﴾**(يونس:٦٠)، قال ابن عاشور: " **(الْكَذِبَ)** واللام فيه لتعريف الجنس، كأنه قيل كذباً، ولكنه عرف لتفظيع أمره، أي هو الكذب المعروف عند الناس المستقبح في العقول"[٦].

وقد يعبر أحيانا بزيادة التفظيع في بعض المواطن، منه قوله تعالى: **﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾**(النحل:٥٦)، قال ابن عاشور: " وإنما عبر عنها بهذه الصلة زيادة في تفظيع سخافة آرائهم، إذ يفرضون في أموالهم عطاء يعطونه

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٢٤.
(٢) اللسان: (عجز).
(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٥٣.
(٤) اللسان: (فظظ).
(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٤١.
(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢١٠.

لأشياء لا يعلمون حقائقها بله مبلغ ما ينالهم منها، وتخيلات يتخيلونها ليست من الوجود ولا من الإدراك ولا من الصلاحية للانتفاع في شيء"[(١)].

وفي بعض الأحيان يضاف إلى التفظيع التشنيع، والتشنيع من الفَظاعةُ و قُبح الشيء [(٢)]. وهذا دليل على شدة الأمر وبلوغه مبلغاً كبيراً، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ**﴾(النحل:٦٢)، قال ابن عاشور: " وخصت هذه بذكر الكراهية تصريحا، ولذلك كان الإتيان بالموصول والصلة (**مَا يَكْرَهُونَ**) هو مقتضى المقام الذي هو تفظيع قولهم وتشنيع استئثارهم"[(٣)].

وقد أضاف إليهم معنى آخر زيادة في الفظاعة وهو التشهير، والتشهير هو ظُهور الشيء في شُنْعة حتى يُشْهِره الناسُ [(٤)]، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾(التوبة:٣٠)، قال ابن عاشور: " والإشارة بذلك إلى القول المستفاد من (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ... وَقَالَتْ النَّصَارَى**) والمقصود من الإشارة تشهير القول وتمييزه، زيادة في تشنيعه عند المسلمين"[(٥)].

٣١- الاشتهار:

فالمشهور معروف المكان مذكور[(٦)]، فالمقصود به إيضاح الأمر، ووضع علامة تميزه عن غيره كما في قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾(الإسراء:١)، قال ابن عاشور: " وجيء في الصفة بالموصولية لقصد تشهير الموصوف بمضمون الصلة حتى كأن الموصوف مشتهر بالصلة عند السامعين، والمقصود إفادة أنه مبارك حوله"[(٧)].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾(النحل:٩٢)، قال ابن عاشور: " وعُبّر عنها بطريق الموصولية؛ لاشتهارها

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٨١.
(٢) اللسان: (شنع).
(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٩١.
(٤) اللسان: (شهر).
(٥) التحرير والتنوير: م٥، خ١٠، ١٦٨.
(٦) اللسان: (شهر).
(٧) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٩.

بمضمون الصلة؛ ولأن مضمون الصلة هو الحالة المشبه بها في هذا التمثيل؛ ولأن القرآن لم يذكر فيه بالاسم العلم إلا من اشتهر بأمر عظيم مثل جالوت وقارون"(١).

وتظهر السخرية الحادة أحياناً من أصحاب الصفة المذمومة فيضاف للاشتهار اللمز، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ**﴾ (النحل:٢٢)، قال ابن عاشور: " والتعبير عن المشركين بالموصول وصلته (**الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**) لأنهم قد عُرفوا بمضمون الصلة، واشتهروا بها اشتهار لمز وتنقيص عند المؤمنين"(٢).

٣٢- الملابسة:

المُلابَسَة هي المُخالَطة (٣)، كقوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(هود:٤٤)، قال ابن عاشور: "وإضافة (**الْمَاء**) إلى الأرض لأدنى ملابسة لكونه في وجهها"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾(يوسف:٥٠)، قال ابن عاشور: " وإضافة كيد إلى ضمير النسوة لأدنى ملابسة؛ لأن الكيد واقع من بعضهن، وهي امرأة العزيز في غرضها من جمع النسوة، فأضيف إلى ضمير جماعتهن قصداً للإبهام المعين على التبيان"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**﴾ (الإسراء:٧٧)، قال ابن عاشور: " فإضافة (**سُنَّةَ**) إلى (**مَن قَدْ أَرْسَلْنَا**) لأدنى ملابسة، أي سنتنا فيهم بدليل قوله : (**وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**) فإضافته إلى ضمير الجلالة هي الإضافة الحقيقيّة "(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٤٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٢٨.

(٣) اللسان: (لبس).

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج٢، ٧٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج٢، ٢٨٩.

(٦) التحرير والتنوير: م٩، ج١٥، ١٨٠.

الأغراض البلاغية للتنكير

تحدث ابن عاشور عن الأغراض التي يفيدها التنكير في الكثير من آيات القرآن الكريم، والتي تجلت فيها قمة البلاغة العربية، وبين الحكمة منه، والتي تفهم من السياق، وقد لمسنا بعض معانيه في التعريف، منها:

١- التعظيم:

كقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(الإسراء:١)، قال ابن عاشور: " فتنكير(**لَيْلاً**) للتعظيم، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل (**أَسْرَى**)، وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليل عظيم باعتبار جعله زمناً لذلك السرى العظيم، فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(البقرة:١٧٩)، قال ابن عاشور: " والتنكير في (**حَيَاةٌ**) للتعظيم بقرينة المقام، أي: في القصاص حياة لكم، أي: لنفوسكم..."[٢].

وقد قرن التعجب مع التعظيم في مقام آخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾(الأعراف:٨٤)، قال ابن عاشور: " وتنكير: (**مَّطَراً**) للتعظيم والتعجيب أي: مطراً عجيباً من شأنه أن يهلك القرى"[٣].

وفي مقام آخر قرن الكمال بالتعظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(الأعراف:٨٥)، قال ابن عاشور: " فالتنكير في قوله: (**خَيْرٌ**) للتعظيم والكمال؛ لأنه جامع خيري الدنيا والآخرة"[٤]. فاللفظة بحد ذاتها نكرة لكنها عرفت باسم الإشارة (**ذَلِكُمْ**) وربما قصد تنكيرها؛ لأنه غير محدد هذا الخير أهو في الدنيا أم في الآخرة أم في كليهما.

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١١-١٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ١٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٣٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٤٥.

٢- الندرة:

نَدَرَ الشيءُ يَنْدُرُ نُدُوراً سَقَط، وهي سَقَطَ وشذَّ، ونوادِرُ الكلام تَنْدُر وهي ما شَذَّ وخرج من الجمهور وذلك لظُهوره [١]، والندرة حدوث الشيء بشكل قليل، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٣١)، قال ابن عاشور: " ونكرت **(سَيِّئَةٌ)** لندرة وقوعها عليهم؛ ولأنها شيء غير مألوف حلوله بهم، أي: وإن تصبهم آية سيئة"[٢].

٣- التنويع:

النَّوْعُ أَخَصُّ من الجِنس وهو أَيضاً الضربُ من الشيء[٣]، كقوله تعالى: ﴿ **بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(التوبة:١)، قال ابن عاشور: " وتنكير **(بَرَاءةٌ)** تنكير التنويع، وموقع براءة مبتدأ، وسوغ الابتداء به ما في التنكير من معنى التنويع؛ للإشارة إلى أن هذا النوع كاف في فهم المقصود"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(التوبة:٧٢)، قال ابن عاشور: " والتنكير في **(رِضْوَانٌ)** للتنويع، يدل على جنس الرضوان، وإنما لم يقرن بلام تعريف الجنس ليتوسل بالتنكير إلى الإشعار بالتعظيم فإن رضوان الله تعالى عظيم"[٥].

٤- النوعية:

كقوله تعالى: ﴿ **أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(الأعراف:٦٣)، قال ابن عاشور: " وتنكير **(ذِكْرٌ)** و **(رَجُلٍ)** للنوعية؛ إذ لا خصوصية لذكر دون ذكر، ولا لرجل دون رجل، فإن الناس سواء، والذكر سواء في قبوله لمن وفقه الله ورده لمن حرم التوفيق، أي: هذا الحدث الذي عظمتموه وضجتم له ما هو إلا ذكر من ربكم على رجل منكم"[٦]. فالتنكير في **(ذِكْرٌ)** لبيان نوعية هذا الذكر فهو من عند الله فلا

---

(١) اللسان: (ندر).

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٥.

(٣) اللسان: (نوع).

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٠٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٦٤.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٩٦.

مساس به، أما تنكير (رَجُلٍ) فكان للإفراد فقد اختاره الله لينزل عليه ذكره دون غيره من الرجال.

وكقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(التوبة:٣٩)، قال ابن عاشور: " وتنكير (قَوْماً) للنوعية إذ لا تعيين لهؤلاء القوم ضرورة أنه معلق على شرط عدم النفير، وهم قد نفروا لما استنفروا إلا عدداً غير كثير، وهم المخلفون"(١).

وقد تتداخل النوعية مع التعجيب والتوصيف كما في قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف:٢)، قال ابن عاشور: " فيكون تنكير النوعية لدفع الاستبعاد... أي: هو كتاب عظيم تنويهاً بشأنه، فصار التنكير في معنى التوصيف، وإما لأنه أريد بالتنكير التعجيب من شأن هذا الكتاب في جميع ما حف به من البلاغة والفصاحة والإعجاز والإرشاد، وكونه نازلاً على رجل أمي"(٢). فنجد أن المعاني متداخلة في بعضها، وهذا ما يميز الأسلوب القرآني، فهو يخرج لكثير من المعاني التي لو أمعن الإنسان النظر فيها، لتولدت الكثير الكثير من المعاني المختزلة.

٦- العموم:

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(النساء:٥٩)، قال ابن عاشور: " ولفظ (شَيْءٍ) نكرة متوغلة في الإبهام، فهو في حيز الشرط يفيد العموم، أي: في كل شيء، فيصدق بالتنازع في الخصومة على الحقوق، ويصدق بالتنازع في اختلاف الآراء عند المشاورة، أو عند مباشرة عمل ما، كتنازع ولاة الأمور في إجراء أحوال الأمة"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾(يونس:٩٨)، قال ابن عاشور: " ووقوع قرية وهو نكرة في مساق الإثبات أفاد العموم بقرينة السياق"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٠٠.
(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١١.
(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٩٩.
(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٨٩.

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٦)، قال ابن عاشور: " وقد يكون تعميمه في النفي وهو أكثر أحوال استعماله... وقول العرب: أحد لا يقول ذلك، وهذا الاستعمال يفيد العموم كشأن النكرات كلها في حالة النفي"(١). وكأن ابن عاشور يشير لقاعدة بلاغية وهي: أن النكرة في حالة النفي دائماً يكون الغرض منها العموم.

وكقوله تعالى: **﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾**(المائدة:١٠٦)، قال ابن عاشور: " وقد أفاد تنكير **(ثَمَناً)** في سياق النفي عمومَ كلّ ثمن"(٢).

كما أنه يوضح في مقام آخر للنكرة إذا كانت في سياق الشرط فهي أيضا تفيد العموم، كما في قوله تعالى: **﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾**(الأنفال:٨٥)، قال ابن عاشور: " **(قَوْمٍ)** نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم، أي كلّ قوم تخاف منهم خيانة "(٣).

٧- التهويل:

كقوله تعالى: **﴿ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**(التوبة:٩٠)، قال ابن عاشور: " وتنكير عذاب للتهويل والمراد به عذاب جهنم"(٤).

وكقوله تعالى: **﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾**(هود:٣)، قال ابن عاشور: " وتنكير **(يَوْمٍ)** للتهويل، لتذهب نفوسهم للاحتمال الممكن أن يكون يوماً في الدنيا أو في الآخرة؛ لأنهم كانوا ينكرون الحشر، فتخويفهم بعذاب الدنيا أوقع في نفوسهم، وبذلك يكون تنكير **(يَوْمٍ)** صالحاً لإيقاعه مقابلاً للجزاءين"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٤٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٨٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٥١.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٩٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣١٩.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(يوسف:١٨)، قال ابن عاشور: " وتنكير (**أَمْراً**) للتهويل"(١).

٨- التحقير:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(المائدة:٤٢)، قال ابن عاشور: " وتنكير (**شَيْئاً**) للتحقير كما هو في أمثاله"(٢).

وفي نفس الكلمة في مقام آخر من قوله تعالى: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**﴾(الرعد:١٤)، قال ابن عاشور: " وتنكير شيء للتحقير، والمراد أقل ما يجاب به من الكلام"(٣).

٩- التقليل:

القِلَّةُ خِلاف الكثرة (٤)، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾(البقرة:٢٦٣)، قال ابن عاشور: "وتنكير (**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ**) للتقليل، أي أقل قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى"(٥).

ونجده في بعض المواطن يقرن التقليل بالتقييد، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**﴾(يونس:٧٠)، قال ابن عاشور: " (**مَتَاعٌ**) وتنكيره مؤذن بتقليله، وتقييده بأنه في الدنيا مؤكد للزوال وللتقليل"(٦).

وفي مواطن أخرى قرنه بالتحقير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن**

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٣٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٠٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٠٩.

(٤) اللسان: (قلل).

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٤٧.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣٣.

فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(المائدة:١٧)،قال ابن عاشور: " فالتنكير في قوله (**شَيْئاً**) للتقليل والتحقير"[١].

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٥٤.

ثانيا: أدوات الربط

علم الحروف علم جليل، واقع في طريق علم النحو والصرف والقراءات والتجويد والبلاغة، فكلها عيال عليه ومركبة منه، وقد كان المتقدمون يبحثونه ضمن التجويد أو الصرف، فهو لم يكن علماً قائماً بذاته، متميزاً بصفات العلم المستقل، بل هو في علم النحو والصرف والبلاغة والقراءات والتجويد [١].

والحرف هو اللغة التي يرى فيها القدماء بأنها أنواع ثلاثة: فكرية ولفظية وخطية، فالفكرية معانيها الألفاظ، واللفظية أصوات محمولة في الهواء وملتقطة بعضو السمع، والخطية مرسومة باليد وملتقطة بعضو النظر؛ للدلالة على الحروف اللفظية التي وضعت؛ للدلالة على الحروف الفكرية التي هي الأصل [٢].

وكلمة حرف تتألف من ثلاثة أحرف: (ح) وهي صورة الحرف، و(ر) وهي صورة الرأس، و(ف) وهي صورة الفم، ويستنتج من هذا التحليل أن الحرف هو امتداد التفكير في التعبير [٣].

قال الفارابي في كتابه الألفاظ مشيرا إلى أدوات الربط: " إنه من الألفاظ الدالة تلك التي يسميها النحويون الحروف التي وضعت للدلالة على معانٍ، وأهل اللسان اليوناني صنفوها بالخوالف والواصلات والواسطة والحواشي والروابط" [٤].

والخوالف كل لفظ قام مقام الاسم مثل: الهاء في ضربه وأشباهها من الحروف التي تخلف الاسم وتقوم مقامه، والواصلات مثل: أل التعريف والذي وأشباهه ويا النداء وأخواتها وكل التي تقرن بالاسم، والواسطة كل ما قرن باسم ما فيدل على أن المسمى به منسوب إلى آخر مثل: من وعن وإلى وعلى وما أشبه ذلك، والحواشي مثل: إن ونعم وليت وكأن ولعل وأدوات الاستفهام وغيرها، والروابط مثل: إما ولما وإذن [٥].

وقد أشار عباس حسن إلى أدوات الربط، فقال: والنحاة يسمون الحروف التي هي قسم من أقسام الكلمة: (أدوات الربط)؛ لأن الكلمة إما أن تدل على ذات، وإما أن تدل على معنى مجرد، أي: حدث، وإما أن تربط بين الذات والمعنى المجرد منها. فالاسم يدل على الذات، والفعل يدل على المعنى المجرد منها، والحرف هو الرابط، وهو يختلف اختلافا كاملا عن

---

(١) انظر، المنهل في بيان قواعد علم الحروف، رؤوف جمال الدين، دار الهجرة، إيران، ط١، ١٩٨٥م، ص٧، ١٣.

(٢) انظر، أسرار الحروف، أحمد رزقه، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٣م، ص١١.

(٣) انظر، نفسه: ١٢.

(٤) انظر، نفسه: ٢٩.

(٥) انظر، نفسه: ٢٩.

(الحرف الهجائي) الذي تبني منه صيغة الكلمة، كالباء، والتاء، والجيم... وغيرها من سائر أحرف الهجاء، وتسمى لهذا أحرف البناء [١].

فالروابط أشمل من أن تحصر في تلك، فالروابط كل مايربط الجمل بعضها ببعض، وقد سماها ابن هشام بالمفردات، وما تضمن معناها من الأسماء والظروف[٢]، وهذا ما ذهب إليه محققا الجنى الداني، فقالا: " والمراد بالأدوات الحروف وما شابهها من الأسماء والأفعال"[٣].

" وإن معاني الأدوات علم نشأ في ركاب تفسير القرآن الكريم، حين كان علماء العربية والمفسرون يفصّلون المعاني المختلفة للأداة الواحدة في النصوص القرآنية، ثم شبّ هذا العلم وترعرع حتى استقل بميدانه الخاص المتميز"[٤].

وقد اختلف النحاة في وضعية الحرف، هل معناه في ذاته؟ أم معناه في اقترانه بغيره؟

قيل: الحرف لا معنى له أصلا لا وضعا ولا استعمالا، شأنه في هذا شأن علامات الإعراب التي لم تستعمل إلا للإشارة إلى الكلمة مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة فقط.

وقيل: إن الحرف معناه في نفسه أي: أن الحرف يدل على معناه كما تدل الأسماء والأفعال، سواء منفردا أو ضمن جملة، فمثلا: لو قلنا (فوق) وقلنا أيضا (الطير فوق الغصن) فكلمة (فوق) دلت على معنى العلو سواء منفردة أو في جملة، ومثله (على) فهي حرف جر دل على معنى العلو في الحالتين أيضا.

وقيل: إن الحرف معناه في غيره وهو المشهور بين النحاة [٥].

والحروف بطبيعتها حية، بل مفعمة بالحياة، فهي توحي لنا بمعانٍ ومعانٍ واسعة قد لا تنتهي؛ فهي تحمل في طياتها معانٍ سواء سلبية أو ايجابية، وكأنها كائن حي بكل حواسه، وهذا ما أشار إليه حسن عباس، فقال: " إن بعض أصوات الحروف يوحي بأحاسيس لمسية، وبعضها الآخر بأحاسيس ذوقية، وإن لكل من حواس الشم والبصر والسمع أصوات حروف تثير فينا الأحاسيس في هرم طبقي متدرج، قاعدته حاسة اللمس وذروته المشاعر الإنسانية"[٦].

(١) انظر، حاشية النحو الوافي:ج١، ٦٦.

(٢) انظر، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج١، ٣٥.

(٣) مقدمة الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، وأ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ص٣.

(٤) مقدمة الجنى الداني في حروف المعاني: ٣.

(٥) انظر، اللامات، د. عبد الهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م، ٥٤- ٥٧، وانظر، معاني حروف الجر بين الوصف النحوي القديم والاستعمال اللغوي المعاصر، مارينا نجار، ١٩٨٦، ص٤، وانظر، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٠- ٢٣.

(٦) أسرار الحروف: ٦٧.

فأصالة الحرف العربي تتجلى في خصائصه ومعانيه الفطرية المتوالدة، التي لا توجد في اللغات الأخرى، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في طيات تفسيره، حيث انبثقت من الحرف الواحد معانٍ متعددة مكتسبة من السياق لا من ذاته، وهذا ما نميل له.

ومن هذه الروابط:

الباء

ومن المعاني الراسخة فيها الملابسة والمصاحبة والملاصقة، وقد وضح هذا المعنى ابن عاشور فقال: " والباء باء الملابسة، والملابسة هي المصاحبة، وهي الإلصاق أيضاً، فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى ... وهذا المعنى هو أكثر معاني الباء وأشهره"(١).

وقد اعتمد في ذلك على رأي سيبويه، فقال: " قال سيبويه(٢): الإلصاق لا يفارق الباء، وإليه ترجع تصاريف معانيها "(٣).

ولكن هناك فرق بين المعاني الثلاثة: فالإلصاق أقوى من المصاحبة؛ لأن الإلصاق تعني التمكن من الشيء فتصبح جزءاً لايتجزء منه، بينما المصاحبة لا تمثل قوة هذا المعنى؛ لأنها قد تلازم هذا الشيء وقد تنفك عنه، ومثلها الملابسة.

وقد وضح عبد القاهر الجرجاني هذا الفرق فقال: " إن الإلصاق يستلزم المصاحبة، والمصاحبة لا تستلزمه؛ لأنك إذا قلت: (بفلانٍ داءٌ) صاحب له من حيث صار جزءاً منه ولا ينفك عنه، وإذا قلت: (دخلت عليه بثياب السفر) فالثياب مصاحبة له، لكن لا من حيث أنها جزءه وعدم انفكاكها عنه"(٤).

ونجد أن المعاني الثلاثة وردت عند ابن عاشور مستقلة، وفي مواطن مختلفة، وهذا مغاير لما أشار إليه بأنها مترادفات لمعنى واحد، وفي مواطن نجدها قد تداخلت فيما بينها.

- **الملابسة**: كقوله تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾(هود:٨٥)، قال ابن عاشور: " والباء في قوله: (**بِالْقِسْطِ**)

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٤٧، وانظر، حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٤٧، وانظر، الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٦.

(٢) لم أعثر في الكتاب على هذا القول أو مافي معناه.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٤٧.

(٤) العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص٩٢.

للملابسة، وهو متعلق بـــ (**أَوْفُواْ**) فيفيد أن الإيفاء يلابسه القسط، أي: العدل، تعليلاً للأمر به؛ لأن العدل معروف حسن، وتنبيهاً على أن ضده ظلم وجور، وهو قبيح منكر"(١).

فالقسط ملابس للإيفاء، وليس ملصق به؛ لأن القوم متفاوتون بالالتزام في هذا الإيفاء.

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾(المائدة:٤٤)، قال ابن عاشور: " فالباء في قوله: (**بِمَا اسْتُحْفِظُواْ**) للملابسة، أي: حكماً ملابساً للحق متصلاً به غير مبدل ولا مغير ولا مؤول تأويلاً لأجل الهوى، ويدخل في الاستحفاظ بالكتاب الأمر بحفظ ألفاظه من التغيير والكتمان"(٢).

ولكن نجد هنا أن الملابسة أعطت معنى الإلصاق؛ لأن استحفاظ كتاب الله يحتاج إلى تمكن، بل قوة في التمكن، والدليل وجود حرفي (السين والتاء) الذي يوحي بشدة التأكيد، وهذه الأمور لا تأتي مع الملابسة.

– **المصاحبة**: كقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(الأنعام:١٥٣)، قال ابن عاشور: " والباء في قوله: (**بِكُمْ**) للمصاحبة، أي: فتتفرق السبل مصاحبة لكم، أي: تتفرقون مع تفرقها "(٣).

ودليل مصاحبتها أنه قد تفرق بهم؛ وذلك إذا اتبعوا سبل الشيطان، وقد لا تفرق بهم إذا لم يتبعوه، وبذلك تكون للمصاحبة؛ لأنها تحتمل الوجهين، إما بالمصاحبة أو عدمه.

وكقوله تعالى: ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾ (الأنفال:٥)، قال ابن عاشور: " والباء في (**بِالْحَقِّ**) للمصاحبة أي: إخراجاً مصاحباً للحق"(٤).

فالحق كان مصاحبا لسيدنا محمد وملاصقا له؛ لأنه وعد من عند الله، والله لا يخلف وعده.

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٠٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٧٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٦٤.

- **الإلصاق:**

وقيل أن الإلصاق معنى لا يفارقها(١)، واعتبره الجرجاني الأصل في الباء(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾(الإنسان:٦)، قال ابن عاشور: " وعدي فعل (**يَشْرَبُ**) بالباء وهي باء الإلصاق؛ لأن الكافور يمزج به شرابهم، فالتقدير: عيْناً يشرب عباد الله خمرهم بها، أي: مصحوباً بمائها"(٣). فالشراب أصبح ممزوجا لا يمكن فصله فصار كالشيء الواحد.

ونخلص من هذه المعاني الثلاثة أنها بنفس المعنى تقريبا عند ابن عاشور– رغم اختلافها أصلا– وإن أفرد مصطلحا لكل واحدة منها من خلال السياق الذي وردت فيه.

ومن المعاني التي خرجت إليها الباء:

١– السببية:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(الحجر:٣٩)، قال ابن عاشور: " الباء في (**بِمَا أَغْوَيْتَنِي**) للسببية، و(**ما**) موصولة، أي: بسبب إغوائك إياي، أي: بسبب أن خلقتني غاوياً فسأغوي الناس"(٤). فلولا أنه تكبر وعصى أمر ربه، لما صار غاويا، فهو كان كغيره من الملائكة.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾(هود:٥٨)، قال ابن عاشور: " والباء في (**بِرَحْمَةٍ مِّنَّا**) للسببية، فكانت رحمة الله بهم سبباً في نجاتهم"(٥). وإيمانهم كان سبب رحمة الله لهم، فهي أسباب مترتبة على بعض، ولذلك نجد أن ابن عاشور في موطن آخر اعتبر الباء قد جاءت لسبب السبب، فكل سبب له مسبب، والمسبب له سبب، فهي أشبه بالدائرة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾(آل

---

(١) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٢٢.

(٢) انظر، الجمل في النحو: ١٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٨١.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٤٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٠٤.

عمران:١١٢)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**) يحتمل أن يكون إشارة إلى كفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حقّ، فالباء سبب السبب، ويحتمل أن يكون إشارة ثانية إلى ضرب الذلّة والمسكنة فيكون سبباً ثانياً"(١).

وأحيانا نجده قد ذكرها للتعليل؛ وذلك من باب تغيير الأسلوب وتلوينه، فكلاهما نفس المعنى، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**﴾(يونس:٧٠)، قال ابن عاشور: " والباء في (**بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**) للتعليل"(٢).

٢- التعدية:

وتسمى (باء النقل)؛ لأنها تؤدي إلى تعدية الفعل اللازم إلى مفعول به(٣)، كقوله تعالى: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**﴾(الرعد:١٤)، قال ابن عاشور: " والباء في بشيء لتعدية (**يَسْتَجِيبُونَ**)؛ لأن فعل الإجابة يتعدى إلى الشيء المجاب به بالباء، وإذا أريد من الاستجابة تحقيق المأمول اقتصر على الفعل... فلما أريد هنا نفي إجداء دعائهم الأصنام، جعل نفي الإجابة متعدياً بالباء إلى انتفاء أقل ما يجيب به المسئول، وهو الوعد بالعطاء أو الاعتذار عنه، فهم عاجزون عن ذلك وهم أعجز عما فوقه"(٤).

ونجده قد ذكر في مواطن أخرى أن الباء ترشيح للتبعية، ولكنهما في نفس المعنى، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ**﴾(الأعراف:٨٠)، قال ابن عاشور: " والباء لتعدية فعل (**سَبَقَ**) لاستعماله بمعنى(ابتدا) فالباء ترشيح للتبعية"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٧٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣٤.

(٣) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص٨٨٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٠٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٣١.

٣- التأكيد:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(آل عمران:٣٧)، قال ابن عاشور: " الباء فيه للتأكيد، وأصل نظم الكلام: فتقبّلها قبولاً حسناً، فأدخلت الباء على المفعول المطلق ليصير كالآلة للتقبل، فكأنه شيء ثانٍ، وهذا إظهار للعناية بها في هذا القبول"(١). وهذا كما يبدو من باب تأكيد التأكيد بالعناية الربانية لمريم- عليها السلام- فجاء التأكيد بالباء والمفعول المطلق؛ وذلك للاهتمام بالأم- وليست أي أم- التي ستلد رسولا، فإذا كانت الأرض الخصبة مناط اهتمام ورعاية، جاء الزرع -عيسى عليه السلام- يانعا بالخير بإذنه تعالى، وفيها إشارة للاهتمام المبكر بكل ما يحيط بالأنبياء. وقد تتداخل معاني الباء ببعضها؛ لتحقق الزيادة في التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾(يونس:٩)، قال ابن عاشور: " والباء في (**بِإِيمَانِهِمْ**) للسببية، بحيث إن الإيمان يكون سبباً في مضمون الخبر وهو الهداية، فتكون الباء لتأكيد السببية المستفادة من التعريف بالموصولية"(٢). فهداية الله كانت بسبب إيمانهم الصالح.

وقد ذكر العلماء في بعض معاني الباء أنها زائدة للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾(الإسراء:٩٦)، قال ابن عاشور: " والباء الداخلة على اسم الجلالة زائدة لتأكيد لصوق فعل كفى بفاعله، وأصله: كفى الله شهيداً"(٣). والمقصود بالزيادة زيادة نحوية، أي: لا محل لها من الإعراب، والقاعدة تقول كل زيادة على المبنى هي زيادة في المعنى، فهي بمثل هذا الموضع تأتي للتوكيد، ويتضح المعنى أكثر في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾ يونس:٩٢)، قال ابن عاشور: " والأظهر أن الباء من قوله: (**بِبَدَنِكَ**) مزيدة للتأكيد، أي: تأكيد آية إنجاء الجسد، فيكون قوله: (**بِبَدَنِكَ**) في معنى البدل المطابق من الكاف في (**نُنَجِّيكَ**)"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٠١.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢١٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٧٨.

٤- الآلة:

وتسمى الاستعانة، وهي الباء الداخلة على آلة الفعل[١]، وقيل الاعتمال[٢]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً**﴾(النساء:١٠٥)، قال ابن عاشور: "وقوله: (**بِمَا أَرَاكَ اللّهُ**) الباء للآلة، جعل ما أراه الله إياه بمنزلة آلة للحكم؛ لأنه وسيلة إلى مصادفة العدل والحق ونفي الجور، إذ لا يحتمل علم الله الخطأ"[٣]. فكان القرآن الكريم بمثابة الآلة التي تصنع وتحرك، وبالتالي تصدر الحكم الحق بين الناس.

٥- العوض:

وهي الباء الداخلة على الأثمان والأعواض[٤]، " وتسمى باء المقابلة مثل قولهم: هذه بتلك"[٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(آل عمران:١٥٣)، قال ابن عاشور: " والباء في قوله: (**بِغَمٍّ**) باء العوض، والغم الأول غم نفس الرسول، والغم الثاني غم المسلمين، والمعنى أن الرسول اغتم وحزن لما أصابكم، كما اغتممتم لما شاع من قتله فكان غمّه لأجلكم جزاءاً على غمكم لأجله"[٦]. وكأن هذا المعنى قريب من معنى السببية، فسبب غم الرسول غم المسلمين وحزنهم لما شاع قتله.

٦- الاستعلاء:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾(هود:٨٠)، قال ابن عاشور: " والباء في (**بِكُمْ**) للاستعلاء، أي عليكم"[٧].

---

(١) انظر، العوامل المائة النحوية: ٩٢، وانظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٨٩٠.
(٢) انظر، معاني حروف الجر بين الوصف النحوي القديم والاستعمال اللغوي المعاصر: ٣٩.
(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٩٢.
(٤) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٢٥، وانظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٨٩١.
(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٢٣.
(٦) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٣٢.
(٧) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٣٠.

٧- المعية التقديرية:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ (الأعراف:١٠٦)، قال ابن عاشور: " فالباء في قوله: (**بِآيَةٍ**) للمعية التقديرية، أي: متمكناً من آية"[١]. والمقصود، إن كنت جئت ومعك آية.

٨- بمعنى من:

كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾(الأنعام:١٣٦)، قال ابن عاشور: " والباء الداخلة على (**بِزَعْمِهِمْ**) إما بمعنى (مِن) أي: قالوا ذلك بألسنتهم، وأعلنوا به قولاً ناشئاً عن الزعم، أي: الاعتقاد الباطل"[٢].

وهذا ما يعرف بالمجاز في الحروف أو ما يسمى بالتضمين، أي تضمين حرف (الباء) حرف (من) وهذا كثير في العربية، وأكثر ما مثل به العلماء على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾(طه:٧١)، والمقصود على جذوع النخل، وقد أشار إليه ابن عاشور بقوله: " ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف، والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر، ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول، فيحصل في الجملة معنيان"[٣].

٩- بمعنى عن:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾(الأنعام:١٣٨)، قال ابن عاشور: " والباء في (**بِزَعْمِهِمْ**) بمعنى عن"[٤]. أي: عن زعمهم، زعمهم، وهذا أيضا من التضمين في الحروف.

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٤٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٩٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٠٧.

التاء

وقد وضح ابن عاشور الغرض من استخدامها القرآني والأمر الذي سيقت لأجله، وذلك في قوله تعالى: **﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾** (النحل:٥٦)، قال ابن عاشور: " وتصدير جملة التهديد والوعيد بالقسم لتحقيقه، إذ السؤال الموعود به يكون يوم البعث وهم ينكرونه فناسب أن يؤكد، والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمراً عجيباً ومستغرباً ... فالإتيان في القسم هنا بحرف التاء مؤذن بأنهم يسألون سؤالاً عجيباً بمقدار غرابة الجرم المسؤول عنه"[١].

ونجده في مواطن أخرى يعتبر (التاء) عوض عن (الواو) فتنوب عنها في القسم، وذلك في قوله تعالى: **﴿ قَالُواْ تَاالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾** (يوسف:٨٥)، قال ابن عاشور: " التاء حرف قسم وهي عوض عن واو القسم"[٢].

وهذا ما يعرف بالإنشاء غير الطلبي؛ لأنه أحد أساليب القسم، وسنذكره بشيء من التفصيل في موضعه بإذنه تعالى.

السين

حرف مهمل، أي: لا يؤثر فيما بعده، يدخل على الفعل المضارع فقط ويخلصه للاستقبال[٣]، وينزل منه منزلة الجزء، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به، وتسمى أيضا (حرف تنفيس) أي: حرف توسيع؛ وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق- وهو الحال- إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال[٤].

وقد وضح ابن عاشور الفرق بين السين وبين (سوف) في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾**(النساء:١٠)، قال ابن عاشور: " والسين في (**سَيَصْلَوْنَ**) حرف تنفيس أي: استقبال، أي: أنها تدخل على المضارع فتمحّضه للاستقبال، سواء كان استقبالاً قريباً أم بعيداً، وهي مرادفة سوف، وقيل: إنّ سوف

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٨١.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٤٣.

(٣) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩٣٤.

(٤) انظر، مغني اللبيب:ج١، ١٥٨.

أوسع زمانا، وتفيدان في مقام الوعد تحقيقَ الوعد وكذلك التوعّد"[1]. فالله- سبحانه وتعالى- توعدهم وسيتحقق هذا التوعد يوم موقفه العظيم في المستقبل البعيد.

وفي موطن آخر اعتبر السين و(سوف) في نفس المعنى، في قوله تعالى: ﴿ **فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾(الصافات:١٧٠)، قال ابن عاشور: " (سوف) أخت السين في إفادة مطلق الاستقبال"[2]. سيعلمون نتيجة كفرهم يوم القيامة في أي مقام سيحشرون.

أما ابن هشام فقد اعتبرها مختلفة عن (سوف)، فقال: " وليس مقتطعا من (سوف) خلافا للكوفيين، ولا مدة الاستقبال معه أضيق منها مع (سوف) خلافا للبصريين"[3].

وفي مقام آخر اعتبر ابن عاشور تحقيق الوعد في مستقبل قريب من زمن الحدث الذي نزلت فيه الآية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾(القمر:٤٥)، قال ابن عاشور: " والسين لتقريب المستقبل"[4]. فقد هزم جمعهم يوم بدر، فكانت السين بمثابة التأكيد.

ومن معانيها:

- **التأكيد:**

وقد أفرد ابن عاشور مواطن كثيرة صرح بها أن السين حرف تأكيد، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(التوبة:٧١)، قال ابن عاشور: " والسين لتأكيد حصول الرحمة في المستقبل، فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع ما تفيد (قد) مع الماضي"[5].

ونجده في موطن آخر يوضح معنى التأكيد بالسين بشيء من التفصيل، فقال: " والسين علامة على استقبال مدخولها، وهي تفيد تأكيد حصول الفعل وخاصةً إذا اقترنت بفعل حاصل في

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٥٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٣، ١٩٤.

(٣) مغني اللبيب، ج١: ١٥٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢١٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٦٣.

وقت التكلم، فإنها تقتضي أنه يستمر ويتجدد، وذلك تأكيد لحصوله وإذ قد كان قوله: (**سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى**)(الأعلى:٦) إقراءً، فالسين دالة على أن الإقراء يستمر ويتجدد"[١].

وقد لون كلمة التأكيد بأكثر من لون، فنجده قد سماه تحقق الوقوع، وتحقيق الوعد، وكلها في نفس المضمون تدل على التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ **وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ**﴾(الأنعام:١٢٠)، قال ابن عاشور: " وحرف السّين، الموضوع للخبر المستقبل، مستعمل هنا في تحقّق الوقوع واستمراره"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً**﴾(الكهف:٨٣)، قال ابن عاشور: " والسين في قول (**سَأَتْلُو عَلَيْكُم**) لتحقيق الوعد"[٣].

وقد خرجت السين لمعانٍ بمجاورتها حرف التاء، منها:

١- الحسبان:

كقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (الأعراف:١٥٠)، قال ابن عاشور: " والسين والتاء في (**اسْتَضْعَفُونِي**) للحسبان، أي: حسبوني ضعيفاً لا ناصر لي؛ لأنهم تمالؤوا على عبادة العجل، ولم يخالفهم إلا هارون في شرذمة قليلة"[٤].

٢- المبالغة:

كقوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾(الأنبياء:٨٤)، قال ابن عاشور: " والسين والتاء للمبالغة في الإجابة، أي: استجبنا دعوته العُرْضية بإثر كلامه، وكشفنا ما به من ضرّ، إشارة إلى سرعة كشف الضرّ

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٢٨٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١١٧.

عنه، والتعقيب في كل شيء بحَسَبه، وهو ما تقتضيه العادة في البُرء، وحصول الرزق وولادة الأولاد"(١).

٣- الطلب:

وقد اعتبر الطلب أصل لمعنى السين والتاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾(الإسراء:١٥٣)، قال ابن عاشور: " والسين والتاء فيه للجَعل الناشئ عن شدة الطلب والحث، الذي هو أصل معنى السين والتاء، أي: استخفهم وأزعجهم"(٢). واجتماع السين والتاء إضافة إلى صوت الزاي أعطى دلالة قوية تفيد قوة الطلب بإزعاجهم.

٤- التقوية:

كقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾(الروم:٦٠)، قال ابن عاشور: " فالسين والتاء للتقوية ... والمعنى: لا يحملُنّك على ترك الصبر"(٣). وهذا نفسه هو التوكيد، أي: لا تجعلهم يغضبوك فتخرج عن طبعك.

الفاء

حرف مهمل، وتكون عاطفة لتفيد الترتيب والتعقيب والسببية(٤)، والعطف هو التشريك في اللفظ والمعنى، وقد وضح ابن عاشور معناه في قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(الأعراف:٧٣)، قال ابن عاشور: " والربط بين الجمل حاصل في الحالتين؛ لأن فاء العطف رابط لفظيٌّ للمعطوف بالمعطوف عليه، وجواب السؤال رابط جملة الجواب بجملة مثار السؤال ربطاً معنوياً"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٢٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٥٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٣٥.

(٤) انظر، مغني اللبيب، ج١: ١٨٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٤،ج٨، ق٢،٢٠١.

ومن معاني العطف:

- **الترتيب:**

كما في قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾(الأعراف:١٠١)، قال ابن عاشور: " والفاء في قوله: (**فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ**) لترتيب الإخبار بانتفاء إيمانهم عن الإخبار بمجيء الرسل إليهم، بما من شأنه أن يحملهم على الإيمان"[١].

وترتيب الإخبار هو: مجرد الإخبار وسرد المعطوفات بغير ملاحظة ترتيب كلامي سابق، ولا ترتيب زمني حقيقي، ويشترط وجود قرينة ذكر المعلومات واحدة بعد واحدة[٢].

والإخباري هو نفسه الذكري، وقد أشار إلى الترتيب الذكري، والترتيب المعنوي[٣]، فقال في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾(الأعراف:٥)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ**) يصحّ أن تكون الفاء فيه للترتيب الذّكري تبعاً للفاء في قوله: (**فَجَاءهَا بَأْسُنَا**)؛ لأنّه من بقيّة المذكور، ويصحّ أن يكون للتّرتيب المعنوي؛ لأنّ دعواهم ترتّبت على مجيء البأس"[٤].

وقد ذكر في مواطن أن الفاء للترتيب والتسبب معا، كقوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾(البقرة:٧٩)، قال ابن عاشور: " الفاء للترتيب والتسبب، فيكون ما بعدها مترتباً على ما قبلها، والظاهر أن ما بعدها مترتب على قوله: (**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**)(البقرة:٧٥) الدال على وقوع تحريف منهم عن عمد، فرُتب عليه الإخبار باستحقاقهم سوء الحالة، أو رتب عليه إنشاء استفظاع حالهم، وأعيد في خلال ذلك ما أجمل في الكلام المعطوف عليه إعادة تفصيل"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٠.

(٢) انظر حاشية، الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، د. شرف الدين علي الراجحي، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص١٦.

(٣) الترتيب الذكري هو: أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق، وترتيبها فيه لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما، ويدخل في الترتيب الذكري عطف المفصل على المجمل. أما الترتيب المعنوي فهو: بأن يكون زمن تحقق المعنى في المعطوفات متأخرا عن زمن تحققه على المعطوف عليه مثل: (بذر القمح للزراعة فنبت فنضج).

- انظر، الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم: (الحاشية) ١٥-١٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج١، ٥٧٥.

وفي مواطن نجده قد سمى الفاء (فاء التفريع) وهي نفس معنى الفاء للترتيب، والدليل أنها تشكل تفصيلا بعد إجمال- وقد سمى العلماء فاء التفريع بفاء التفصيل ربما لذلك السبب[1]- وذلك كمثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(الأعراف:١٩٠)، قال ابن عاشور: " وموقع فاء التفريع في قوله: **(فَتَعَالَى اللّهُ)** موقع بديع؛ لأن التنزيه عما أحدثوه من الشرك يترتب على ما قبله من انفراده بالخلْق العجيب، والمنن العظيمة، فهو متعال عن إشراكهم لا يليق به ذلك، وليس له شريك بحق، وهو إنشاء تنزيه غيرُ مقصود به مخاطب"[2].

وقد ذكر في مواطن أن الفاء قد تكون للتفريع والترتيب معا، كقوله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ**﴾(الأعراف:١٣٣)، قال ابن عاشور: " والفاء في قوله: **(فَاسْتَكْبَرُواْ)** للتفريع والترتب، أي: فتفرع على إرسال الطوفان وما بعده استكبارهم، كما تفرع على أخذهم بالسنين غرورُهم بأن ذلك من شؤم موسى ومن معه، فعُلم أن من طبع تفكيرهم فسادَ الوضع، وهو انتزاع المدلولات من أضداد أدلتها، وذلك دليل على انغماسهم في الضلالة والخذلان، وبعدهم عن السعادة والتوفيق، فلا يزالون مورطين في وحل الشقاوة"[3].

وأحيانا يعتبر التفريع بالفاء من باب الفذلكة، كقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ**﴾(الأعراف:٣٧)، قال ابن عاشور: " الفاء للتّفريع على جملة الكلام السّابق، وهذه كالفذلكة لما تقدّم لتُبيِّن أنّ صفات الضّلال التي أُبهم أصحابُها، هي جافة بالمشركين المكذّبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم"[4].

وقد يكون تفريعا على تفريع ليؤدي معنى التأكيد، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾(النحل:٥١)، قال ابن عاشور: " واقتران فعل **(فَارْهَبُونِ)** بالفاء ليكون تفريعاً على تفريع فيفيد مفاد التأكيد؛ لأن تعلّق فعل **(ارْهَبُونِ)** بالمفعول لفظاً، يجعل الضمير المنفصل المذكور قبله في تقدير معمول لفعل آخر،

(١) انظر، الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم:٣٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢١٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٧٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١١١.

فيكون التقدير: فإياي ارهبُوا فارهبون، أي: أمرتكم بأن تقصُروا رهبتكم عليّ فارهبون امتثالاً للأمر "[١]. فكان التفريع للتأكيد على طريقة الأمر الإلزامي.

وأحيانا نجد الفاء مقترنة مع حرف آخر لتوضيح معنى التفريع، كقوله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ**﴾(الأعراف:١٣٣)، قال ابن عاشور: " والفاء في قوله: **(فَأَرْسَلْنَا)** لتفريع إصابتهم بهذه المصائب على عتوهم وعنادهم ... فحرف (على) دل على أن جملة أرسلنا مفرعة تفريع العقاب، لا تفريغ زيادة الآيات"[٢].

وفي بعض المواطن ذكرها بفاء التفصيل مع أنها في نفس المعنى، كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:٩٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً)** تفصيل لمضمون جملة **(فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ)**، فالفاء للتّفصيل"[٣].

فلا نجد فرقا بين فاء التفصيل وبين فاء الترتيب والتفريع، وكأنه أراد أن يعرض جميع ما ورد عند العلماء من مصطلحات؛ حتى لا يلتبس على قارئ تفسيره أنها مختلفة لما ورد عند العلماء الأوائل.

– **التعقيب:**

يقال: أنه لابد أن يكون المعطوف بها متصلا بلا مهلة[٤]، وهذا مخالف لرأي ابن هشام الذي اعتبر أن التعقيب لكل شيء بحسبه، فيقال: (تزوج فلان فولد له) إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، وإن كانت متطاولة [٥].

و رأي ابن عاشور جاء موافقا لرأي ابن هشام، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾(الأعراف:٩١)، قال ابن عاشور: " والفاء في: **(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ)** للتعقيب، أي: كان أخذ الرجفة إياهم عقب قولهم لقومهم ما قالوا"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٧٤– ١٥٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج ٩، ٦٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٩٩.

(٤) انظر، الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم: ١٨.

(٥) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٨٠.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٣.

وقد يكون التعقيب عرفيا، أي: حسب العادات والأعراف، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾(الأعراف:٩٥)، قال ابن عاشور: " والتعقيب عرفي فيصدق بالمدة التي لا تعد طولاً في العادة، لحصول مثل هذه الحوادث العظيمة"[١].

وقد وضح كيف يكون التعقيب العرفي فقال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(النحل:١١٢)، قال: " وأما قَرْن (فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ) بفاء التعقيب، فهو تعقيب عُرفي في مثل ذلك المعقّب؛ لأنّه حصل بعد مضي زمن عليهم وهم مصرّون على كفرهم، والرسول يكرّر الدعوة وإنذارهم به، فلما حصل عقب ذلك بمدة غير طويلة، وكان جزاءً على كفرهم جعل كالشيء المعقّب به كفرهم"[٢].

وقد يكون التعقيب مجازيا، كقوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(الأعراف:١٦٠)، قال ابن عاشور: " والتعقيب الذي دلت عليه الفاء تعقيب مجازي؛ تشبيهاً لقصر المهلة بالتعقيب ونظائره كثيرة في القرآن"[٣].

وأحيانا نجده قد اعتبر التعقيب بقرب المهلة، كقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(الأعراف:٢٠)، قال ابن عاشور: " فعبّر عن القرب بحرف التّعقيب، إشارة إلى أنّه قرب قريب؛ لأنّ تعقيب كلّ شيء بحسبه"[٤].

وفي موطن آخر ذكر ابن عاشور أن الفاء أفادت السرعة، وهي نفس فاء التعقيب، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(آل عمران:١٩٥)، قال ابن عاشور: " دلّت الفاء على سرعة الإجابة بحصول المطلوب، ودلّت على أنّ مناجاة العبد ربّه بقلبه ضرب من ضروب الدعاء قابل للإجابة"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٩- ٢٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٣٠٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٤٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٥٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٠٢.

ومن المعاني المتفرعة عن الفاء:

١- السببية:

وهي أن يكون المعطوف سببا في المعطوف عليه، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾(البقرة:٨٧)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**) مسبب عن الاستكبار فالفاء للسببية، فإنهم لما استكبروا بلغ بهم العصيان إلى حد أن كذبوا فريقاً، أي: صرحوا بتكذيبهم، أو عاملوهم معاملة الكاذب وقتلوا فريقاً"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنفال:٥٥)، قال ابن عاشور: " والفاء في (**فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**) عطفت صلة على صلة، فأفادت أنّ الجملة الثانية من الصلة، وأنّها تمام الصلة المقصودة للإيماء، أي: الذين كفروا من قبل الإسلام فاستمر كفرهم، فهم لا يؤمنون بعد سماع دعوة الإسلام، ولمّا كان هذا الوصف هو الذيّ جعلهم شرّ الدوابّ عند الله، عطف هنا بالفاء؛ للإشارة إلى أنّ سبب إجراء ذلك الحكم عليهم هو مجموع الوصفين"[٢].

٢- الفصيحة:

والفصيحة هي التي تفصح عن مقدر في سياق الكلام، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في قوله: " ومعنى فاء الفصيحة أنها الفاء العاطفة، إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفاً على المذكور قبلها، فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما، يكون ما بعد الفاء معطوفاً عليه، وهذه طريقة السكاكي[٣] فيها وهي المثلى... فتسميتها بالفصيحة؛ لأنها أفصحت عن محذوف"[٤]، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾(الأنعام:٥)، قال ابن عاشور: " الفاء فصيحة على الأظهر أفصحت عن كلام مقدّر نشأ عن قوله: (**إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ**) أي: إذا تقرّر هذا الإعراض ثبت أنّهم كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم من عند الله، فإنّ الإعراض علامة على التكذيب ... فما بعد فاء الفصيحة هو الجزاء،

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٨٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٤٧.

(٣) قال السكاكي: " وانظر على الفاء التي تسمى فاء فصيحة في قوله تعالى: ﴿ **فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾ كيف أفادت فامتثلتم فتاب عليكم، وفي قوله: " ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ** ﴾ مفيدة فضرب فانفجرت...".

- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٢٧٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥١٨- ٥١٩.

ومعناه أنّ من المعلوم سوء عواقب الذين كذّبوا بالحق الآتي من عند الله، فلمّا تقرّر في الآية السابقة أنّهم أعرضوا آيات الله، فقد ثبت أنّهم كذّبوا بالحقّ الوارد من الله"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(المائدة:٦٨)، قال ابن عاشور: " وسلَّى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: (**فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**) فالفاء للفصيحة لتتمّ التّسلية؛ لأنّ رحمة الرسول بالخَلْق تحزنه ممَّا بلغ منهم من زيادة الطّغيان والكفر، فنبّهت فاء الفصيحة على أنّهم ما بَلغوا ما بَلغوه إلاّ من جرّاء الحسد للرسول فحقيق أن لا يحزن لهم"(٢).

وتأتي فاء الفصيحة لمعانٍ منها:

- **التعليل:** كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(المائدة:١٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ**) الفاء فيه للفصيحة، وقد ظهر حسن موقعها بما قرّرتُ به معنى التعليل، أي: لأن قلتم ذلك فقد بطل قولكم إذ قد جاءكم بشير ونذير"(٣).
- **التعجيب:** كقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً**﴾(النساء:١٥٣)، قال ابن عاشور: " والفاء في قوله: (**فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى**) فاء الفصيحة دالّة على مقدّر دلّت عليه صيغة المضارع المراد منها التعجيب، أي: فلا تعجب من هذا فإنّ ذلك شنشنة قديمة لأسلافهم مع رسولهم، إذ سألوه معجزة أعظم من هذا، والاستدلال على حالتهم بحالة أسلافهم من قبيل الاستدلال بأخلاق الأمم والقبائل على أحوال العشائر منهم"(٤).

٣- الاستئناف:

وهو قطع الكلام وعدم عطفه على سابقه، كقوله تعالى: ﴿ **أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٦٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٦٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٤.

عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً﴾(الإسراء:٥١)، قال ابن عاشور: " وتكون الفاء للاستئناف، وهي بمعنى الواو على خلاف في مجيئها للاستئناف، والكلام انتقال لحكاية تكذيب آخر من تكذيباتهم"[١].

٤- اعتراضية:

كقوله تعالى: **﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**(الأعراف:٢)، قال ابن عاشور: " والفاء في قوله: **(فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ)** اعتراضية إذ الجملة معترضة بين فعل **(أُنزِلَ)** ومتعلّقة وهو **(لِتُنذِرَ بِهِ)**، فإنّ الاعتراض يكون مقترناً بالفاء كما يكون مقترناً بالواو... وليست الفاء زائدة للاعتراض؛ ولكنّها ترجع إلى معنى التّسبّب، وإنّما الاعتراض حصل بتقديم جملتها بين شيئين متّصلين مبادرة من المتكلّم بإفادته لأهمّيته، وأصل ترتيب الكلام هنا: كتاب أنزل إليك لتنذر به وذِكْرَى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه "[٢].

الكاف

والأصل فيها التشبيه[٣]، وقد وردت عند ابن عاشور بمعنى المماثلة، وهي التشبيه نفسه- وإن اختلف نوعه سواء بعيد أو قريب- والمماثلة تستعمل في التمثيل بما لا مثيل له[٤]، كقوله تعالى: **﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾**(النحل:١٧)، قال ابن عاشور: " فالكاف للمماثلة، وهي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله تعالى"[٥].

وقد تأتي الكاف للمماثلة الاعتبارية بمعنى التعليل، كقوله تعالى: **﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**(الأعراف:٥١)، قال ابن عاشور: " ودلّ معنى كاف التّشبيه في قوله: **(كَمَا نَسُواْ)** على أنّ حرمانهم من رحمة الله كان مماثلاً لإهمالهم التّصديق باللّقاء، وهي مماثلَة جزاءِ العمل للعمل، وهي مماثلة اعتباريّة، فلذلك يقال: إنّ الكاف في مثله للتّعليل... وإنّما التّعليل معنى يتولّد من

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٢.

(٣) انظر، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، جرجي شاهين عطية، دار ريحاني، بيروت، ط٤، ص٣٧٥.

(٤) انظر، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان: ٣٧٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٢٣.

استعمال الكاف في التّشبيه الاعتباري، وليس هذا التّشبيه بمجاز، ولكنّه حقيقة خفيّة لخفاء وجه الشّبه"[1].

ومعنى المماثلة قريب من معنى المقابلة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ**﴾(البقرة:٢٨٢)، قال ابن عاشور: "ويجوز أن تكون الكاف لمقابلة الشيء بمكافئه والعوضِ بمعوضه، أي: أن يكتب كتابة تكافئ تعليم الله إياه الكتابة، بأن ينفع الناس بها شكراً على تيسير الله له أسباب علمها، وإنّما يحصل هذا الشكر بأن يكتب ما فيه حفظ الحق ولا يقصر ولا يدلّس، وينشأ عن هذا المعنى من التشبيه معنى التعليل"[2].

ولقد وردت كاف التشبيه بمعانٍ، منها:

١- **المجازاة:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾(البقرة:١٦٧)، قال ابن عاشور: " والكاف في(**كَمَا تَبَرَّؤُواْ**) للتشبيه استعملت في المجازاة؛ لأن شأن الجزاء أن يماثل الفعل المجازي، قال تعالى: (**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**)(الشورى:٤٠)، وهذه الكاف قريبة من كاف التعليل، أو هي أصلها "[3].

وقد فرق بينها وبين كاف التعليل في موطن آخر بقوله: " ويمكن الفرق بين هذه الكاف وبين كاف التعليل، أن المذكور بعدها إن كان من نوع المشبه ... جُعلت للمجازاة، وإن كان من غير نوعه وما بعد الكاف باعثٌ على المشبه كانت للتعليل، كما في قوله تعالى: (**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**)(البقرة:١٩٨)"[4] .

ويؤكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾(الإسراء:٢٤)، قال ابن عاشور: " والكاف في قوله: (**كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**) للتشبيه المجازي يعبر عنه النحاة بمعنى التعليل في الكاف... أي: ارحمهما رحمة تكافئ ما ربياني صغيرا"[5].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٥١.
(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٠٢- ١٠٣.
(٣) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٩٩.
(٤) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٩٩.
(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٧٣.

٢- معنى على (الاستعلاء) :

كقوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (هود:١١٢)، قال ابن عاشور: " ومعنى تشبيه الاستقامة المأمور بها بما أمر به النبي- صلى الله عليه وسلم – لكون الاستقامة مماثلة لسائر ما أمر به، وهو تشبيه المجمل بالمفصّل[١] في تفصيله بأن يكون طبقه، ويؤول هذا المعنى إلى أن تكون الكاف في معنى (على) كما يقال: كن كما أنت، أي لا تتغيّر، ولتشبه أحوالك المستقبلة حالتك هذه"[٢].

اللام

وتكون للملك وشبه الملك وتسمى لام الاختصاص ولام الاستحقاق[٣]، وقد وردت هذه المعاني عند ابن عاشور ممتزجة أحيانا ومنفردة أحيانا أخرى، رغم الاختلاف الجوهري بين كل معنى، فالملك متمكن في الشخص لا يشاركه به أحد، بينما الاختصاص قد يختص أحمد مثلا بما لا يختص به خالد وهي قريبة من الملك، أما الاستحقاق فيكون بمثابة النتيجة لأمر ما .

١- الملك والاختصاص و الاستحقاق:

كقوله تعالى: ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ**﴾(يونس:٢)، قال ابن عاشور: " و(**لِلنَّاسِ**) متعلق بـــ (**كَانَ**) لزيادة الدلالة على استقرار هذا التعجب فيهم؛ لأن أصل اللام أن تفيد الملك، ويستعار ذلك للتمكن، أي: لتمكن الكون عجباً من نفوسهم"[٤].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(هود:١٢٣)، قال ابن عاشور: " واللاّم في (**لِلّهِ**) للملك وهو ملك إحاطة العلم، أي: لله ما غاب عن علم الناس في السماوات والأرض"[٥].

وقد يكون أحيانا للملك العرفي، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾(الأنفال:٧)، قال ابن عاشور: " واللام للملك وهو هنا ملك عُرفي، كما يقولون: كان يومُ

---

(١) تشبيه المجمل هو ما حذف منه وجه الشبه، كقولنا: محمد كالأسد، أما التشبيه المفصل فهو ما ذكر فيه وجه الشبه، كقولنا: زيد كالأسد شجاعة.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٧٦.

(٣) انظر، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان: ٣٧٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٨٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٩٤.

كذا لبني فلان على بني فلان، فيعرف أنه كان لهم فيه غلبة حرب، وهي بالقتل والأسر والغنيمة"(١).

وقد يأتي الملك والاستحقاق معا لتأكيد المعنى، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(التوبة:١١١)، قال ابن عاشور: " واللام في (**لَهُمُ الجَنَّةَ**) للملك والاستحْقاق والمجرور مصدر، والتقدير: بتحقيق تملكهم الجنة وإنما لم يقل بالجنة؛ لأن الثمن لما كان آجلاً كان هذا البيع من جنس السلم"(٢). فالجنة قد أصبحت ملكا لهم، وقد استحقوا ذلك بسبب ما قدموه في الحياة الدنيا.

ونجده في بعض المواطن يقرن الاختصاص بالملك، كقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(هود:٤٩)، قال ابن عاشور: " واللام في (**لِلْمُتَّقِينَ**) للاختصاص والملك، فيقتضي ملك المتقين لجنس العاقبة الحسنة، فهي ثابتة لهم لا تفوتهم وهي منتفية عن أضدادهم"(٣).

وقد يأتي معنى الاختصاص منفردا وموضحا الغرض منه، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:٣٢)، قال ابن عاشور: " واللاّم في(**لِلَّذِينَ آمَنُواْ**) لام الاختصاص وهو يدلّ على الإباحة، فالمعنى: ما هي بحرام ولكنّها مباحة للذين آمنوا، وإنّما حرَم المشركون أنفسهم من أصناف منها في الحياة الدّنيا كلّها، مثل: البحيرة والسائبة(٤) والوصيلة(٥)

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٦٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٩٣.

(٤) السائبةُ الناقةُ التي كانت تُسَيَّبُ في الجاهِلِيَّةِ لِنَذْرٍ ونحوه، وقد قيل: هي أُمُّ البَحِيرَةِ، كانتِ الناقةُ إِذا ولَدَتْ عَشْرَةَ أَبْطُن كُلُّهنَّ إِناثٌ سُيِّبَتْ فلم تُرْكَبْ ولم يَشْرَبْ لَبَنَها إِلا ولَدُها أَو الضَّيْفُ حتى تَمُوتَ، فإِذا ماتتْ أَكَلَهَا الرجالُ والنساءُ جَميعاً، وبُحِرَتْ أُذن بِنْتِها الأَخيرةِ فتسمى البَحِيرةَ، وهي بمَنْزِلةِ أُمِّها في أَنها سائبةٌ.

- اللسان: (سيب).

(٥) الوَصِيلةُ كانت في الشاء خاصة، كانت الشاة إِذا وَلَدَتْ أُنثى فهي لهم، وإِذا وَلَدَتْ ذكَراً جعلوه لآلهتهم، فإِذا وَلَدَتْ ذكَراً وأُنثى قالوا وَصَلَتْ أَخاها فلم يَذْبَحوا الذكَر لآلهتهم، والوَصِيلة التي كانت في الجاهلية الناقةُ التي وَصَلَتْ بين عشرة أَبْطُن، وهي من الشاء التي وَلَدَتْ سبعة أَبْطُن عَناقَيْن عَناقَيْن فإِن وَلَدَت في السابع عَناقاً قيل وَصَلَتْ أَخاها، فلا يشرَب لَبَنَ الأُمِّ إِلاَّ الرِّجال دون النساء وتَجْري مَجْرَى السائبة.

- اللسان: (وصل).

والحامي[1] وما في بطونها، وحَرَم بعض المشركين أنفسهم من أشياء في أوقات من الحياة الدّنيا ممّا حرّموه على أنفسهم من اللّباس في الطّواف وفي منى، ومن أكل اللّحوم والودَك والسّمن واللّبن، فكان الفوز للمؤمنين إذ اتّبعوا أمر الله بتحليل ذلك كلّه في جميع أوقات الحياة الدّنيا"[2]. فقد اختص بهذه الطيبات عباد الله المؤمنين؛ لأنهم لم يحرموا ما أحل الله لهم.

وقد ينفرد معنى الاستحقاق وهي الواقعة بين معنى وذات [3] كقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(البقرة:١١٤)، قال ابن عاشور: " واللام في قوله: (**لَهُمْ**) للاستحقاق، أي: ما كان يحق لهم الدخول في حالة إلا في حالة الخوف، فهم حقيقيون بها وأحرياء في علم الله تعالى، وهذا وعيد بأنهم قدر الله عليهم أن ترفع أيديهم من التصرف في المسجد الحرام، وشعائر الله هناك وتصير للمسلمين فيكونوا بعد ذلك لا يدخلون المسجد الحرام إلا خائفين، ووعد للمؤمنين وقد صدق الله وعده فكانوا يوم فتح مكة خائفين وجلين حتى نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم (من دخل المسجد الحرام فهو آمن) فدخله الكثير منهم مذعورين أن يؤخذوا بالسيف قبل دخولهم"[4]. فقد استحقوا ذلك نتيجة لما فعلوه بالمصطفى – عليه أفضل الصلاة والسلام– وصحبه الكرام.

وأحيانا يوضح الغاية من مجيء اللام وما أفاده الاستحقاق، في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾(الكهف:١٠٧)، قال ابن عاشور: " وفي الإتيان بـــ (**كَانَتْ**) دلالة على أن استحقاقهم الجنّات أمر مستقر من قبل مهيّأ لهم، وجيء بلام الاستحقاق تكريماً لهم بأنهم نالوا الجنة باستحقاق إيمانهم وعملهم"[5].

---

(١) والحَامِي الفَحْلُ من الإبل يَضْرِبُ الضِّرَابَ المعدودَ، قيل: عشرة أَبْطُن فإذا بلغ ذلك قالوا هذا حامٍ، أي: حَمَى ظَهْرَه فيُتْرَك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يمنع من ماء ولا مَرْعىً، والحامي من الإبل الذي طال مكثه عندهم.
– اللسان: (حما).

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٩٦.

(٣) انظر، مغني اللبيب، ج١: ٢٢٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٨١.

(٥) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٥٠.

٢ – التعليل:

وقد أوضح ابن عاشور تسميتها في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾(يونس:٧٧)، قال ابن عاشور: " واللام في (**لِلْحَقِّ**) لام التعليل، وبعضهم يسميها لام البيان، وبعضهم يسميها لام المجاوزة بمعنى (عن)"[١].

وقد اعتبر ابن عاشور في بعض المواطن أن لام التعليل لم تخرج إلا لفائدة التعليل الحقيقي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام:١٠٥)، قال ابن عاشور: " وأمّا اللاّم في قوله: (**وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) فهي لام التّعليل الحقيقيّة"[٢].

ومن معاني لام التعليل:

– الصيرورة والعاقبة:

كقوله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾(النحل:٧٠)، قال ابن عاشور: " ولام التعليل الداخلة على (**كَيْ**) المصدرية مستعملة في معنى الصيرورة والعاقبة، تشبيهاً للصيرورة بالعلّة استعارة تشير إلى أنه لا غاية للمرء في ذلك التعمير تعريضاً بالناس، إذ يرغبون في طول الحياة، وتنبيهاً على وجوب الإقصار من تلك الرغبة، كأنه قيل: منكم من يردّ إلى أرذل العمر ليصير غير قابل لعلم ما لم يعلمه؛ لأنه يبطئ قبولُه للعلم، وربّما لم يتصوّر ما يتلقاه ثم يسْرِع إليه النسيان، والإنسان يكره حالة انحطاط علمه لأنه يصير شبيهاً بالعجماوات، واستعارة حرف العلّة إلى معنى العاقبة مستعملة في الكلام البليغ في مقام التوبيخ أو التخطئة أو نحو ذلك"[٣].

وقد اعتبر ابن عاشور في مواطن أخرى أن لام العاقبة لام مستقلة عن لام التعليل، وهي التي تسمى لام الصيرورة والمآل[٤]، وذلك في مثل قوله تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾(الأنعام:١٣٧)، قال ابن عاشور: " واللاّم في (**لِيُرْدُوهُمْ**) **لام العاقبة** إن كان المراد بالشّركاء الأصنام، أي: زيَّنوا لهم ذلك قصداً لنفعهم، فانكشف عن أضرارٍ جهلوها"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢١٢.

(٤) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٢٣١، وانظر، العوامل المائة النحوية: ١١٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٠٤.

وكقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف:٢٠)، قال ابن عاشور: " واللاّم في (لِيُبْدِيَ) لام العاقبة إذا كان الشّيطان لا يعلم أنّ العصيان يفضي بهما إلى حدوث خاطر الشرّ في النّفوس وظهور السوآت، فشبّه حصول الأثر عقب الفعل بحصول المعلول بعد العلّة"(١).

- الادعاء:

كقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:٢٧)، قال ابن عاشور: " واللاّم في قوله: (لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا) لام التّعليل الإدعائي تبعاً للمجاز العقلي؛ لأنّه لمّا أسند الإخراج والنّزع والإراءة إليه على وجه المجاز العقلي، فجعل كأنّه فاعل الإخراج، ونزع لباسهما وإراءتِهما سوآتِهما، ناسب أن يجعل له غرض من تلك الأفعال، وهو أن يُريهما سَوآتهما ليَتِم ادّعاء كونه فاعلَ تلك الأفعال المضرّة، وكونِه قاصداً من ذلك الشّناعة والفظاعة، كشأن الفاعلين أن تكون لهم علل غائية من أفعالهم إتماماً للكيد، وإنّما الشّيطان في الواقع سبب لرؤيتهما سوآتهما، فانتظم الإسناد الإدعائي مع التّعليل الإدعائي، فكانت لام العلّة تقوية للإسناد المجازي وترشيحاً له، ولأجل هذه النّكتة لم نجعل اللاّم هنا للعاقبة"(٢).

- علة غائية:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود:١١٩)، قال ابن عاشور: " واللام للتعليل؛ لأنه لمّا خلقهم على جِبِلّة قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريداً لمقتضى تلك الجبلّة، وعالماً به ... كان الاختلاف علّة غائية لخلقهم، والعلّة الغائية لا يلزمها القصر عليها، بل يكفي أنها غاية الفعل، وقد تكون معها غايات كثيرة أخرى"(٣).

- الانتفاع:

كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(التوبة:٣٥)، قال ابن عاشور: " (لأَنفُسِكُمْ)

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٥٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٧٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٨٩- ١٩٠.

للتنديم والتغليظ، ولام التعليل مؤذنة بقصد الانتفاع؛ لأنّ الفعل الذي علّل بها هو من فعل المخاطب، وهو لا يفعل شيئاً لأجل نفسه إلاّ لأنّه يريد به راحتها ونفعها، فلمّا آل بهم الكنز إلى العذاب الأليم، كانوا قد خابوا وخسروا فيما انتفعوا به من الذهب والفضة، بما كان أضعافاً مضاعفة من ألم العذاب وجملة **(فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)** توبيخ وتنديم"[١].

- فاء التفريع:

ومثله قوله تعالى: **﴿ فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** (المائدة:٣١)، قال ابن عاشور: " والضمير المستتر في **(يُرِيَهُ)** إن كان عائداً إلى اسم الجلالة فالتعليل المستفاد من اللام وإسناد الإرادة حقيقتان، وإن كان عائداً إلى الغراب فاللام مستعملة في معنى فاء التفريع، وإسناد الإرادة إلى الغراب مجاز؛ لأنّه سبب الرؤية فكأنَّه مُرِيءٌ"[٢].

- التبيين:

ويسمي ابن عاشور أحيانا لام التعليل بلام التبيين بشكل مستقل، لكن السياق يعطينا غير هذا المعنى، وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**(المائدة:٥٠)، قال ابن عاشور: " فهذه اللامُ تُسمّى لام البيان ولام التبيين، وهي الّتي تدخل على المقصود من الكلام سواء كان خبراً أم إنشاء"[٣]. فقد بين أن حكم الله أحسن وأفضل عند القوم الموقنين، دون أن يتبين معنى السبب عن طريق الاستفهام بمعنى النفي، أي: ليس هناك حكما أفضل من حكم الله، ولكن للقوم الموقنين.

وقد تكون أحيانا زيادة في البيان، كقوله تعالى: **﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** (يوسف:٢٣)، قال ابن عاشور: " واللام في **(لَكَ)** لزيادة بيان المقصود بالخطاب، كما في قولهم: سقياً لك وشكراً لك، وأصله: هيتَك"[٤] .

- التبليغ:

ويسميها أحيانا أخرى بلام التبليغ وهي: الجارة لاسم السامع لقولٍ أو ما في معناه[٥]، وذلك في قوله تعالى: **﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾**(البقرة:١٥٢)، قال ابن

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٧٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٧٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٢٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٥١.

(٥) انظر، مغني اللبيب، ج١: ٢٣١.

عاشور: " وتعديته للمفعول باللام هو الأفصح، وتسمى هذه اللام لام التبليغ ولام التبيين كما قالوا نصح له ونصحه"(١).

وقد وضح ابن عاشور وظيفتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾(الكهف:٧٥)، قال ابن عاشور: " واللام في قوله: (**لَّكَ**) لام التبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه، نحو: قلت له، وأذنت له، وفسّرت له؛ وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوماً من السياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام وتبليغه إلى السامع، ولذلك سميت لام التبليغ، ألا ترى أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة (**أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**) فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشدّ"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾(الأنعام:٥٠)، قال ابن عاشور: " واللام في (**لَكُمْ**) لام التبليغ، وهي مفيدة تقوية فعل القول عندما لا تكون حاجة لذكر المواجَه بالقول كما هنا لظهور أنّ المواجَه بالقول هم المكذّبون... فإذا كان الغرض ذكر المواجَه بالقول فاللام حينئذٍ تسمَّى لام تعدَّية فعل القول، فالذي اقتضى اجتلابَ هذه اللام هنا هو هذا القول بحيث لو قاله قائل لكان جديراً بلام التبليغ"(٣).

٣- القسم:

وتأتي عادة للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (الأعراف:١٦)، قال ابن عاشور: " واللاّم في (**لأَقْعُدَنَّ**) لام القسم، قصد تأكيد حصول ذلك وتحقيق العزم عليه"(٤).

٤- التقوية:

وقد سماها ابن هشام لام الاختصاص، مع أنه أفرد للاختصاص معنى مستقل(٥)، وهي تأتي بمعنى التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾(البقرة:٩٧)، قال ابن عاشور: " وأدخلت لام

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٥١.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٤١.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٤٦.

(٥) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٢٣٤.

التقوية على مفعول (**مُصَدِّقاً**) للدلالة على تقوية ذلك التصديق، أي: هو تصديق ثابت محقق لا يشوبه شيء من التكذيب ولا التخطئة، فإن القرآن نوه بالتوراة والإنجيل ووصف كلاً بأنه هدى ونور"[١].

وأحيانا يبرر وجود لام التقوية، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(الأنفال:٦١)، قال ابن عاشور: " واللام في قوله: (**لِلسَّلْمِ**) واقعة موقع (إلى) لتقوية التنبيه على أنّ ميلهم إلى السلم ميل حق، أي: وإن مالوا لأجل السلم ورغبة فيه لا لغرض آخر غيره؛ لأنّ حقّ (**جْنَحْ**) أن يعدّى بـــ (إلى) لأنّه بمعنى مال الذي يعدّى بـــ (إلى) فلا تكون تعديته باللام إلاّ لغرض"[٢].

٥- الاستعلاء:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً**﴾(الإسراء:١٠٧)، قال ابن عاشور: " واللام في (**لِلأَذْقَانِ**) بمعنى (على)"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**﴾(النساء:١٥٧)، قال ابن عاشور: " أو تكون اللام بمعنى (على) للاستعلاء المجازي ... ونكتة العدول عن حرف (على) تضمين فعل شُبّه معنى صُنع، أي: صنع الأحبار هذا الخبر لأجل إدخال الشبهة على عامّتهم"[٤].

٦- الأجل:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾(المائدة:٤٤)، قال ابن عاشور: " واللام في قوله: (**لِلَّذِينَ هَادُواْ**) للأجل وليست لتعدية فعل(**يَحْكُمُ**) إذ الحكم في الحقيقة لهم وعليهم"[٥]. أي: لأجل الذين هادوا، وربما تكون هي نفسها لام التعليل.

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٢٢.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٥٩.
(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٣٣- ٢٣٤.
(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢١.
(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٠٨.

٧- التأكيد:

ويسميها أحيانا بلام الابتداء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾(يوسف:٨)، قال ابن عاشور: " وافتتاحُ المقول بلام الابتداء المفيدة للتّوكيد لقصد تحقيق الخبر، والمراد: توكيد لازم الخبر إذ لم يكن فيهم من يشك في أنّ يوسف عليه السّلام وأخاه أحبّ إلى أبيهم من بقيّتهم، ولكنّهم لم يكونوا سواء في الحسد لهما والغيرة من تفضيل أبيهم إيّاهما على بقيتهم، فأراد بعضهم إقناع بعض بذلك ليتمالؤوا على الكيد ليوسف عليه السّلام وأخيه"(١).

٨- التوقيت:

كقوله تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾(الإسراء:٧٨)، قال ابن عاشور: " واللام في (**لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**) لام التوقيت، وهي بمعنى (عند)"(٢).

٩- الجحود:

وتأتي بمعنى النفي؛ لأنها تكون واقعة بعد كون منفي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾(يونس:١٣)، قال ابن عاشور: " وعبر عن انتفاء إيمانهم بصيغة لام الجحود، مبالغة في انتفائه إشارة إلى اليأس من إيمانهم"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾(التوبة:١٢٢)، قال ابن عاشور: " والإتيان بصيغة لام الجحود تأكيد للنفي، وهو خبر مستعمل في النهي فتأكيده يفيد تأكيد النهي، أي: كونه نهياً جازماً يقتضي التحريم"(٤).

١٠- بمعنى عن:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾(النحل:١١٦)، قال ابن

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٢٠.
(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٨٢.
(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١١٤.
(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٦٠.

عاشور: " واللام في قوله: (لِمَا تَصِفُ) هي إحدى اللامين اللّتين يتعدّى بهما فعل القول وهي التي بمعنى (عن) الداخلة على المتحدّث عنه، فهي كاللام في قوله: (الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا)(آل عمران:١٦٨)، أي: قالوا عن إخوانهم، وليست هي لام التقوية الداخلة على المخاطب بالقول"[١].

الواو

ومعنى الواو مطلق الجمع؛ فتعطف الشيء على مصاحبه[٢]، من غير دلالة على الترتيب بينهما[٣]، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام:١٥٣)، قال ابن عاشور: " الواو عاطفة على جملة: (أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً)(الأنعام:١٥١) لتماثل المعطوفات في أغراض الخطاب وترتيبه، وفي تخلّل التّذييلات التي عَقِبت تلك الأغراض بقوله: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(الأنعام:١٥١)، (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(الأنعام:١٥٢)"[٤]. والمقصود هنا ترتيب الخطاب، وليس ترتيب الفعل.

وقد أورد ابن عاشور معاني العطف، ونجدها تدور في فلك واحد، وذلك مثل:

- **العطف الصوري:**

وأظنه قد تفرد بهذه التسمية وهو نفس العطف الاعتراضي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(لأنفال:٣٠)، قال ابن عاشور: " ... أن تكون وَاو الاعتراض، أي: العطف الصوري، ويكون المراد بالفعل المعطوف الدوامَ، أي: هم مكروا بك لثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، وهم لا يزالون يمكرون"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾(الأنفال:٤٤)، قال ابن عاشور: " وجملة (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُور) تذييل معطوف على ما قبله عطفاً اعتراضياً، وهو اعتراض في آخر الكلام، وهذا

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٣١١.

(٢) انظر، مفتاح العلوم: ١١٨، وانظر، مغني اللبيب: ج٢، ١٧.

(٣) انظر، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان: ٣٧٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٧١.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٢٨.

العطف يسمّى: عطفاً اعتراضيّاً؛ لأنّه عطف صوريٌّ ليست فيه مشاركة في الحكم، وتسمّى الواو اعتراضية"[١].

وأحيانا أخرى اعتبر الواو اعتراضية فقط، كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ**﴾(محمد:١٧)، قال ابن عاشور: " والواو اعتراضية، والمقصود من هذا الاعتراض: مقابلة فريق الضلالة بفريق الهداية على الأسلوب الذي أقيمت عليه هذه السورة كما تقدم في أولها، فهذا أسلوب مستمر وإن اختلفت مواقع جمله"[٢].

ومن المعاني التي خرجت إليها الواو:

١- التقسيم:

كقوله تعالى: ﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(الأعراف:٥٥)، قال ابن عاشور: " تدعونه تضرعاً وخفية بالجهر بالدّعاء، وهو الذي نختاره؛ لأنّه أنسب بمقابلته بالخُفية ... وتكون الواو للتقسيم بمنزلة (**أَوْ**) وقد قالوا: إنّها فيه أجود من (**أَوْ**)"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:٩٩)، قال ابن عاشور: " والواو للتّقسيم بقرينة أنّ الشيء الواحد لا يكون مشتبهاً وغير متشابه، أي: بعضه مشتبه وبعضه غير متشابه"[٤].

٢- المعية:

كقوله تعالى: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ**﴾(الرعد:٢٣)، قال ابن عاشور: "والواو في (**وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ**) واو المعية وذلك زيادة الإكرام بأن جعل أصولهم وفروعهم وأزواجهم المتأهلين لدخول

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١٠٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٧١.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٠٢.

الجنة لصلاحهم في الدرجة التي هم فيها، فمن كانت مرتبته دون مراتبهم لَحِق بهم، ومن كانت مرتبته فوق مراتبهم لحقُوا هم به، فلهم الفضل في الحالين"(١) .

واعتبرها في مواطن أنها معية مجازية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (البقرة:٢١٣)، قال ابن عاشور: " والمعية معية اعتبارية مجازية أريد بها مقارنة الزمان؛ لأن حقيقة المعية هي المقارنة في المكان وهي المصاحبة، ولعل اختيار المعية هنا لما تؤذن به من التأييد والنصر"(٢).

ألا

حرف مبني على السكون، وقد اعتبرها السكاكي من الحروف المسماة بحروف التنبيه والتحضيض(٣)، وهذا ما سار عليه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ**﴾(التوبة:١٣)، فقال: " (**ألا**) حرفاً واحداً للتحْضيض، فهو تحْضيض على القتال"(٤).

وله عدة معانٍ يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

١ – الاهتمام:

كقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٣١)، قال ابن عاشور: " و (**ألا**) حرف استفتاح يفيد الاهتمام بالخبر الوارد بعده. تعليماً للأمة، وتعريضاً بمشركي العرب"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٣١.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٠٧.

(٣) انظر، مفتاح العلوم: ١٢٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٣٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٧.

وقد وضح الغرض من هذا الاهتمام في قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾(هود:٨)، قال ابن عاشور: " وافتتح الكلام بحرف التنبيه للاهتمام بالخبر؛ لتحقيقه وإدخال الروع في ضمائرهم"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾(هود:٥)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الكلام بحرف التنبيه (**ألا**) للاهتمام بمضمونه؛ لغرابة أمرهم المحكي، وللعناية بتعليم إحاطة علم الله تعالى"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(الأعراف٥٤)، قال ابن عاشور: " وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لتعي نفوس السامعين هذا الكلام الجامع"(٣).

وفي موطن آخر يعتبرها من باب الأهمية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(يونس:٦٢)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الكلام بأداة التنبيه إيماء إلى أهمية شأنه... ولذلك أكدت الجملة بـــ (**إِنَّ**) بعد أداة التنبيه"(٤).

٢- التنبيه:

كقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾(التوبة:٤٩)، قال ابن عاشور: " والإتيان بأداة الاستفتاح في جملة (**أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ**) للتنبيه على ما بعدها من عجيب حالهم، إذ عاملهم الله بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة"(٥).

وقد وضح الغرض من هذا التنبيه في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١١.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣٢٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٦٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢١٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٢١.

عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾(الأنعام:٣١)، قال ابن عاشور: " **(أَلاَ)** حرف استفتاح يفيد التنبيه للعناية بالخبر"[١].

٣- التأكيد:

كقوله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**(هود:٥)، قال ابن عاشور: " يجوز أن تكون إتماماً لجملة **(أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ)** متصلة بها، فيكون حرف **(أَلاَ)** الثاني تأكيداً لنظيره الذي في الجملة قبله لزيادة تحقيق الخبر"[٢]. فالتكرار جاء من باب التنبيه والتأكيد.

٤- الذم:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾**(النحل:٥٩)، قال ابن عاشور: "وأعلن ذمهُ بحرف **(أَلاَ)** لأنه جور عظيم قد تَمَالأُوا عليه، وخوّلوه للناس ظلماً للمخلوقات، فأسند الحكم إلى ضمير الجماعة مع أن الكلام كان جارياً على فعل واحد غير معين قضاءً لحق هذه النكتة"[٣].

أَمْ

وهي حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل[٤]، كمقوله تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**(البقرة:١٣٣)، قال ابن عاشور: " و**(أَمْ)** عاطفة جملة **(كُنتُمْ شُهَدَاء)** على جملة **(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ)**(البقرة:١٣٢) فإن **(أَمْ)**

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٩٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٨٥.

(٤) انظر، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٨٧.

من حروف العطف كيفما وقعت، وهي هنا منقطعة للانتقال من الخبر عن إبراهيم ويعقوب إلى مجادلة من اعتقدوا خلاف ذلك الخبر"(١).

ومن المعاني التي خرجت (أم) لها:

١- الإضراب الانتقالي:

وقد أشار ابن عاشور لهذا المعنى فقال: " (أَمْ) منقطعة لإفادة الإضراب عن غرض من الكلام للانتقال إلى غرض آخر"(٢).

ويتضح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(يونس:٣٨)، قال ابن عاشور: " (أَمْ) للإضراب الانتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجيبي، وهو ارتقاء بإبطال دعواهم أن يكون القرآن مفترى من دون الله"(٣).

٢- الاستفهام:

كقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾(الرعد:٣٣)، قال ابن عاشور: " ودلت (أَمْ) على أن ما بعدها في معنى الاستفهام، وهو إنكاري توبيخي، أي: ما كان لكم أن تفتروا على الله فتضعوا له شركاء لم ينبئكم لوجودهم"(٤).

أَوْ

وقد وضح ابن عاشور المعنى الأصيل لها في قوله تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾(الأعراف:٢٠)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**) عطف على(**تَكُونَا مَلَكَيْنِ**) وأصل (**أَوْ**) الدّلالة على التّرْديد بين أحد الشّيئين أو الأشياء، سواء كان مع تجويز حصول المتعاطفات كلّها فتكون للإباحة بعد الطّلب، وللتّجويز بعد الخبر أو

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٣٠-٧٣١.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٣٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٧٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٥٢.

للشكّ؛ أم كان مع منع البعض عند تجويز البعض، فتكون للتّخيير بعد الطّلب وللشكّ أو التّرْديد بعد الخبر، والتّرديدُ لا ينافي الجزم بأن أحد الأمرين واقع لا محالة كما هنا، فمعنى الكلام أن الآكل من هذه الشّجرة يكون مَلَكاً وخالداً"(١).

وهذا ما أشار إليه صاحب الأزهية، فقال: تأتي للشك، والتخيير بين شيئين، وقصد أحدهما دون الآخر، وللإباحة، وتبيين النوع، وبمعنى واو النسق، وبمنزلة الواو، وبمعنى (ولا)، وبمعنى (إن) التي للجزاء، وبمعنى (بل)، وبمعنى (إلا أن)، وبمعنى (حتى)، وللتبعيض(٢).

ومن المعاني التي أوردها لها ابن عاشور:

١- التقسيم:

كقوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ**﴾(المائدة:١٠٦)، قال ابن عاشور: "و(**أَوْ**) للتقسيم لا للتخيير، والتقسيمُ باعتبار اختلاف الحالين: حال الحاضر وحال المسافر، ولذلك اقترن به قوله: (**إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ**)، فهو قيد لقوله(**أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ**)"(٣).

وأحيانا يترتب على التقسيم معنى كالتهديد مثلا، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ**﴾(الأعراف:٤)، قال ابن عاشور: "و(**أَوْ**) لِتقسيم القُرى المهلَكة: إلى مهلكة في اللّيل، ومهلّكة في النّهار، والمقصود من هذا التّقسيم تهديد أهل مكّة حتّى يكونوا على وجل في كلّ وقت، لا يدرون متى يحلّ بهم العذاب، بحيث لا يأمنون في وقت مّا"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٦٠.

(٢) انظر، الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م، ص١١١- ١٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٨٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٢.

٢- التخيير:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**﴾(النساء:٨٦)، قال ابن عاشور: " وأفاد قوله: (**بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**) التخيير بين الحالين، ويُعلم من تقديم قوله: (**بِأَحْسَنَ مِنْهَا**) أنّ ذلك أفضل"(١).

٣- الترديد:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(سبأ:٢٤)، قال ابن عاشور: " وعطف على الاستفهام إبراز المقصد بطريقة خفية تُوقع الخصم في شرك المغلوبية، وذلك بترديد حالتي الفريقين بين حالة هدى وحالة ضلال؛ لأن حالة كل فريق لما كانت على الضد من حال الفريق الآخر بَيْن موافقة الحق وعدمها، تعين أن أمر الضلال والهدى دائر بين الحالتين لا يعدوانهما، ولذلك جيء بحرف (**أَوْ**) المفيد للترديد المنتزع من الشك"(٢). وقد وضح جمال الأسلوب المترتب على هذا الترديد من خلال ربطه بأسلوب المناظرة، وما ترتب عليه من جمال اللف والنشر، فقال: " وهذا اللون من الكلام يسمى الكلام المنصِف وهو أن لا يترك المُجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدال، ويسمى في علم المناظرة إرخاءَ العنان للمناظِر، ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجة قرينة واضحة. ومن لطائفه هنا أن اشتمل على إيماء إلى ترجيح أحد الجانبين في أحد الاحتمالين بطريق مقابلة الجانبين في ترتيب الحالتين باللف والنشر المرتّب وهو أصل اللفّ"(٣).

٤- الإضراب الانتقالي:

وهي بمعنى بل، وقد تفيد التشويق بتغيير مجرى الكلام، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(النحل:٧٧)، قال ابن عاشور: " و(**أَوْ**) في (**أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**) للإضراب الانتقالي إضراباً عن التشبيه الأول، بأن المشبّه أقوى في وجه الشبّه من المشبّه به، فالمتكلّم يخيّل للسامع أنه يريد

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٤٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ١٩٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ١٩٢.

تقريب المعنى إليه بطريق التّشبيه، ثم يعرض عن التّشبيه بأن المشبّه أقوى في وجه الشّبه، وأنه لا يجد له شبيهاً فيصرّح بذلك فيحصل التقريب ابتداء ثم الإضراب عن الحقيقة ثانياً"(١).

إذْ

وتكون اسما للزمن الماضي، وقد وضح معناها في قوله: " و(إذْ) ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وذلك غالب استعمالها"(٢).

ومن معانيها التي وردت عند ابن عاشور:

١- المبادرة:

كقوله تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ** ﴾(الأعراف:٨٠)، قال ابن عاشور: " و(**إذْ**) ظرف متعلّق بـــ (أرسلنا) المقدر، يعني أرسلناه وقت قال لقومه، وجعل وقت القول ظرفاً للإرسال؛ لإفادة مبادرته بدعوة قومه إلى ما أرسله الله به، والمقارنة التي تقتضيها الظّرفية بين وقت الإرسال ووقت قوله مقارنةٌ عرفية، بمعنى شدّة القرب بأقصى ما يستطاع من مبادرة التّبليغ"(٣).

٢- التفصيل بعد الإجمال:

وذلك في مثل قوله تعالى تعالى: ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾(يوسف:١٠٠)، قال ابن عاشور: " (**إِذْ**) ظرف زمان لفعل (**أَحْسَنَ**) فهي بإضافتها إلى ذلك الفعل اقتضت وقوع إحسان غير معدود، فإن ذلك الوقت كان زمنَ ثبوت براءته من الإثم الذي رمته به امرأة العزيز وتلك منة، وزمنَ خلاصه من السجن فإن السجن عذاب النفس بالانفصال عن الأصدقاء والأحبّة، وبخلطة من لا يشاكلونه، وبشُغله عن خلوة نفسه بتلقي الآداب الإلهية، وكان أيضاً زمن إقبال الملك عليه، وأما مجيء أهله فزوال ألم نفساني بوحشته في الانفراد عن قرابته وشوقه إلى لقائهم، فأفصح بذكر خروجه من السجن، ومجيء أهله من البدوِ إلى حيث هو مكين قويّ"(٤). فقد فصّلت نعم الله عليه بعد إجمالها بقوله تعالى: (أحسن).

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج٤، ٢٣٠-٢٣١.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٧٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٢٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٥٧.

٣- التحقيق:

كقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً**﴾ (مريم:٤٢)، قال ابن عاشور: " و (**إِذْ**) اسم زمان مجرد عن الظرفية؛ لأن (**إِذْ**) ظرف متصرف على التحقيق، والمعنى: اذكر إبراهيم زمان قوله لأبيه؛ فإن ذلك الوقت أجدر أوقات إبراهيم بأن يذكر"(١). ويقصد به التأكيد على تلك الفترة العصيبة التي مر بها إبراهيم – عليه السلام- فأصعب شيء على الإنسان الصالح أن يواجه أباه خصوصا في معتقده الذي ورثه عن آبائه وأجداده، فهي عملية قلب موازين، فانظر يا محمد المعاناة المادية والنفسية التي مر بها أحد الأنبياء، فلا تبتئس ولا تعجب إذا عاندك قومك، فهي من باب المواساة للنبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

٤- المنة:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى**﴾(طه:٣٨)، قال ابن عاشور: " و (**إِذْ**) ظرف للمنّة"(٢). مع أن الله لا يمنن عباده الصالحين، وإنما قد يكون من باب التذكير لموسى – عليه السلام- أن الله قد رعاه وحماه وهيأه للرسالة منذ الولادة، بل وهو في رحم أمه.

٥- التقييد:

كقوله تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (الأنبياء:٨٣)، قال ابن عاشور: " و (**إِذْ**) ظرف قيّد به إيتاءُ أيوب رباطة القلب وحكمة الصبر؛ لأن ذلك الوقت كان أجلى مظاهر علمه وحكمته كما أشارت إليه القصة"(٣).

٦- شدة التمكن:

كقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ (الفرقان:٢٩)، قال ابن عاشور: " و (**إِذْ**) ظرف للزمن الماضي، أي: بعد وقتٍ جاءني فيه الذكر، والإتيان بالظرف هنا دون أن يقال: بعد ما جاءني، أو بعد أن جاءني، للإشارة إلى شدة التمكن من الذكر؛ لأنه قد استقر في زمن وتحقق"(٤). فقد تحقق هذا القول في الزمن الماضي، على اعتبار أن هذا القول قول ندم من الظالم يوم القيامة، يوم لا ينفع الندم شيئا.

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢١٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٢٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٦.

٧- معنى المفعولية:

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ (القصص:٧٦)، قال ابن عاشور: " و (**إِذْ**) ظرف منصوب بفعل (**بَغَى عَلَيْهِمْ**) والمقصود من هذا الظرف القصة، وليس القصد به توقيت البغي، ولذلك قدره بعض المفسرين متعلقاً بـــ (اذكر) محذوفاً وهو المعني في نظائره من القصص"[١].

وهذا موافق لرأي ابن هشام، فقد اعتبر غالبية مجيئها في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولا به بتقدير (اذكر) [٢].

٨- التعليل:

كقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**﴾(الأحقاف:٢٦)، قال ابن عاشور: " و(**إِذْ**) ظرف، أي: مدة جحودهم وهو مستعمل في التعليل؛ لاستواء مؤدى الظرف ومؤدى التعليل؛ لأنه لما جعل الشيء من الإغناء معلقاً نفيُه بزمان جحدهم بآيات الله، كما يستفاد من إضافة (**إِذْ**) إلى الجملة بعدها، عُلم أن لذلك الزمان تأثيراً في نفي الإغناء"[٣].

٩- الربط:

كقوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾(الكهف:١٤)، قال ابن عاشور: " و (**إِذْ قَامُوا**) ظرف للربط، أي: كان الربط في وقت في قيامهم، أي: كان ذلك الخاطر الذي قاموا به مقارناً لربط الله على قلوبهم، أي: لولا ذلك لما أقدموا على مثل ذلك العمل وذلك القول"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٧٧.
(٢) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٠٢.
(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٥٤.
(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٧٢.

١٠- المقارنة:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ**﴾(الزمر:٣٢)، قال ابن عاشور: " و **(إِذْ جَاءهُ)** متعلق بـــ **(كَذَّبَ)** و **(إِذْ)** ظرف زمن ماض، وهو مشعر بالمقارنة بين الزمن الذي تدل عليه الجملةُ المضاف إليها وحصول متعلقه، فقوله: **(إِذْ جَاءهُ)** يدل على أنه كذَّب بالحق بمجرد بلوغه إياه بدون مهلة، أي: بادر بالتكذيب بالحق عند بلوغه إياه من غير وقفة لإعمال رؤية، ولا اهتمام بمَيْز بين حق وباطل"[١]. وتتم الصورة كاملة بالمقارنة، وكأنها لوحة أمام العين تشتمل على الضدين: النفي في قوله: **(فَمَنْ أَظْلَمُ)** والإثبات في قوله: **(إِذْ جَاءهُ)**؛ ليعي الإنسان النتائج المترتبة على اختياره قبل فوات الأوان.

١١- بمعنى حين:

كقوله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾(الممتحنة:٤)، قال ابن عاشور: " و**(إِذْ)** ظرف زمان بمعنى حينَ، أي: الأسوة فيه وفيهم في ذلك الزمن، والمراد بالزمن: الأحوال الكائنة فيه، وهو ما تبينه الجملة المضاف إليها الظرف وهي جملة **(قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ)** الخ"[٢].

إِذَا

وهي ظرف للزمان في المستقبل تضمن معنى الشرط والجزاء [٣]، ولم يقع الخبر معها في القرآن إلا مصرحا به[٤].

وتأتي عادة للمفاجأة، وقد وضح ابن عاشور المقصود من المفاجأة بقوله: " و**(إِذَا)** للمفاجأة وهي حدوث الحادث عن غير ترقب"[٥].

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾(التوبة:٥٨)، قال ابن عاشور: " ودلت **(إِذَا)** الفجائية على

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ١٤٣.

(٣) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٦٩٨.

(٤) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٠٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٤٠.

أن سخطهم أمر يفاجئ العاقل حين يشهده؛ لأنه يكون في غير مظنة سخط، وشأن الأمور المفاجئة أن تكون غريبة في بابها"(١).

ومن معانيها التي أوردها ابن عاشور:

١- الإسراع:

كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾(النحل:٥٤)، قال ابن عاشور: " **(إِذَا)** الأولى مضمنة معنى الشرط وهي ظرف، و **(إِذَا)** الثانية فجائية، والإتيان بحرف المفاجأة للدلالة على إسراع هذا الفريق بالرجوع إلى الشرك، وأنه لا يتريث إلى أن يبعد العهد بنعمة كشف الضر عنه؛ بحيث يفاجئون بالكفر دفعة دون أن يترّقبه منهم مترّقب، فكان الفريق المعني في قوله تعالى: **(إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم)** فريق المشركين"(٢).

٢- التعجيب والتنويه:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**﴾(النحل:٤)، قال ابن عاشور: "فإقحام حرف المفاجأة جعل الكلام مفهماً أمرين هما: التعجيب من تطور الإنسان من أمهن حالة إلى أبدع حالة، وهي حالة الخصومة والإبانة الناشئتين عن التفكير والتعقل، والدلالة على كفرانه النعمة، وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعِم عليه، فالجملة في حدّ ذاتها تنويه، وبضميمة حرف المفاجأة أدمجت مع التنويه التعجيب، ولو قيل: فهو خصيم أو فكان خصيماً لم يحصل هذا المعنى البليغ"(٣).

ولكنه لا يجدر بنا أن نقول عن أي لفظة في القرآن الكريم أنها مقحمة؛ لأن كل حرف وضع لغاية وهدف، ولم يكن الأمر اعتباطا في مجيئه وقد وضح ابن عاشور ذلك فكيف له أن يقول أنه مقحم!

٣- الإباحة:

كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾(الأنعام:١٤١)، قال ابن عاشور: " و **(إِذَا)** مفيدة للتوقيت لأنها ظرف، أي: حين إثماره، والمقصود من التقييد بهذا الظرف إباحة الأكل منه عند ظهوره وقبل حصاده تمهيداً لقوله: **(وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)** أي: كلوا منه قبل أداء حقّه، وهذه

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٣٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٧٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٠٣.

رخصة ومنّة؛ لأنّ العزيمة أن لا يأكلوا إلاّ بعد إعطاء حقّه، كيلا يستأثروا بشيء منه على أصحاب الحقّ، إلاّ أنّ الله رخّص للنّاس في الأكل توسعة عليهم أن يأكلوا منه أخضر قبل يبسه لأنّهم يستطيبونه كذلك، ولذلك عقّبه بقوله: **(وَلاَ تُسْرِفُواْ)** "[١].

٤- التأكيد:

ومثله قول الله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾(النحل:٩١)، قال ابن عاشور: " و **(إِذَا)** لمجرد الظرفية؛ لأن المخاطبين قد عاهدوا الله على الإيمان والطاعة، فالإتيان باسم الزمان لتأكيد الوفاء"[٢].

إِلَى

حرف جر يفيد معنى الانتهاء والغاية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**﴾(الرعد:١٤)، قال ابن عاشور: " و**(إِلَى)** للانتهاء لدلالة **(بَاسِطِ)** على أنه مدّ إلى الماء كفيه مبسوطتين"[٣].

ومن قوله في إفادتها الغاية كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(الأعراف:١٦٧)، قال ابن عاشور: " و**(إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** غاية لما في القسم من معنى الاستقبال، وهي غاية مقصود منها جعل أزمنة المستقبل كله ظرفاً للبعث؛ لإخراج ما بعد الغاية وهذا الاستغراق لأزمنة البعث أي: أن الله يسلط عليهم ذلك في خلال المستقبل كله، والبعث مطلق لا عام"[٤].

وقد وضح الفرق بين غاية (حتى) وغاية (إلى) في قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ...**﴾(البقرة:١٨٧)، قال ابن

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٢٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٦١.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٠٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٥٥.

عاشور: " و(**إِلَى اللَّيْلِ**) غاية اختير لها (**إِلَى**) للدلالة على تعجيل الفطر عند غروب الشمس؛ لأن إلى لا تمتد معها الغاية بخلاف حتى، فالمراد هنا مقارنة إتمام الصيام بالليل"[١].

ومن أهم المعاني التي خرجت عن هذا المعنى :

١- التشريف:

كقوله تعالى: ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾(النساء:١٥٨)، قال ابن عاشور: " و(**إِلَى**) إفادة الانتهاء المجازي بمعنى التشريف، أي: رفعه الله رفع قرب و زلفى"[٢].

٢- العمد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾(المائدة:٦)، قال ابن عاشور:" والقيام هنا كذلك بقرينة تعديته بـــ (**إِلَى**) لتضمينه معنى عمدتم إلى أن تصلّوا"[٣].

٣- المَيل والإخلاد:

كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾(التوبة:٣٨)، قال ابن عاشور: " وعُدّي التثاقل بـــ (**إِلَى**)؛ لأنّه ضمن معنى المَيل والإخلاد، كأنّه تثاقل يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للقعود والسكون بها"[٤]. والمقصود بها شدة تمكنهم والتصاقهم بالأرض طلبا لمتاع الدنيا ورفضا للجهاد، وكأنهم يتشبثوا بالأرض تشبث الرضيع العطش والخائف بأمه، والذي يدل على صورة تمكنهم بالأرض، واجتماع صوت (التاء) المشددة المكسورة مع صوت (الثاء) التي تدل على شدة لصوقهم بها، فكلمة قرآنية واحدة أعطتنا مشهدا حيا لا يوازيه صفحات من الوصف، وهذه قمة البلاغة القرآنية.

٤- طلب الحضور:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ** (٤٠) **إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا**

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ١٨٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٢٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٩٧.

تُشْرِكُونَ﴾(الأنعام:٤١)، قال ابن عاشور: " وعديّ فعل **(تَدْعُونَ)** بحرف **(إِلَى)** لأنّ أصل الدعاء نداء فكأنّ المدعو مطلوب بالحضور إلى مكان اليأس"[١].

إنّ

ومعنى (إن) الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود، وفي العلم بالشيء[٢]، ويقصد بهذه المعاني التوكيد وهو الأصل فيها، فهي تأتي لتأكيد مضمون الجملة التي قد تحتمل الصدق والكذب، فتأتي (إنّ) لتأكيد مضمون الجملة وزوال احتمال الكذب[٣].

ومنه قوله تعالى: **﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾**(النساء:٥٨)، قال ابن عاشور: " و(إنّ) فيها لمجرد الاهتمام بالخبَر، لظهور أن مثل هذا الخبر لا يقبل الشكّ حتى يؤكد؛ لأنه إخبار عن إيجاد شيء لا عن وجوده، فهو والإنشاء سواء"[٤]. فالخبر هنا بمعنى الإنشاء، أي: ألم يأمركم الله؟ فهو من باب الاستفهام الإنكاري الذي يفيد التأكيد.

وقد يأتي التأكيد مع التحقيق فهي بمثابة التأكيد مرتين، فهي بمثابة الوعد الرباني والله لا يخلف وعده، ومثله قوله تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾**(الكهف:٣٠)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الجملة بحرف التوكيد **(إِنَّ)** لتحقيق مضمونها، وإعادة حرف (إن) في الجملة المخبر بها عن المبتدأ الواقع في الجملة الأولى لمزيد العناية والتحقيق"[٥].

ومن معانيها التي وردت عند ابن عاشور **التعليل**، وقد يأتي التعليل لهدف رائع كالتسلية، كقوله تعالى: **﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**(الكهف:٧) قال ابن عاشور: " وموقع **(إنّ)** في صدر هذه الجملة موقع التعليل للتسلية التي تضمنها قوله تعالى: **(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً)**(الكهف:٦)، ويحصل من ذلك تذكير بعضهم قدرة الله تعالى، وخاصة ما كان منها إيجاداً للأشياء وأضدادها من حياة الأرض وموتها المماثل لحياة الناس وموتهم، والمماثل للحياة المعنوية والموت المعنوي من إيمان وكفر ونعمة ونقمة، كلها عِبَر لمن يعتبر بالتغير، ويأخذ الأهبة إلى الانتقال من حال

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٢٥.

(٢) انظر، الحروف، الفرابي، ص٢.

(٣) انظر، العوامل المائة النحوية: ١٤٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٩١.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣١٠.

إلى حال، فلا يثق بقوته وبطشه، ليقيس الأشياء بأشباهها، ويعرض نفسه على معيار الفضائل وحسنى العواقب"(١).

وفي مواطن أخرى يأتي التعليل مقترنا بالتفريع، كقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(يونس:٦٥) قال ابن عاشور: " وافتتحت بحرف التأكيد للاهتمام بها؛ ولأنَّه يفيد مفاد لام التعليل وفاء التفريع في مثل هذا المقام الذي لا يقصد فيه دفع إنكار من المخاطب"(٢).

وفي موطن آخر علل مجيئها في مثل هذا المقام، فقال: " ومن شأن(**إنّ**) إذا جاءت للاهتمام أن تقوم مقام فاء التفريع، وتفيد التعليل وربط الجملة بالتي قبلها "(٣).

انْ

والأصل فيها الشرط، وقد وضح معناها في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾(المائدة:١٠١)، قال ابن عاشور: " وجاء بــ (**إِنْ**) للدلالة على أن الأولى ترك السؤال عنها؛ لأن الأصل في (**إِنْ**) أن تدل على أن الشرط نادر الوقوع أو مرغوب عن وقوعه"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾(آل عمران:٦٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَإِن تَوَلَّوْاْ**) جيء في هذا الشرط بحرف (**إِنْ**)؛ لأنّ التولِّي بعد نهوض هذه الحجة وما قبلها من الأدلة غريب الوقوع، فالمقام مشتمل على ما هو صالح لاقتلاع حصول هذا الشرط، فصار فعل الشرط من شأنه أن يكون نادر الوقوع مفروضاً، وذلك من مواقع (**إِنْ**) الشرطية فإن كان ذلك منهم، فقد صاروا بحيث يُؤيَس من إسلامهم فأعرِضوا عنهم وأمسكوا أنتم بإسلامكم، وأشهدوهم أنكم على إسلامكم، ومعنى هذا الإشهاد التسْجيل عليهم لئلاّ يُظهروا إعراض المسلمين عن الاسترسال في محاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما عليه أهل الكتاب فهذا معنى الإشهاد عليهم بأنا مسلمون"(٥).

واعتبر ابن عاشور أن (**إِنْ**) معناها عدم اليقين، وقد ذكر في مواطن أخرى أنها للشك وكلاهما سواء، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٥٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٢٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٩٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٦٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٦٩.

فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(البقرة:١٣٧)، قال ابن عاشور: " وجاء الشرط هنا بحرف (**إِنْ**) المفيدة للشك في حصول شرطها إيذاناً بأن إيمانهم غير مرجو"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**(المائدة:١١٢) قال ابن عاشور: " وقول عيسى حين أجابهم (**اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) أمر بملازمة التقوى وعدم تزلزل الإيمان، ولذلك جاء بـــ (**إِنْ**) المفيدة للشك في الإيمان ليعلم الداعي إلى ذلك السؤال خشية أن يكون نشأ لهم عن شك في صدق رسولهم، فسألوا معجزة يعلمون بها صدقه بعد أن آمنوا به"[٢].

ومن المعاني التي خرجت لها(**إِنْ**) الشرطية:

١- التهييج:

وقد وضح ابن هشام هذا المعنى فقال: " شرط جيء به للتهييج والإلهاب، كما تقول لابنك: إن كنت ابني فلا تفعل كذا"[٣].

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**(آل عمران:١٣٩)، قال ابن عاشور: " والتعليق بالشرط في قوله: (**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان، إذ قد علم الله أنهم مؤمنون ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه، فقيل لهم: إن علمتم من أنفسكم الإيمان، وجيء بـــ (**إِنْ**) الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها، إتماماً لِهذا المقصد"[٤]. فكانت (**إِنْ**) بمثابة المحرك النفسي والجانب العاطفي لديهم.

٢- التفسير:

ويقصد بمعنى (أَنْ) التفسيرية التي يحسن في موضعها (أيْ)، وعلامتها أن تقع بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه[٥].

كقوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾**(النساء:١٤٠)، قال ابن عاشور: " و(**أَنْ**) في قوله: (**أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ**)

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٤١.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٠٦.

(٣) مغني اللبيب: ج١، ٤٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٩٩.

(٥) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩٤٢.

تفسيرية؛ لأن **(نَزَّلَ)** تضمن معنى الكلام دون حروف القول، إذ لم يقصد حكاية لفظ **(ما نُزّل)** بل حاصل معناه"[١]. والإنزال إنزال معنوي عن طريق القول، وليس إنزالا ماديا.

٣- النفي:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾(الزخرف:٨١)، قال ابن عاشور: " أن يكون حرف **(إنْ)** للنفي دون الشرط، والمعنى: ما كان للرحمن ولد فتفرع عليه: أنا أول العابدين لله، أي: أتنزه عن إثبات الشريك له"[٢].

بَلْ

وهي حرف إضراب، فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إما الإبطال، وإما الانتقال من غرض إلى آخر[٣].

- الإضراب الابطالي:

وقد يترتب على معنى الإبطال معنى آخر كالتهديد مثلا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً**﴾(الكهف:٥٨)، قال ابن عاشور: " و**(بَلْ)** للإضراب الابطالي عن مضمون جواب لو، أي: لم يعجل لهم العذاب إذ لهم موعد للعذاب متأخر، وهذا تهديد بما يحصل لهم يوم بدر"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(النحل:١٠١)، قال ابن عاشور: "و**(بَلْ)** للإضراب الابطالي على كلامهم، وهو من طريقة النقض الإجمالي في علم المناظرة"[٥].

- الإضراب الانتقالي:

كقوله تعالى:﴿ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ (الأعراف:٨١)، قال ابن عاشور: " و**(بَلْ)** للإضراب الانتقالي؛ للانتقال من غرض الإنكار إلى غرض الذم والتحقير والتنبيه إلى حقيقة حالهم"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢٣٥.
(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٦٥.
(٣) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٣٣.
(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٥٧.
(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٨٣.
(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٣١.

وقد يكون الانتقال انتقال ترقي، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾(الأعراف:١٧٩)، قال ابن عاشور: " و(**بَلْ**) في قوله: (**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**) للانتقال والترقي في التشبيه في الضلال، وعدم الانتفاع بما يمكن الانتفاع به"(١).

بَلَى

وهو حرف جواب مبني على السكون، يجاب به النفي خاصة ويدل على إبطاله، سواء أكان هذا النفي مع استفهام أم دونه(٢).

وقد وضح ابن عاشور معناها وآلية استخدامها فقال: " و(**بَلَى**) كلمة يجاب بها المنفي لإثبات نقيض النفي، وهو الإثبات سواء وقعت بعد استفهام عن نفي وهو الغالب، أو بعد خبر منفي"(٣).

وسماه حرف إبطال النفي، أي: التأكيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(النحل:٣٨)، قال ابن عاشور: " و (**بَلَى**) حرف لإبطال النفي في الخبر والاستفهام، أي: بل يبعثهم الله"(٤).

ثُمَّ

" حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة"(٥)، وهذه المعاني اتضحت عند ابن عاشور – وإن اختلفت تسميتها– ووظيفتها وكيفية دخولها على الجمل، فقال في قوله تعالى: ﴿ **الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾(هود:١)، " و (**ثُمَّ**)

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٨٤.

(٢) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٣٤، وانظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩٥٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٧٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٥٤.

(٥) مغني اللبيب: ج١، ١٣٧.

للتراخي في الرتبة كما هو شأنها في عطف الجمل، لما في التفصيل من الاهتمام لدى النفوس؛ لأن العقول ترتاح إلى البيان والإيضاح"(١).

وقد بين معناها بالتفصيل في قوله تعالى: ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾(النحل:٨٣)، فقال: " و(**ثُمَّ**) للتراخي الرتبي، كما هو شأنها في عطف الجمل، فهو عطف على جملة (**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ**) وكأنه قيل وينكرونها؛ لأن (**ثُمَّ**) لما كانت للعطف اقتضت التّشريك في الحكم، ولما كانت للتراخي الرتبي زال عنها معنى المهلة الزمانية الموضوعة هي له، فبقي لها معنى التّشريك وصارت المهلة مهلة رتبية؛ لأن إنكار نعمة الله أمر غريب"(٢).

وقد وضح الفرق بين التراخي الرتبي والتراخي الزمني في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(التوبة:١١٨)، قال ابن عاشور: " و(**ثُمَّ**) هنا للمهلة والتراخي الزمَني وليست للتراخي الرتبي؛ لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق، وهو مغن عن جواب (إذا) لأنه يفيد معناه، فهو باعتبار العطف تنهية للغاية، وباعتبار المعطوف دال على الجواب"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**﴾(المائدة:١٠٢)، قال ابن عاشور: " و(**ثُمَّ**) في قوله: (**ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**) للترتيب الرتبي كشأنها في عطف الجمل فإنّها لا تفيد فيه تراخي الزمان، وإنّما تفيد تراخي مضمون الجملة المعطوفة في تصوّر المتكلّم عن تصور مضمون الجملة المعطوف عليها، فتدلّ على أنّ الجملة المعطوفة لم يكن يُترقب حصول مضمونها حتى فاجأ المتكلم"(٤).

ونجده في موطن آخر يوضح الفرق بين التراخي الرتبي والتراخي المجازي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ**﴾(آل عمران:١١١)، قال ابن عاشور: " و(**ثُمَّ**) لترتيب الإخبار دالّة على تراخي الرتبة، ومعنى تراخي الرتبة كون رتبة معطوفها أعظم من رتبة المعطوف عليه في الغرض المسوق له الكلام، وهو

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣١٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٤٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٥٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٦٩.

غير التّراخي المجازي؛ لأن التّراخي المجازي أن يشبَّه ما ليس بمتأخّر عن المعطوف بالمتأخّر عنه"(١).

وقد تجتمع المهلة المجازية والحقيقية معا، كما في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾(الأعراف:١٠٣)، قال ابن عاشور: " وقد دلت (**ثُمَّ**) على المُهلة؛ لأن موسى عليه السلام بعث بعد شعيب بزمن طويل، فإنه لما توجه إلى مدين حين خروجه من مصر، رجَا الله أن يهديَه فوجد شعيباً، وكان اتصاله به ومصاهرته تدريجاً له في سلم قبول الرسالة عن الله تعالى، فالمهلة باعتبار مجموع الأمم المحكي عنها قبل، فإن منها ما بينه وبين موسى قرون مثل قوم نوح، ومثل عاد وثمود، وقوم لوط، فالمهلة التي دلت عليها (**ثُمَّ**) متفاوتة المقدار مع ما يقتضيه عطف الجملة بحرف (**ثُمَّ**) من التراخي الرتبي، وهو ملازم لها إذا عطفت بها الجمل، فحرف (**ثُمَّ**) هنا مستعمل في معنيي المهلة الحقيقي والمجازي"(٢).

ومن المعاني التي خرجت لها:

١- التنبيه:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ**﴾(الأعراف:٥٤)، قال ابن عاشور: " وقد دلّت (**ثُمَّ**) في قوله: (**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) على التّراخي الرّتبي أي: وأعظم من خلق السّماوات والأرض استواءه على العرش، تنبيهاً على أنّ خلق السّماوات والأرض لم يحدث تغييراً في تصرّفات الله بزيادة ولا نقصان، ولذلك ذكر الاستواء على العرش عقب ذكر خلق السّماوات والأرض في آيات كثيرة، ولعلّ المقصد من ذلك إبطال ما يقوله اليهود: إنّ الله استراح في اليوم السّابع"(٣).

٢- التعجيب:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾(التوبة:١٢٦)، قال ابن عاشور: " و(**ثُمَّ**) للترتيب الرتبي؛ لأن المعطوف

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٥٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٦٦.

بها هو زائد في رتبة التعجيب من شأنه على المعطوف عليه، فإن حصول الفتنة في ذاته عجيب، وعدم اهتدائهم للتدارك بالتوبة والتذكر أعجب، ولو كانت **(ثُمَّ)** للتراخي الحقيقي لكان محل التعجيب من حالهم هو تأخر توبتهم وتذكرهم"(١).

٣- التفضيح:

ومثله قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**(آل عمران:١٦١)، قال ابن عاشور: "وجيء بـــ **(ثُمَّ)** للدّلالة على طول مهلة التفضيح، ومن جملة النُّفوس الَّتي توفَّى ما كسبت نفس من يغلل، فقد دخل في العموم"(٢).

٤- الارتقاء:

كقوله تعالى: **﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (الأعراف:١٢٤)، قال ابن عاشور: " ودلت **(ثُمَّ)** على الارتقاء في الوعيد بالصلب"(٣). فقد أراد فرعون أن يعذبهم ببطء وشدة؛ لأنهم خروا سجدا لرب موسى وهارون، فترتيب العذاب ترتب عليه تدرج من قطع الأعضاء إلى الإعدام، وهذا ما دلت عليه (ثم).

٥- التأكيد:

كقوله تعالى: **﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾**(يونس:٧٠)، قال ابن عاشور: " وحرف **(ثُمَّ)** هذا مؤكد لنظيره الذي في الجملة المبينة على أن المراد بالمرجع الحصول في نفاذ حكم الله"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٨٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٥٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٢١.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣٣.

٦- التعريض:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(الأعراف:١٥٣)، قال ابن عاشور: " وحرف (**ثُمَّ**) هنا مفيد للتراخي، وذلك إلجاء إلى قبول التوبة، ولو بعد زمان طويل مملوء بفعل السيّئات، وقوله: (**مِن بَعْدِهَا**) تأكيد لمفاد المهلة التي أفادها حرف (**ثُمَّ**) وهذا تعريض للمشركين بأنهم إن آمنوا يغفر لهم ولو طال أمد الشرك عليهم"[(١)].

حَتَّى

حرف عطف مبني، ويكون المعطوف بعضا مما قبله، وغاية له في زيادة أو نقصان[(٢)]، والانتهاء هو الغالب في حتى[(٣)].

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعا**﴾(النساء:١٤٠)، قال ابن عاشور: " و (**حَتَّى**) حرف يعطف غاية الشيء عليه، فالنهي عن القعود معهم غايته، أم يكفّوا عن الخوض في الكفر بالآيات والاستهزاء بها"[(٤)].

ومنه في الغاية وما يترتب عليها من معنى الاستمرار، كقوله تعالى: ﴿ **قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾(التوبة:٢٩)، قال ابن عاشور: " و(**حَتَّى**) غاية للقتال، أي: يستمرّ قتالكم إيّاهم إلى أن يعطوا الجزية "[(٥)].

وكقوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ**﴾(الأنعام:١٤٨)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**حَتَّى ذَاقُواْ**

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٥٥.

(٢) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٨٦٠.

(٣) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٤٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢٣٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٦٦.

بَأْسَنَا) غاية للتكذيب مقصود منها: دوامهم عليه إلى آخر أوقات وجودهم، فلمّا ذاقوا بأس الله هلكوا واضمحلّوا، وليست الغاية هنا للتّنهية والرّجوع عن الفعل، لظهور أنّه لا يتصوّر الرّجوع بعد استئصالهم"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(الأنعام:٦٨)، قال ابن عاشور: " و**(حَتَّى)** غاية للإعراض؛ لأنَّه إعراض فيه توقيف دعوتهم زماناً أوجبه رعي مصلحة أخرى هي من قبيل الدعوة، فلا يضرّ توقيف الدعوة زماناً، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى أصلهم؛ لأنّها تمحّضت للمصلحة"[٢].

وتكون الغاية أحيانا متسعة؛ وذلك من كرم الله على عباده وصبره عليهم، كقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنفال:٥٣)، قال ابن عاشور: " فالغاية المستفادة من **(حَتَّى)** لانتفاء تغيير نعمة الله على الأقوام هي غاية متّسعة؛ لأنّ الأقوام إذا غيّروا ما بأنفسهم من هُدى، أمهلهم الله زمناً ثم أرسل إليهم الرسل، فإذا أرسل إليهم الرسل فقد نبّههم إلى اقتراب المؤاخذة، ثم أمهلهم مدّة لتبليغ الدعوة والنظر فإذا أصرّوا على الكفر، غيَّر نعمته عليهم بإبدالها بالعذاب أو الذلّ أو الأسر"[٣].

وقد خرجت (حتى) لمعانٍ منها:

١- التنبيه:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ**﴾(الأعراف:٣٧)، قال ابن عاشور: " و**(حَتَّى)** الابتدائيّة تدلّ على أنّ مضمون الكلام الّذي بعدها، أهمّ بالاعتناء للإلقاء عند المتكلّم؛ لأنّه أجدى في الغرض المسوق له الكلام، وهذا الكلام الواقع هنا بعد **(حَتَّى)** فيه تهويلُ ما

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٤٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٨٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٤٥.

يصيبهم عند قبض أرواحهم، وهو أدخل في تهديدهم وترويعهم وموعظتهم، من الوعيد المتعارف"[(١)]. فكانت (حتى) بمثابة المؤشر لما سيقال.

٢- التسبب:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:٣٨)، قال ابن عاشور: " و(**حَتَّى**) في قوله: (**حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ**) ابتدائيّة... تفيد معنى التّسبّب، أي: تسبّب مضمون ما قبلها في مضمون ما بعدها، فيجوز أن تكون مترتِبَة في المعنى على مضمون قوله: (**قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ**) إلخ، ويجوز أن تكون مترتّبة على مضمون قوله: (**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا**)"[(٢)]. فسبب اللعان بين الأمم مترتب على اعتقاد الأمة اللاحقة بأن الأمة السابقة كانت سبب ضلالهم وبالتالي حرمانهم دخول جهنم، وهذا اعتقاد بعيد عن الحقيقة لأن الله أرسل لكل أمة رسولا.

٣- رفع التوهم:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾(آل عمران:٩٢)، قال ابن عاشور: " فظهر لـــ (**حَتَّى**) هنا موقع من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها؛ لأنَّه لو قيل إلاّ أن تنفقوا ممَّا تحبّون، لتوهمّ السامع أنّ الإنفاق من المحَبِّ وحده يوجب نَوال البِرّ، وفاتت الدلالة على المسافات والدرجات الَّتي أشعرت بها (**حَتَّى**) الغائية"[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١١٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٢١.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٥.

حَيْثُ

وقد اعتبرها ابن هشام ظرف للمكان وهذا بالاتفاق[١]، ومن المعاني التي خرجت لها عند ابن عاشور:

١- التعليل:

كقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾(البقرة:٢٢٢)، قال ابن عاشور: " و (**حَيْثُ**) مستعملة في التعليل مجازاً تخييليا، أي: لأن الله أمركم بأن تأتوهن عند انتهاء غاية النهي بالتطهر"[٢].

٢- المكان الاعتباري:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ** ﴾(الأنعام:١٢٤)، قال ابن عاشور: " يكون قوله: (**اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) ردّاً بأنّ الله أعلم بالمعجزات اللائقة بالقوم المرسَل إليهم، فتكون (**حَيْثُ**) مجازاً في المكان الاعتباري للمعجزة، وهم القوم الذين يُظهرها أحد منهم، جُعلوا كأنَّهم مكان لظهور المعجزة و (**حَيْثُ**) هنا اسم دالّ على المكان مستعارة للمبعوث بالرّسالة، بناء على تشبيه الرّسالة بالوديعة الموضوعة بمكان أمانة على طريقة الاستعارة المكنيّة، وإثباتُ المكان تخييل، وهو استعارة أخرى مصرّحة بتشبيه الرّسل بمكان إقامة الرّسالة، وليست (**حَيْثُ**) هنا ظرفاً بل هي اسم للمكان مجرّد عن الظرفية؛ لأنّ (**حَيْثُ**) ظرف متصرّف"[٣].

٣- العموم:

ومثله قول الله تعالى: ﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾(طه:٦٩)، قال ابن عاشور: " وتعميم (**حَيْثُ أَتَى**) لعموم الأمكنة التي يحضرها، أي: بسحره"[٤]. فعمت جميع الأمكنة التي يمكن أن يأتي ويجتمع فيها السحرة دون تحديد مكان معين، وهذه قمة البلاغة فالكلام يشمل السحرة زمن فرعون إلى زمنا هذا، وهذا ما أفادته (حيث).

---

(١) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٥١.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٧٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٥٣- ٥٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٣٦١.

٤- الأحوال:

كقوله تعالى: ﴿ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾(الطلاق:٣)، قال ابن عاشور: " و (**حَيْثُ**) مستعملة مجازاً في الأحوال والوجوه تشبيهاً للأحوال بالجهات؛ لأنها لما جعلت مقارنة للرزق أشبهت المكان الذي يَرِد منه الوارد"(١). فالأرض مكان الرزق وإن اختلف نوعه، وبالتالي تختلف أحوال الرزق بحسب ما قدر الله للإنسان، فأصل الرزق الأرض الخارج منها، وبالتالي استخدم (**حَيْثُ**) باعتبار الأصل.

وكقوله تعالى: ﴿ **فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(القلم:٤٤)، قال ابن عاشور: " و(**حَيْثُ**) للمكان المجازي، أي: الأسباب والأفعال والأحوال التي يحسبونها تأتيهم بخير فتتكشف لهم عن الضر"(٢). فالاستدراج معنوي وليس مادي، واستخدام (**حَيْثُ**) باعتبار المكان الذي يختزن كذب الحديث.

عَلَى

وهو حرف جر والأصل فيه الاستعلاء، وهو كون الشيء فوق الشيء، كقوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾(المائدة:٢١)، قال ابن عاشور: " فعدّي بـــ (**عَلَى**) الدالّة على الاستعلاء، أي استعلاء طريق السير، نزّلت الأدبار الّتي يكون السير في جهتها منزلة الطريق الّذي يسار عليه"(٣).

وأما قوله (الغلبة) في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾(الأنعام:٦٦)، قال ابن عاشور: " وتعديته بـــ (**عَلَى**) لتضمنّه معنى الغلبة والسلطة، أي: لست بقيّم عليكم يمنعكم من التكذيب"(٤). فيبدو أن الغلبة هنا من معاني الاستعلاء؛ لأنه ينفي كونه وكيلاً عليهم، والوكيل عادة يكون أعلى منزلة ورتبة.

وقد يسمي الاستعلاء في بعض المواطن بالتمكن؛ لأنه يعتبره الأصل في (على) كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(التوبة:٦٠)، قال ابن

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٣١٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٢٩، ١٠١.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٦٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٨٧.

عاشور: " واختيار حرف (**عَلَى**) في هذا المقام لما يشعر به أصل معناه من التمكّن، أي: العاملين لأجلها عملاً قوياً؛ لأنّ السعاة يتجشّمون مشقّةً وعملاً عظيماً "[١].

وأحيانا يعتبره معنى مجازيا وما يترتب عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:١٢٥)، قال ابن عاشور: " و(**عَلَى**) في قوله: (**عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**) تفيد تمكّن الرجس من الكافرين، فالعُلاوة مجاز في التمكّن، والمراد تمكّنه من قلوبهم وظهور آثاره عليهم"[٢].

وأحيانا أخرى يأتي التمكن للمبالغة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾ (الكهف:١٤)، قال ابن عاشور: " وتعدية فعل (**رَبَطْنَا**) بحرف الاستعلاء؛ للمبالغة في الشد؛ لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل"[٣].

ومن المعاني التي وردت عند ابن عاشور:

١- التعليل:

كقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(المائدة:٤)، قال ابن عاشور: " وحرف (**عَلَى**) في قوله: (**مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ**) بمعنى لام التعليل، كما تقول: سجن على الاعتداء، وضُرب الصبيّ على الكذب "[٤].

٢- الوجوب:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ**﴾(الحجر:٤١)، قال ابن عاشور: " و (**عَلَى**) مستعملة في الوجوب المجازي، وهو الفعل الدائم الذي لا يتخلّف، كقوله تعالى: (**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**)(الليل:١٢)، أي: أنّا التزمنا الهدى لا نحيد عنه؛ لأنه مقتضى الحكمة وعظمة الإلهية "[٥].

وكأن الصراط استعلى عليه وتمكن منه، فألزمه أن يلتزم بهذا الصراط، فيبدو أنه التزام ذاتي.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٣٥- ٢٣٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٦١.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٧٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١١٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٥٢.

(الأنعام:٥٢)، قال ابن عاشور: " و(**عَلَى**) فيه دالّة على معنى اللزوم والوجوب؛ لأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام همّ أو كان بحيث يهمّ بإجابة صناديد قريش لما سألوه، فيكون تنبيهاً على أنّ تلك المصلحة مدحوضة"(١). والمعنى هنا يختلف عن سابقه؛ فالوجوب واللزوم لم يكن ذاتيا، بل كان على هيئة الأمر والإلزام من الله – سبحانه وتعالى- إلى نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

٣- الإحضار:

كقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾(هود:١٨)، قال ابن عاشور: " والعرض إذا عدّي بحرف (**عَلَى**) أفاد معنى الإحضار بإراءة "(٢).

٤- بمعنى مع:

قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء**﴾(إبراهيم:٣٩)، قال ابن عاشور: " و(**عَلَى**) في قوله: (**عَلَى الْكِبَرِ**) للاستعلاء المجازي بمعنى (مع) أي: وهب ذلك تعلياً على الحالة التي شأنها أن لا تسمح بذلك"(٣).

والمقصود من قوله (مع الكبر) فالكبر مصاحبا له وجزء منه قبل أن يرزق بإسماعيل واسحق- عليهما السلام- وكأن الله استبدل مصاحبة الكِبَر لإبراهيم- عليه السلام- بصحبة ابنيه، وما أعظمه من استبدال، وكأنه لم يكبر فقد عوض عن شبابه بأولاده وليسوا أي أولاد.

وقد تأتي بمعنى (مع) للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾(الحجر:٥٤)، قال ابن عاشور: " و (**عَلَى**) بمعنى (مع) دالة على شدة اقتران البشارة بمسّ الكبر إياه"(٤).

٥- بمعنى في:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿... **أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(الأعراف:١٦٩)، قال ابن

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٤٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٣٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٤٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٥٩.

عاشور: " وإضافة الميثاق إلى الكتاب على معنى **(في)** أو على معنى اللام، أي: الميثاق المعروف به"[(١)].

عَن

ومن أشهر معانيها المجاوزة[(٢)]، ومن المجاوزة خرجت لمعانٍ أخرى عند ابن عاشور، منها:

١- البدلية:

وهي بمعنى المجاز، كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾(يوسف:٦٧)، قال ابن عاشور: " فإن حرف **(عَن)** فيه للبدلية وهي المجاوزة المجازية، جعل الشيء البدل عن الشيء مجاوزاً له؛ لأنه حلّ محلّه في حال غيبته فكأنه جاوزه فسموا هذه المجاوزة بدلية وقالوا: إنّ **(عَن)** تجيء للبدلية كما تجيء لها الباء، فمعنى **(مَا أُغْنِي عَنكُم)**، أي: لا أكفي بدلاً عن إجزائكم لأنفسكم"[(٣)].

٢- بمعنى بعد:

كقوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنفال:٤٢)، قال ابن عاشور: " ودلّ معنى المجاوزة الذي في **(عَن)** على أنّ المعنى أن يكون الهلاك والحياة صادرين عن بيّنة وبارزين منها و**(عَن)** للمجاوزة المجازية، وهي بمعنى (بعد) أي: بعد بيّنة يتبيّن بها سبب الأمرين: هلاك من هلك، وحياة من حيي"[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٦٢.

(٢) انظر، العوامل المائة النحوية: ١٢٨، وانظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩١٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢١.

٣- المجافاة للشيء:

وهي البعد عنه، كقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(التوبة:١٢٠)، قال ابن عاشور: " والرغبة تُعدّى بحرف (في) فتفيد معنى مودة تحصيل الشيء والحرص فيه، وتُعدى بحرف **(عَن)** فتفيد معنى المجافاة للشيء... وهي هنا معداة بـــ **(عَن)** أريد برغبتهم عن نفسه محبتهم أنفسهم وحرصهم على سلامتها دون الحرص على سلامة نفس الرسول، فكأنهم رغبوا عن نفسه إذ لم يخرجوا معه مُلاَبسين لأنفسهم، أي: محتفظين بها؛ لأنهم بمقدار من يتخلف منهم يزداد تعرض نفس الرسول من التلف قرباً، فتخلف واحد منهم عن الخروج معه عون على تقريب نفس الرسول عليه الصلاة والسلام من التلف؛ فلذلك استعير لهذا التخلف لفظ الرغبة عنه"[١].

عِندَ

وقد وضح ابن عاشور معناها، فقال: " وحقيقة (عندَ) أنَّها ظرف المكان القريب، وتستعمل مجازاً في استقرار الشيء لشيء وملكه إيَّاه... وتستعمل مجازاً في الاحتفاظ بالشيء ... ولا يحسن في غير ذلك"[٢].

ومن معانيها التي خرجت إليها:

١- التأثير التام:

ويبدو أن المراد منه السببية، كقوله تعالى: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً**﴾(النساء:٧٨)، قال ابن عاشور: " فجعلوا كون الرسول بالمدينة هو المؤثّر في حدوث السّيئات، وأنّه لولاه لكانت الحوادث كلّها جارية على ما يلائمهم، ولذلك جيء في حكاية كلامهم بما يدلّ على أنّهم أرادوا هذا المعنى، وهو كلمة **(عِندِ)** في الموضعين: **(هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ ... هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ)** إذ

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٥٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٦٧.

العندية هنا عندية التأثير التامّ بدليل التسوية في التعبير، فإذا كان ما جاء من عند الله معناه من تقديره وتأثير قدرته، فكذلك مساويه وهو ما جاء من عند الرسول"[١].

٢- رفعة المقدار:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ (الأعراف:٢٠٦)، قال ابن عاشور: " و(**عِندَ**) مستعمل مجازاً في رفعة المقدار، والحظوة الآلهية"[٢]. فليست هناك رفعة وعظمة أعظم من جوار الله سبحانه وتعالى، وكأنها إشارة إلى أن الملائكة أرفع منزلة عند الله من البشر؛ لأنه اصطفاهم عنده فهم في طاعة مستمرة له دون عصيان.

٣- الاستقرار:

ومنه قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾(التوبة:٧)، قال ابن عاشور: " ومعنى (**عِندَ**) الاستقرار المجازي بمعنى الدوام، أي: إنّما هو عهد موقّت"[٣]. إذ أن المشركين لا عهد لهم – فالله أعلم بهم– لذلك كان عهدهم مؤقت وغير مستقر.

٤- التصرف:

كقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٣١)، قال ابن عاشور: " و(**عِندَ**) مستعملة في التصرف مجازاً؛ لأن الشيء المتصرف فيه كالمستقر في مكان، أي: سبب شؤمهم مقدر من الله"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٣٠.
(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٤٣.
(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٢١.
(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٧.

٥- تحقيق الوعد:

مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (البقرة:٦٢)، قال ابن عاشور: " (**عِندَ رَبِّهِمْ**) عندية مجازية مستعملة في تحقيق الوعد، كما تستعمل في تحقيق الإقرار في قولهم (لك عندي كذا)، ووجه دلالة (**عِندَ**) في نحو هذا على التحقق أن (**عِندَ**) دالة على المكان، فإذا أطلقت في غير ما من شأنه أن يحل في مكان، كانت مستعملة في لازم المكان، وهو وجود ما من شأنه أن يكون في مكان، على أن إضافة (**عِندَ**) لاسم الرب تعالى مما يزيد الأجر تحققاً؛ لأن المضاف إليه أكرم الكرماء، فلا يفوت الأجر الكائن عنده"[(١)].

٦- التعظيم:

كقوله تعالى: ﴿ **ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾(التكوير:٢٠)، قال ابن عاشور: " والعندية عندية تعظيم وعناية، فـ (**عِندَ**) للمكان المجازي الذي هو بمعنى الاختصاص والزُلفى"[(٢)].

والتشريف قريب من التعظيم وقد يقترن بالادخار، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(البقرة:٩٤)، قال ابن عاشور: " و(**عِندَ اللّهِ**) ظرف متعلق بــ (كَانَتْ) والعندية عندية تشريف وادخار، أي: مدخرة لكم عند الله، وفي ذلك إيذان بأن الدار الآخرة مراد بها الجنة"[(٣)].

وفي مواطن يقترن التشريف بالكرامة، مثل قوله تعالى: ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ**﴾(فصلت:٣٨)، قال ابن عاشور: " والعِندية في قوله: (**عِندَ رَبِّكَ**) عندية تشريف وكرامة ... وهؤلاء الملائكة هم العامرون للعوالم العليا، التي جعلها الله مشرفة بأنها لا يقع فيها إلا الفضيلة، فكانت بذلك أشد اختصاصاً به تعالى من أماكنَ غيرها قصداً لتشريفها"[(٤)].

وقد يكون التفضيل أيضا من باب العظيم، كقوله تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾(الأنبياء:٨٤)، قال ابن عاشور: " ووصفت الرحمة بأنها

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٤٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٥٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦١٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٣٠١.

من عند الله تنويهاً بشأنها بذكر العندية الدالة على القرب المراد به التفضيل، والمراد رحمة بأيوب إذ قال: (**وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**)"[1].

٧- الاعتناء:

ويقصد به الاهتمام، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ (القلم:٣٤)، قال ابن عاشور: " والعِندية هنا عندية كرامةٍ واعتناء"[2]. تكريما لهم واعتناء بهم لما قدموه في الدنيا من تقوى الله ومخافته، فكانت بمثابة الجزاء والنتيجة لما قدموه سابقا.

ويأتي الاهتمام أحيانا بمعنى العناية والحظوة، كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾(الحديد:١٩)، قال ابن عاشور: " والعندية مجازية مستعملة في العناية والحظوة"[3]. فعناية الله كانت جزاء ما قدموه، والحظوة التي سينالونها كانت بمجاورة ربهم.

٨- الاعتبار:

وقد يقترن الاعتبار بالاعتناء، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(آل عمران:١٩)، قال ابن عاشور: " والعندية عندية الاعتبار والاعتناءِ وليست عندية علم، فأفاد أنّ الدين الصحيح هو الإسلام، فيكون قصراً للمسند إليه باعتبار قيد فيه لا في جميع اعتباراته"[4].

ويقترن الاعتبار في مواطن أخرى بالاعتداد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾(التوبة:٣٦)، قال ابن عاشور: " و(**عِندَ اللّهِ**) معناه في حكمه وتقديره، فالعندية مجاز في الاعتبار والاعتداد"[5].

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٩٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٩٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٩٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٨٢.

٩- العلم:

وهي بمعنى الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾(الأنعام:٢)، قال ابن عاشور: " والعندية في قوله: **(عِندَ)** عندية العلم، أي: معلوم له دون غيره"(١).

ويزيد معنى الاختصاص وضوحا اقتران العلم بالاستئثار، كقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ**﴾(الأنعام:٥٨)، قال ابن عاشور: " والعندية عندية علم واستئثار، وليست عندية مكان"(٢).

وأحيانا أخرى يقرن العلم بالحكم، كقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ...**﴾(البقرة:٢١٧)، قال ابن عاشور: " والعندية في قوله: **(عِندَ اللّهِ)** عندية مجازية وهي عندية العِلم والحُكم"(٣).

وقد يأتي العلم منفيا عن المتكلم كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾(الأنعام:٥٧)، قال ابن عاشور: " فالعندية مجاز عن التصرّف بالعلم والمقدرة، والمعنى: أنِّي لست العليم القدير، أي: لست إلهاً ولكنّني عبد مرسل أقف عند ما أرسلتُ به"(٤).

فِي

كثر استعمالها في القرآن الكريم وهي للظرفية، ولكنها خرجت لتفيد معان منها:

١- الملابسة:

كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ (الأنفال:٢٣)، قال ابن عاشور: " و**(فِي)** للظرفية المجازية التي هي في معنى الملابسة، ومن لطائفها هنا أنها تعبر عن ملابسه باطنية"(٥). والمقصود بالملابسة الباطنية الداخلية، أي: ما بداخلهم ومحله القلب، فعبر عن ذلك بحرف الوعاء (في) لأن القلب أساس الاعتقاد والإيمان، ولذلك وضع الله فيه نبض الحياة.

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٣١.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٧٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٦٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٠٧.

وكقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(النحل:٦٩)، قال ابن عاشور: " وجعل الشّفاء مظروفاً في العسل على وجه الظرفية المجازية وهي الملابسة، للدلالة على تمكّن ملابسة الشفاء إياه، وإيماء إلى أنه لا يقتضي أن يطّرد الشفاء به في كل حالة من أحوال الأمزجة، أو قد تعرض للأمزجة عوارض تصير غير ملائم لها شرب العسل، فالظرفية تصلح للدّلالة على تخلّف المظروف عن بعض أجزاء الظرف؛ لأن الظرف يكون أوسع من المظروف غالباً"[(١)].

وأحيانا نجده قد قرر شدة الملابسة، كقوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾(الملك:٢١)، قال ابن عاشور: " والظرفية مجازية مستعملة في شدة التلبس بالغرور، حتى كأنَّ الغرور محيط بهم إحاطة الظرف"[(٢)]. بل الغرور متمكن منهم لشدة إحاطته بهم، ودليل ذلك الاستخدام القرآني للفظة (عتو) التي توحي بشدة هذا التمكن.

وأحيانا تكون ملابسة للبيان المجمل وكأنها توضيحية، كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾(يوسف:٤٣)، قال ابن عاشور: " و(**فِي**) للظرفية المجازية التي هي بمعنى الملابسة، أي: أفتوني إفتاء ملابساً لرؤياي ملابسة البيان للمجمل"[(٣)]. فقد فصل الرؤيا وما بها من مشاهد ثم ختمها بكلمة رؤياي، فكان من باب الإجمال بعد التفصيل، والذي يعتبر أسلوب تشويق للسامع.

٢- المقايسة:

وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق[(٤)]، ويبدو منها معنى المقابلة، فمنه قوله تعالى: ﴿ **اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ**﴾(الرعد:٢٦)، قال ابن عاشور: " ومعنى (**فِي**) الظرفية المجازية بمعنى المقايسة، أي: إذا نُسبت أحوال الحياة الدنيا بأحوال الآخرة ظهر أن أحوال الدنيا متاعٌ قليل"[(٥)].

ومثلها بمعنى التشبيه، كقوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**﴾ (يوسف:٧)، قال ابن عاشور: " والظرفية المستفاد من (**فِي**) ظرفية مجازية بتشبيه مقارنة الدليل

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٠٩.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٨١.

(٤) انظر، مغني اللبيب: ج١، ١٨٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٣٥.

للمدلول بمقارنة المظروف للظرف، أي: لقد كان شأن يوسف عليه السّلام وإخوته مقارناً لدلائل عظيمة من العبر والمواعظ، والتعريف بعظيم صنع الله تعالى وتقديره"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾(التوبة:١١)، قال ابن عاشور: " والظرفية في قوله: **(فِي الدِّينِ)** مجازية تشبيهاً للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف، زيادة في الدلالة على التمكّن من الإسلام وأنّه يَجُبُّ ما قبله"(٢).

وأحيانا أخرى نجدها بمعنى الاستعارة التخيلية(٣)، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(آل عمران:١١٤)، قال ابن عاشور: " و**(فِي)** للظرفية المجازية، وهي تخييلية تؤذن بتشبيه الخيرات بطريق يسير فيه السائرون، ولهؤلاء مزيّة السرعة في قطعه"(٤).

٣- التمكين:

كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾(إبراهيم:٩)، قال ابن عاشور: " وحرف **(فِي)** للظرفية المجازية المراد بها التمكين، فهي بمعنى (على) ... فمعنى: **(رَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ)** جعلوا أيديهم على أفواههم"(٥). فاستخدام (في) في هذا المقام أقوى وأشد من (على)؛ لأن الإنسان لو تخيل مشهد وحال المُعرِض ومن شدة إعراضه وضع يديه داخل فمه، كأنه يقول للرسول اصمت ولا تتكلم من شدة إصراره على الكفر، ودخول اليدين في الفم أمر صعب بل شبه مستحيل، وهذا ما يدل على شدة الإعراض وتمكنه منهم.

وقد يأتي التمكين في مواضع أخرى بمعنى الإحاطة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢١٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٢٨.

(٣) هي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم، ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحا لها وتعريفا لحالها.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: م١، ١٥١.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٥٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٩٧ .

(التوبة:٤٥)، قال ابن عاشور: " والظرفية مجازية مفيدة إحاطة الريب بهم، أي: تمكّنه من نفوسهم"[١].

٤- التوغل:

ويبدو أنه قريب من معنى التمكين وإن كان فيه إيحاء أقوى، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ...**﴾(المائدة:٤١)، قال ابن عاشور: " وعدّي بـــ **(فِي)** الدالّة على الظرفية للدلالة على أنّ الإسراع مجاز بمعنى التوغّل، فيكون **(فِي)** قرينة المجاز، كقولهم: أسْرع الفساد في الشيء، وأسْرع الشيب في رأس فلان، فجعل الكفر بمنزلة الظّرف، وجعل تخبّطهم فيه وشدّة ملابستهم إيّاه بمنزلة جولان الشّيء في الظرف جولاناً بنشاط وسرعة"[٢]. وكأن الكفر جيش جرار توغل في أجزاء المكان حتى سيطر عليه لضعفه، ولعدم وجود الأرضية الخصبة للقدرة على المقاومة، وبالتالي ينعدم الاستعداد لتقبل دين الله سبحانه وتعالى.

٥- السببية:

كقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(التوبة:٧٩)، قال ابن عاشور: " و**(فِي)** للظرفية المجازية بجعل سبب اللمز كالظرف للمسبَّب"[٣].

وفي مواطن أخرى يسميها تعليلية، كقوله تعالى: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ**﴾(الأنعام:٣١)، قال ابن عاشور: " و **(فِي)** تعليلية، أي: ما فوّتناه من الأعمال النافعة لأجل نفع هذه الساعة، ويجوز أن يكون **(فِي)** للتعدية بتقدير مضاف إلى الضمير، أي: في خيراتها، والمعنى: على ما فرّطنا في الساعة، يَعْنُونَ ما شاهدوه من نجاة ونعيم أهل الفلاح، ويجوز أن يعود ضمير **(فِيهَا)** على الحياة الدنيا، فيكون **(فِي)** للظرفية الحقيقية "[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢١٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٩٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٧٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٩١.

٦- التدرج:

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾(الإسراء:٩٣)، قال ابن عاشور: " وإنما عدي (تَرْقَى فِي السَّمَاء) بحرف (فِي) الظرفية؛ للإشارة إلى أن الرقي تدرج في السماوات كمن يصعد في المرقاة والسلم"[١].

قَدْ

حرف مبني على السكون غير عامل، أي: لا يؤثر فيما بعده نحويا[٢]، فهي حرف تحقيق وتوكيد وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة:١١٧)، قال ابن عاشور: " وافتتاحها بحرف التحقيق تأكيد لمضمونها المتقرر فيما مضى من الزمان حسبما دل عليه الإتيان بالمسندات كلها أفعالاً ماضية، ومن المحسنات افتتاح هذا الكلام بما يؤذن بالبشارة لرضى الله على المؤمنين الذين غزوا تبوك"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(يونس:٥٧)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الكلام بـــ (قَدْ) لتأكيده؛ لأن في المخاطبين كثيراً ممن ينكر هذه الأوصاف للقرآن"[٤].

وغالبا ما تأتي (قد) مقترنة بحرف اللام زيادة في التأكيد وقصد الاهتمام، كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، قال ابن عاشور: " وافتتاحها بحرفَيْ التأكيد وهما اللام و (قَدْ) مع كون مضمونها مما لا يتطرق إليه الإنكار؛ لقصد الاهتمام بهذه الجملة لأهمية الغرض الذي سيقت لأجله ...؛ ولأن فيما تضمنته ما ينكره المنافقون وهو كونه رسولاً من الله؛ ولأن في هذا التأكيد ما يجعل المخاطبين به منزّلين منزلة المنكرين لمجيئه من حيث إنهم لم ينفعوا أنفسهم بهذا المجيء؛ ولأن

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢١٠.

(٢) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٤٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٠١.

في هذا التأكيد تسجيلاً عليهم مراداً به الإيماء إلى اقتراب الرحيل؛ لأنه لما أعيد الإخبار بمجيئه وهو حاصل منذ أعوام طويلة، كان ذلك كناية عن اقتراب انتهائه، وهو تسجيل منه على المؤمنين، وإيداع للمنافقين ومن بقي من المشركين، على أن آيات أخرى خوطب بها أهل الكتاب ونحوهم، فأكدت بأقل من هذا التأكيد[(١)].

ومن معانيها **التنبيه والتعجيب:**

ومثله قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾(الأنعام:١٤٠)، قال ابن عاشور: " وتحقيق الفعل بـــ (**قَدْ**) للتّنبيه على أنّ خسرانهم أمر ثابت، فيفيد التّحقيق التّعجيب منهم كيف عَمُوا عمَّا هم فيه من خسرانهم"[(٢)].

كَأَيٍّ

وقد أشار ابن عاشور إلى معناها، فقال: " و (**كَأَيٍّ**) اسم يدل على كثرة العدد المبهم، يبينه تمييز مجرور بـــ (من)"[(٣)]، وأشار في موطن آخر أنها: " (**كَأَيٍّ**) بمعنى (كَم) الخبرية"[(٤)]. وهي قليلة في الاستخدام القرآني، فمن معانيها **التكثير:**

كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾(آل عمران:١٤٦)، قال ابن عاشور: " والتكثير المستفاد من (**كَأَيِّن**) واقع على تمييزها وهو لفظ (**نَّبِيٍّ**) فيحتمل أن يكون تكثيراً بمعنى مطلق العدد فلا يتجاوز جمع القلّة، ويحتمل أن يكون تكثيراً في معنى جمع الكثرة، فمنهم من علمناه ومنهم من لم نعلمه، كما قال تعالى: (**وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**)"[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٧١.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١١٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٦٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٣٣٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١١٧.

لكن

وهو حرف عطف يدل على الاستدراك، ويتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وإثباتا، فيستدرك النفي بالإثبات والإثبات بالنفي(١)، فحكم ما بعدها مغايرا لحكم ما قبلها؛ لذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض ما بعدها(٢).

وقد وضح ابن عاشور معناه وعمله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**﴾(الكهف:٣٨)، قال ابن عاشور: " وموقع الاستدراك مضادةُ ما بعد (**لَّكِنَّ**) لما قبلها، ولا سيما إذا كان الرجلان أخوين أو خليلين كما قيل، فإنه قد يتوهم أن اعتقادهما سواء"(٣).

وتستخدم دائما للاستدراك وهذا ما أوضحه ابن عاشور، لكنه خرّجها لمعان منها:

- **التصريح:**

كقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ (يوسف:٣٨)، قال ابن عاشور: " وأتى بالاستدراك بقوله: (**وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**) للتصريح بأن حال المخاطبين في إشراكهم حال من يكفر نعمة الله؛ لأن إرسال الهداة نعمة ينبغي أن ينظر الناس فيها، فيعلموا أن ما يدعونَهم إليه خير، وإنقاذ لهم من الانحطاط في الدنيا والعذاب في الآخرة؛ ولأن الإعراض عن النظر في أدلة صدق الرسل كفر بنعمة العقل والنظر"(٤).

وقد يأتي الاستدراك لرفع التوهم، ليحقق معنى التصريح بطريق غير مباشر، كقوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(النحل:٣٨)، قال ابن عاشور: "والاستدراك ناشئ عن جعله وعداً على الله حقّاً، إذ يتوهّم السامع أن مثل ذلك لا يجهله أحد، فجاء الاستدراك لرفع هذا التوهّم؛ ولأن جملة (**وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً**) تقتضي إمكان وقوعه والناس يستبعدون ذلك"(٥).

---

(١) انظر، العوامل المائة النحوية: ١٦٨.

(٢) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٣٠٤- ٣٠٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٧٣- ٢٧٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٥٤.

لَن

وهو حرف يفيد النفي– وربما مبالغة النفي– والاستقبال، وبالتالي يعطينا معنى التأكيد لأمر ما، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾ (النساء:١٢٩)، قال ابن عاشور: " وجاء بـــ (**لَن**) للمبالغة في النفي، لأنّ أمر النساء يغالب النفس؛ لأنّ الله جعل حُسن المرأة وخُلقها مؤثّراً أشدّ التأثير"(١).

ومن معانيها التي وردت:

١ – التأييد:

وهو نفس التوكيد، كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً** ﴾(الإسراء:٩٠)، قال ابن عاشور: " وحكى الله امتناعم عن الإيمان بحرف (**لَن**) لمفيد للتأييد؛ لأنهم كذلك قالوه"(٢).

وأحيانا يكون تأييد النفي لغرض التوكيد، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة:٨٠)، قال ابن عاشور: " وعبر عن نفيهم بحرف (**لَن**) الدال على تأييد النفي، تأكيداً لانتفاء العذاب عنهم بعد تأكيد"(٣).

٢ – التعريض:

كقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(هود:٣١)، قال ابن عاشور: " وجيء في النفي بحرف (**لَن**) الدّالة على تأكيد نفي الفعل في المستقبل تعريضاً بقومه؛ لأنّهم جعلوا ضعف أتباع نوح –عليه السّلام– وفقرهم دليلاً على انتفاء الخير عنهم، فاقتضى دوام ذلك ما داموا ضعفاء فقراء، فلسان حالهم يقول: لن ينالوا خيراً، فكان رده عليهم بأنه لا يقول: (**لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً**) "(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢١٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٠٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٧٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٥٨.

لَوْ

" وهو حرف تقدير، وقاعدتها أنها إذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين، وإن دخلت على نفيين كانا ثبوتيين، وإن دخلت على نفي وثبوت كان النفي ثبوتاً والثبوت نفياً"(١).

وقد شرح ابن عاشور معناها وعملها وآلية حضورها في الآيات، فقال: " وشأن (لَوْ) أن يليها الفعل ماضياً في الأكثر، أو مضارعاً في اعتبارات، فهي مختصة بالدخول على الأفعال، فإذا أوقعوا الاسم بعدها في الكلام، وأخروا الفعل عنه فإنما يفعلون ذلك لقصدٍ بليغ: إما لقصد التقوي والتأكيد؛ للإشعار بأن ذكر الفعل بعد الأداة، ثم ذكر فاعله، ثم ذكر الفعل مرةً ثانية تأكيداً وتقويةً، ... وإما للانتقال من التقوي إلى الاختصاص، بناءً على أنه ما قدم الفاعل من مكانه إلا لمقصد طريقٍ غير مطروق، وهذا الاعتبار هو الذي يتعين التخريج عليه... من الكلام البليغ"(٢).

وقد وضح وظيفتها في موطن آخر، فقال: " و(لَوْ) اتصالية، وهي تفيد أن مضمون ما بعدها هو أبعد الأحوال عن تحقق مضمون ما قبلها في ذلك الحال"(٣).

و في موطن آخر، قال: "معنى الامتناع الذي هو معنى (لَوْ) الأصلي"(٤).

وقال: " و(لَوْ) وصلية، وهي تقتضي أن الحالة التي بعدها غاية فيما يظن فيه تخلف حكم ما قبلها"(٥).

وقال أيضا: " و(لَوْ) وصلية، وهي الدالة على حالة هي أجدر الأحوال بأن لا يتحقق معها مفاد الكلام السابق، فينبه السامع على أنها متحقق معها مفاد الكلام السابق"(٦).

ومن المعاني التي خرجت لها:

١ – المبالغة:

كقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾(التوبة:٣٢)، قال ابن عاشور: " و (لَوْ) في (**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) اتّصالية، وهي تفيد المبالغة بأنّ ما بعدها أجدر بانتفاء ما قبلها لو كان منتفياً، والمبالغة بكراهية الكافرين ترجع

(١) النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩٤٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٢٣–٢٢٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٣٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٢٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٥٧– ٢٥٨.

(٦) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٥٤.

إلى المبالغة بآثار تلك الكراهية، وهي التألّب والتظاهر على مقاومة الدين وإبطاله، وأمّا مجرد كراهيتهم فلا قيمة لها عند الله تعالى حتّى يبالَغ بها"[1].

٢- التمني:

كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾(البقرة:١٦٧)، قال ابن عاشور: " و(**لَوْ**) في قوله: (**لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً**) مستعملة في التمني، وهو استعمال كثير لحرف (**لَوْ**) وأصلها الشرطية حُذف شرطها وجوابُها واستعيرت للتمني بعلاقة اللزوم؛ لأن الشيء العسير المَنال يكثر تمنيه، وسَدَّ المصدر مسد الشرط والجواب، وتقدير الكلام: لو ثبتت لنا كرة لتبرأنا منهم، وانتصب ما كان جواباً على أنه جواب التمني، وشاع هذا الاستعمال حتى صار من معاني (**لَوْ**) وهو استعمال شائع، وأصله مجاز مرسل مركب، وهو في الآية مرشح بنصب الجواب"[2].

" فاستعمل (**لَوْ**) للتمني بدلا من (ليت) لإظهار المتمني في صورة الممتنع، علما بأن (**لَوْ**) في أصل استعمالها حرف امتناع لامتناع، فامتنعت البراءة لامتناع الكرة "[3].

لَوْلاَ

حرف مبني على السكون غير عامل، يدل على امتناع شيء لوجود غيره[4]، ويدخل على جملتين اسمية وفعلية؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى[5].

وتأتي (**لَوْلاَ**) للتحضيض، وقد وضح استخدامها ومعناها في قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾(يونس:٩٨)، قال ابن عاشور: " و(**لَوْلاَ**) حرف يرد لمعان منها التوبيخ، وهو هنا مستعمل في لازم التوبيخ كناية عن التغليط؛ لأن أهل القرى قد انقضوا، وذلك أن أصل معنى (**لَوْلاَ**) التحضيض، وهو طلب الفعل بحَثّ، فإذا دخلت على فعل قد فات وقوعه كانت مستعملة في التغليط والتنديم والتوبيخ على تفويته، ويكون ما بعدها في هذا الاستعمال فعل

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٧٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٩٨.

(٣) من بلاغة القرآن الكريم، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، الدار العربية للنشر، ط٢، ١٩٩٨م، ص٦٨.

(٤) انظر، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم: ٩٦٢.

(٥) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٢٨٧.

مضي، وإذا توجه الكلام الذي فيه (**لَوْلاَ**) إلى غير صاحب الفعل الذي دخلت عليه، كانت مستعملة في التعجيب من حال المتحدث"[١].

وقد أوضح في موطن آخر أنها بمعنى (هلا)، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(الأنعام:٣٧)، قال ابن عاشور: " و(**لَوْلاَ**) حرف تحضيض بمعنى (هلاّ) والتحضيض هنا لقطع الخصم وتعجيزه"[٢].

ومن المعاني التي أوردها ابن عاشور:

١- التوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿ **لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾(المائدة:٦٣)، قال ابن عاشور: " و(**لَوْلاَ**) تحْضيض أريد منه التّوبيخ"[٣].

وقد اعتبر ابن هشام أن (لولا) إذا أتت لمعنى التوبيخ، فإنها تختص بالماضي[٤]، وهذا مخالف لرأي ابن عاشور، فالفعل مضارع وقد خرج للتوبيخ، ويبدو أن ابن عاشور اعتبره ماضٍ في المعنى حاضر حقيقة في كل زمن، فالاعتقاد الفاسد موجود حتى يوم الساعة.

٢- التعجيز:

كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ**﴾(الأنعام:٨)، قال ابن عاشور: " و(**لَوْلاَ**) للتحضيض بمعنى (هلاّ)، والتحضيض مستعمل في التعجيز على حسب اعتقادهم"[٥].

وقد تأتي أحيانا للتعجيز مع الاعتذار، كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(البقرة:١١٨)، قال ابن عاشور: " و(**لَوْلاَ**) هنا حرف تحضيض قصد منه التعجيز والاعتذار عن عدم الإصغاء للرسول، استكباراً بأن عدوا أنفسهم أحرياء بالرسالة وسماع كلام

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٨٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٠٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٤٨.

(٤) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٢٨٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٤٣.

الله تعالى، وهذا مبالغة في الجهالة لا يقولها أهل الكتاب الذين أثبتوا الرسالة والحاجة إلى الرسل"(١).

٤- التبكيت والتغليط:

والتبكيت هو من (بكت) بكته بالحجة، وبكته غلبه، يقال: بكته حتى أسكته(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿ **هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾(الكهف:١٥)، قال ابن عاشور: " و**(لَّوْلَا)** حرف تحضيض، حقيقتهُ: الحثّ على تحصيل مدخولها، ولما كان الإتيان بسلطان على ثبوت الإلهية للأصنام التي اتخذوها آلهة، متعذراً بقرينة أنهم أنكروه عليهم، انصرف التحضيض إلى التبكيت والتغليط، أي: اتخذوا آلهة من دون الله لا برهان على إلهيتهم"(٣).

مع

وهي للمصاحبة، ومن معانيها التي وردت:

١- العناية:

كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**﴾(المائدة:١٢)، قال ابن عاشور: " والمعيّة في قوله: **(إِنِّي مَعَكُمْ)** معيّة مجازية، تمثيل للعناية والحفظ والنصر... والظاهر أنّ هذا القول وقع وعداً بالجزاء على الوفاء بالميثاق"(٤).

وفي مواطن أخرى أطلق على المعية بالرعاية، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾(محمد:٣٥)، قال ابن عاشور: " والمعية

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٨٩.

(٢) انظر، أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرف، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٧٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٤١.

معية الرعاية والكلاءة، أي: والله حافظكم وراعيكم فلا يجعل الكافرين عليكم سبيلاً، والمعنى: وأنتم الغالبون بعناية الله ونصره"(١).

وتأتي المعية للمتابعة لتعطي نفس المعاني السابقة، وجميعها يقصد بها الاهتمام، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾(الأنبياء:٢٤)، قال ابن عاشور: " والمعية في قوله تعالى: **(مَن مَّعِيَ)** معيَّة المتابعة، أي: مَن معي من المسلمين، فما صْدق **(مَن)** الموصولة الأمم، أي: هذا ذكر الأمة التي هي معي، أي: الذكر المنزل لأجلكم"(٢).

٢- المنزلة:

ومثله قول الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**﴾(النساء:٦٩)، قال ابن عاشور: " والمعيّة معيّة المنزلة في الجنة، وإن كانت الدرجات متفاوتة... ودلّت **(مَعَ)** على أنّ مكانة مدخولها أرسخ وأعرف"(٣).

٣- المقارنة:

كقوله تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(البقرة:٢١٣)، قال ابن عاشور: " والمعية معية اعتبارية مجازية أريد بها مقارنة الزمان؛ لأن حقيقة المعية هي المقارنة في المكان وهي المصاحبة، ولعل اختيار المعية هنا لما تؤذن به من التأييد والنصر"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١٣٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٤٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١١٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٠٧.

٤- الموافقة والمشاركة:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(الملك:٢٨)، قال ابن عاشور: " والمعية في قوله: **(وَمَن مَّعِيَ)** معية مجازية، وهي الموافقة والمشاركة في الاعتقاد والدين"[١].

ما

والأصل فيها الظرفية المصدرية، وتكون موصولة واستفهامية ونافية، والسياق هو الذي يحدد هذه الأحوال لـــ (ما)، منها:

- **موصولة:** كقوله تعالى: ﴿ **اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾(الرعد:٨)، قال ابن عاشور: "و**(مَا)** موصولة، وعمومها يقتضي علم الله بحال الحل الموجود من ذكورة وأنوثة، وتمام ونقص، وحسن وقبح، وطول وقصر، ولون"[٢].

- **استفهامية:** في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**﴾(الأنعام:١١٩)، قال ابن عاشور: " و**(مَا)** للاستفهام، وهو مستعمل في معنى النّفي، أي: لا يَثبت لكم عدم الأكل ممّا ذُكر اسم الله عليه، أي كلوا ممّا ذكر اسم الله عليه"[٣].

- **نافية:** وقد يكون مبالغة في النفي، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾(الأعراف:١٠١)، قال ابن عاشور: " وصيغة **(مَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ)** تفيد مبالغة النفي بلام الجحود الدالة على أن حصول الإيمان كان منافياً لحالهم من التصلب في الكفر"[٤].

ومن المعاني التي أفادتها **(مَا)**:

١- العموم:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا**

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٥٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٩٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٣٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣١.

فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٣٨)، قال ابن عاشور: " و(**مَا**) في قوله: (**كُلَّمَا**) ظرفية مصدريّة، أي: كلّ وقت دخول أمّة لعنت أختها، والتّقدير: لعنت كلّ أمّة منهم أختها في كلّ أوقات دخول الأمّة منهم، فتفيد عموم الأزمنة"[١].

٢- التنبيه:

في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾**(الأعراف:١٣٧)، قال ابن عاشور: " و(**مَا**) مصدرية، أي: بصبرهم على الأذى في ذات الإله، وفي ذلك تنبيه على فائدة الصبر، وأن الصابر صائر إلى النصر وتحقيق الأمل"[٢].

٣- التشبيه:

وكأن (ما) حلت محل أداة التشبيه (الكاف) التي هي أكثر شهرة واستعمالا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾**(الأنعام:٩)، قال ابن عاشور: " **و(مَّا)** في قوله: (**مَّا يَلْبِسُونَ**) مصدرية مجرّدة عن الظرفية، والمعنى على التشبيه، أي: وللبسنا عليهم لبَسهم الذي وقع لهم حين قالوا: (**وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**)(الأنعام:٨)، أي: مثل لبَسهم السابق الذي عرض لهم في صدق محمد عليه الصلاة والسلام"[٣].

مِّن الابتدائية

وتعتبر (من) الابتدائية لابتداء الغاية[٤]، وهو الغالب عليها، حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه، وتقع لهذا المعنى في غير الزمن[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٢٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٧٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٤٦.

(٤) انظر، العوامل المائة النحوية: ١٠٠.

(٥) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٣٣١.

وقد وضح ابن عاشور أن الابتداء من أوسع معاني (من)، في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (الأنعام:١٤٢)، قال ابن عاشور:" و **(مِنَ)** في قوله: **(وَمِنَ الأَنْعَامِ)** ابتدائيّة؛ لأنّ الابتداء معنى يصلح للحمولة وللفرش؛ لأنَّه أوسع معاني **(مِنَ)**"(١).

فمن مواضع **(مِن)** الابتدائية، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(المائدة:٣٣)، قال ابن عاشور: " و**(مِن)** في قوله: **(مِّنْ خِلافٍ)** ابتدائية في موضع الحال من **(أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم)** فهي قيد للقطع، أي: أنّ القطع يبتدئ في حال التخالف، وقد علم أنّ المقطوع هو العضو المُخالف، فتعيّن أنّه مخالِف لمقطوع آخر، وإلاّ لم تتصوّر المخالفة، فإذا لم يكن عضو مقطوعٌ سابقٌ فقد تعذّر التخالف، فيكون القطع للعضو الأوّل آنفاً ثُمّ تجري المخالفَةُ فيما بعدُ... فهذا التّركيب من بديع الإيجاز"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:٩٩)، قال ابن عاشور: " و **(مِنَ)** في قوله: **(مِنَ السَّمَاءِ)** ابتدائية؛ لأنّ ماء المطر يتكوّن في طبقات الجوّ العُليا الزمهريرية عند تصاعد البخار الأرضي إليها، فيصير البخار كثيفاً وهو السّحاب ثمّ يستحيل ماء"(٣).

وتخرج (من) لمعان منها:

١- السببية:

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس:١٠٤)، قال ابن عاشور: "و**(مِّن)** في قوله: **(مِّن دِينِي)** للابتداء المجازي، أي شكك آتٍ من

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٨٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٩٨.

ديني، وهو ابتداء يؤول إلى معنى السببية، أي: إن كنتم شاكين شكاً سببه ديني، أي: يتعلق بحقيته؛ لأن الشك يُحمل في كل مقام على ما يناسبه"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾(آل عمران:٤٥)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**مِّنْهُ**) مِن للابتداء المجازي أي: بدون واسطة أسباب النسل المعتادة، وقد دل على ذلك قوله: (**وَإِذَا قَضَى أَمْراً**)(البقرة:١١٧)"(٢). والمقصود أن صلاحك كان سببا في اصطفاء الله لك، وأن يرزقك من عنده بمعجزة إنجابك لنبي من أنبيائه.

وكقوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾(النساء:٢٣)، قال ابن عاشور: " و (**مِّنَ**) فيه للتعليل والسببية، فلا تعتبر أخوَّة الرضاعة إلاّ برضاعة البنت من المرأة التي أرضعت الولد"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾(يوسف:٨٤)، قال ابن عاشور: " و(**مِنَ**) في قوله: (**مِنَ الْحُزْنِ**) سببية، والحزن سبب البكاء الكثير الذي هو سبب ابيضاض العينين"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾(الرعد:١٣)، قال ابن عاشور: " و (**مِنْ**) للتعليل، أي: ينزهون الله لأجل الخوف منه، أي: الخوف مما لا يرضى به وهو التقصير في تنزيهه"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣٠٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٤٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٩٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٤٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٠٤.

٢- التقريب:

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ**﴾(المائدة:١٠٦)، قال ابن عاشور: " والإتيان بـــ **(مِن)** الابتدائية لتقريب البَعديّة، أي: قرب انتهاء الصلاة"(١).

٣- التوكيد:

كقوله تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـــهَكَ وَإِلَـــهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـــهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(البقرة:١٣٣)، قال ابن عاشور: " اقترن ظرف **(بَعْدِي)** بحرف **(مِن)** لقصد التوكيد فإن **(مِن)** هذه في الأصل ابتدائية فقولك: جئت من بعد الزوال، يفيد أنك جئت في أول الأزمنة بعد الزوال، ثم عوملت معاملة حرف تأكيد"(٢).

كما أنها تأتي لتوكيد النفي الذي يوحي بالاستغراق، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ**﴾(البقرة:١٣٣)، قال ابن عاشور: " و **(مِنْ)** الدّاخلة على **(أَحَدٍ)** لتوكيد النّفي للدّلالة على معنى الاستغراق في النّفي"(٣).

وقد تأتي زائدة للتوكيد، وعلامة الزيادة أن يبقى أصل المعنى على حاله بحذفها، ولابد لكونها زائدة من تقدم نفي بـــ (ما) و(هل) أو نهي(٤)، منه قوله تعالى: ﴿ **وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً**﴾(الإسراء:٥٨)، قال ابن عاشور: " و**(مَّن)** مزيدة بعد **(إِن)** النافية، لتأكيد استغراق مدخولها باعتبار الصفة المقدرة، أي: جميع القرى الكافرة، كيلا يحسب أهلُ مكة عدم شمولهم"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٨٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٣٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٣١.

(٤) انظر، العوامل المائة النحوية: ١٠٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٤٢.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾(الأعراف:٥٣)، قال ابن عاشور: " و(**مِّن**) زائدة للتّوكيد على جميع التّقادير، فتفيد توكيد العموم في المستفهم عنه؛ ليفيد أنّهم لا يسألون عمن توهموهم شفعاء من أصنامهم إذ قد يئسوا منهم"[1].

وقد تكون الزيادة تأكيد النفي للاستغراق، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَـذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(يونس:٦٨)، قال ابن عاشور: " و(**مِّن**) مزيدة لتأكيد النفي بالاستغراق، أي: استغراق نفي جميع أنواع الحجة قويِّها وتضعيفها، عقليِّها وشرعيِّها"[2].

٤- التبعيض:

وهو ما يصلح أن يكون مكانها لفظ بعض، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾(التوبة:٦٧)، قال ابن عاشور: " و(**مِّن**) في قوله: (**بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ**) اتّصالية دالّة على معنى اتّصال شيء بشيء، وهو تبعيض مجازي معناه الوصلة والولاية"[3].

وكقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾(النساء:١)، قال ابن عاشور: "و (**مِّن**) تبعيضية، ومعنى التبعيض: أنّ حوّاء خلقت من جزء من آدم وقيل: من بقية الطينة التي خلق منها آدم، وقيل: فصلت قطعة من ضلعه"[4].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٥٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣١.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٥٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢١٥.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(الأعراف:١٤٩)، قال ابن عاشور: " ومجيء خبر كان مقترناً بحرف **(مِنَ)** التبعيضية؛ لأن ذلك أقوى في إثبات الخسارة من لنكونن خاسرين"[١].

٥- البيان:

أي بيان المقصود من الشيء المبهم، كقوله تعالى: ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾(النساء:٢٤)، قال ابن عاشور: " و**(مِنَ)** بيانية، أي: فأي امرأة استمتعتم بها فآتوها"[٢].

وللبيان درجات، فمنها القليل على حد قول ابن عاشور في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾(هود:١١٦)، قال ابن عاشور: " و**(مِّنْ)** في قوله: **(مِّمَّنْ أَنجَيْنَا)** بيانيّة، بيان للقليل؛ لأنّ الذين أنجاهم الله من القرون هم القليل الذين ينهون عن الفساد، وهم أتباع الرسل"[٣].

وقد وردت في مواطن أن (من) للتنصيص على التعميم وكأنها نفس المعنى، واعتبرها ابن هشام (من) الزائدة[٤]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾(يونس:٦١)، قال ابن عاشور: " و**(مِنْ عَمَلٍ)** مفعول **(تَعْمَلُونَ)** فهو مصدر بمعنى المفعول وأدخلت عليه **(مِنْ)** للتنصيص على التعميم، ليشمل العمل الجليل والحقير، والخير والشر"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٨٥.

(٤) انظر، مغني اللبيب: ج١، ٣٣٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢١٣.

وقد يخرج التنصيص من تأكيد النفي، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ**﴾(الرعد:٢٧)، قال ابن عاشور: " و(**مِنَ**) الداخلة على اسم الجلالة تتعلق بـــ (**وَلِيٍّ**) و(**وَاقٍ**) و(**مِنَ**) الداخلة على (**وَلِيٍّ**) لتأكيد النفي تنصيصاً على العموم"(١).

٦- بمعنى في:

كقوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾(النحل:٦٨)، قال ابن عاشور: " و(**مِنَ**) الداخلة على (**الْجِبَالِ**) وما عطف عليها بمعنى (**في**)، وأصلها (**من**) الابتدائية، فالتعبير بها دون (في) الظرفية؛ لأن النحل تبني لنفسها بيوتاً ولا تجعل بيوتَها جُحور الجِبال، ولا أغصان الشجر، ولا أعواد العريش"(٢).

مَنْ الاستفهامية

ومن معانيها:

١- الإنكار:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً**﴾(النساء:١٠٩)، قال ابن عاشور: " و(**مَن**) استفهام مستعمل في الإنكار"(٣).

وقد يأتي الإنكار لغرض التهويل، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ**

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٦١.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٠٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٩٥.

كَافِرِينَ﴾(الأعراف:٣٧)، قال ابن عاشور: " و**(مَنْ)** استفهام إنكاري مستعمل في تهويل ظلم هذا الفريق، المعبّر عنه بـــ **(مَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً)**"[١].

وفي مواطن أخرى تأتي **(مَنْ)** للإنكار والتعجيب، ومثله قوله تعالى: **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾**(الأحقاف:٥)، قال ابن عاشور: " و**(مَنْ)** استفهامية، والاستفهام إنكار وتعجيب، والمعنى: لا أحد أشدّ ضلالاً وأعجب حالاً ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له دعاءه، فهو أقصى حد من الضلالة"[٢].

٢- التحقير:

كقوله تعالى: **﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾**(الملك:٢٠)، قال ابن عاشور: " **(مَنْ)** استفهامية مستعملة في التحقير"[٣].

٣- التعجّب والتحسّر:

وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾**(يس:٥٢)، قال ابن عاشور: " و**(مِّنْ)** استفهام عن فاعل البعث مستعمل في التعجّب والتحسّر من حصول البعث، ولما كان البعث عندهم محالاً كنّوا عن التعجب من حصوله بالتعجب من فاعله؛ لأن الأفعال الغريبة تتوجه العقول إلى معرفة فاعلها؛ لأنهم لما بُعثوا وأزْجي بهم إلى العذاب علموا أنه بعثٌ فعَله من أراد تعذيبهم"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١١٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١١.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٣٧.

٤- التنبيه:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(سبأ:٢٤)، قال ابن عاشور: "و **(مَنْ)** استفهام للتنبيه على الخطأ، ولذلك أعقب بالجواب من طرف السائل بقوله: **(قُلِ اللَّهُ)** لتحقق أنهم لا ينكرون ذلك الجواب"[١].

٥- النفي:

مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(فصلت:٣٣)، قال ابن عاشور: "و**(مَنْ)** استفهام مستعمل في النفي، أي: لا أحد أحسن قولاً من هذا الفريق"[٢].

مَنْ الشرطية

وجاءت لمعان منها:

١- البشارة المؤذنة بالإنذار:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(البقرة:٣٨)، قال ابن عاشور: " وأتى بالجملة المعطوفة غير شرطية مع ما في ما في الشرطية من قوة الربط والتنصيص على ترتب الجزاء على الشرط، وعدم الانفكاك عنه؛ لأن معنى الترتب والتسبب وعدم الانفكاك قد حصل بطرق أخرى، فحصل معنى الشرط من مفهوم قوله: **(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)** فإنه بشارة يؤذن مفهومها بنذارة من لم يتبعه، فهو خائف حزين، فيترقب السامع ما يبين هذا الخوف والحزن، فيحصل ذلك بقوله: **(وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ)** "[٣].

وقد يأتي الإنذار من معنى التحذير، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(النحل:١٠٦)، قال ابن عاشور: " وإن كان ذلك لم يقع فالآية مجرّد تحذير

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ١٩٢.
(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٨٨.
(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤٤٤.

للمسلمين من العود إلى الكفر، ولذلك تكون (مَنْ) شرطية، والشرط غير مراد به معيّن بل هو تحذير، أي: مَن يَكْفروا بالله؛ لأن الماضي في الشرط ينقلب إلى معنى المضارع"[١].

٢- العموم:

وقد وضح معناها من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾(النساء:٩٣)، قال ابن عاشور: " أنّ (مَنْ) شرطية وهي من صيغ العموم فلا تحمل على شخص معيّن؛ إلاّ عند من يرى أنّ سبب العامّ يخصّصه بسببه لا غيرُ ، وهذا لا ينبغي الالتفات إليه وهذه كلّها ملاجئ لا حاجة إليها؛ لأنّ آيات التوبة ناهضة مجمع عليها متظاهرة ظواهرها، حتّى بلغت حدّ النصّ المقطوع به، فيحمل عليها آيات وعيد الذنوب كلّها حتّى الكفر، على أنّ تأكيد الوعيد في الآية إنّما يرفع احتمال المجاز في كونه وعيداً لا في تعيين المتوعّد به وهو الخلود، إذ المؤكّدات هنا مختلفة المعاني فلا يصحّ أن يعتبر أحدها مؤكّداً لمدلول الآخر، بل إنّما أكَّدت الغرض وهو الوعيد لا أنواعه، وهذا هو الجواب القاطع لهاته الحيرة، وهو الذي يتعيّن اللجأ إليه، والتعويل عليه"[٢].

وفي مواطن يأتي العموم مع الإيجاز ليزيده قوة وبلاغة، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾(الأنبياء:٢٩)، قال ابن عاشور: " وعدل عن (إنْ) الشرطية إلى (مَنْ) الشرطيّة للدلالة على العموم مع الإيجاز، وأدخل اسم الإشارة في جواب الشرط لتحقيق التعليق بنسبته الشرط لأداته؛ للدلالة على جدارة مضمون الجزاء بمن ثبت له مضمون الشرط، وفي هذا إبطال لدعوى عامة النصارى إلهية عيسى عليه السلام وأنهم يقولون عليه ما لم يقله"[٣].

وقد قارن ابن عاشور بينها وبين الموصولية، فقال: " (ومَنْ) شرطية وهي أدلّ على التعميم من الموصول"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٩٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٦٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٥٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٥٩.

مَنْ الموصولة

وجاءت لمعان منها:

١- بيان العموم:

كقوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(النحل:٩٧)، قال ابن عاشور: " **(ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى)** تبيين للعموم الذي دلّت عليه **(مَنْ)** الموصولة، وفي هذا البيان دلالة على أن أحكام الإسلام يستوي فيها الذكور والنساء، عدا ما خصّصه الدين بأحد الصّنفين، وأكّد هذا الوعدُ كما أكّد المبيّن به"[١].

وقد يكون العموم عرفيا، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾(الرعد:١٥)، قال ابن عاشور: " والعموم المستفاد من **(مَن)** الموصولة عموم عرفي يراد به الكثرة الكاثرة"[٢].

٢- التغليب:

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾(يونس:٦٦)، قال ابن عاشور: " و**(مَنْ)** الموصولة شأنها أن تطلق على العقلاء، وجيء بها هنا مع أن المقصد الأوّل إثبات أنّ آلهتهم ملك لله تعالى، وهي جمادات غير عاقلة تغليباً، ولاعتقادهم تلك الآلهة عقلاء، وهذا من مجاراة الخصم في المناظرة؛ لإلزامه بنهوض الحجَّة عليه حتَّى على لازم اعتقاده"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ**﴾(المعارج:١٤)، قال ابن عاشور: " و**(مَنْ)** الموصولة؛ لتغليب العاقل على غيره؛ لأن منهم الأخلاء"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٧٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١١٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٢٥.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٦٢.

٣- التعليل:

كقوله تعالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(الملك:١٤)، قال ابن عاشور: " فالإتيان بـــ **(مَنْ)** الموصولة لإفادة التعليل بالصلة"[١].

٥- الإدماج:

والإدماج إدخال الشيء في الشيء[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾(المدثر:١١)، قال ابن عاشور: " وجيء بالموصول وصلته؛ لإدماج تسجيل كفران الوليد النعمة في الوعيد والتهديد"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ٢٩، ٣٠.

(٢) اللسان (دمج).

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٠٣.

ثالثا: الخبر والإنشاء

قسم البلاغيون الكلام إلى قسمين، وذلك حسب وجوده الخارجي قبل النطق به، فإذا كان له وجود خارجي قبل النطق به فهو الخبر، وإذا لم يكن له وجود خارجي قبل النطق به فهو الإنشاء، وهذا ما سيتضح فيما يأتي:

أولا: الخبر

الخبر لغة:

الخبر من خبرت بالأمر أَي: علمته، وخَبَرْتُ الأَمرَ أَخْبُرُهُ إِذا عرفته على حقيقته، والخبر بالتحريك واحد الأَخبْار، والخَبَرُ ما أَتاك من نَبإٍ عمن تَستَخْبِرُ، والخَبَرُ النَّبَأُ والجمع أَخْبَارٌ، وأَخابِير جمع الجمع، وخَبَّرَه بكذا وأَخْبَرَه نَبَّأَهُ [١].

الخبر اصطلاحا:

" هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته"[٢]. و اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فقيل " والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع، والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع، فلو قال قائل: حضر الزائر الذي ننتظر، فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب، فإذا خرجنا من البيت وتأكدنا من حضور الزائر فالخبر صادق، وإن لم نر الزائر فالخبر كاذب"[٣]. وقال الخطيب القزويني: " هذا هو المشهور وعليه التعويل"[٤].

والأصل في الخبر أن يدل على أحد أمرين (أغراض الخبر)[٥]:

١- إفادة السامع حكما جديدا لم يكن يعلمه من قبل، ويسمى هذا **بفائدة الخبر**.

٢- إفادة السامع أن المتكلم عارف بالخبر، ويسمى هذا **بلازم الفائدة**.

وقد أشار ابن عاشور للغرض من الخبر في أكثر من موضع، وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾**(الكهف:٨٨)، " وإن كان المراد من (**الْحُسْنَى**) ثواب الآخرة فذلك من أمر الله تعالى، وإنما ذو القرنين مخبر به

(١) اللسان: (خبر).

(٢) من بلاغة القرآن، د. علوان: ٣٢.

(٣) مدخل إلى البلاغة العربية، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٧م، ص٥٦.

(٤) الإيضاح: ١٨.

(٥) انظر، علم المعاني، د. محمود أحمد نحلة: ٤٢- ٤٣.

خبرا مستعملا في فائدة الخبر، على معنى (إنا نبشره بذلك)، أو مستعملا في لازم الفائدة تأدبا مع الله تعالى، أي: أني أعلم جزاءه عندك الحسنى"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٢٣)، قال ابن عاشور: " خبر مراد به لازم الفائدة، أي: قد علمت مرادكم؛ لأن المخاطب لا يخبر بشيء صدر منه"(٢).

وعادة ما يقترن الخبر بطبيعة الحالة الذهنية للمخاطب، ولذلك قسمه العلماء إلى ثلاثة أضرب، وقد طبقها ابن عاشور على آي القرآن الكريم، فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي سيلقى عليه سمي **الخبر ابتدائيا**، منه قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾(البقرة:١٤)، قال ابن عاشور: " فخلو خطابهم مع المؤمنين عما يفيد تأكيد الخبر؛ لأنهم لا يريدون أن يعرضوا أنفسهم في معرض من يتطرق ساحته الشك في صدقه؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك فقد أيقظوهم إلى الشك، وذلك من إتقان نفاقهم على أنه قد يكون المؤمنون أخلياء الذهن من الشك في المنافقين، لعدم تعينهم عندهم فيكون تجريد الخبر من المؤكدات مقتضى الظاهر"(٣).

أما إذا كان المخاطب مترددا في الحكم، فيؤكد الخبر بمؤكد واحد ويسمى هذا **الخبر بالطلبي**، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(الأعراف:٥٤)، قال ابن عاشور: " وأكد هذا الخبر بحرف التوكيد، وإن كان المشركون يثبتون الربوبية لله، والمسلمون لا يمترون في ذلك؛ لتنزيل المشركين من المخاطبين منزلة من يتردد في كون الله ربا لهم؛ لكثرة إعراضهم عنه في عباداتهم وتوجهاتهم"(٤).

وإذا كان المخاطب منكرا للحكم، فيحتاج الخبر إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد ويسمى هذا **الخبر بالإنكاري**، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾(النازعات:١٠)، قال ابن عاشور: " وتأكيد الخبر بـــ (إن) ولام الابتداء لتنزيل السامعين الذين سيقت لهم القصة منزلة من ينكر ما فيها من المواعظ، لعدم جريهم على الاعتبار والاتعاظ بما فيها من المواعظ"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٥٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٩١.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٦١.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٨٣.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾(الأعراف:١٠)، قال ابن عاشور: " وتأكيد الخبر بلام القسم و(قد) المفيد للتحقيق، تنزيل للذين هم المقصود من الخطاب منزلة من ينكر مضمون الخبر؛ لأنهم لما عبدوا غير الله كان حالهم كحال من ينكر أن الله هو الذي مكنهم من الأرض، أو كحال من ينكر وقوع التمكين من أصله"(١).

الأغراض البلاغية للخبر:

يخرج الخبر عن الغرضين الأساسيين – فائدة الخبر ولازم الفائدة- إلى أغراض بلاغية متعددة عند ابن عاشور، منها:

١- الإلهاب:

كقوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾(الحجرات٧)، قال ابن عاشور: " فالخبر في قوله: **(حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ)** إلى قوله: **(وَالْعِصْيَانَ)** مستعمل في الإلهاب وتحريك الهمم؛ لمراعاة محبة الإيمان وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، أي: إن كنتم أحببتم الإيمان وكرهتم الكفر والفسوق والعصيان، فلا ترغبوا في حصول ما ترغبونه إذا كان الدين يصد عنه وكان الفسوق والعصيان يدعو إليه، وفي هذا إشارة إلى أن الاندفاع إلى تحصيل المرغوب من الهوى دون تمييز بين ما يرضي الله وما لا يرضيه، أثر من آثار الجاهلية من آثار الكفر والفسوق والعصيان "(٢).

٢- التغليط:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً**﴾(الكهف:٤٨)، قال ابن عاشور: " الخبر مستعمل في التغليط مجازا وليس مستعملا في إفادة مدلوله الأصلي"(٣)، وقوله: " والإضراب في قوله: **(بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً)** انتقال من التهديد وما معه من التعريض بالتغليط إلى التصريح بالتغليط في قالب الإنكار ؛ فالخبر مستعمل في التغليط مجازا وليس مستعملا في إفادة مدلوله الأصلي"(٤).

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٣٣.
(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٢٣٧.
(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٣٧.
(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٣٧.

٣- الشماتة والتوقيف:

كقوله تعالى: ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾(الأعراف:٤٨)، قال ابن عاشور: " والخبر مستعمل في الشماتة والتوقيف على الخطأ"[١].

٤- التمهيد:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾(يونس:٨٨)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً**) توطئة للدعاء عليهم، فليس المقصود به حقيقة الإخبار ضرورة أن موسى يوقن بأن الله يعلم ذلك، فتعين أن الخبر مستعمل في التمهيد لطلب سلب النعمة عنهم في قوله: (**لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ**)، ثم الانتقال إلى الدعاء بسلب ما أوتوه، فاقتران الخبر بحرف (**إِنَّ**) في قوله: (**إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ**) الخ، مقصود به الاهتمام بهذا المعنى الذي استعمل فيه الخبر، إذ ليس المقام مقام دفع تردد أو دفع إنكار"[٢].

٥- الاعتذار والتمهيد:

كقوله تعالى: ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾(هود:٤٥)، قال ابن عاشور: " فقوله: (**إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي**) خبر مستعمل في الاعتذار والتمهيد؛ لأنه يريد أن يسأل سؤالا لا يدري قبوله ولكنه اقتحمه؛ لأن المسئول له من أهله فله عذر الشفقة عليه"[٣].

٦- التخوف والتوقع:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(يوسف:٣٣)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ**) خبر مستعمل في التخوف والتوقع، التجاء إلى الله وملازمة للأدب نحو ربه بالتبرؤ من الحول والقوة، والخشية من تقلب القلب، ومن الفتنة بالميل إلى اللذة الحرام"[٤].

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٣٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٦٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٨٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٦٦.

٧- التعظيم:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:١٢٤)، قال ابن عاشور: " وجملة (**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**) مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عما اقتضاه قوله: (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**) من تعظيم الخبر والتنويه به، لما يقتضيه ظرف (**إِذِ**) من الإشارة إلى قصة من الأخبار التاريخية العظيمة، فيترقب السامع ما يترتب على اقتصاصها"(١).

٨- التأييس:

ومثله في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾ (الأعراف:٤٠)، قال ابن عاشور: " وأكد الخبر بـــ (**إِنَّ**) لتأييسهم من دخول الجنة، لدفع توهم أن يكون المراد من الخلود المتقدم ذكره، الكناية عن طول مدة البقاء في النار"(٢).

٩- التذمر والتضجير والتأييس:

كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(هود:٣٢)، قال ابن عاشور: " وقولهم: (**فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**) خبر مستعمل في التذمر والتضجير والتأييس من الاقتناع، أجابهم بالمبادرة لبيان العذاب؛ لأن ذلك أدخل في الموعظة فبادر به، ثم عاد إلى بيان مجادلته"(٣).

١٠- الإنكار:

كقوله تعالى: ﴿ **هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾(الكهف:١٥)، قال ابن عاشور: " وجملة (**اتَّخَذُوا**) خبر عن اسم الإشارة، وهو خبر مستعمل في الإنكار عليهم دون الإخبار؛ إذ اتخاذهم آلهة من دون الله معلوم بين المتخاطبين، فليس الإخبار به بمفيد فائدة الخبر"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٤، ق٢، ١٢٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٥، ٦٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٧٤.

١١- الامتنان:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾(آل عمران:٩٧)، قال ابن عاشور: "وقوله: (**وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً**) عطف على مزايا البيت وفضائله من الأمن فيه على العموم، وامتنان بما تقرر في ماضي العصور، فهو خبر لفظا مستعمل في الامتنان، فإن الأمن فيه قد تقرر واطرد، وهذا الامتنان كما امتن الله على الناس بأنه خلق لهم أسماعا وأبصارا، فإن ذلك لا ينقض بمن ولد أكمه أو عرض له ما أزال بعض ذلك"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾(آل عمران:٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**) خبر عن اسم الجلالة، والخبر هنا مستعمل في الامتنان، أو هو تعريض ونكاية بأهل الكتاب الذين أنكروا ذلك"(٢).

١٢- التعريض:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ**﴾(الأنفال:٣٨)، قال ابن عاشور: "وهذا الخبر تعريض بالوعيد بأنهم سيلقون ما لقيه الأولون، والقرينة على إرادة التعريض بالوعيد أن ظاهر الإخبار بمضي سنة الأولين، وهو من الإخبار بشيء معلوم للمخبرين به، وبهذا الاعتبار حسن تأكيده بـــ (قد) إذ المراد تأكيد المعنى التعريضي"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾(يوسف:٨٠)، قال ابن عاشور: " و (**خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**) إن كان على التعميم فهو الذي حكمه لا جور فيه، أو الذي حكمه لا يستطيع أحد نقضه، وإن كان على إرادة وهو خير الحاكمين لي، فالخبر مستعمل في الثناء للتعريض بالسؤال أن يقدر له ما فيه رأفة في رد غربته"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٤٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٤٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٤٠.

١٣- الوعيد:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ**﴾(يونس:٤٦)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ**) خبر مستعمل في معناه الكنائي، إذ هو كناية عن الوعيد بالجزاء على جميع ما فعلوه في الدنيا، بحيث لا يغادر شيئا"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾(النحل:٢٣)، قال ابن عاشور: "وجملة (**أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ**) خبر مستعمل كناية عن الوعيد بالمؤاخذة بما يخفون وما يظهرون من الإنكار والاستكبار وغيرهما مؤاخذة عقاب وانتقام، فلذلك عقب بجملة (**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**) الواقعة موقع التعليل والتذييل لها؛ لأن الذي لا يحب فعلا وهو قادر يجازي فاعله بالسوء"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾(التوبة:١٠١)، قال ابن عاشور: "جملة (**نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**) مستأنفة، والخبر مستعمل في الوعيد"(٣).

والتوعد والوعيد سواء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾(الزخرف:١٩)، قال ابن عاشور: " ذلك الإنكار يشتمل على الوعيد، وهذا خبر مستعمل في التوعد"(٤).

والوعيد هو نفس التهديد، فكلاهما في مقام عدم الرضا، وهما من باب التخويف وزجر النفس عن ارتكاب الخطأ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ**﴾(البروج:٢٠)، قال ابن عاشور: "خبر مستعمل في الوعيد والتهديد"(٥).

وفي مواطن أفرد للتهديد مقامات أخرى، منه قوله تعالى: ﴿ **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ**﴾(البقرة:٩٥)، قال ابن عاشور: "وقوله: (**وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ**) خبر مستعمل في التهديد؛ لأن القدير إذا علم بظلم الظالم لم يتأخر عن معاقبته"(٦).

ويدمج أحيانا مصطلحات كلها تدور في مقام عدم الرضا من باب التهديد والوعيد، كالتوبيخ في قوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٨٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٢٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ١٨٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٥٢.

(٦) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦١٦.

لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة:٩٦)، قال ابن عاشور: " وهو خبر مستعمل في التهديد والتوبيخ؛ لأن القدير إذا علم بما يجترحه الذي يعصيه وأعلمه بأنه علم منه ذلك، علم أن العقاب نازل به لا محال"(١).

ويضيف أحيانا التهويل، كما في قوله تعالى: **﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾**(الحجر:٢)، قال ابن عاشور: " والكلام خبر مستعمل في التهديد والتهويل في عدم اتباعهم دين الإسلام، والمعنى: قد يود الذين كفروا لو كانوا أسلموا"(٢).

وأحيانا أخرى يضيف التغليظ والتنديم والإنكار، كما في قوله تعالى: **﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً﴾**(الكهف:٤٨)، قال ابن عاشور: " والخبر في قوله: **(لَّقَدْ جِئْتُمُونَا)** مستعمل في التهديد والتغليظ والتنديم على إنكارهم البعث"(٣).

والتحذير في طياته يحمل معنى التهديد والوعيد، كما في قوله تعالى: **﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**(النحل:٩١)، قال ابن عاشور: " وجملة **(إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)** معترضة، وهي خبر مراد منه التحذير من التساهل في التمسك بالإيمان والإسلام، لتذكيرهم أن الله يطلع على ما يفعلونه، فالتوكيد بـــ **(إِنَّ)** للاهتمام بالخبر"(٤).

وكقوله تعالى: **﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾**(آل عمران:٣٦)، قال ابن عاشور: " وقولها: **(إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى)** خبر مستعمل في إنشاء التحذير؛ لظهور كون المخاطب عليما بكل شيء، وتأكيد الخبر بـــ **(إِنَّ)** مراعاة لأصل الخبرية، تحقيقا لكون المولود أنثى؛ إذ هو بوقوعه على خلاف المترقب لها كان، بحيث تشك في كونه أنثى، وتخاطب نفسها بنفسها بطريق التأكيد فلذا أكدته"(٥). لكن الخبر هنا واضح في حمل معناه على التحسر؛ لأن المقام مقام تحسر والنفس فيه مكسورة، والتحذير يصدر من القوي إلى الضعيف، والمخاطب هو الله، فلا مجال لأن نعتبره تحذيرا.

وكقوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**(المائدة:٩٤)، قال ابن

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦١٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١١.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٣٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٦٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٣٢.

عاشور: " وقوله: (**فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) تصريح بالتحذير الذي أومأ إليه بقوله (**لَيَبْلُوَنَّكُمُ**)، إذ قد أشعر قوله: (**لَيَبْلُوَنَّكُمُ**) أن في هذا الخبر تحذيرا من عمل قد تسبق النفس إليه، والإشارة بذلك إلى التحذير المستفاد من (**لَيَبْلُوَنَّكُمُ**)، أي: بعدما قدمناه إليكم وأعذرنا لكم فيه، فلذلك جاءت بعده فاء التفريع"(١).

١٤- الأمر:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ**﴾(البقرة:٨٣)، قال ابن عاشور: "وقوله: (**لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ**) خبر في معنى الأمر، ومجيء الخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر؛ لأن الخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى إنه يخبر عنه"(٢). فقد خرج الخبر عن معناه الحقيقي ليحقق معنى الإنشاء الطلبي وهو الأمر، أي: اعبدوا الله، فالأمر بالعبادة خبر وبالتالي أيضا هو حقيقة الأمر بالعبادة التي خلق الإنسان لأجلها.

وكقوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾(البقرة:٢٧٢)، قال ابن عاشور: "وقوله: (**وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ**) جملة حالية، وهو خبر مستعمل في معنى الأمر، أي: إنما تكون منفعة الصدقات لأنفسكم إن كنتم ما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، لا للرياء ولا لمراعاة حال مسلم وكافر، وهذا المعنى صالح لكلا المعنيين المحتملين في الآية التي قبلها، ويجوز كونها معطوفة عليها إذا كان الخبر بمعنى النهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، وهذا الكلام خبر مستعمل في الطلب لقصد التحقيق والتأكيد، ولذلك خولف فيه أسلوب ما حف به من جملة (**وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ**) وجملة (**وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**) "(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(التوبة:١٢٠)، قال ابن عاشور: "وصيغة (**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ**) خبر

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤١.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٨٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٧٢.

مستعمل في إنشاء الأمر على طريق المبالغة، إذ جعل التخلف ليس مما ثبت لهم فهم برآء منه، فيثبت لهم ضده وهو الخروج مع النبي- صلى الله عليه وسلم - إذا غزا"(١).

١٥- الدعاء:

كما في قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾(يوسف:١٠١)، قال ابن عاشور: "وجملة (**أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيا وَالآخِرَةِ**) من قبيل الخبر في إنشاء الدعاء، وإن أمكن حمله على الإخبار بالنسبة لولاية الدنيا، قيل: لإثباته ذلك الشيء لولاية الآخرة، فالمعنى: كن وليي في الدنيا والآخرة"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾(هود:١٨)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**) من بقية قول الأشهاد... والخبر مستعمل في الدعاء خزيا وتحقيرا لهم"(٣).

١٦- التنبيه والاعتبار:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾(هود:٧)، قال ابن عاشور: " فإن حمل الخبر في قوله: (**وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**) على ظاهر الإخبار كانت الحال مقدرة من فاعل (**خَلَق**) أي خلق ذلك مقدرا أنكم تنكرون عظيم قدرته ، وإن حمل الخبر على أنه مستعمل في التنبيه والاعتبار بقدرة الله كانت الحال مقارنة"(٤).

١٧- الاعتراف بالعجز:

كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾(البقرة:٣٢)، قال ابن عاشور: " خبر مراد منه الاعتراف بالعجز لا الإخبار عن حالهم؛ لأنهم يوقنون أن الله يعلم ما تضمنه كلامهم، ولا أنهم قصدوا لازم الفائدة، وهي أن المخبر عالم

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٥٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٥٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٣٣- ٣٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٩.

بالخبر، فتعين أن الخبر مستعمل في الاعتراف، ثم إن كلامهم هذا يدل على أن علومهم محدودة غير قابلة للزيادة، فهي مقصورة على ما ألهمهم الله تعالى وما يأمرهم، فللملائكة علم قبول المعاني لا علم استنباطها"(١).

١٨- التفظيع:

كقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ**﴾(المائدة:٧٠)، قال ابن عاشور: " فالأحسن أن تكون جملة (**فَرِيقاً كَذَّبُواْ**) حالا من ضمير (**إِلَيْهِمْ**) لاقترانها بضمير موافق لصاحب الحال؛ ولأن المقصود من الخبر تفظيع حال بني إسرائيل في سوء معاملتهم لهداتهم، وذلك لا يحصل إلا باعتبار كون المرسل إليهم هذه حالهم مع رسلهم"(٢).

١٩- النهي:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾(النساء:٩٢)، قال ابن عاشور: " ولك أن تجعل قوله: (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ**) خبرا مرادا به النهي، استعمل المركب في لازم معناه على طريقة المجاز المرسل التمثيلي(٣)"(٤).

٢٠- الاستدلال:

وجاء هذا في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(الأنعام:٩٧)، قال ابن عاشور: " والمقصود الأول من هذا الخبر الاستدلال على وحدانية الله تعالى بالإلهية، فلذلك صيغ بصيغة القصر بطريق تعريف

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٧٣.

(٣) سماها القزويني المجاز المركب فقال: " وأما المجاز المركب فهو: اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه".
- الإيضاح: ٣١٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٥٧.

المسند والمسند إليه؛ لأن كون خلق النجوم من الله وكونها مما يهتدى بها لا ينكره المخاطبون، ولكنهم لم يجروا على ما يقتضيه من إفراده بالعبادة"(١).

٢١- التهكم:

كقوله تعالى: ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(الأنفال:١٩)، قال ابن عاشور: " وإنما كان تهكما لأن في معنى **(جَاءكُمُ الْفَتْحُ)** استعارة المجيء للحصول عندهم تشبيها بمجيء المنجد؛ لأن جعل الفتح جاءيا إياهم، يقتضي أن النصر كان في جانبهم ولمنفعتهم، والواقع يخالف ذلك، فعلم أن الخبر مستعمل في التهكم بقرينة مخالفته الواقع بمسمع المخاطبين ومرآهم "(٢).

٢٢- التوبيخ:

كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف:١٣٩)، قال ابن عاشور: " والباطل اسم لضد الحق، فالإخبار به كالإخبار بالمصدر يفيد مبالغة في بطلانه؛ لأن المقام مقام التوبيخ والمبالغة في الإنكار"(٣).

وقد يأتي التوبيخ مقترنا بالتوعد، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾(البقرة:١١٣)، قال ابن عاشور: " قوله: **(فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ)**، جاء بالفاء؛ لأن التوعد بالحكم بينهم يوم القيامة، وإظهار ما أكنته ضمائرهم من الهوى والحسد متفرع عن هذه المقالات ومسبب عنها، وهو خبر مراد به التوبيخ والوعيد"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٩٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٩٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٨٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٧٨.

٢٣- التعجيب:

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(يوسف:٩٠)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَهَـذَا أَخِي**) خبر مستعمل في التعجيب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة"[(١)].

وكقوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ**﴾(الأنعام:١)، قال ابن عاشور: " والخبر مستعمل في التعجيب على وجه الكناية بقرينة موقع (**ثُمَّ**) ودلالة المضارع على التجدد، فالتعجيب من شأن المشركين ظاهر، وأما المانوية فالتعجيب من شأنهم في أنهم لم يهتدوا إلى الخالق وعبدوا بعض مخلوقاته"[(٢)].

ومنه في التعجيب والتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**﴾(الإسراء:٦٧)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ**) خبر مستعمل في التعجيب والتوبيخ"[(٣)].

٢٤- التقرير:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**﴾(الإسراء:٦٧)، قال ابن عاشور: " فجملة: (**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**) خبر مستعمل في التقرير وإلزام الحجة، إذ لا يخبر أحد عن فعله إخبارا حقيقيا"[(٤)].

وكقوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾(الأعراف:٥٣)، قال ابن عاشور: " وقولهم: (**قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**) خبر مستعمل في الإقرار بخطئهم في تكذيب الرسل، وإنشاء للحسرة على ذلك، وإبداء الحيرة فيما يصنعون، ولذلك رتبوا عليه وفرعوا بالفاء قولهم: (**فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء**)"[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٤٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٥٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٥٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٥٥.

٢٥- التذكير:

" وفيه نوع اختصار"[١]، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾(الأنعام:١٠٧)، قال ابن عاشور: " فالخبر أيضا مستعمل في التذكير بلازمه، لا في حقيقته من إفادة المخبر به"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾(الأنعام:١٢٣)، قال ابن عاشور: " ودخلت مكة في عموم: **(كُلِّ قَرْيَةٍ)** وهي المقصود الأول؛ لأنها القرية الحاضرة التي مكر فيها فالمقصود الخصوص، والمعنى: وكذلك جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها كما جعلنا في كل قرية مثلهم، وإنما عمم الخبر لقصد تذكير المشركين في مكة بما حل بالقرى من قبلها"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾(الحجر:١٦)، قال ابن عاشور: " والخبر مستعمل في التذكير والاستدلال؛ لأن مدلول هذه الأخبار معلوم لديهم، وافتتح الكلام بلام القسم وحرف التحقيق، تنزيلا للمخاطبين الذاهلين عن الاستدلال بذلك، منزلة المتردد فأكد لهم الكلام بمؤكدين، ومرجع التأكيد إلى تحقيق الاستدلال وإلى الإلجاء إلى الإقرار بذلك"[٤].

ثانيا: الإنشاء

الإنشاء لغة:

الإنشاء من أَنْشَأَ اللّهُ الخَلْقَ، أَي: ابْتَدَأَ خَلْقَهم، والإِنْشاءِ الابْتِداءِ[٥]. وهذا المعنى بعيد عما عما ذهب إليه البلاغيون.

الإنشاء اصطلاحا:

كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[٦].

واعتمدوا على هذا المعنى حينما فصلوا بين الخبر والإنشاء، فقال الخطيب القزويني: "

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ١٨٧.
(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٢٧.
(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨ ، ٤٩.
(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٧- ٢٨.
(٥) اللسان: (نشأ).
(٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣٣٢.

ووجه الحصر أن الكلام إما خبرا أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج" [١].

وهذا الفرق الجوهري بين الخبر والإنشاء؛ إذ أن للخبر نسبة خارجية تطابق النسبة الكلامية، والإنشاء لا نسبة خارجية له.

والإنشاء قسمان:

أولا: الإنشاء غير الطلبي:

وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب [٢]، وله أساليب متعددة، منها:

١- صيغتا التعجب:

أ- **صيغة (أفعل به)**، كقوله تعالى: ﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(مريم:٣٨)، قال ابن عاشور: " **(أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)** صيغتا تعجب، وهو تعجب على لسان الرسول والمؤمنين، أو هو مستعمل في التعجيب، والمعنيان متقاربان، وهو مستعمل كناية أيضا عن تهديدهم، فتعين أن التعجيب من بلوغ حالهم في السوء مبلغا يتعجب من طاقتهم على مشاهدة مناظره وسماع مكارهه، والمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم! أي: ما أقدرهم على السمع والبصر بما يكرهونه... وجوز أن يكون**(أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)** غير مستعمل في التعجب بل صادف أن جاء على صورة فعل التعجب، وإنما هو على أصل وضعه أمر للمخاطب غير المعين بأن يسمع ويبصر بسببهم، ومعمول السمع والبصر محذوف؛ لقصد التعميم ليشمل كل ما يصح أن يسمع وأن يبصر" [٣].

ب- صيغة (ما أفعله)، كقوله تعالى: ﴿ **قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾(عبس:١٧)، قال ابن عاشور: " فقوله: **(مَا أَكْفَرَهُ)** تعجيب من كفر جنس الإنسان أو شدة كفره، وإن كان القليل منه غير كافر" [٤].

٢- القسم:

والقسم بـــ (الواو) من أكثر صيغ القسم ورودا في القرآن الكريم، منه قوله تعالى: ﴿ **والعصر**﴾(العصر:١)، قال ابن عاشور: " أقسم الله تعالى بالعصر قسما يراد به تأكيد الخبر كما هو شأن أقسام القرآن، والمقسم به من مظاهر بديع التكوين الرباني الدال على عظيم قدرته

(١) الإيضاح: ١٦.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣٣٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١٠٧.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٢١.

وسعة علمه ... فإن القسم به باعتبار أنه زمن يذكر بعظيم قدرة الله تعالى في خلق العالم وأحواله، وبأمور عظيمة مباركة مثل الصلاة المخصوصة، أو عصر معين مبارك "[١].

وقد يأتي القسم بالتاء، وقد وضح ابن عاشور سبب مجيء التاء دون الواو، فقال: " وجيء في القسم بالتاء دون الواو والباء؛ لأن التاء تختص بالقسم في شيء متعجب منه"[٢]، وقال أيضا: " والقسم بالتاء من شأنه أن يقع فيما جواب قسمه غريب"[٣]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾(يوسف:٧٣)، قال ابن عاشور: " والتاء في (**تَاللّهِ**) حرف قسم على المختار، ويختص بالدخول على اسم الله تعالى وعلى لفظ رب، ويختص أيضا بالمقسم عليه العجيب "[٤].

كما أن القسم قد يأتي على صيغة (لعمرك)، ومجيئها كثير في غير القرآن الكريم؛ لأنها عادة عند العرب في شعرهم، ومجيء الإسلام حدّ من هذه الظاهرة؛ لأن القسم بغير الله لا يجوز، ومجيئها في القرآن كان على لسان الله ومرة واحدة، فالله الحق يقسم بما شاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(الحجر:٧٢)، قال ابن عاشور: " وكلمة (**لَعَمْرُكَ**) صيغة قسم، واللام الداخلة على لفظ (**عَمْر**) لام القسم... فخص المفتوح بصيغة القسم لخفته بالفتح؛ لأن القسم كثير الدوران في الكلام، فهو قسم بحياة المخاطب به... والتقدير: لعمرك قسمي"[٥].

٣- صيغ المدح والذم:

ووردت في القرآن الكريم بصيغتي (نعم) للمدح و(بئس) للذم، من ذلك قول الله تعالى في المدح: ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾(النحل:٣٠)، قال ابن عاشور: " و (**نِعْمَ**) فعل مدح غير متصرف، ومرفوعة فاعل دال على جنس الممدوح، ويذكر بعده مرفوع آخر يسمى المخصوص بالمدح، وهو مبتدأ محذوف الخبر، أو خبر محذوف المبتدأ، فإذا تقدم ما يدل على المخصوص بالمدح لم يذكر بعد ذلك كما هنا، فإن تقدم (**وَلَدَارُ الآخِرَةِ**) دل على أن المخصوص بالمدح هو دار الآخرة، والمعنى: ولنعم دار المتقين دار الآخرة"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٥٢١.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٥٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ١١٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٦٨.

(٦) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٤٣.

أما الذم فقد جاء في مثل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(الجمعة:٥)، قال ابن عاشور: " و (**بِئْسَ**) فعل ذم، أي: ساء حال الذين كذبوا بكتاب الله فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكذيبا بآيات الله وهي القرآن، و(**مَثَلُ الْقَوْمِ**) فاعل (**بِئْسَ**) وأغنى هذا الفاعل عن ذكر المخصوص بالذم؛ لحصول العلم بأن المذموم هو حال القوم المكذبين، فلم يسلك في هذا التركيب طريق الإبهام على شرط التفسير؛ لأنه قد سبقه ما بينه بالمثل المذكور قبله في قوله: (**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**) فصار إعادة لفظ المثل ثقيلا في الكلام أكثر من ثلاث مرات، وهذا من تفننات القرآن"(١).

٤- الرجاء:

" وهو ترقب حصول شيء محبوب قريب الوقوع"(٢)، وقد عرفه ابن عاشور بنفس المعنى فقال: " وهو طلب الأمر القريب الحصول"(٣).

من ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾(الأعراف:١٢٩)، قال ابن عاشور: " وجاء بفعل الرجاء دون الجزم تأدبا مع الله تعالى، وإقصاء للاتكال على أعمالهم ليزدادوا من التقوى والتعرض إلى رضى الله تعالى ونصره"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿**قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾(النمل:٧٢)، قال ابن عاشور: "و (**عَسَى**) للرجاء، وهو مستعمل في التقريب مع التحقيق"(٥).

ويأتي الرجاء بـــ (**عَسَى**) لمعان، منها:

- **الوعد**: كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(التحريم:٨)، قال ابن عاشور: " والرجاء المستفاد من فعل (**عَسَى**) مستعمل في الوعد الصادر عن المتفضل على طريقة الاستعارة، وذلك التائب لا حق له في أن يعفى عنه ما اقترفه لأن العصيان قد حصل، وإنما التوبة عزم على عدم العودة إلى الذنب، ولكن ما لصاحبها من

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢١٤.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣٣٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٢٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٧.

الندم والخوف الذي بعث على العزم، دل على زكاء النفس فجعل الله جزاءه أن يمحو عنه ما سلف من الذنوب تفضلا من الله، فذلك معنى الرجاء المستفاد من **(عَسَى)** "[١].

وقد يأتي الرجاء بالحرف **(لَعَلّ)** ويخرج معنى الرجاء فيها لمعان أخرى، منها:

– **التوقع والإنكار:** كقوله تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**﴾(الكهف:٦)، قال ابن عاشور: " و **(لَعَلّ)** حقيقتها إنشاء الرجاء والتوقع، وتستعمل في الإنكار والتحذير على طريقة المجاز المرسل؛ لأنهما لا زمان لتوقع الأمر المكروه، وهي هنا مستعملة في تحذير الرسول عليه الصلاة والسلام من الاغتمام والحزن على عدم إيمان من لم يؤمنوا من قومه، وذلك في معنى التسلية لقلة الاكتراث بهم"[٢].

و منها التعليل كقوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾(الأنعام:٥١)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)** رجاء مسوق مساق التعليل للأمر بإنذار المؤمنين؛ لأنهم يرجى تقواهم بخلاف من لا يؤمنون بالبعث"[٣].

و منها معنى الرغبة في قوله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾(النحل:٨١)، قال ابن عاشور: " و **(لَعَلَّ)** للرجاء، استعملت في معنى الرغبة، أي: رغبة في أن تسلموا، أي: تتبعوا دين الإسلام الذي يدعوكم إلى ما مآله شكر نعم الله تعالى"[٤].

وهذا ما أشار إليه ابن عاشور من أساليب الإنشاء غير الطلبي، ويلاحظ قلة استخدام هذه الأغراض التي تخرج إليها هذه الأساليب، مما جعل البلاغيين لا يهتمون بها اهتمامهم بالإنشاء الطلبي والذي تتعدد أغراضه البلاغية، وتعطي معاني جديدة كما سيأتي لاحقا.

ثانيا: الإنشاء الطلبي:

" هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"[٥]. وهو خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني.

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٦٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٥٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٤٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٤١.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣٣٢.

أولا: الأمر

الأمر لغة:

الأَمْرُ معروف نقيض النَّهْيِ، يقال: يَأْمُرُه أَمْراً وإِماراً فأْتَمَرَ أَي قَبِلَ أَمْرَه[1].

الأمر اصطلاحا:

هو " طلب الفعل على وجه الاستعلاء الإلزام"[2]، وكل أمر للوجوب ما لم تصرفه قرينة مانعة لذلك، وهذا ما أشار إليه الخطيب القزويني، فقال: " قد يستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام"[3].

ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر:

١- الإكرام:

قال الخطيب القزويني: " إذا استعملت الفعل على سبيل التضرع" [4]، كقوله تعالى: ﴿ **أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ (الأعراف:٤٩)، قال ابن عاشور: " والأظهر أن يكون الأمر في قوله: (**ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ**) للدعاء؛ لأن المشار إليهم بهؤلاء هم أناس من أهل الجنة"[5]. فالدعاء كان لتقديرهم وتكريمهم بمنزلة عظيمة لا تساويها منزلة وهي دخول الجنة.

وكقوله تعالى: ﴿ **اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾(الفاتحة:٦)، قال ابن عاشور: " والدعاء مبني على عدم الاعتداد بالنعمة غير الخالصة، فإن نعم الله على عباده كلهم كثير، والكافر منعم عليه بما لا يمترى في ذلك، ولكنها نعم تحفها آلام الفكرة في سوء العاقبة، ويعقبها عذاب الآخرة"[6].

---

(١) اللسان: (أمر).

(٢) المطول: ٤٢٤، وانظر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، م١، ص٣٣٥.

(٣) الإيضاح: ١٤٧.

(٤) الإيضاح: ١٤٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٤٧.

(٦) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٩٤.

٢- التسوية:

" وتكون في مقام يتوهم فيه أن أحد الأمرين أرجح من الآخر"[١]، كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ**﴾(يونس:٨٠)، قال ابن عاشور: " وفعل الأمر في قوله: (**أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ**) مستعمل في التسوية المراد منها الاختيار وإظهار قلة الاكتراث بأحد الأمرين"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ**﴾(يونس:٧١)، قال ابن عاشور: " وصيغة الأمر في قوله: (**فَأَجْمِعُوا**) مستعملة في التسوية، أي: أن عزمهم لا يضيره بحيث هو يغريهم بأخذ الأهبة التامة لمقاومته"[٣].

ويبدو أن التسوية قريبة من معنى التيئيس؛ لأنه مهما عملوا فالأمران سواء، وبالتالي يترتب عليه معنى التيئيس والتحبيط، ودليل ذلك ما قاله ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(الأنعام:١٣٥)، قال: " فالأمر في قوله: (**اعْمَلُواْ**) للتسوية والتخلية؛ لإظهار اليأس من امتثالهم للنصح بحيث يغير ناصحهم نصحهم إلى الإطلاق لهم فيما يحبون أن يفعلوا ... وهذا الاستعمال استعارة إذ يشبه المغضوب عليه المأيوس من ارعوائه بالمأمور بأن يفعل ما كان ينهى عنه، فكأن ذلك المنهي صار واجبا وهذا تهكم"[٤].

٣- الإباحة:

وهي أن تستعمل في مقام الإذن، أي: له الخيار في الأمرين أن يفعل ما يشاء، وهو مقام " توهم السامع فيه عدم جواز الجمع بين أمرين، فيكون الأمر إذنا له بالفعل فله أن يفعل، وله أن يترك"[٥]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(هود:١٣)، قال ابن عاشور: " والأمر فيه للإباحة، أي: إن شئتم حين تكونون قد عجزتم عن الإتيان بعشر سور من تلقاء أنفسكم، فلكم أن تدعوا من تتوسمون فيه المقدرة على ذلك، ومن ترجون أن ينفعكم بتأييده من

(١) من بلاغة القرآن الكريم، د. علوان: ٤٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٥٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٩٠.

(٥) من بلاغة القرآن الكريم، د. علوان: ٤٤.

آلهتكم وبتيسير الناس ليعاونوكم"[١]. وقد اجتمع فنين متفاوتين من فنون الكلام في هذه الآية وهو ما نسميه بالافتنان وهو الجمع بين فنين متفاوتين من فنون الكلام في جملة واحدة[٢]، فالأمر في قوله: (**فَأْتُواْ بِعَشْرِ...**) للتعجيز، والأمر في قوله: (**وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم**) للإباحة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾(الأنعام:١٤١)، قال ابن عاشور: "والأمر للإباحة بقرينة أن الأكل من حق الإنسان الذي لا يجب عليه أن يفعله فالقرينة ظاهرة، والمقصود الرد على الذين حجروا على أنفسهم بعض الحرث"[٣].

وفي مواطن أخرى نجد أن ابن عاشور اعتبر التعجيز إباحة، مع أنه أفرد للتعجيز مواطن أخرى، والإباحة أبعد ما يكون عن التعجيز، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ**﴾(هود:٥٥)، قال ابن عاشور: "والأمر بـــ (**كِيدُونِي**) مستعمل في الإباحة، كناية عن التعجيز بالنسبة للأصنام وبالنسبة لقومه"[٤]. فالفعل (كيدوني) لا إباحة فيها، بل نجدها تهكم وتعجيز للمخاطب.

٤- الاستمرار:

وهو طلب المداومة على الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾(النحل:١٢٥)، قال ابن عاشور: "صيغة الأمر مستعملة في طلب الدوام على الدعوة الإسلامية، مع ما انضم إلى ذلك من الهداية إلى طرائق الدعوة إلى الدين"[٥].

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(المائدة:٦٧)، قال ابن عاشور: "الأمر بالتبليغ مستعمل في طلب الدوام"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٠.

(٢) انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٢٦٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١١٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٠٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٣٢٥.

(٦) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٥٨.

٥- التسخير:

أي: " التذليل"[١]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾(الإسراء:١٤)، قال ابن عاشور: " والأمر في (**اقْرَأْ**) مستعمل في التسخير، ومكنى به عن الإعذار لهم والاحتجاج عليهم"[٢]. و نجد المعنى هنا على سبيل الأمر الحقيقي، ولا مجاز فيه.

٦- التعجيب:

كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾(الأنعام:٦٥)، قال ابن عاشور: " وفي الأمر بالنظر تنزيل للمعقول منزلة المحسوس لقصد التعجيب منه"[٣]. وقد كرر الأمر مرتين في الآية؛ للمبالغة في التعجيب من أفعال الكفار، وصرف حواسهم عن كل هذه الآيات، والدلائل الموجودة أمام أعينهم.

٧- النهي:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾(الأنعام:١٤٢)، قال ابن عاشور: " فالأمر بالأكل هنا مستعمل في النهي عن ضده وهو عدم الأكل من بعضها، أي: لا تحرموا ما أحل لكم منها، إتباعا لتغرير الشيطان بالوسوسة لزعماء المشركين الذين سنوا لهم تلك السنن الباطلة، وليس المراد بالأمر الإباحة فقط"[٤].

٨- التحضيض:

كما في تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾(التوبة:٥٢)، قال ابن عاشور: " والأمر في قوله: (**تَرَبَّصُواْ**) للتحضيض المجازي المفيد قلة الاكتراث بتربصهم"[٥]. وكأن الأمر هنا يوحي بالتحدي الذي حمله معنى التحضيض.

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣١٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٤٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٨٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٢٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٢٥.

٩- الإهانة والتشفي:

كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾(الأعراف:٣٩)، قال ابن عاشور: "وصيغة الأمر في قولهم: **(فَذُوقُواْ)** مستعملة في الإهانة والتشفي"(١).

وقد يضيف للإهانة أحيانا لفظ الشماتة، كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾(الأنفال:١٤)، قال ابن عاشور: " فصيغة الأمر مستعملة في الشماتة والإهانة"(٢).

وهذه المعاني قريبة جدا من معنى التهكم والسخرية، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(التوبة:٣)، قال ابن عاشور: " و (البشارة) أصلها الإخبار بما فيه مسرة، وقد استعيرت هنا للإنذار، وهو الإخبار بما يسوء على طريقة التهكم"(٣).

والبشارة في كل آي القرآن الكريم إذا أتت في مقام ذكر الكفار، جاءت بنفس معنى التهكم والسخرية، وقد أشار العلوي لذلك، فقال: " لفظ البشارة دال على الوعد وعلى حصول كل محبوب، فإذا وُصِلَ بالمكروه كان دالا على التهكم؛ لإخراج المحبوب في صورة المكروه"(٤).

١٠- الإرشاد والاعتبار:

وهو بمعنى النصيحة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾(الأعراف:٨٤)، قال ابن عاشور: " فالأمر للإرشاد والاعتبار"(٥). أي اعتبر واتعظ من من أحوال من سبقوك من المجرمين، فانظر كيف كانت عاقبة كفرهم وإجرامهم؟

وكقوله تعالى: ﴿ **اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**﴾(يوسف:٩)، قال ابن عاشور: " فالأمر مستعمل في الإرشاد"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٥٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١١١.

(٤) الطراز: ٤٧٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٢٣٨.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٢٣.

١١- التعجيز:

وهو " الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب، أي: مطالبة المخاطب بما لا يقوى عليه إظهارا لعجزه وضعفه وعدم قدرته، وذلك من قبيل التحدي"(١).

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(البقرة:٣١)، قال ابن عاشور: " والأمر في قوله: (**أَنبِئُونِي**) أمر تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أن الآمر عالم بذلك، فليس هذا من التكليف بالمحال كما ظنه بعض المفسرين، واستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجازا، ثم إن ذلك المعنى المجازي يستلزم علم الآمر بعجز المأمور، وذلك يستلزم علم الآمر بالمأمور به"(٢). والله على علم بأنهم لن يستطيعوا أن يخبروه بهذه الأسماء.

وكقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾(الأنعام:٩٣)، قال ابن عاشور: " والأمر للتعجيز، أي: أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب إن استطعتم"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(الأعراف:١٩٤)، قال ابن عاشور: " والأمر باللام في قوله: (**فَلْيَسْتَجِيبُواْ**) أمرُ تعجيز للأصنام، وهو أمر الغائب، فإن طريق أمر الغائب هو الأمر ومعنى توجيه أمر الغائب السامع أنه مأمور بأن يبلِّغ الأمر للغائب"(٤).

١٢- التوبيخ:

والتوبيخ هو التأنيب على فعل قد وقع بقصد أو دون قصد، وقد يأتي في مواطن أخرى مصحوبا بالتغليظ، لشدة ما قترفوه من ذنب، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾(الأنفال:٣٥)، قال ابن عاشور: " الأمر هنا للتوبيخ والتغليظ، وذلك هو العذاب الذي حل بهم يوم بدر"(٥).

---

(١) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٨٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤١٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٧٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٢١- ٢٢٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٣٩.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة:١٦٨)، قال ابن عاشور: " والأمر في قوله: (كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ) مستعمل في التوبيخ على ترك ذلك، وليس للوجوب ولا للإباحة"(١). فالأمر هنا يحمل على الإباحة ويحمل على التوبيخ لمن ترك ذلك.

١٣- التهديد:

والتهديد هو التخويف، وهو استخدام فعل الأمر في مقام عدم الرضا، كما قيل: " إذا كان الآمر قد أمر بما هو غير راض عنه"(٢)، وقال ابن قتيبة: " أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد"(٣)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(الأنعام:٤٠)، قال ابن عاشور: " وافتتح هذا التهديد بالأمر بالقول اهتماما به، وإلا فإن معظم ما في القرآن مأمور الرسول- صلى الله عليه وسلم - بأن يقوله لهم"(٤).

وقد يقترن التهديد بألفاظ أخرى تحمل نفس المعنى، وسيقت لأجل التأكيد على هذا التهديد الذي ورد في مقامات مختلفة، فكل مقام له تهديده الخاص به حسب شناعة السلوك، كقوله تعالى: ﴿ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾(هود:١٢٢)، قال ابن عاشور: " تهديد ووعيد"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٣٨)، قال ابن عاشور: " والأمر مستعمل للوعيد، فيتأخر تنجيزه إلى يوم القيامة"(٦).

ومن معاني التهديد (الإنذار) ولكن نجد فرقا بين المعنيين، فالتهديد يكون بعد وقوع الفعل، بينما الإنذار قبل وقوعه، و" الإنذار الإبلاغ"(٧)، لكن ابن عاشور اعتبرهما في نفس المضمون، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(الأنعام:١٣٥)، قال ابن عاشور: " وهو الأمر

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ١٠١.
(٢) البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٥٤.
(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج١، ص١٧٢.
(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٢١.
(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٩٤.
(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١١٨.
(٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣١٧.

المستعمل في الإنذار والتهديد، ليملي لهم في ضلالهم إملاء يشعر في متعارف التخاطب، بأن المأمور به مما يزيد المأمور استحقاقا للعقوبة واقترابا منها "[1].

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾(الأنفال:٣٥)، قال ابن عاشور: " والمراد بقول الملائكة **(فَذُوقُواْ)** إنذارهم بأنهم سيذوقونه، وإنما يقع الذوق يوم القيامة، فيكون الأمر مستعملا في الإنذار"[2].

١٤- الامتنان:

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾(المائدة:١١٠)، قال ابن عاشور: " والأمر في قوله **(اذْكُرْ)** للامتنان، إذ ليس عيسى بناس لنعم الله عليه وعلى والدته"[3].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:٣٥)، قال ابن عاشور: " والأمر بقوله: **(اسْكُنْ)** مستعمل في الامتنان بالتمكين والتخويل، وليس أمرا له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة، إذ لا قدرة له على ذلك السعي فلا يكلف به، والأمر في **(اسْكُنْ)** أمر إعطاء، أي: جعل الله آدم هو وزوجه في الجنة"[4].

١٥- التقرير:

والمراد بالتقرير" حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"[5]، وهذا المعنى مغاير لما أوضحه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(الأعراف:١٩)، قال: " فالأمر في قوله: **(اسْكُنْ)** إنما هو أمر تقرير، أي: ابق في الحنة، وإن كان آدم قد خلق خارج الجنة، فالأمر

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٩٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٤١.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٠١.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤٢٨- ٤٢٩.

(٥) في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م، ج٢، ص٣٣١.

للإذن تكريما له"[١]. فآدم لم يكن يعلم بأن الله سيسكنه الجنة، وبالتالي لا يوجد اعتراف بذلك من آدم، ويترتب على ذلك معنى الأمر الحقيقي، وهو الأمر بإلزام وما يحمل في طياته من التكريم، مغاظة لإبليس الذي أبى واستكبر وعصى أمر ربه في السجود لآدم.

١٦- التخصيص:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾(الإسراء:٤٢)، قال ابن عاشور: " والمخاطب بالأمر بالقول هو النبي؛ لدمغهم بالحجة المقنعة بفساد قولهم، وللاهتمام بها افتتحت بــ **(قُل)** تخصيصا لهذا بالتبليغ، وإن كان جميع القرآن مأمورا بتبليغه"[٢].

ثانيا: النهي

النهي لغة:

النهي من النَّهْيُ خلاف الأَمر نَهاه يَنْهاه نَهْياً فانْتَهى وتناهى كَفَّ[٣].

النهي اصطلاحا:

قال التفتازاني: " هو طلب الكف عن الفعل استعلاءً"[٤].

وهو نفس ما ذهب إليه الخطيب القزويني الذي قال: " هو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك"[٥].

أما السكاكي فقد وضح أداة النهي بقوله: " للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: لا تفعل، والنهي محذو به حذو الأمر، في أن أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب" [٦].

أما ابن عاشور لم يقصر النهي على الأداة (لا) فقط، فقد يأتي النهي من خلال لام الجحود، والسياق كفيل بتوضيح ذلك، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٥٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١١٠.

(٣) اللسان: (نهى).

(٤) المطول: ٤٢٧.

(٥) الإيضاح: ١٤٩.

(٦) مفتاح العلوم: ٣٢٠.

(التوبة:١١٣)، قال ابن عاشور: " وجاءت صيغة النهي بطريق نفي الكون مع لام الجحود؛ مبالغة في التنزه عن هذا الاستغفار"[١]. والمقصود لا تستغفر للمشركين.

وقد وضح العلوي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأمر والنهي، فقال: " اعلم أن الأمر والنهي يتفقان في أن كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنهما جميعا يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمراً لنفسه أو ناهيا لها، وأنهما جميعاً لا بد من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريدا لهما، على غير ذلك من الوجوه الاتفاقية، ويختلفان في الصيغة؛ لأن كلا منهما مختص بصيغة تخالف الآخر، ويختلفان في أن الأمر دال على الطلب، والنهي دال على المنع، ويختلفان أيضا في أن الأمر لا بد فيه من إرادة مأمورة، وأن النهي لا بد فيه من كراهية منهية" [٢].

وقد خرّج ابن عاشور النهي عن معناه الحقيقي لمعانٍ مختلفة، وإن كان وروده بشكل قليل؛ لأن معظم النهي في القرآن كان مراده حقيقة النهي وليس المجاز.

ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي:

١- التسوية:

ويبدو أن ابن عاشور تفرد بهذا المعنى[٣]، وقد برر مجيئ هذا المعنى بقوله: " وورود النهي في معنى التسوية مقيس على ورود الأمر في التسوية، وعثرت على اجتماعهما في قوله تعالى: (**اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ**)(الطور:١٦)" [٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(النحل:١)، قال ابن عاشور: " والمراد من النهي هنا دقيق لم يذكروه في موارد صيغ النهي، ويجدر أن يكون للتسوية كما ترد صيغة الأمر للتسوية، أي: لا جدوى في استعجاله؛ لأنه لا يعجل قبل وقته المؤجل له"[٥] .

وكقوله تعالى: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(التوبة:٨٠)، قال ابن عاشور: " وإما أن تكون صيغة النهي استعملت لمعنى التسوية؛ لأنها قارنت الأمر الدال على إرادة التسوية، ويكون المعنى: أمرك بالاستغفار لهم ونهيك عنه سواء"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٤٤.

(٢) الطراز: ٥٣١.

(٣) لم أجد معنى التسوية الخارج من النهي إلا عند ابن عاشور.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٨٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٩٧.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٧٨.

وقوله تعالى: ﴿ **لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾(التوبة:٦٦)، قال ابن عاشور: " والنهي مستعمل في التسوية وعدم الجدوى"[١].

والتسوية قريبة جدا من معنى التأييس، رغم أنه أفرد له مواطن ولم يدمجه مع التسوية، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(التوبة:٩٤)، قال ابن عاشور: " والنهي في قوله: لا تعتذروا مستعمل في التأييس"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً**﴾(نوح:٢٤)، قال ابن عاشور: "فصيغة النهي مستعملة في التأييس من نفع دعوته إياهم"[٣]. مع أن النهي هنا يحمل في طياته معنى الدعاء، الذي لم يورده ابن عاشور كغرض من أغراض النهي.

وقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً**﴾(الإنسان:٢٤)، قال ابن عاشور: " والمقصود من هذا النهي تأييسهم من استجابته لهم حين يقرأ عليهم هذه الآية؛ لأنهم يحسبون أن ما عرضوه عليه، سيكون صارفا له عما هو قائم به من الدعوة، إذ هم بعداء عن إدراك ماهية الرسالة ونزاهة الرسول صلى الله عليه وسلم"[٤].

٢- التأكيد:

والتأكيد هو:" تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده" [٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ**﴾ (الأنعام:١٤)، قال ابن عاشور: " والكلام نهي من الله لرسوله مقصود منه تأكيد الأمر بالإسلام؛ لأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده، فذكر النهي عن الضد بعد ذلك تأكيد له، وهذا التأكيد لتقطع جرثومة الشرك من هذا الدين "[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٥٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٧٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢١١.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٠٣.

(٥) الطراز: ٢٨٧.

(٦) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٥٩- ١٦٠.

٣- التحذير:

واعتبر ابن عاشور أن التحذير من ضروريات النهي، فقال: " لأن النهي يستلزم التحذير"(١)، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(الأنعام:١٥٢)، قال ابن عاشور: " (**وَلاَ تَقْرَبُواْ**) تحذيرا من أخذ ماله ولو بأقل أحوال الأخذ؛ لأنه لا يدفع عن نفسه"(٢) .

وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾(آل عمران:١٧٨)، قال ابن عاشور: " فالخطاب إما للرسول عليه السلام وهو نهي عن حسبان لم يقع فالنهي للتحذير منه، أو عن حسبان هو خاطر خطر للرسول – صلى الله عليه وسلم – غير أنه حسبان تعجب"(٣).

٤- التنفير:

ومثله قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**﴾(المائدة:٧٧)، قال ابن عاشور: " ومعنى النهي عن متابعة أهوائهم النهي عن الإتيان بمثل ما أتوا به، بحيث إذا تأمل المخاطبون وجدوا أنفسهم قد اتبعوهم وإن لم يكونوا قاصدين متابعتهم، فيكون الكلام تنفيرا للنصارى من سلوكهم في دينهم المماثل لسلوك اليهود؛ لأن النصارى يبغضون اليهود ويعرفون أنهم على ضلال"(٤).

٥- التعجيز:

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ**﴾ (الأعراف:١٩٥)، قال ابن عاشور: " والأمر والنهي في قوله: (**كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ**) للتعجيز"(٥) .

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ١٩٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٦٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٥٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٩١.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٢٩.

٦- الإرشاد:

كقوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾(الأعراف:٣١)، قال ابن عاشور: " فالنهي عن السرف نهي إرشاد لا نهي تحريم، بقرينة الإباحة اللاحقة في قوله: (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ**) إلى قوله: (**وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**)"(١) .

٧- المبالغة:

كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(التوبة:٢٨)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ**) ظاهره نهي للمشركين عن القرب من المسجد الحرام، ومواجهة المؤمنين بذلك تقتضي نهي المسلمين عن أن يقرب المشركون المسجد الحرام، جعل النهي عن صورة نهي المشركين عن ذلك، مبالغة في نهي المؤمنين حين جعلوا مكلفين بانكفاف المشركين عن الاقتراب من المسجد الحرام"(٢). وكأن النهي اشتمل على نهيين معا، لذلك اعتبره من باب المبالغة في النهي.

٨- الإباحة:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(القصص:٧٧)، قال ابن عاشور: " والنهي في (**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ**) مستعمل في الإباحة "(٣) .

٩- التهييج:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(القصص:٨٧)، قال ابن عاشور: " النهي للتهييج لإثارة غضب النبي- صلى الله عليه وسلم - عليهم وتقوية داعي شدته معهم، ووجه تأويل النهي بصرفه عن ظاهره أو عن بعض ظاهره، هو أن المنهي عنه لا يفرض وقوعه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى ينهى عنه فكان ذلك قرينة على أنه مؤول "(٤) .

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٩٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٦٠- ١٦١.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٧٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٩٥.

ثالثا: الاستفهام

الاستفهام لغة:

وهو من الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب، وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته، وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إياه جعله يَفْهَمُه، واسْتَفْهَمه سأَله أن يُفَهِّمَه، وقد اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تفهيماً (١).

الاستفهام اصطلاحا:

" طلب العلم بشيء لم يكن معلوما – لدى السائل- من قبل بأداة مخصوصة"(٢). والاستفهام حقيقة يراد منه المعرفة فيكون الجواب له مباشرة، وإذا خرج عن هذا الأصل أعطانا فائدة بلاغية – وهذا ما نسميه بالمعاني الثواني للاستفهام- من خلال السياق الذي ورد فيه، وهذا ما نحن بصدده، وقد وضحه الزركشي بقوله: " ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن لزم إلا يكون حقيقة، إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام"(٣).

وقد ورد الاستفهام كثيرا في القرآن الكريم وبصور وأدوات متعددة، وإذا خرج عن أصله فقد خرج لإفادة معنى غير الاستفهام؛ لأن الله- سبحانه وتعالى- محال أن يستفهم من خلقه وهو العليم الخبير، فالله يستفهم خلقه " ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن"(٤).

وقد تناول الطاهر ابن عاشور في تفسيره معانٍ مختلفة خرج لها الاستفهام ، ولا يكاد يمر أسلوب استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلا وبين الغرض البلاغي منه، وما يحمله من دلالات وإشارات.

ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

١- التشويق:

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ (إبراهيم:٢٨)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في التشويق إلى رؤية ذلك، وقد نزل

---

(١) اللسان: (فهم).

(٢) من بلاغة القرآن، د. علوان: ٥١، وانظر، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٨٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٣٢٦- ٣٢٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٣٢٧.

المخاطب منزلة من لم ير، والخطاب لمن يصح منه النظر إلى حال هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله مع وضوح حالهم"(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾(طه:٩)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازا، وليس مستعملا في حقيقته، سواء كانت هذه القصة قد قصت على النبي– صلى الله عليه وسلم – من قبل، أم كان هذا أول قصصها عليه"(٢).

كما يأتي التشويق مقترنا بالتمني، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾(ق:٣٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في (هَلْ مِن مَّزِيدٍ) مستعمل للتشويق والتمنّي، وفيه دلالة على أن الموجودات مشوقة إلى الإيفاء بما خلقت له ... وفيه دلالة على إظهار الامتثال لما خلقها الله لأجله، ولأنها لا تتلكأ ولا تتعلل في أدائه على أكمل حال في بابه"(٣). ولكنه تمني على غير ما نعهده، فهو تمني جهنم للقاء أهلها الذي وعدت به، وكأنها تستعجل هذا اللقاء، فهي متشوقة بل متمنية لذلك، فكل مخلوق متمني أداء وإنهاء ما خلق له.

٢– الإغراء:

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـــي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾(الأعراف:١٢٧)، قال ابن عاشور: "والاستفهام في قوله: (أَتَذَرُ مُوسَى) مستعمل في الإغراء بإهلاك موسى وقومه والإنكار على الإبطاء بإتلافهم"(٤). ومن معنى الإغراء يتضح معنى التحذير، رغم أننا نرى أن الاستفهام هنا حقيقيا؛ لأن الملأ سأل سؤالا، ثم تلقي الإجابة على سؤاله.

٣– التغليط:

كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام المقدّر بعد (أَمْ) مستعمل في التَّغليط والنَّهي، ولذلك جاء بـــ (أَمْ) للدلالة على التغليط، أي: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنَّة دون أن تجاهدوا وتصبروا على عواقب الجهاد"(٥). فهو تغليط وإنكار لما كانوا يعتقدوه، أي: لن تدخلوا الجنة إلا إذا صبرتم على الجهاد، والجهاد الحق في سبيله، فالله يعلم ما في تخفيه الصدور.

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٢٧–٢٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١٩٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣١٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٥٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٠٦.

٤- الاستبطاء:

وهو" تأخر الجواب أو عد الشيء بطيئا في زمن انتظاره"[١]، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(يونس:٤٨)، قال ابن عاشور: " والسؤال مستعمل في الاستبطاء، وهو كناية عن عدم اكتراثهم به وأنهم لا يأبهون به، لينتقل من ذلك إلى أنهم مكذبون بحصوله بطريق الإيماء بقرينة قولهم: **(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** أي: إن كنتم صادقين في أنه واقع فعينوا لنا وقته، وهم يريدون أننا لا نصدقك حتى نرى ما وعدتنا، كناية عن اعتقادهم عدم حلوله وأنهم لا يصدقون به "[٢].

وكقوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾(المائدة:٩١)، قال ابن عاشور: " فجاء بالاستفهام لتمثيل حال المخاطبين بحال من بين له المتكلم حقيقة شيء، ثم اختبر مقدار تأثير ذلك البيان في نفسه، وصيغة (هل أنت فاعل كذا) تستعمل للحث على فعل في مقام الاستبطاء[٣]، ففي هذا الاستفهام من بديع لطف الخطاب ما بلغ به حد الإعجاز"[٤].

وقد يأتي الاستبطاء ليوحي بالتحضيض على الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾(آل عمران:٢٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهامُ مستعمل في الاستبطاء والتحضيض ... وجيء بصيغة الماضي في قوله: **(أَأَسْلَمْتُمْ)** دون أن يقول أتسلمون على خلاف مقتضى الظاهر، للتنبيه على أنّه يرجو تحقق إسلامهم، حتى يكون كالحاصل في الماضي"[٥].

٥- النفي:

والاستفهام بـــ (هل) " مُشْرب معنى النفي، وقد جعل من معاني **(هَلْ)** النفي"[٦]، كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾(التوبة:٥٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء، ومعنى الكلام توبيخ لهم وتخطئة لتربّصهم؛ لأنّهم

---

(١) من بلاغة القرآن، د. علوان: ٥٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٨٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٠٢.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٠٨.

يتربّصون بالمسلمين أن يقتلوا، ويغفلون عن احتمال أن ينصروا، فكان المعنى: لا تتربّصون بنا إلا أن نقتل أو نغلِب وذلك إحدى الحسنين"[١].

٦- التذكير:

" وفيه نوع اختصار"[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾(آل عمران:١٤٦)، قال ابن عاشور: " وليست (أيّ) هذه استفهاماً حقيقيّاً، ولكن المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير، فاستفهامها مجازي... لتكثير المستفاد من **(كَأَيِّن)** واقع على تمييزها وهو لفظ **(نَّبِيٍّ)** فيحتمل أن يكون تكثيراً بمعنى مطلق العدد، فلا يتجاوز جمع القلة، ويحتمل أن يكون تكثيراً في معنى جمع الكثرة، فمنهم من علمناه ومنهم من لم نعلمه، كما قال تعالى: (**وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**)"[٣].

٧- التهويل:

كقوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً**﴾(النساء:٦٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في التهويل"[٤].

كما قد يقترن التهويل بالتعظيم، وهذا من باب تأكيد عظم هذا اليوم وتهويل ما به من مشاهد، وهذا في قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ**﴾(الحاقة:٢)، قال ابن عاشور: " و **(مَا)** اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم، كأنه قيل: أتدري ما الحاقة ؟ أي ما هي الحاقة، أي شيء عظيم الحاقة"[٥].

٨- التحذير والإنذار:

كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً**﴾(النساء:١٤٤)، قال ابن عاشور: " فالاستفهام مستعمل في معنى التحذير والإنذار مجازاً مرسلاً "[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٤٤.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ١٨٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١١٦- ١١٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٠٧.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١١٣.

(٦) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢٤٣.

٩- الاستبعاد:

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(آل عمران:١٠١)، قال ابن عاشور: " استفهام مستعمل في الاستبعاد، استبعادا لكفرهم ونفيا له"(١).

١٠- التفجع:

يقال: الفجيعة الرَّزِيَّةُ المُوجِعةُ بما يَكْرُمُ فَجَعَه، وفَجَعَتْه المُصِيبةُ أَي: أَوْجَعَتْه، والفَواجِعُ المَصائِبُ المُؤْلِمَةُ التي تَفْجَعُ الإِنسان بما يَعِزُّ عليه من مال أَو حَمِيم، الواحدة فاجِعةٌ، والتَّفَجُّعُ التَّوَجُّعُ والتَّضَوُّر للرزيّةِ، وتَفَجَّعَتْ له أَي تَوَجَّعَت(٢)، وهذا المعنى ينطبق على ما خرج عليه الاستفهام، وهو قوله تعالى: ﴿ **اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾(الأعراف:١٥٥)، قال ابن عاشور: " (**أَتُهْلِكُنَا**) مستعمل في التفجع، أي: أخشى ذلك؛ لأن القوم استحقوا العذاب، ويخشى أن يشمل عذابُ الله من كان مع القوم المستحقين، وإن لم يشاركهم في سبب العذاب"(٣). فلا توجد مصيبة مفجعة وموجعة أكثر من ذلك، فالاستفهام جاء بمعنى النهي ومعناه لا تهلكنا، والغرض منه التفجع.

١١- التعريض:

والتعْرِيضُ خلاف التصريح، وعَرَّضَ لفلان وبه إِذا قال فيه قولاً وهو يَعِيبُه، والمَعارِيضُ التَّوْرِيةُ بالشيء عن الشيء(٤)، والتعريض فيه نوع من الأدب في الحديث ولله المثل المثل الأعلى، وهو نفس المعنى الذي خرج له الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(البقرة:١٤٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في قوله: (**مَا وَلاَّهُمْ**) مستعمل في التعريض بالتخطئة واضطراب العقل"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٨.

(٢) اللسان: (فجع).

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٢٦.

(٤) اللسان: (عرض).

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٨.

١٢- العرض:

والعرض هو" الطلب بشق"[١]، وقد وضح الغرض من هذا العرض، فيأتي العرض للتهكم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾(الكهف:١٠٣)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الجملة بالأمر بالقول؛ للاهتمام بالمقول بإصغاء السامعين؛ لأنّ مثل هذا الافتتاح يشعر بأنه في غرض مُهمّ، وكذلك افتتاحه باستفهامهم عن إنبائهم استفهاماً مستعملاً في العَرض؛ لأنه بمعنى: أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، وهو عرض تهكم؛ لأنه منبئهم بذلك دون توقف على رضاهم"[٢].

وقد يأتي العرض للتشويق، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾(آل عمران:١٥)، قال ابن عاشور: " والاستفهام للعرض تشويقاً من نفوس المخاطبين إلى تلقي ما سيقص عليهم"[٣].

١٣- التشكيك:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:١٠٩)، قال ابن عاشور: " و(**مَا**) استفهامية مستعملة في التشكيك والإيقاظ، لئلاّ يغرّهم قَسم المشركين ولا تروجَ عليهم ترّهاتهم، فإن كان الخطاب للمسلمين فليس في الاستفهام شيء من الإنكار ولا التوبيخ ولا التغليظ؛ إذ ليس في سياق الكلام ولا في حال المسلمين فيما يؤثر من الأخبار ما يقتضي إرادة توبيخهم ولا تغليطهم، إذ لم يثبت أنّ المسلمين طمعوا في حصول إيمان المشركين، أو أنّ يجَابُوا إلى إظهار آية حسب مقترحهم... وسيق الخبر بصيغة الاستفهام؛ لأنّ الاستفهام من شأنه أن يهيء نفس السامع لطلب جواب ذلك الاستفهام، فيتأهّب لوعي ما يرد بعده"[٤].

وقد يصحب التشكيك إنكار لموقف المشركين، وهذه المعاني غالبا ما تأتي في مقام الكفار والجاحدين؛ لأنهم أنكروا إرسال الرسل برسالة من الواحد الأحد، كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾(الأعراف:٧٥)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في (**أَتَعْلَمُونَ**) للتشكيك والإنكار، أي: ما نظنكم آمنتم بصالح – عليه السلام– عن علم بصدقه، ولكنكم اتبعتموه

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ١٩٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٨٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٣٧.

عن عمى وضلال غير موقنين، كما قال قوم نوح عليه السلام: (**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**)(هود:٢٧) وفي ذلك شَوب من الاستهزاء"(١).

١٤- التنبيه:

والاستفهام بصورته الحقيقية والبلاغية، دائما يأتي لتنبيه ذهن السامع؛ لأن السامع ينتظر تلقي الإجابة والمعرفة والغاية من عرض هذا السؤال، كما في قوله تعالى: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾(الإسراء:٢١)، قال ابن عاشور: " و (**كَيْفَ**) اسم استفهام مستعمل في التنبيه، وهو معلّق فعل (**انظُرْ**) عن العمل في المفعولين، والمراد التفضيل في عطاء الدنيا؛ لأنه الذي يدركه التأمل والنظر، وبقرينة مقابلته بقوله: (**وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ**) والمقصود من هذا التنظير التنبيه إلى أن عطاء الدنيا غير منوط بصلاح الأعمال، ألا ترى إلى ما فيه من تفاضل بين أهل العمل المتحد، وقد يفضل المسلم فيه الكافر، ويفضل الكافر المسلم، ويفضل بعض المسلمين بعضاً، وبعض الكفرة بعضاً، وكفاك بذلك هادياً إلى أن مناط عطاء الدنيا أسباب ليست من وادي العمل الصالح، ولا مما يساق إلى النفوس الخيرة "(٢).

١٥- التسوية:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (البقرة:٦)، قال ابن عاشور: " وأظهر عندي مما قالوه أن المبتدأ بعد (**سَوَاءٌ**) مقدر يدل عليه الاستفهام الواقع معه وأن التقدير سواء جواب (**أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ**) وهذا يجري على نحو قول القائل: علمت أزيد قائم إذ تقديره علمت جواب هذا السؤال... وجواب مثل هذا الاستفهام لما كان واحداً من أمرين، كان الإخبار باستوائهما عند المخبر مشيراً إلى أمرين متساويين"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(المنافقون:٦)، قال ابن عاشور: " وهمزة (**أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ**) أصلها همزة استفهام بمعنى: سواء عندهم سؤال السائل عن وقوع الاستغفار لهم، وسؤال السائل عن عدم وقوعه، وهو استفهام مجازي، مستعمل كناية عن قلة الاعتناء بكلا الحالين بقرينة لفظ (**سَوَاء**) ولذلك يسمي النحاة هذه الهمزة التسوية... أي: سواء عندهم استغفارك لهم وعدمه"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٢٢٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٦٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٦٦- ٢٥٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٤٥.

ولا تقتصر التسوية على الهمزة، فقد تأتي (أي) بمعنى التسوية، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى**﴾(النجم:٥٥)، قال ابن عاشور: " و (**أَيِّ**) اسم استفهام يطلب به تمييز متشارك في أمر يعم بما يميز البعض عن البقية من حال يختص به مستعمل هنا في التسوية، كناية عن تساوي ما عدد من الأمور في أنها نعم على الرسول – صلى الله عليه وسلم– إذ ليس لواحد من هذه المعدودات نقص عن نظائره في النعمة"(١).

وقد يعقب التسوية استفهام إنكار لما هو خلاف المراد وهذا من باب التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾(النحل:١٧)، قال ابن عاشور: " فالاستفهام عن المساواة إنكاري، أي: لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق... فالاستفهام في قوله: (**أَفَلا تَذَكَّرُونَ**) مستعمل في الإنكار على انتفاء التذكر، وذلك يختلف باختلاف المخاطبين، فهو إنكار على إعراض المشركين عن التذكر في ذلك"(٢).

١٦- التوبيخ:

والتوبيخ يكون على فعل قد وقع، سواء وقع خطأ أو عمدا، " وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت، ووبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع" (٣)، كقوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَـذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(يونس:٦٨)، قال ابن عاشور: " فالاستفهام مستعمل في التوبيخ؛ لأن المذكور بعده شيء ذميم، واجتراء عظيم، وجهل كبير مركب"(٤).

وقد يرد مع التوبيخ مصطلحات أخرى تزيد من توكيد معنى التوبيخ والتأنيب على الفعل الشنيع الذي صدر من أصحابه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ**﴾(إبراهيم:٢١)، قال ابن عاشور: " الاستفهام مستعمل في التورّك والتوبيخ والتبكيت، أي: فأظهروا مكانتكم عند الله التي كنتم تدعونها وتغروننا بها في الدنيا، فإيلاء المسند إليه حرف الاستفهام قرينة على أنه استفهام غير حقيقي"(٥). وهذه الآية نقلت مشهدا حيا من مشاهد يوم القيامة، يوم يعتب الكفار بعضهم على بعض عتاب توبيخ، والمعاني التي أضافها ابن عاشور زادت من وصف المشهد حسيا، وهذا

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ١٥٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٢٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص٢٠٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢١٦.

ماتضح من خلال المعنى اللغوي لكل منها، فيقال: يَتَورَّك الرجل للرجل فيَصْرَعُه، وهو أن يَعْتَقِلَه برجله، وورَّك الشيء أَوجبه، والتَّوْرِيكُ تَوْرِيكُ الرجل ذنبه غيره كأَنه يُلْزِمُه إِياه، وورَّكَ فلان ذنبه على غيره تَوْريكاً إِذا أَضافه إِليه وقَرَفَه به، وإِنه لمُوَرِّكٌ في هذا الأَمر، أَي: ليس له فيه ذنب، وورَّكَ الذنبَ عليه حَمَلَه[1]. والتبكيت هو من (بكت) بكته بالحجة، وبكته غلبه، يقال: بكته حتى أسكته[2].

وفي مواطن أخرى أضاف للتوبيخ التحذير، كقوله تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾(آل عمران:٨٣)، قال ابن عاشور: " الاستفهام للتوبيخ والتحذير"[3]. توبيخ لهم على معتقدهم، وتحذير مما يجره هذا المعتقد الباطل.

١٧- التهكم:

وهو" إظهار السخرية وعدم المبالاة بالمسئول عنه ولو كان إنسانا عظيما، وهذا قريب من الإهانة والتحقير"[4]، منه قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(النحل:٢٧)، قال ابن عاشور: " (**أَيْنَ**) للاستفهام عن المكان، وهو يقتضي العلم بوجود من يحل في المكان، ولما كان المقام هنا مقام تهكّم، كان الاستفهام عن المكان مستعملاً في التهكم؛ ليظهر لهم كالطماعية للبحث عن آلهتهم، وهم علموا أن لا وجود لهم ولا مكان لحلولهم"[5].

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾(التوبة:١٢٤)، قال ابن عاشور: "(**أَيُّكُمْ**) للاستهزاء كان متضمناً معنى إنكار أن يكون نزول سور القرآن يزيد سامعيها إيماناً توهماً منهم بأن ما لا يزيدهم إيماناً لا يزيد غيرهم إيماناً، يقيسون على أحوال قلوبهم"[6].

وفي مواطن أخرى نجد التهكم جاء مقترنا بالتأييس، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ**﴾(الأعراف:٣٧)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في قوله: (**أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ**

---

(١) اللسان: (ورك).

(٢) انظر، أساس البلاغة: ٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٠٠.

(٤) من بلاغة القرآن، د. علوان: ٦٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٣٦.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٦٥.

مِن دُونِ اللّهِ) مستعمل في التهكم والتأييس"[1]. فالسخرية واضحة الملامح؛ لأنه فات الأوان، وهذا الذي أدى لوضوح معنى التأييس، أي: لا جدوى من سؤالكم، ولا جدوى من ندمكم إذا كنتم نادمين.

١٨- التعجب:

كقوله تعالى: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً**﴾(الإسراء٤٨)، قال ابن عاشور: " والاستفهام بـــ **(كَيْفَ)** للتعجيب من حالة تمثيلهم للنبي- عليه الصلاة والسلام- بالمسحور ونحوه"[2].

ويقترن التعجيب بمعان أخرى حسب المقام، وحسب المتعجب منه:

- **التعجيب والتفظيع:** كقوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾(آل عمران:٢٥)، قال ابن عاشور: " والاستفهام هنا مستعمل في التعجيب والتفظيع مجازاً"[3].

- **التعجيب والاستبعاد:** ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأعراف:١٨٥)، قال ابن عاشور: " ثم فرع على التهديد والوعيد توبيخهم والإنكارُ عليهم بطريقة الاستفهام التعجيبي المفيد للاستبعاد بقوله: **(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)** فهو تعجيب مشوب باستبعاد للإيمان بما أبلغ إليهم الله بلسان رسوله -عليه الصلاة والسلام- وما نصب لهم من الآيات في أصناف المخلوقات، فإن ذلك كله قد بلغ منتهى البيان قولاً ودلالة، بحيث لا مطمع أن يكون غيره أدل منه"[4].

ونجد أن الإحالة قريبة من معنى الاستبعاد أو تكاد نفس المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾(السجدة:١٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في **(أَئِذَا ضَلَلْنَا)** للتعجب والإحالة، أي: أظهروا في كلامهم استبعاد البعث بعد فناء الأجساد واختلاطها بالتراب، مغالطة للمؤمنين وترويجا لكفرهم"[5].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١١٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٢١.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢١١.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٩٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٢١٨.

- **التعجيب والتوبيخ:** ومثله قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾(النحل:٤٥)، قال ابن عاشور: " فالاستفهام مستعمل في التعجيب المشوب بالتوبيخ"[١].

- **التعجيب والتعريض:** كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾(يونس:٦٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في التعجيب من حالهم، والمقصود به التعريض بالمشركين ليستفيقوا من غفلتهم ويحاسبوا أنفسهم"[٢].

- **التعجيب واللوم:** كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾(النساء:٨٨)، قال ابن عاشور: " والاستفهام للتعجيب واللّوم"[٣].

١٩- التقرير:

والمراد به: " حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"[٤]، واستقر الأمر عنده، أي: ثبت وتأكد لديه، وللتقرير فائدة أوضحها ابن عاشور بقوله: " ومثل هذا الأسلوب لإعداد السامعين لتلقّي ما يرد بعد الاستفهام"[٥]، " والتقريري يكثر أن يورد على النَّفي"[٦]، " إرخاء للعنان مع المخاطب المقرّر ليعرف خطأه"[٧].

والتقرير في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾(البقرة:٣٣)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في قوله: **(أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ)** إلخ، تقريري؛ لأن ذلك القول واقع لا محالة، والملائكة لا يعلمون وقوعه ولا ينكرونه"[٨].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٦٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢١٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ١٤٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٣٣١.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٦٦.

(٦) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٧٢.

(٧) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٣٤.

(٨) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤١٩.

و" حقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات"[١]. كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾(الأعراف:١٧٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) تقريري، ومثله يقال في تقرير من يُظن به الإنكار أو يُنزل منزلة ذلك، فلذلك يقرر على النفي، استدراجاً له حتى إذا كان عاقداً قلبه على النفي ظن أن المقّرر يطلبه منه، فأقدم على الجواب بالنفي، فأما إذا لم يكن عاقداً قلبه عليه فإنه يجيب بإبطال النفي، فيتحقق أنه بريء من نفي ذلك"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾(الأنعام:٣٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهام تقريري دخل على نفي الأمر المقرّر به؛ لاختبار مقدار إقرار المسئول، فلذلك يُسأل عن نفي ما هو واقع؛ لأنّه إن كان له مطمع في الإنكار تذرّع إليه بالنفي الواقع في سؤال المقرِّر"[٣].

وجاء التقرير مقترنا بمعانٍ أخرى، ومثال ذلك:

- **التقرير والتعجيب:** كقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ**﴾(الأعراف:١٤٨)، قال ابن عاشور: " والاستفهام للتقرير وللتعجيب من حالهم، ولذلك جعل الاستفهام عن نفي الرؤية؛ لأن نفي الرؤية هو غير الواقع من حالهم في نفس الأمر، ولكن حالهم يشبه حال من لا يرون عدم تكليمه، فوقع الاستفهام عنه لعلهم لم يروا ذلك مبالغة، وهو للتعجيب وليس للإنكار"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾(آل عمران:٢٣)، قال ابن عاشور: " فالاستفهام في قوله: (**أَلَمْ تَرَ**) للتقرير والتعجيب، وقد جاء الاستعمال في مثله أن يكون الاستفهام داخلاً على نفي الفعل، والمراد حصولُ الإقرار بالفعل ليكون التقرير على نفيه محرّضاً للمخاطب على الاعتراف به، بناء على أنه لا يرضى أن يكون ممّن يجهله"[٥].

- **التقرير والتوبيخ:** ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٣٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٦٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٨٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١١٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٠٨.

الأعراف:١٦٩)، قال ابن عاشور: " والاستفهام للتقرير المقصود منه التوبيخ، وهذا التقرير لا يسعهم إلاّ الاعتراف به؛ لأنه صريح كتابهم"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾(الرعد:١٦)، قال ابن عاشور: "فالاستفهام تقرير وتوبيخ وتسفيه لرأيهم، بناءً على الإقرار المسلّم"[٢].

- **التقرير والتذكير**: كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾(يوسف:٨٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في (**أَلَمْ تَعْلَمُواْ**) تقريري مستعمل في التذكير بعدم اطمئنان أبيهم بحفظهم لابنه"[٣].

- **التقرير والتعريض**: كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾(الكهف:٧٢)، قال ابن عاشور: " استفهام تقرير وتعريض باللوم على عدم الوفاء بما التزم، أي: أتُقِرّ أني قلتُ إنك لا تستطيع معي صبراً"[٤].

- **التقرير والتقريع**: كقوله تعالى: ﴿ **سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾(البقرة:٢١١)، قال ابن عاشور: " والمأمور بالسؤال هو الرسول؛ لأنه الذي يترقب أن يجيبه بنو إسرائيل عن سؤاله إذ لا يعبأون بسؤال غيره؛ لأن المراد بالسؤال سؤال التقرير للتقريع، ولفظ السؤال يجيء لما تجيء له أدوات الاستفهام، والمقصود من التقرير إظهار إقرارهم لمخالفتهم لمقتضى الآيات، فيجيء من هذا التقرير التقريع فليس المقصود تصريحهم بالإقرار؛ بل مجرد كونهم لا يسعهم الإنكار"[٥].

٢٠- الإنكار:

و" تسمية هذا استفهام إنكار، من أنكر إذا جحد"[٦]، و" المعنى فيه على النفي، وما بعده

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٦٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١١٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٧٦.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢٨٨.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٣٣٠.

منفي، ولذلك تصحبه (إلا) وكثيرا ما يصحبه التكذيب"(١).

ومثال معنى الإنكار في قوله تعالى: ﴿ **فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**﴾(القمر:٢٤)، قال ابن عاشور: " والاستفهام هنا إنكاري، أنكروا أن يرسل الله إلى الناس بشرا مثلهم، أي: لو شاء الله لأرسل ملائكة"(٢).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾(الأعراف:٩٣)، قال ابن عاشور: " وجاء بالاستفهام الإنكاري في قوله: (**فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**) مخاطبا نفسه على طريقة التجريد، إذ خطر له خاطر الحزن عليهم، فدفعه عن نفسه بأنهم لا يستحقون أن يؤسف عليهم؛ لأنهم اختاروا ذلك لأنفسهم"(٣).

وفي مواطن أخرى وضح بالتصريح أن الإنكار في معنى النفي، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(المائدة:٥٠)، قال ابن عاشور: " والاستفهام إنكاري في معنى النفي، أي: لا أحسن منه حكما، وهو خطاب للمسلمين، إذ لا فائدة في خطاب اليهود بهذا"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾(الحجر:٥٦)، قال ابن عاشور: " والاستفهام إنكار في معنى النفي، ولذلك استثنى منه (**إِلاَّ الضَّآلُّونَ**) يعني أنه لم يذهب اجتناب القنوط من رحمة الله، ولكنه امتلكه المعتاد فتعجب، فصار ذلك كالذهول عن المعلوم، فلما نبهه الملائكة أدنى تنبيه تذكر"(٥).

ومن المعاني التي أوردها ابن عاشور مع الإنكار:

- **الإنكار والتهويل:** كقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ**﴾(الأعراف:٣٧)، قال ابن عاشور: " الاستفهام للإنكار، أي: لا أحد أظلم، و(**مَنْ**) استفهام إنكاري مستعمل في تهويل ظلم هذا الفريق المعبر عنه بـــ (**مَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ**)"(٦).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ٢٠٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ١٩٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٢٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٦٠.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١١٢.

- **الإنكار والتهكم**: كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:٣٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام إنكاري قصد به التهكم، إذ جعلهم بمنزلة أهل علم يطلب منهم البيان... فالاستفهام يؤول أيضا إلى إنكار تحريمه "(١).

- **الإنكار والتوبيخ**: ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(البقرة:٤٤)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**) استفهام عن انتفاء تعقلهم استفهاما مستعملا في الإنكار والتوبيخ، نزلوا منزلة من انتفى تعقله فأنكر عليهم ذلك، ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لا يعقلون، أن من يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال التفكر في صلاحها، مع مصاحبة شيئين يذكر أنه قارب أن يكون منفيا عنه التعقل"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾(هود:٧٨)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في (**أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**) إنكار وتوبيخ؛ لأنّ إهانة الضيف مسبّة لا يفعلها إلاّ أهل السفاهة"(٣).

- **الإنكار والتقريع**: كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ**﴾(الأنبياء:٤٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام إنكار وتقريع، أي: ما لهم آلهة مانعة لهم من دوننا، وهذا إبطال لمعتقدهم أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء"(٤).

- **الإنكار والتشنيع**: كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ**﴾(التوبة:٦٣)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في الإنكار والتشنيع؛ لأن عدم علمهم بذلك محقق بضرورة أنهم كافرون بالرسول"(٥).

وظهر التبرؤ الذي كان غاية الإنكار والتشنيع في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**﴾(البقرة:١٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء**) استفهام للإنكار، قصدوا منه التبرؤ من الإيمان على أبلغ وجه، وجعلوا الإيمان المتبرأ منه شبيها بإيمان السفهاء؛ تشنيعا له وتعريضا

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٩٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤٧٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٧٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٤٦.

بالمسلمين بأنهم حملهم على الإيمان سفاهة عقولهم، ودلوا على أنهم علموا مراد من يقول لهم: **(كَمَا آمَنَ النَّاسُ)** أنه يعني بالناس المسلمين"[1].

- **الإنكار والاستبعاد:** ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(البقرة:٢٥٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(أَنَّى يُحْيِـي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)** استفهام إنكار واستبعاد "[2].

- **الإنكار والتحذير:** كما في قوله تعالى: ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾(البقرة:٢٦٦)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في قوله: **(أَيَوَدُّ)** استفهام إنكار وتحذير"[3].

- **الإنكار والتهديد:** ومثله قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٢٣)، قال ابن عاشور: " والاستفهام للإنكار والتهديد"[4].

- **الإنكار والتعجيب:** قال تعالى: ﴿ **أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾(التوبة:١٢٦)، قال ابن عاشور: " والاستفهام هنا إنكار وتعجيب لعدم رؤيتهم فتنتهم، فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربهم"[5].

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ (يونس:٥٠)، قال ابن عاشور: " وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار عليهم، وفي التعجيب من تعجلهم العذاب بنية أنهم يؤمنون به عند نزوله"[6].

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٨٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٣٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٥٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٥٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٦٧.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٩٢.

- **الإنكار والتأييس**: ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ**﴾(الأنعام:٨٠)، قال ابن عاشور: "والاستفهام إنكار عليهم وتأييس من رجوعه إلى معتقدهم"(١).

- **الإنكار والتغليط**: كقوله تعالى: ﴿ **أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ (يونس:٥١)، قال ابن عاشور: " والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار بمعنى التغليط وإفساد رأيهم، فإنهم وعدوا بالإيمان عند نزول العذاب استهزاء منهم، فوقع الجواب بمجاراة ظاهر حالهم وبيان أخطائهم، أي: أتؤمنون بالوعد عند وقوعه على طريقة الأسلوب الحكيم"(٢).

٢١- التكذيب:

كقوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ (محمد:٢٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في التكذيب لما سيعتذرون به لانخزالهم؛ ولذلك جيء فيه بـــ **(هَلْ)** الدالة على التحقيق؛ لأنها في الاستفهام بمنزلة (قد) في الخبر، فالمعنى: أفيتحقق إن توليتم أنكم تفسدون في الأرض، وتقطعون أرحامكم، وأنتم تزعمون أنكم توليتم إبقاء على أنفسكم، وعلى ذوي قرابة أنسابكم"(٣).

رابعا: النداء

النداء لغة:

والنَّداءُ والنُّداء الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونِداء أَي صاح به (٤).

النداء اصطلاحا:

" هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٢٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٩٣- ١٩٤.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١١١- ١١٢.

(٤) اللسان: (ندي).

(٥) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٣٢٣.

وقد وضح ابن عاشور أهمية النداء بقوله: " وافتتاح الخطاب بالنداء للاهتمام بما سيلقى إلى المخاطبين قصدا؛ لإحضار الذهن لوعي ما سيقال لهم، فنزل الحاضر منزلة البعيد، فطلب حضوره بحرف النداء الموضوع لطلب الإقبال"(١).

وقد تحدث ابن عاشور عن المعاني البلاغية التي خرج إليها النداء عن معناه الحقيقي، منها:

١- الاستئناس:

والإيناسُ خلاف الإيحاش، وكذلك التَّأْنيس والأَنَسُ والأُنْسُ والإِنْسُ الطمأْنينة، وقد أَنِسَ به وأَنَسَ يأْنَسُ ويأْنِسُ وأَنُسَ أُنْساً وأَنَسَةً وتَأَنَّسَ واسْتَأْنَسَ(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾(آل عمران:٥٥)، قال ابن عاشور: " والنداء فيه للاستئناس"(٣). لكن المعنى يتضح منه النداء الحقيقي وليس المجازي، فالله- سبحانه وتعالى- نادى وكلم جميع رسله، سواء عن طريق الوحي، أو بشكل مباشر، أو عن طريق ما يوحيه لهم من طمئنينة وراحة نفسية.

٢- التحسر:

كما في قوله تعالى على لسان مريم عليها السلام: ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾(آل عمران:٤٧)، قال ابن عاشور: " والنداء للتحسر وليس للخطاب؛ لأن الذي كلمها هو الملك، وهي قد توجهت إلى الله"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(الأنعام:٢٧)، قال ابن عاشور: " وحرف النداء في قولهم: **(يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ)** مستعمل في التحسر؛ لأن النداء يقتضي بعد المنادى فاستعمل في التحسر؛ لأن المتمنى صار بعيدا عنهم، أي: غير مفيد لهم"(٥).

ويدخل في معنى التحسر(التعجب والتندم) فمن معاني الحسرة الندم على ما قُترف، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا**

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٠٣.

(٢) اللسان: (أنس).

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٥٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٤٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٨٤.

حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾(الأنعام:٣١)، قال ابن عاشور: " **(يَا حَسْرَتَنَا)** نداء مقصود به التعجب والتندم، وهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يسمع وينادي ليحضر كأنه يقول: يا حسرة احضري فهذا أوان حضورك، ومنه قولهم: يا ليتني فعلت كذا، ويا أسفي أو يا أسفا"[١].

ويدخل في معنى التحسر (التلهف) فالتلهف من اللَّهْف واللَّهَف الأَسى والحزن والغَيْظ، وقيل الأَسى على شيء يفُوتك بعدما تُشرف عليه، يَلْهَفُ لَهَفاً أَي حَزِن وتحسَّر[٢]، والتلهف قريب من التمني، ويكاد يكون هو عند ابن عاشور[٣]؛ لأن كلا المعنيين مصحوبا بالتنديم، فالتنديم فيه التحسر على ما فات، أو شيء يصعب نيله، كما في قوله تعالى: **﴿ حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾**(الزخرف:٣٨)، قال ابن عاشور: " **(يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ)** إذ علم أن شيطانه القرين حاضر من خطاب الآخر إياه بقوله: **(وَبَيْنَكَ)**، وحرف **(يَا)** أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيرا... وهو هنا للتلهف والتندم "[٤].

وكقوله تعالى: **﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾**(الكهف:٤٢)، قال ابن عاشور: " وحرف النداء مستعمل في التلهف، و (ليتني) تمنن مراد به التندم، وأصل قولهم (يا ليتني) أنه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنه يخاطب كلمة (ليت) يقول: احضري فهذا أوانك ... وهذا ندم على الإشراك فيما مضى، وهو يؤذن بأنه آمن بالله وحده حينئذ "[٥].

وقوله تعالى: **﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾**(الفرقان:٢٧)، قال ابن عاشور: " و**(يَا لَيْتَنِي)** نداء للكلام الدال على التمني، بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره؛ لأن الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة، كأنه يقول: هذا مقامك فاحضري"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٩٠.

(٢) اللسان: (لهف).

(٣) لم يعتبر ابن عاشور التمني غرض إنشائي مستقل، بل اعتبره كغرض بلاغي للنداء مصحوبا بالتلهف والتنديم.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢١٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٢٧.

(٦) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٣.

٣- التوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾(هود:٦٢)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الكلام بالنداء لقصد التوبيخ أو الملام والتنبيه"(١).

٤- التشهير:

والشُّهْرَةُ ظهور الشيء في شُنْعَة حتى يَشْهَره الناس، والشُّهْرَة وُضُوح الأَمر، وقد شَهَرَه يَشْهَرُه شَهْراً وشُهْرَة فاشْتَهَرَ، وشَهَّرَهُ تَشْهِيراً واشْتَهَرَه فاشْتَهَر، والشُّهْرَةُ الفضيحة(٢)، وهذا ما اتضح في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾(الحجر:٦)، قال ابن عاشور: " والنداء في (**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ**) للتشهير بالوصف المنادى به "(٣).

٥- الاهتمام:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ**﴾(يونس:٧١)، قال ابن عاشور: " وافتتاح خطاب نوح قومه بـــ (**يَا قَوْمِ**) إيذان بأهيمة ما سيلقيه إليهم؛ لأن النداء طلب الإقبال، ولما كان هنا ليس لطلب إقبال قومه إليه؛ لأنه ما ابتدأ خطابهم إلا في مجمعهم تعين أن النداء مستعمل مجازا في طلب الإقبال المجازي، وهو توجيه أذهانهم إلى فهم ما سيقوله"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾(يوسف:٥)، قال ابن عاشور: " والنداء مع حضور المخاطب مستعمل في طلب إحضار الذهن اهتماما بالغرض المخاطب فيه"(٥).

٦- الدعاء:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى**

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٠٩.

(٢) اللسان: (شهر).

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٣٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢١٢.

يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾(يونس:٨٨)، قال ابن عاشور: " وافتتح الدعاء بالنداء لمناسبته لمقام الدعاء، ونودي الله بوصف الربوبية تذللا لإظهار العبودية"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**(يونس:١٠)، قال ابن عاشور: " **(اللَّهُمَّ)** نداء لله تعالى، فيكون إطلاق الدعاء على هذا التسبيح من أجل أنه أريد به خطاب الله لإنشاء تنزيهه"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٦٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٠٢.

رابعا: المجاز العقلي

المجاز لغة:

المجاز من جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جَوْزاً، وجازَ به وجاوَزه وأَجازه وأَجاز غيرَه، وجازَه سار فيه وسلكه، وأَجازَه خَلَّفه وقطعه، والمَجازُ والمَجازَةُ الموضع، وجُزْت الموضع سرت فيه، وأَجَزْته خَلَّفْته وقطعته، وجاوَزْت الموضع جِوازاً بمعنى جُزْتُه (١).

وقيل: جزت المكان وأجزته، وجاوزته وتجاوزته، وأعانك الله على إجازة الصراط، وهو مجاز القوم ومجازتهم (٢).

المجاز اصطلاحا:

أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع، إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز "(٣).

وعرفه السكاكي بقوله: " وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع"(٤).

وقد وضح الجرجاني العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للمجاز، فقال: " المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا "(٥).

واعتبر صاحب العمدة أن المجاز أبلغ من الحقيقة، فقال: " المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن مجالا محضا فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به – أعني اسم المجاز – بابا يعنيه وذلك أن

---

(١) اللسان: (جوز).

(٢) أساس البلاغة: (جوز).

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة والقاهرة، مطبعة المدني، ط١، ١٩٩١م، ص٣٠٤.

(٤) مفتاح العلوم: ٣٥٩.

(٥) أسرار البلاغة: ٣٤٢.

يسمى الشيء باسم ما قاربه أو من كان منه بسبب"[١].

وينقسم الإسناد إلى قسمين[٢]:

١- أن يسند الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له في الحقيقة، كقولنا: (نصر الله الجند) فإسناد النصر إلى الله – عز وجل- هو إسناد حقيقي.

٢- أن يسند الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الحقيقة، كقولنا: (أنبت الربيع العشب) فإسناد الإنبات للربيع إسناد مجازي غير حقيقي، ويسمى هذا الضرب من التعبير مجازا عقليا.

وسمي مجازا عقليا؛ لأن العقل هو الذي يتصرف في هذا الإسناد[٣]، فالعقل وحده اهتدى إلى أن الربيع لم يكن الفاعل الحقيقي دون اللجوء إلى معاجم لغوية.

فالمجاز العقلي هو: " إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي"[٤]. وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور فقال: " والمجاز العقلي إنما أسند فيه فعل لغير فاعله لملابسة"[٥]، ويقصد بالملابسة القرينة المانعة من إرادة الإسناد الحقيقي، الحقيقي، وينتج عن القرينة المانعة علاقات مختلفة بين الفعل والمسند إليه، منها:

١- الزمانية:

ويسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾(هود:٨٤)، قال ابن عاشور: " و(**مُّحِيطٍ**) وصف لـ (**يَوْمٍ**) على وجه المجاز العقلي، أي: محيط عذابه، والقرينة هي إضافة العذاب إليه"[٦].

فاليوم لا عذاب له، وإنما أشار إلى العذاب الذي سيحدث في ذلك اليوم على سبيل المجاز العقلي بقرينة العلاقة الزمانية، وبلاغة المجاز هو المبالغة في هول ذلك اليوم، حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٨٧)، قال ابن عاشور: "

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م، ج١، ص٢٦٦.

(٢) انظر، فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٨٩.

(٣) انظر، البلاغة الاصطلاحية: ٩١.

(٤) من بلاغة القرآن الكريم، د. علوان: ١٩٩.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٥٧.

(٦) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٣٧.

ووصف الساعة بالثقل باعتبار ما هو مظروف في وقتها من الحوادث، فوصفها بذلك مجاز عقلي والقرينة واضحة، وهي كون الثقل بمعنى الشدة لا يكون وصفا للزمان، ولكنه وصف للأحداث، فإذا أسند إلى الزمان فإسناده إليه إنما هو باعتباره ظرفا للأحداث"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾(لقمان:٣٣)، قال ابن عاشور: " فإسناد التغرير إلى الحياة الدنيا مجاز عقلي؛ لأن الدنيا ظرف الغرور أو شبهته، وفاعل التغرير حقيقة هم الذين يضلونهم بالأقيسة الباطلة، فيشبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالته، فذكرت هنا وسيلة التغرير وشبهته، ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغرير وهو الغرور"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ**﴾(الواقعة:٣)، قال ابن عاشور: " وإسناد الخفض والرفع إلى الواقعة مجاز عقلي؛ إذ هي وقت ظهور ذلك "(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً**﴾(المزمل:١٧)، قال ابن عاشور: " وإسناد (**يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً**) إلى اليوم مجاز عقلي بمرتبتين؛ لأن ذلك اليوم زمن الأهوال التي تشيب لمثلها الأطفال، والأهوال سبب للشيب عرفا"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾(الشمس:٤)، قال ابن عاشور: " فإسناد الغشي إلى الليل مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى زمنه"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾(الإنسان:٧)، قال ابن عاشور: " وخوفهم اليوم مجاز عقلي جرى في تعلق اليوم بالخوف؛ لأنهم إنما يخافون ما يجري في ذلك اليوم من الحساب والجزاء على الأعمال السيئة بالعقاب، فعلق فعل الخوف بزمان الأشياء المخوفة "(٦).

٢- المكانية:

ويسند الفعل فيها إلى المكان الذي وقع فيه الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا**

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٩٥.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٨٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٧٥.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٦٨.

(٦) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٨٣.

مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(المائدة:٨٣)، قال ابن عاشور: " وقد يسند الفيض إلى الظرف على طريقة المجاز العقلي، فيقال: فاض الوادي، أي: فاض ماؤه، كما يقال: جرى الوادي، أي: جرى ماؤه"[١]. فالعين لا تفيض فهي مكان الدمع الذي هو يفيض، ففيضان الدمع مكانه العينين، فمن شدة الخشوع والتأثر بالقرآن الكريم فاضت أعينهم دمعاً، فالقرآن كان سببا بانهمار الدمع الذي محله العين، وبلاغة المجاز هو المبالغة في كثرة الدموع وفيضانها، وكأن محلها الذي يفيض، وكأن الفيضان تجاوز الدمع إلى مكانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾(الأعراف:١١٦)، قال ابن عاشور: " تعدية فعل (سَحَرُواْ) إلى (أَعْيُنَ) مجاز عقلي؛ لأن الأعين آلة إيصال التخييلات إلى الإدراك، وهم إنما سحروا العقول، ولذلك لو قيل: سحروا الناس لأفاد ذلك، ولكن تفوت نكتة التنبيه على أن السحر إنما هو تخيلات مرئية"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾(النمل:٧٤)، قال ابن عاشور: " وإسناد (تُكِنُّ) إلى الصدور مجاز عقلي باعتبار أن الصدور مكانه"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾(الدخان:١٠)، قال ابن عاشور: " وإسناد الإتيان به إلى السماء مجاز عقلي؛ لأن السماء مكانه حين يتصاعد في جو السماء، أو حين يلوح للأنظار منها"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾(عبس:٣٩)، قال ابن عاشور: " وإسناد الضحك والاستبشار إلى الوجوه مجاز عقلي؛ لأن الوجوه محل ظهور الضحك والاستبشار، فهو من إسناد الفعل إلى مكانه"[٥].

٣- السببية:

ويسند الفعل فيها إلى سبب الفعل الذي أدى إلى وقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾(القصص:٨)، قال ابن عاشور: " والإسناد مجاز عقلي؛ لأنه سبب الحزن وليس هو حزنا "[٦]. فموسى – عليه السلام– بذاته مدعاة للفرح والسرور، ولكنه سببا للحزن بالنسبة لفرعون؛ لأنه غيّر معتقدا كان

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٤٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٨٦.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٣٨.

(٦) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٧٦.

سائدا، فسلبه الألوهية التي كان يعتقدها لنفسه، فبلاغة المجاز هنا في جعل السبب كأنه الفاعل الحقيقي.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(هود:٣١)، قال ابن عاشور: " وإسناد الازدراء إلى الأعين، وإنما هو من أفعال النفس مجاز عقلي؛ لأن الأعين سبب الازدراء غالبا؛ لأن الازدراء ينشأ عن مشاهدة الصفات الحقيرة عند الناظر "[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ (القصص:٣٨)، قال ابن عاشور: " وإسناد الإيقاد على الطين إلى هامان مجاز عقلي، باعتبار أنه الذي يأمر بذلك، كما يقولون: بنى السلطان قنطرة، وبنى المنصور بغداد "[٢].

٤- المصدرية:

ويسند الفعل فيه إلى المصدر، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ**﴾(ص:١٥)، قال ابن عاشور: " وأسند الانتظار إليهم في حين أنهم غافلون عن ذلك ومكذبون بظاهره إسناد مجازي على طريقة المجاز العقلي، فإنهم ينتظر بهم ذلك المسلمون الموعودون بالنصر، أو ينتظر بهم الملائكة الموكلون بحشرهم عند النفخة، فلما كانوا متعلق الانتظار أسند فعل (**يَنظُرُ**) إليهم لملابسة المفعولية "[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾(يس:٤٩)، قال ابن عاشور: " وإسناد الأخذ إلى الصيحة على هذا التأويل مجاز عقلي؛ لأن الصيحة وقت الأخذ وإنما تأخذهم سيوف المسلمين "[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٥٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٢٢٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٣٥.

٥- الفاعلية:

ويسند الفعل فيها إلى صيغة اسم المفعول، والمراد اسم الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً**﴾(الإنسان:٢٢)، قال ابن عاشور: " فأسند المشكور إلى السعي على طريقة المجاز العقلي مثل قولهم: سيل مفعم"(١).

٦- المفعولية:

ويسند الفعل فيها إلى صيغة اسم الفاعل، والمراد اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾(الحاقة:٢١)، قال ابن عاشور: " ووصف (**عِيشَةٍ**) بـــ (**رَّاضِيَةٍ**) مجاز عقلي؛ لملابسة العيشة حالة صاحبها وهو العائش ملابسة الصفة لموصوفها "(٢).

" فقد أسند الفاعل (راضية) إلى ضمير العيشة، والعيشة لا تكون راضية وإنما هي مرضية، والذي يرضى صاحبها، فالإسناد هنا مجازي لعلاقة المفعولية، والذي سوغ المجاز وحسنه هو العلاقة بين صاحب العيشة والعيشة في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بصاحب العيشة من حيث صدور الرضا منه، وتعلقه بالعيشة من حيث وقوعه عليها"(٣). فليس هناك أروع من أن تكون العيشة راضية، فمن روعتها يتخيل أنها – وهي لا تعقل ولا تحس- أنها شاركت في هذا الرضا.

وكقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾(النمل:١٣)، قال ابن عاشور: " والمبصرة: الظاهرة، صيغ لها وزن اسم فاعل الإبصار على طريقة المجاز العقلي، وإنما المبصر الناظر إليها "(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ**﴾(فصلت:٥٤)، قال ابن عاشور: " ووصف الله بالمحيط مجاز عقلي؛ لأن المحيط بكل شيء هو علمه، فأسندت الإحاطة إلى اسم الله؛ لأن (المحيط) صفة من أوصافه وهو العلم"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٠١.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٣٢.

(٣) معاني التراكيب دراسة تحليلية في بحوث علم المعاني، د. عبد الفتاح لاشين، دار الكتاب الجامعي، ج١، ص٨٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٢٣٢.

(٥) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٢.

خامسا: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلافه لنكتة أو سبب من الأسباب، ولهذا الأسلوب صور عدة، منها:

أولا: الالتفات:

الالتفات لغة:

وهو من لَفَتَ وجهَه عن القوم صَرَفَه، والْتَفَتَ التِفاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكثرُ منه، وتَلَفَّتَ إِلى الشيء والْتَفَتَ إِليه صَرَفَ وجْهَه إِليه، واللَّفْتُ اللَّيُّ ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتاً لواه على غير جهته، ولَفَتَ فلاناً عن رأْيه أَي صَرَفْتُه عنه ومنه الالْتِفاتُ (١).

الالتفات اصطلاحا:

هو" الرجوع عن أسلوب من أساليب الكلام إلى غيره"(٢)، أو هو" نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة على آخر منها، بعد التعبير الأول"(٣).

وقد اتفق ابن عاشور مع السيوطي في تعريفه، واعتبره من وجوه الإعجاز، فقال: " من وجوه الإعجاز: نرى من أفانين الكلام الالتفات، وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها، وهو بمجرده معدود من الفصاحة، وسماه ابن جني شجاعة العربية(٤)؛ لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع، فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة، وكان معدودا عند بلغاء العرب من النفائس، وقد جاء منه في القرآن ما لا يحصى كثرة مع دقة المناسبة في الانتقال"(٥).

---

(١) اللسان: (لفت).

(٢) الإكسير في علم التفسير، الطوفي البغدادي، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٧٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ٢١٤- ٢١٥.

(٤) قال ابن جني: " باب في شجاعة العربية: اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف".

- الخصائص، ابن جني، دار الهدى، بيروت، ط٢، م٢، ص٣٦٠.

وقد وضح ابن عاشور ما يعنيه ابن جني بقوله، فقال: " وأبو الفتح ابن جني يسمى الالتفات (شجاعة العربية) كأنه عنى أنه دليل على حدة ذهن البليغ، وتمكنه من تصريف أساليب كلامه كيف شاء، كما يتصرف الشجاع في مجال الوغى بالكر والفر".

- التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٧٩.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٠٩.

وقد وضح شرط الالتفات فقال: " شرط الالتفات أن يتغير الضمير في سياق واحد"(١)، كما أنه قد بين الفائدة منه، فقال: " فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه"(٢).

وقد اعتبر ابن عاشور الإقبال هو نفسه الالتفات، فهو قريب من المعنى اللغوي للالتفات، فأَقْبل عليه بوجهه و الاستقبال: ضدُّ الاستدبار، و استقبَل الشيءَ و قابَله: حاذاه بوجهه(٣)، وهذا في قوله تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾(يوسف:٢٩)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**) عطف على جملة (**يُوسُفُ أَعْرِضْ**) في كلام العزيز عطف أمر على أمر والمأمور مختلف، وكاف المؤنثة المخاطبة متعين أنه خطاب لامرأة العزيز، فالعزيز بعد أن خاطبها بأن ما دبرته هو من كيد النساء، وجه الخطاب إلى يوسف عليه السلام بالنداء ثم أعاد الخطاب إلى المرأة، وهذا الأسلوب من الخطاب يسمى بالإقبال، وقد يسمى بالالتفات بالمعنى اللغوي عند الالتفات البلاغي، وهو عزيز في الكلام البليغ"(٤).

وللالتفات صور منها:

١- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:٩٩)، قال ابن عاشور: " وعدل عن ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم في قوله: (**فَأَخْرَجْنَا**) على طريقة الالتفات "(٥).

٢- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾(العنكبوت:٣)، قال ابن عاشور: " وقد عدل في قوله: (**فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ**) عن طريق التكلم

---

(١) التحرير والتنوير: م٣٠، ج٢٩، ٩٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١١٦.

(٣) اللسان: (قبل).

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٥٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٩٨.

إلى طريق الغيبة بإظهار اسم الجلالة على أسلوب الالتفات، لما في هذا الإظهار من الجلالة؛ ليعلم أن الجزاء على ذلك جزاء مالك الملك"(١).

٣- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾(الأعراف:٣)، قال ابن عاشور: " والضمير عائد إلى المشركين على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، أعرض عنهم ووجه الكلام على غيرهم من السامعين إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين"(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾(المؤمنون:٨٣)، قال ابن عاشور: " والكلام جرى على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ لأن الكلام انتقل من التقريع والتهديد إلى حكاية ضلالهم، فناسب هذا الانتقال مقام الغيبة لما في الغيبة من الإبعاد، فالضمير عائد إلى المخاطبين "(٣).

وقد أشار ابن عاشور إلى الغرض البلاغي الذي أفاده هذا الأسلوب وهو التخصيص الرمزي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (يونس:٢٢)، قال ابن عاشور: " ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة؛ لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: **(وَجَرَيْنَ بِهِم)** على طريقة الالتفات، أي: وجرين بكم، وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال: **(فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)** فإن هذا ليس من شيم المؤمنين، فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة؛ لأن الذين يبغون في

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٠٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ١٠٦.

الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين، وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز"[١].

٤- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

كقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾(الأنعام:٢)، قال ابن عاشور: " والخطاب في قوله: (**خَلَقَكُم**) موجه إلى الذين كفروا، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب لقصد التوبيخ"[٢].

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾(السجدة:٩)، قال ابن عاشور: " والانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله: (**وَجَعَلَ لَكُمُ**) التفات؛ لأن المخاطبين من أفراد الناس، وجعل السمع والأبصار والأفئدة للناس كلهم غير خاص بالمخاطبين، فلما انتهض الاستدلال على عظيم القدرة، وإتقان المراد من المصنوعات المتحدث عنهم بطريق الغيبة الشامل للمخاطبين وغيرهم، ناسب أن يلتفت إلى الحاضرين بنقل الكلام إلى الخطاب؛ لأنه آثر بالامتنان وأسعد بما يرد بعده من التعريض بالتوبيخ في قوله: (**قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**) "[٣].

٥- الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(الشورى:١٠)، قال ابن عاشور: " قوله: (**رَبِّي**) التفاتا من الخطاب إلى التكلم، والتقدير: ذلكم الله ربكم"[٤].

٦- الالتفات من أسلوب إلى أسلوب:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** (٨١) **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾(النحل:٨٢)، قال ابن عاشور: " وقد حول الخطاب

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٢٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٢١٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٨.

عنهم إلى خطاب النبي وهو نوع من الالتفات، فيه التفات من أسلوب إلى أسلوب، والتفات عمن كان الكلام موجها إليه بتوجيه الكلام إلى شخص آخر"[١].

٧- الالتفات من المفرد إلى الجماعة:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾ (طه:٩٨)، قال ابن عاشور: " هذه الجملة من حكاية كلام موسى عليه السلام فموقعها موقع التذييل لوعظه، وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب الأمة، إعراضا عن خطابه تحقيرا له، وقصدا لتنبيههم على خطئهم، وتعليمهم صفات الإله الحق، واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم؛ لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات، كما قرر في دلالة كلمة التوحيد عليها في كتب علم الكلام"[٢].

وللالتفات فوائد ومناسبات، وقد أشار إلى ذلك بقوله،" ثم إن البلغاء لا يقتصرون عليها غالبا، بل يراعون للالتفات لطائف ومناسبات، ولم يزل أهل النقد والأدب يستخرجون ذلك من مغاصه"[٣].

ومن فوائد الالتفات والتي يحددها السياق:

١- التأنيس:

كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾(النحل:١٠٢)، قال ابن عاشور: " فبعد أن أبطل الله دعواهم عليه أنه مفتر بطريقة النقض، أمر رسوله أن يبين لهم ماهية القرآن، وهذه نكتة الالتفات في قوله تعالى: (**مِن رَّبِّكَ**) الجاري على خلاف مقتضى ظاهر حكاية المقول المأمور بأن يقوله؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقول: من ربي، فوقع الالتفات إلى الخطاب تأنيسا للنبيء – صلى الله عليه وسلم – بزيادة توغل الكلام معه في طريقة الخطاب "[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٤١.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٣٠٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١١٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٨٤.

٢- الاختصاص:

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (النحل:١)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**يُشْرِكُونَ**) بالتحتية على طريقة الالتفات، فعدل عن الخطاب ليختص التبرؤ من شأنهم أن ينزلوا عن شرف الخطاب إلى الغيبة"(١).

وقد يأتي الاختصاص بمعنى التنصيص، كقوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾(النمل:٦٠)، قال ابن عاشور: " ونون الجمع في (**أَنبَتْنَا**) التفات من الغيبة إلى الحضور، ومن لطائفه هنا التنصيص على أن المقصود إسناد الإنبات إليه، لئلا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء؛ لأن التذكير بالمنبت الحقيقي الذي خلق الأسباب، أليق بمقام التوبيخ على عدم رعايتهم نعمه"(٢).

وقد يأتي للزيادة في التنصيص، كقوله تعالى: ﴿ **فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ**﴾ (الصافات:٣١)، قال ابن عاشور: " وجملة (**إِنَّا لَذَائِقُونَ**) بيان لـــ (**قَوْلُ رَبِّنَا**) وحكي القول بالمعنى على طريقة الالتفات، ولولا الالتفات لقال: إنكم لذائقون أو إنهم لذائقون، ونكتة الالتفات زيادة التنصيص على المعني بذوق العذاب"(٣).

٣- التذكير:

كما في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ(١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**﴾(المؤمنون:١٧)، قال ابن عاشور: " ونقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات، ونكتته هنا أن المقصود التذكير بالموت وما بعده على وجه التعريض بالتخويف وإنما يناسبه الخطاب"(٤).

٤- التشريف:

منه قول الله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾(التغابن:١٢)، قال ابن عاشور: " وهذا الضمير التفات من الغيبة إلى التكلم، يفيد تشريف الرسول بعز الإضافة إلى المتكلم"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١١.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ١٠٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٦.

(٥) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٨١.

٥- التعريض:

كقوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾(الأعراف:٢٦)، قال ابن عاشور: " وضمير الغيبة في: (**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) التفات أي جعل الله ذلك آية لعلكم تتذكرون عظيم قدرة الله تعالى، وانفراده بالخلق والتقدير واللطف، وفي هذا الالتفات تعريض بمن لم يتذكر من بني آدم، فكأنه غائب عن حضرة الخطاب على أن ضمائر الغيبة في مثل هذا المقام في القرآن كثيرا ما يقصد بها مشركوا العرب "(١).

وقد يأتي التعريض بالتوبيخ، ومنه قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(الجمعة:١٠)، قال ابن عاشور: " عطف التوبيخ على ترك المأمور به بعد ذكر الأمر وسلكت في المعطوفة طريقة الالتفات لخطاب النبي- صلى الله عليه وسلم- إيذانا بأنهم أحرياء أن يصرف للخطاب عنهم فحرموا من عز الحضور، وأخبر عنهم بحال الغائبين وفيه تعريض بالتوبيخ، ومقتضى الظاهر أن يقال: وإذا رأيتم تجارة أو لهوا فلا تنفضوا إليها، ومن مقتضيات تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر هنا، أن يكون هذا التوبيخ غير شامل لجميع المؤمنين، فإن نفرا منهم بقوا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- حين خطبته ولم يخرجوا للتجارة ولا للهو"(٢).

وقد ينفرد الالتفات في بعض المواطن بالتوبيخ، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ**﴾(التين:٧)، قال ابن عاشور: " وضمير الخطاب التفات، ومقتضى الظاهر أن يقال: فما يكذبه، ونكتة الالتفات هنا أنه أصرح في مواجهة الإنسان المكذب بالتوبيخ"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً**﴾(مريم:٨٩)، قال ابن عاشور: " والخطاب في (**لَقَدْ جِئْتُمْ**) للذين قالوا اتخذ الرحمن ولدا، فهو التفات لقصد إبلاغهم التوبيخ، على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٧٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٢٧- ٢٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٣٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٢٩.

ويقترن أحيانا الإنكار بالتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ **أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ**﴾(الزخرف:١٦)، قال ابن عاشور: " والخطاب في (**وَأَصْفَاكُم**) موجه إلى الذين جعلوا له من عباده جزءا، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، ليكون الإنكار والتوبيخ أوقع عليهم لمواجهتهم به"[(١)].

٦- التشهير:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾(الأنعام:٤)، قال ابن عاشور: " وضمائر جمع الغائبين مراد منها المشركون الذين هم بعض من شملته ضمائر الخطاب في الآية التي قبلها، ففي العدول عن الخطاب إلى الغيبة بالنسبة إليهم، التفات أوجبه تشهيرهم بهذا الحال الذميم، تنصيصا على ذلك، وإعراضا عن خطابهم، وتمحيضا للخطاب للمؤمنين، وهو من أحسن الالتفات؛ لأن الالتفات يحسنه أن يكون له مقتض زائد على نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب المراد منه تجديد نشاط السامع"[(٢)].

٧- التهديد:

منه قول الله تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾(النحل:٥٦)، قال ابن عاشور: " ووصف النصيب بأنه (**مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ**) لتشنيع ظلمهم؛ إذ تركوا المنعم فلم يتقربوا إليه بما يرضيه في أموالهم، مما أمرهم بالإنفاق فيه كإعطاء المحتاج، وأنفقوا ذلك في التقرب إلى أشياء موهومة لم ترزقهم شيئا، ثم وجه الخطاب إليهم على طريقة الالتفات؛ لقصد التهديد"[(٣)].

٨- الإنذار:

كقوله تعالى: ﴿ **فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ**﴾(التوبة:٢)، قال ابن عاشور: " فضمير الخطاب في فعل الأمر معلوم منه أنهم الموجه إليهم الكلام وذلك التفات، فالتقدير: فليسيحوا في الأرض، ونكتة هذا الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة "[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ١٧٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٣٣- ١٣٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٨١.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٠٥.

٩- الاهتمام:

كقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾(النحل:٥١)، قال ابن عاشور: " ووقع في ضمير(**فَإيَّايَ**) التفات من الغيبة إلى التكلم، لمناسبة انتقال الكلام من تقرير دليل وحدانية الله على وجه كلي، إلى تعيين هذا الواحد أنه الله منزل القرآن تحقيقا لتقرير العقيدة الأصلية، وفي هذا الالتفات اهتمام بالرهبة لما في الالتفات من هز فهم المخاطبين"(١).

١٠- زيادة الترغيب:

كقوله تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(التغابن:٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**الَّذِي أَنزَلْنَا**) التفات من الغيبة إلى المتكلم، لزيادة الترغيب في الإيمان بالقرآن، تذكيرا بأنه منزل من الله؛ لأن ضمير التكلم أشد دلالة على معاده من ضمير الغائب، ولتقوية داعي المأمور"(٢).

١١- الإعراض للتعجيب:

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾(الروم:٣٤)، قال ابن عاشور: " وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، إعراضا عن مخاطبتكم إلى مخاطبة المسلمين تعجيبا من حال أهل الشرك"(٣).

١٢- التمحيض:

المَحْضُ اللبنُ الخالِصُ بلا رَغْوة، ولَبنٌ محْضٌ خالِصٌ لم يُخالِطْه ماء حُلْواً كان أَو حامضاً، ولا يسمى اللبنُ مَحْضاً إِلا إِذا كان كذلك، وعربي مَحْضٌ خالِصُ النسب، وكل شيء أخلصته فقد أمحضته، وأَمْحَضْتُ له النُّصْحَ إِذا أَخلصتَه(٤). والمقصود خلوص القول من أي شائبة لتأكيده، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾(الزمر:٣٦)، قال ابن عاشور: " والخطاب في (**وَيُخَوِّفُونَكَ**) للنبي-

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٧٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٧٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٩٩.

(٤) اللسان: (محض).

صلى الله عليه وسلم- وهو التفات من ضمير الغيبة العائد على (عَبْدَهُ)، ونكتة هذا الالتفات هو تمحيض قصد النبي بمضمون هذه الجملة"[١].

١٣- التعجيب:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾(الزخرف:١٧)، قال ابن عاشور: " ومقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير الخطاب في قوله: (**أَحَدُهُم**) فعدل عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة على طريق الالتفات، ليكونوا محكيا حالهم إلى غيرهم؛ تعجيبا من فساد مقالتهم وتشنيعا بها؛ إذ نسبوا لله بنات دون الذكور وهو نقص، وكانوا ممن يكره البنات ويحقرهن، فنسبتها إلى الله مفض إلى الاستخفاف بجانب الإلهية "[٢].

١٤- إبعادهم عن شرف الحضور:

ومنه قول الله تعالى: ﴿ **وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** (١٨) **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (العنكبوت:١٩)، قال ابن عاشور: " وعلى وجه أن يكون قوله: (**وَإِن تُكَذِّبُوا**) الخ، خارجا عن مقالة إبراهيم يكون ضمير الغائب في (**أَوَلَمْ يَرَوْا**) التفاتا، والالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ لنكتة إبعادهم عن شرف الحضور بعد الإخبار عنهم بأنهم مكذبون"[٣].

١٥- زيادة التصريح:

كقوله تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(لقمان:١١)، قال ابن عاشور: " والانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله: (**خَلْقُ اللَّهِ**) التفاتا لزيادة التصريح بأن الخطاب وارد من جانب الله بقرينة قوله: (**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ**) وكذلك يكون الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله: (**مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**) التفاتا لمراعاة العود إلى الغيبة في قوله: (**خَلْقُ اللَّهِ**)"[٤].

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ١٧٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٢٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٤٧.

١٦- التسجيل والتقريع:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(الأنبياء:٧)، قال ابن عاشور: " وتوجيه الخطاب لهم بعد كون الكلام جرى على أسلوب الغيبة التفات، ونكتته أن الكلام لما كان في بيان الحقائق الواقعة أعرض عنهم في تقريره، وجعل من الكلام الموجه إلى كل سامع، وجعلوا فيه معبرا عنهم بضمائر الغيبة، ولما أريد تجهيلهم وإلجاؤهم إلى الحجة عليهم، غير الكلام إلى الخطاب تسجيلا عليهم وتقريعا لهم بتجهيلهم"(١).

وقد يأتي الالتفات للتسجيل لبيان فائدة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾(العنكبوت:١٨)، قال ابن عاشور: " فهو كلام موجه من جانب الله تعالى إلى المشركين التفت به من الغيبة إلى الخطاب تسجيلا عليهم، والمقصود منه بيان فائدة سوق قصة نوح وإبراهيم وأن للرسول- صلى الله عليه وسلم - أسوة برسل الأمم الذين قبله، وخاصة إبراهيم جد العرب المقصودين بالخطاب على هذا الوجه"(٢).

١٧- الإعلان:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾(الأعراف:١٥٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: **(وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ)** التفات من التكلم إلى الغيبة؛ لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد صلى الله عليه وسلم "(٣).

ثانيا: التغليب:

التغليب لغة:

التغليب من غلبه، يُقال غَلَبَ على فلان الكَرَمُ، أَي: هو أَكثر خصاله، وتَغَلَّبَ على بلد كذا استولى عليه قَهْراً، وغَلَّبْتُه أَنا عليه تَغْلِيباً (٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٢٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٨.

(٤) اللسان: (غلب).

التغليب اصطلاحا:

قال القرطاجني: " التغليب في مثل القمرين إنما يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظا أو معنى"(١).

وعرفه الزركشي بقوله: " حقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظة عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"(٢). فيفهم من التعريفين، أن التغليب هو ترجيح أمر على أمر بينهما نقطة التقاء.

والتغليب ضرب من المجاز، وهذا ما وضحه الزركشي بقوله: " باب التغليب من المجاز؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا ترى أن القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما وضع له"(٣).

والتغليب أنواع: فمنه تغليب المذكر، وتغليب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب، وتغليب العاقل على غيره، وتغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به، وتغليب الأكثر على الأقل، وتغليب ما وقع بغير هذا الوجه، وتغليب الأشهر(٤)، وهناك أنواع كثيرة قد يحددها السياق، لا يستطيع المرء حصرها فيما ذكر هنا.

ونجد أن ابن عاشور قد تحدث عن ضروب التغليب وأشار إلى الجماليات المترتبة عليه، ومن أمثلة ذلك:

١- تغليب المخاطب على الغائب:

كما في قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾(البقرة:٨٤)، قال ابن عاشور: " عبر هنا عن جميع بني إسرائيل بضمير الخطاب على طريق التغليب؛ لأن المخاطبين حين نزول القرآن هم المقصودون من هذه الموعظة، أو على طريق تنزيل الخلف منزلة السلف؛ لأن الداعي للإظهار عند الانتقال من الاستطراد إلى بقية المقصود في الآية السابقة قد أخذ ما يقتضيه، فعاد أسلوب الخطاب إلى ما كان عليه "(٥).

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ**

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ص١٠٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ج٣، ٣٠٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ج٣، ٣١٢.

(٤) انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٣٠٥.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٨٥.

تَعْمَلُونَ﴾(لقمان:١٥)، قال ابن عاشور: " وفي هذه الضمائر تغليب الخطاب على الغيبة؛ لأن الخطاب أهم لأنه أعرف"[١].

٢- تغليب المذكر على المؤنث:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً﴾**(النساء:٦)، قال ابن عاشور: " وحكم الآية شامل للذكور والإناث بطريق التغليب، فالأنثى اليتيمة إذا بلغت رشيدة دفع مالها إليها"[٢].

وقول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**(يونس:٥٤)، قال ابن عاشور: " وضمير **(وَأَسَرُّواْ)** عائد إلى **(كُلِّ نَفْسٍ)** باعتبار المعنى مع تغليب المذكر على المؤنث "[٣].

وقول الله تعالى: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**(التحريم:١٢)، قال ابن عاشور: " وغلبت صيغة جمع الذكور ولم يقل: من القانتات، جريا على طريقة التغليب وهو من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر، وهذه الآية مثال في علم المعاني"[٤].

وقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرا﴾**(النساء:٧٥)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(وَالْمُسْتَضْعَفِينَ)** عطف على **(يَتَامَى النِّسَاء)**، وهو تكميل وإدماج؛ لأن الاستفتاء كان في شأن النساء خاصة، والمراد المستضعفون والمستضعفات، ولكن صيغة التذكير تغليب، وكذلك الولدان، وقد كانوا في الجاهلية يأكلون أموال من في حجرهم من الصغار"[٥].

ومنه تغليب الأب على الأم، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ**

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٦٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٤٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٩٧- ١٩٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٣٧٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢١٤.

حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:٢٧)، قال ابن عاشور: " والأبوان تثنية الأب، والمراد بهما الأب والأم على التغليب، وهو تغليب شائع في الكلام"[١].

٣- تغليب الأب على العم:

كما في قول الله تعالى: **﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**(البقرة:١٣٣)، قال ابن عاشور: " وإطلاق الآباء على ما شمل إسماعيل وهو عم ليعقوب إطلاق من باب التغليب؛ ولأن العم بمنزلة الأب "[٢].

٤- تغليب الجمع على المفرد:

كما في قوله تعالى: **﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾**(الأعراف:١٠١)، قال ابن عاشور: " وأسند حكم النكث إلى أكثر أهل القرى، تبينا لكون ضمير **(فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ)** جرى على التغليب، ولعل نكتة هذا التصريح في خصوص هذا الحكم أنه حكم مذمة ومسبة، فناسبت محاشاة من لم تلتصق به تلك المسبة "[٣].

٥- تغليب الأكثر على الأقل:

كقوله تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾**(النحل:١٠)، قال ابن عاشور: " والشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة، ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليبا، وروعي هذا التغليب هنا؛ لأنه غالب مرعى أنعام أهل الحجاز لقلة الكلأ في أرضهم، فهم يرعون الشعاري والغابات"[٤].

وقوله تعالى: **﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**(الزمر:٧١)، قال ابن عاشور: " وأسندت التلاوة إلى جميع الرسل وإن كان فيهم من ليس له كتاب، على طريقة التغليب"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٧٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٣٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١١٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٧٠.

٦- تغليب العاقل على غير العاقل:

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً**﴾(الكهف:١٠٢)، قال ابن عاشور: " و (**عِبَادِي**) صادق على الملائكة والجن والشياطين ومن عبدوهم من الأخيار مثل عيسى عليه السلام، ويصدق على الأصنام بطريق التغليب"[١].

وقول الله تعالى: ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ**﴾ (الصافات:١١)، قال ابن عاشور: " وجيء باسم العاقل وهو (**مَّنْ**) الموصولة تغليبا للعاقلين من المخلوقات"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(البقرة:٣١)، قال ابن عاشور: " وإعادة ضمير المذكر العاقل على المسميات في قوله: (**عَرَضَهُمْ**) للتغليب؛ لأن أشرف المعروضات ذوات العقلاء وصفاتهم، على أن ورود مثله بالألفاظ التي أصلها للعقلاء طريقة عربية، نحو قوله تعالى: (**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**)(الإسراء:٣٦)، والداعي إلى هذا أن يعلم ابتداء أن المعروض غير الأسماء حتى لا يضل فهم السامع قبل سماع قرينة (**أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء**)"[٣].

٧- تغليب غير العاقل على العاقل:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ**﴾(الفرقان:١٧)، قال ابن عاشور: " وعموم الموصول من قوله: (**وَمَا يَعْبُدُونَ**) شامل لأصناف المعبودات التي عبدوها ولذلك أوثرت (**مَا**) الموصولة؛ لأنها تصدق على العقلاء وغيرهم، على أن التغليب هنا لغير العقلاء، والخطاب في (**أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ**) للعقلاء بقرينة توجيه الخطاب"[٤].

وقول الله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾(يونس:٦٦)، قال ابن عاشور: " و (**مَن**) الموصولة شأنها أن تطلق على العقلاء، وجيء بها هنا مع أن المقصد

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٤٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٩٥.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤١٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٣٣٧.

الأول إثبات أن آلهتهم ملك لله تعالى، وهي جمادات غير عاقلة، تغليبا ولاعتقادهم تلك الآلهة عقلاء، وهذا من مجاراة الخصم في المناظرة لإلزامه بنهوض الحجة عليه حتى على لازم اعتقاده، والحكم بكون الموجودات العاقلة في السماوات والأرض ملكا لله تعالى يفيد بالأحرى أن تلك الحجارة ملك الله؛ لأن من يملك الأقوى أقدر على أن يملك الأضعف، فإن من العرب من عبد الملائكة، ومنهم من عبدوا المسيح، وهم نصارى العرب"(١).

٨- تغليب المثنى على الجمع:

كقوله تعالى: ﴿ **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ**﴾(الرحمن:٣١)، قال ابن عاشور: " و(**الثَّقَلَانِ**) تثنية ثقل، وهذا المثنى اسم مفرد لمجموع الإنس والجن، وأحسب أن الثقل هو الإنسان؛ لأنه محمول على الأرض، فهو كالثقل على الدابة، وأن إطلاق هذا المثنى على الإنس والجن من باب التغليب، وقيل غير هذا مما لا يرتضيه المتأمل، وقد عد هذا اللفظ بهذا المعنى مما يستعمل إلا بصيغة التثنية فلا يطلق على نوع الإنسان بانفراده اسم الثقل، ولذلك فهو مثنى اللفظ مفرد الإطلاق، وأظن أن هذا اللفظ لم يطلق على مجموع النوعين قبل القرآن فهو من أعلام الأجناس بالغلبة"(٢).

٩- تغليب الجمع على المثنى:

كقول قول الله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً**﴾(النساء:١١)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَلَهُنَّ**) أعيد الضمير إلى نساء، والمراد ما يصدق بالمرأتين، تغليبا للجمع على المثنى اعتمادا على القرينة"(٣).

١٠- تغليب الموجود على غير الموجود:

كقول الله تعالى: ﴿ **قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**﴾(الأعراف:٢٥)، قال ابن عاشور: " كلهم هذا حالهم، وهو من تغليب الموجود على من لم يوجد، وإن كان قد

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٥٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٥٩.

وقع بعد وجود الذرية لهما فوجه الفصل أظهر وأجدر، والقرينة على أن إبليس غير داخل في الخطاب هو قوله: **(وَمِنْهَا تُخْرَجُون)**؛ لأن الإخراج من الأرض يقتضي سبق الدخول في باطنها، وذلك هو الدفن بعد الموت، والشياطين لا يدفنون، وقد أمهل الله إبليس بالحياة إلى يوم البعث فهو يحشر حينئذ أو يموت ويبعث، ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى"(١).

١١- تغليب العطف على الفصل:

كما في قول الله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(الأنفال:٧٥)، قال ابن عاشور: " فكانت هذه الآية بيانا، وكان مقتضى الظاهر أن تكون مفصولة غير معطوفة، ولكن عدل عن الفصل إلى العطف تغليبا لمقام التقسيم الذي استوعبته هذه الآيات"(٢).

١٢- تغليب الماضي على المستقبل:

كما في قوله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**(الحشر:١٠)، قال ابن عاشور: " وإنما صيغ **(جَاؤُوا)** بصيغة الماضي تغليبا؛ لأن من العرب وغيرهم من أسلموا بعد الهجرة مثل غفارة، ومزينة، وأسلم، ومثل عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، فكأنه قيل: الذين جاؤوا ويجيئون، بدلالة لحن الخطاب، والمقصود من هذا: زيادة دفع إيهام أن يختص المهاجرون بما أفاء الله على رسوله – صلى الله عليه وسلم- من أهل القرى كما اختصهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بفيء بني النضير"(٣).

وقول الله تعالى: **﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾**(الطلاق:٩)، قال ابن عاشور: " وجيء بفعل **(كَانَ)** بصيغة المضي؛ لأن الحديث عن عاقبتها في الدنيا تغليبا، وفي كل ذلك تفظيع لما لحقهم، مبالغة في التحذير مما وقعوا فيه"(٤).

١٣- تغليب اللفظ على المعنى:

كقوله تعالى: **﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾** (الزمر:٤٨)، قال ابن عاشور: " و **(سَيِّئَاتُ)** جمع سيئة، وهو وصف أضيف إلى موصوفه وهو

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٧١.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٩٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٩٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٣٣٥.

الموصول **(مَا كَسَبُوا)** أي: مكسوباتهم السيئات، وتأنيثها باعتبار شهرة إطلاق السيئة على الفعلة، وإن كان فيما كسبوه ما هو من فاسد الاعتقاد، كاعتقاد الشركاء لله وإضمار البغض للرسول والصالحين والأحقاد والتحاسد، فجرى تأنيث الوصف على تغليب السيئات العملية، مثل: الغصب والقتل والفواحش تغليبا لفظيا لكثرة الاستعمال"[١].

وقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾(الجمعة:١١)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(أَوْ لَهْواً)** فيه للتقسيم، أي: منهم من انفض لأجل التجارة، ومنهم من انفض لأجل اللهو، وتأنيث الضمير في قوله: **(إِلَيْهَا)** تغليب للفظ **(تِجَارَةً)**؛ لأن التجارة كانت الداعي الأقوى لانفضاضهم"[٢].

١٤- تغليب المعنى الحقيقي على المعنى المجازي:

كما في قول الله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(المائدة:١٧)، قال ابن عاشور: " والحاصل أن استعمال هذا الشرط من غرائب استعمال الشروط في العربية، ومرجعه إلى استعمال صيغة الشرط في معنى حقيقي ومعنى مجازي تغليبا للمعنى الحقيقي؛ لأن **(مَن فِي الأَرْضِ)** يعم الجميع وهو الأكثر، ولم يعطه المفسرون حقه من البيان "[٣].

ثالثا: أسلوب الحكيم:

وهو الأسلوب الذي يظهر فيه ذكاء المتكلم وفطنته وحسن تخلصه مما لا يريد قوله، وقد عرفه السكاكي بقوله: " هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب ... أو السائل بغير ما يتطلب"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٣٣- ٣٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٢٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٥٥.

(٤) مفتاح العلوم: ٣٢٧.

وقيل: " هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب؛ تنبيها به على أنه أولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له"(١).

و لم يخرج ابن عاشور عن هذه التعريفات، فقال: " الأسلوب الحكيم وهو تلقي السامع بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيها على أن الأحق غير ما عناه من كلامه (٢)... وتلقي السائل بغير ما يتطلب"(٣).

وقد أوضح السكاكي أثر هذا الأسلوب في الكلام، فقال: " وإن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور"(٤).

وأسلوب الحكيم له صورتان تتضح من خلال التعريفات السابقة، وهما:

١- تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيها على أنه الأولى بالقصد، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(التوبة:٦١)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ**) مستأنفة استئنافا ابتدائيا، على طريقة المقاولة والمحاورة؛ لإبطال قولهم بقلب مقصدهم إغاظة لهم، وكمدا لمقاصدهم، وهو من الأسلوب الحكيم الذي يحمل فيه المخاطب كلام المتكلم على غير ما يريده، تنبيها له على أنه الأولى بأن يراد"(٥).

وقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾(التوبة:١٢٥)، قال ابن عاشور: " والفاء في قوله: (**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ**) للتفريع على حكاية استفهامهم بحمله على ظاهر حاله، وصرفه عن مقصدهم منه، وتلك طريقة الأسلوب الحكيم، وهو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكتة، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحدا

---

(١) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، الطيبي، تحقيق: د. هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٩٥، وانظر، التبيان في البيان، للإمام الطيبي، تحقيق ودراسة: د. عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٣٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٥٧٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٤٥.

(٤) مفتاح العلوم: ٣٢٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٤٢.

إيمانا، قياسا على أحوال قلوبهم فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة، وهو حصول البشر لهم"(١).

٢- تلقي السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيها للسائل على أن ذلك هو الأولى بسؤاله وبحاله، وهو المهم له، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾(يونس:٥٣)، قال ابن عاشور: " واستعملوا الاستفهام تبالها، ولذلك اشتمل الجواب المأمور به على مراعاة الحالتين، فاعتبر أولا ظاهر حال سؤالهم فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم، بحمل كلامهم على خلاف مرادهم؛ تنبيها على أن الأولى بهم سؤال الاسترشاد، تغليطا لهم واغتناما لفرصة الإرشاد بناء على ظاهر حال سؤالهم، ولذلك أكد الجواب بالتوكيد اللفظي، إذ جمع بين حرف (**إِي**) وهو حرف جواب يحقق به المسؤول عنه، وبين الجملة الدالة على ما دل عليه حرف الجواب، وبالقسم ، وإن ، ولام الابتداء، وكلها مؤكدات"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (٧١) **قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾(النمل:٧٢)، قال ابن عاشور: " والجواب جار على أسلوب الحكيم بحمل استفهامهم على حقيقة الاستفهام؛ تنبيها على أن حقهم أن يسألوا عن وقت الوعيد ليتقدموه بالإيمان"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ** (١٢) **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ (الذاريات:١٣)، قال ابن عاشور: " وجملة (**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**) جواب لسؤالهم، جرى على أسلوب الحكيم من تلقي السائل بغير ما يتطلب إذ هم حين قالوا: أيان يوم الدين، أرادوا التهكم والإحالة فتلقي كلامهم بغير مرادهم؛ لأن في الجواب ما يشفي وقع تهكمهم"(٤).

وقول الله تعالى: ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** (١) **لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ** (٢) **مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**﴾(المعارج:٣)، قال ابن عاشور: " وهذه الأوصاف من قبيل أسلوب الحكيم؛ لأن ما عدد فيه من أوصاف العذاب وهوله ووقته هو الأولى لهم أن يعلموه ليحذروه، دون أن يخوضوا في تعيين وقته، فحصل من هذا كله معنى: أنهم سألوا عن العذاب الذي هددوا به عن وقته ووصفه سؤال استهزاء، ودعوا الله أن يرسل عليهم عذابا إن كان القرآن حقا، إظهارا

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٦٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٩٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٧.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٤٥.

لقلة اكتراثهم بالإنذار بالعذاب، فأعلمهم أن العذاب الذي استهزأوا به واقع لا يدفعه عنهم تأخر وقته، فإن أرادوا النجاة فليحذروه"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا** (٤٣) **إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**(٤٤) **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**(٤٥) **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾(النازعات:٤٦)، قال ابن عاشور: " جواب عما تضمنه قوله: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**)(النازعات:٤٢)، باعتبار ظاهر حال السؤال من طلب المعرفة بوقت حلول الساعة، واستبطاء وقوعها الذي يرمون به إلى تكذيب وقوعها، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم، أي: إن طال تأخر حصولها فإنها واقعة، وأنهم يوم وقوعها كأنه ما لبثوا في انتظار إلا بعض يوم "(٢).

رابعا: وضع الظاهر وضع المضمر:

ذكر ابن عاشور في تفسيره كثيرا من مواطن هذه القضية البلاغية، وقد وضح حقيقتها بقوله: " وحقيقة وضع المظهر موقع المضمر إنما تقوم حيث لا يكون للاسم الظاهر المذكور معنى زائد على معنى الضمير"(٣)، كما في قوله: ﴿ **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ**﴾(البقرة:٩٥)، قال ابن عاشور: " والمراد بالظالمين اليهود، فهو من وضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالظلم"(٤).

وقد توسع ابن عاشور في هذه المسألة البلاغية، وأشار إلى أغراضها، ومن هذه الأغراض:

١- الوصف:

كقوله تعالى: ﴿ **وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ (ص:٤)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**الْكَافِرُونَ**) وضع الظاهر موقع المضمر، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (وقالوا هذا ساحر) الخ، وهذا لقصد وصفهم بأنهم كافرون بربهم مقابلة لما وصموا به النبي- صلى الله عليه وسلم- فوصفوا بما هو شتم لهم، يجمع ضروبا من الشتم تأصيلا وتفريعا، وهو الكفر الذي هو جماع فساد التفكير وفاسد الأعمال"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٥٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٩٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦١٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٢٠٩.

وقد يأتي الوصف لزيادة التعزية، كقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾(الأعراف:٩٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) إظهار في مقام الإضمار، ليتأتى وصفهم بالكفر زيادة في تعزية نفسه وترك الحزن عليهم"(١).

٢- زيادة التمييز:

كما في قوله تعالى: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾(ص:٧)، قال ابن عاشور: " وإعادة اسم الإشارة من وضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد زيادة تمييزه"(٢). وكان مقتضى الظاهر أن يؤتى به ضميرا لتقدم مرجعه، فيقال: إنه إلا اختلاق.

٣- العناية:

كقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾(الأنعام:١٣٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (وَرَبُّكَ) إظهار في مقام الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يقال: وهو الغني ذو الرحمة، فخولف مقتضى الظاهر لما في اسم الرب من دلالة على العناية بصلاح المربوب، ولتكون الجملة مستقلة بنفسها فتسير مسرى الأمثال والحكم، وللتنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم"(٣).

٤- منع الالتباس:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(الأعراف:٤٨)، قال ابن عاشور: " والتعبير عنهم هنا بأصحاب الأعراف إظهار في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال: ونادوا رجالا، إلا أنه لما تعدد في الآية السابقة ما يصلح لعود الضمائر إليه، وقع الإظهار في مقام الإضمار دفعا للالتباس"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٢١٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ٨٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ق٢، ١٤٤.

٥- التأكيد:

كقوله تعالى: ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾(الأعراف:٨٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً)** تفويض لعلم الله، أي: إلا أن يشاء ذلك فهو أعلم بمراده منا، وإعادة وصف الربوبية إظهار في مقام الإضمار؛ لزيادة إظهار وصفه بالربوبية، وتأكيد التعريض المتقدم حتى يصير كالتصريح"(١).

٦- البعد:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ**﴾(الأعراف:٩٠)، قال ابن عاشور: " وذكر **(الْمَلأُ)** إظهار في مقام الإضمار، لبعد المعاد"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى**﴾ (الفجر:٢٣)، قال ابن عاشور: " فهو إظهار في مقام الإضمار لبعد معاد الضمير"(٣).

٧- التنويه:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (الأعراف:٢٠٤)، قال ابن عاشور: " وذكر اسم القرآن إظهار في مقام الإضمار؛ لأن القرآن تقدم ذكره بواسطة اسم الإشارة، فنكتة هذا الإظهار التنويه بهذا الأمر، وجعل جملته مستقلة بالدلالة غير متوقفة على غيرها، وهذا من وجوه الاهتمام بالكلام"(٤).

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**﴾(الأحزاب:٣٧)، قال ابن عاشور: " ومعنى **(قَضَى)** استوفى وأتم، واسم

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١١.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٢.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٣٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٣٩.

(زَيْدٌ) إظهار في مقام الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: فلما قضى منها وطرا، أي: قضى الذي أنعم الله وأنعمت عليه، فعدل عن مقتضى الظاهر؛ للتنويه بشأن زيد"(١).

ومن باب التنويه الإشعار فكلاهما في نفس المعنى، كقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ**﴾(الأنعام:٥٨)، قال ابن عاشور: " والتعبير **(بِالظَّالِمِينَ)** إظهار في مقام ضمير الخطاب؛ لإشعارهم بأنهم ظالمون في شركهم إذ اعتدوا على حق الله، وظالمون في تكذيبهم إذ اعتدوا على حق الله ورسوله، وظالمون في معاملتهم الرسول صلى الله عليه وسلم"(٢).

٨- شناعة القول:

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وِيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(التوبة:٦١)، قال ابن عاشور: " والتعبير بـــ **(النَّبِيَّ)** إظهار في مقام الإضمار؛ لأن قبله **(وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ)**(التوبة:٥٨) فكان مقتضى الظاهر أن يقال: ومنهم الذين يؤذونك، فعدل عن الإضمار إلى إظهار وصف النبي؛ للإيذان بشناعة قولهم، ولزيادة تنزيه النبي بالثناء عليه بوصف النبوة، بحيث لا تحكى مقالتهم فيه إلا بعد تقديم ما يشير إلى تنزيهه، والتعريض بجرمهم فيما قالوه"(٣).

٩- إدخال الروع:

كقوله تعالى: ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾(هود:٧٦)، قال ابن عاشور: " وجملة **(يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)** مقول محذوف دل عليه المقام وهو من بديع الإيجاز، وهو وحي من الله إلى إبراهيم عليه السلام، أو جواب الملائكة إبراهيم عليه السلام، فإذا كان من كلام الله فقوله: **(أَمْرُ رَبِّكَ)** إظهار في مقام الإضمار؛ لإدخال الروع في ضمير السامع"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٣٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٧٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٤١.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٢٤.

١٠- الدلالة على الظلم:

منه قول الله تعالى: ﴿ **نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً** ﴾(الإسراء:٤٧)، قال ابن عاشور: " ووقع إظهار في مقام الإضمار في (**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ**) دون: إذ يقولون؛ للدلالة على أن باعث قولهم ذلك هو الظلم، أي: الشرك فإن الشرك ظلم، أي: ولولا شركهم لما مثل عاقل حالة النبي الكاملة بحالة المسحور، ويجوز أن يراد الظلم أيضا الاعتداء، أي: الاعتداء على النبي- صلى الله عليه وسلم- كذبا"[١].

١١- التخلص:

منه قول الله تعالى: ﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾(مريم:٣٨)، قال ابن عاشور: " والتعبير عنهم بـــ (**الظَّالِمُونَ**) إظهار في مقام الإضمار ، ونكتته التخلص إلى خصوص المشركين؛ لأن اصطلاح القرآن إطلاق الظالمين على عبدة الأصنام، وإطلاق الظلم على عبادة الأصنام"[٢].

١٢- التسجيل:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾(الحج:٧٢)، قال ابن عاشور: " والتعبير بـــ (**الَّذِينَ كَفَرُوا**) إظهار في مقام الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يكون (**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا**)، أي: وجوه الذين يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، فخولف مقتضى الظاهر للتسجيل عليهم بالإيماء، إلى أن علة ذلك هو ما يبطنونه من الكفر"[٣].

وقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً** ﴾(الفرقان:٢٢)، قال ابن عاشور: " وذكر وصف المجرمين إظهار في مقام الإضمار؛ للتسجيل عليهم بأنهم مجرمون بعد أن وصفوا بالكفر والظلم واليأس من لقاء الله"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٢١.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١٠٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣٦٥.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٧.

١٣- التصريح:

كقول الله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾ (الروم:٦٠)، قال ابن عاشور: " و(**الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**) هم المشركون الذين أجريت عليهم الصفات المتقدمة من الإجرام، والظلم، والكفر، وعدم العلم، فهو إظهار في مقام الإضمار للتصريح بمساويهم"(١).

ويأتي التصريح بالحجة مع الزيادة فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ (الرعد:٣٣)، قال ابن عاشور: " وإظهار اسم الجلالة إظهار في مقام الإتيان بضمير(**مَنْ هُوَ قَآئِمٌ**) وفائدة هذا الإظهار التعبير عن المسمى باسمه العلم الذي هو الأصل، إذ كان قد وقع الإيفاء بحق العدول عنه إلى الموصول في الجملة السابقة فتهيأ المقام للاسم العلم، وليكون تصريحا بأنه المراد من الموصول السابق زيادة في التصريح بالحجة"(٢).

والتصريح هو نفسه الإيضاح وإن اختلف معياره، كقول الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(الروم:٤١)، قال ابن عاشور: " فالإتيان بلفظ الناس في قوله:(**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**) إظهار في مقام الإضمار لزيادة إيضاح المقصود، ومقتضى الظاهر أن يقال: بما كسبت أيديهم"(٣).

١٤- التزكية:

كقوله تعالى: ﴿ ... **وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**...﴾(الأحزاب:٥٠)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**) إظهار في مقام الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: إن وهبت نفسها لك، والغرض من هذا الإظهار ما في لفظ (**النَّبِيُّ**) من تزكية فعل المرأة التي تهب نفسها بأنها راغبة لكرامة النبوة"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٣٥- ١٣٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٥١.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٠٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٦٩.

١٥- التعظيم:

كقول الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾(التغابن:١٣)، قال ابن عاشور: " وافتتاح الجملة باسم الجلالة إظهار في مقام الإضمار، إذ لم يقل هو لا إله إلا هو؛ لاستحضار عظمة الله تعالى بما يحويه اسم الجلالة من معاني الكمال، ولتكون الجملة مستقلة بنفسها فتكون جارية مجرى الأمثال والكلم الجوامع"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ**﴾(يس:٧٤)، قال ابن عاشور: " والإتيان باسم الجلالة العلم دون ضمير إظهار في مقام الإضمار لما يشعر به اسمه العلم من عظمة الإلهية؛ إيماء إلى أن اتخاذهم آلهة من دونه جراءة عظيمة، ليكون ذلك توطئة لقوله بعده (**فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ**)(يس:٧٦) أي: فإنهم قالوا ما هو أشد نكرا"(٢).

والتعظيم في نفس معنى التشريف، كقوله تعالى: ﴿ **فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(الدخان:٥٧)، قال ابن عاشور: " وذكر الرب إظهار في مقام الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يقال: فضلا منه أو منا، ونكتة هذا الإظهار تشريف مقام النبي- صلى الله عليه وسلم- والإيماء إلى أن ذلك إكرام له لإيمانهم به "(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾(النجم:١٠)، قال ابن عاشور: " وإيثار التعبير عن النبي- صلى الله عليه وسلم- بعنوان (**عَبْدِهِ**) إظهار في مقام الإضمار في اختصاص الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف"(٤).

١٦- العموم:

كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(الحشر:١٨)، قال ابن عاشور: " (**نَفْسٌ**) إظهار في مقام الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر: وانظروا ما قدمتم، فعدل عن الإظهار لقصد العموم، أي: لتنظروا وتنظر كل نفس"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٨٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٧٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٣٢٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٩٨.

(٥) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ١١١.

١٧- تربية المهابة:

كقول الله تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (التغابن:٨)، قال ابن عاشور: " وفي ذكر اسم الجلالة إظهار في مقام الإضمار، لتكون الجملة مستقلة جارية مجرى المثل والكلم الجوامع؛ ولأن الاسم الظاهر أقوى دلالة من الضمير لاستغنائه عن تطلب المعاد، وفيه من تربية المهابة ما في قول الخليفة: (أمير المؤمنين يأمركم بكذا)"(١).

١٨- التهويل:

كقوله تعالى: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** (١) **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ (الزلزلة:٢)، قال ابن عاشور: " وإعادة لفظ الأرض في قوله: (**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**) إظهار في مقام الإضمار لقصد التهويل"(٢).

وقد يأتي التهويل مع الزيادة فيه، وهذا ما يحدده المقام الذي وردت فيه، كقوله تعالى: ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾(الواقعة:١)، قال ابن عاشور: " و (**الْوَاقِعَةُ**): مرادفة للحاقة والقارعة، فذكرها إظهار في مقام الإضمار؛ لزيادة التهويل وإفادة ما تحتوي عليه من الأحوال التي تنبئ عنها موارد اشتقاق أوصاف الحاقة والقارعة والواقعة"(٣).

ونجده أحيانا يقرن التهويل بالترويع، كقوله تعالى: ﴿ **الْقَارِعَةُ** (١) **مَا الْقَارِعَةُ**﴾ (القارعة:٢)، قال ابن عاشور: " وإعادة لفظ (**الْقَارِعَة**) إظهار في مقام الإضمار عدل عن أن يقال: القارعة ماهي، لما في لفظ القارعة من التهويل والترويع"(٤).

١٩- النداء:

كقول الله تعالى: ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾(الطارق:١٧)، قال ابن عاشور: " والمراد بـــ (**الْكَافِرِينَ**) ما عاد عليه ضمير (**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ**)(الطارق:١٥) فهو إظهار في مقام الإضمار للنداء عليهم بمذمة الكفر، فليس المراد جميع الكافرين بل أريد الكافرون المعهودون"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٧٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٩١.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٢٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٥١٠.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٢٦٨.

٢٠- تجديد التعجيب:

كقوله تعالى: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾(البلد:٢)، قال ابن عاشور: "وتكرير لفظ (**بِهَذَا الْبَلَدِ**) إظهار في مقام الإضمار لقصد تجديد التعجيب، ولقصد تأكيد فتح ذلك البلد العزيز عليه والشديد على المشركين أن يخرج عن حوزتهم"(١).

٢١- التأكيد:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ** ...﴾(الناس:٢)، قال ابن عاشور: " وتكرير كلمة (**النَّاسِ**) في هذه الآيات المرتين الأوليين باعتبار معنى واحد إظهار في مقام الإضمار؛ لقصد تأكيد ربوبية الله تعالى، وملكه وإلاهيته للناس كلهم"(٢).

ويأتي التنصيص بمعنى التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾(الأنعام:٥٥)، قال ابن عاشور: " والمجرمون هم المشركون، وضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على أنهم المراد ولإجراء وصف الإجرام عليهم، وخص المجرمين لأنهم المقصود من هذه الآيات كلها لإيضاح خفي أحوالهم للنبي- صلى الله عليه وسلم- والمسلمين"(٣).

ويبدو أن الإلصاق في نفس معنى التأكيد، وهذا ما أكده قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**﴾(القمر:٤٧)، قال ابن عاشور: " والتعبير عنهم بـــ (**الْمُجْرِمِينَ**) إظهار في مقام الإضمار؛ لإلصاق وصف الإجرام بهم"(٤).

٢٢- التوسل:

كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون**﴾(الروم:١٠)، قال ابن عاشور: " ويحتمل أن يراد بـــ (**الَّذِينَ أَسَاؤُوا**) الأمم الذين أثاروا الأرض وعمروها، فتكون من وضع الظاهر موضع المضمر، توسلا إلى الحكم عليهم بأنهم أساءوا واستحقوا السوأى وهي جهنم"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٤٩.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٦٣٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٦١.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢١٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٦٠.

خامسا: وضع المضمر موضع الظاهر:

يوضع المضمر موضع المظهر ليحقق أغراضا جمالية تكسب الكلام قوة وجمالا، ويكون هذا إذا كان المسند إليه ضمير الشأن أو القصة، وهو" ضمير غيبة لا مرجع له في الكلام السابق، تسمعه النفس فينبه لسماع ما بعده؛ لأن الأسلوب العربي لا يأتي بهذا الضمير إلا في المواطن التي يكون فيها أمر مهم تراد العناية به، فيكون هذا الضمير أداة للتنبيه يدفع المرء إلى الإصغاء، فإذا وردت الجملة بعده استقرت في النفس، وثبتت في الفؤاد"(١).

وقد أشار ابن عاشور إلى سبب تسميته ضمير الشأن والقصة، فقال: " وهذا موقع ضمير الشأن حيثما ورد، ولذلك يسمى ضمير القصة؛ اعتدادا بأن جملة خبره قد صارت شيئا مقررا ومما يقصه الناس ويتحدثون به"(٢).

كما وقد وضح أهمية هذا الضمير كثيرا في تفسيره، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(الأنعام:٢١)، قال ابن عاشور: " وموقع ضمير الشأن معها- إن- أفاد الاهتمام بهذا الخبر اهتمام تحقيق لتقع الجملة الواقعة تفسيرا له في نفس السامع موقع الرسوخ"(٣).

وعادة ما يأتي هذا الضمير للأهمية، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(يوسف:٢٣)، قال ابن عاشور: " والضمير المجعول اسما لـــ (**إِنَّ**) ضمير الشأن يفيد أهمية الجملة المجعولة خبرا عنه؛ لأنها موعظة جامعة"(٤).

وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(القصص:٣٧)، قال ابن عاشور: " وضمير (**إِنَّهُ**) ضمير الشأن؛ لأن الجملة بعده ذات معنى له شأن وخطر"(٥).

كما وقد وضح ابن عاشور المعنى القائم على هذا الضمير، ومن هذه المعاني:

١- التهويل:

منه قول الله تعالى: ﴿ **لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾

(١) معاني التراكيب: ١٨١- ١٨٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٩٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٧٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٥٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٢١.

(التوبة:١١٧)، قال ابن عاشور: " و(**كَادَ**) من أفعال المقاربة تعمل في اسمين عمل كان، واسمها هنا ضمير شأن مقدر، وخبرها هو جملة الخبر عن ضمير الشأن، وإنما جعل اسمها هنا ضمير شأن لتهويل شأنهم حين أشرفوا على الزيغ"[١].

٢- التأييس:

كقول الله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾(هود:٣٦)، قال ابن عاشور: " واسم (**أَنَّ**) ضمير الشأن دال على أن الجملة بعده أمرهم خطير؛ لأنها تأييس له من إيمان بقية قومه، كما دل حرف (**لَن**) المفيد تأييد النفي في المستقبل، وذلك شديد عليه ولذلك عقب بتسليته بجملة (**فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**) فالفاء لتفريع التسلية على الخبر المحزن"[٢].

سادسا: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

يأتي التلوين بالأفعال مخالفة لمقتضى الظاهر، فيعبر عن المستقبل بلفظ الماضي، للتنبيه على تحقق وقوعه، وأنه في حكم المنقضي، كما يوحي بإشارات بلاغية تأنسها الأذواق العربية، وهذا متفق مع ما ذهب إليه ابن عاشور في تخريج مثل هذه المواطن، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(الأعراف:٤٣)، قال ابن عاشور: " والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبيه على تحقق وقوعه، أي: وننزع ما في صدورهم من غل، وهو تعبير معروف في القرآن"[٣].

وقوله تعالى: ﴿ **أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾(البقرة:١٧٥)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**) تعجيب من شدة صبرهم على عذاب النار، ولما كان شأن التعجيب أن يكون ناشئا عن مشاهدة صبرهم على العذاب، وهذا الصبر غير حاصل في وقت نزول هاته الآية، بني التعجيب على تنزيل غير الواقع منزلة الواقع، لشدة استحضار السامع إياه بما وصف به من الصفات

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٦٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٣١.

الماضية، وهذا من طرق جعل المحقق الحصول في المستقبل بمنزلة الحاصل، ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وتنزيل المتخيل منزلة المشاهد"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾(يونس:٥٤)، قال ابن عاشور: " وعبر عن الإسرار المستقبلي بلفظ الماضي؛ تنبيها على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد مضى، والمعنى: وسيسرون الندامة قطعا"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾(الإنسان:٧)، قال ابن عاشور: " وذكر فعل **(كَانَ)** للدلالة على تمكن الخبر من المخبر عنه، وإلا فإن شر ذلك اليوم ليس واقعا في الماضي وإنما يقع بعد مستقبل بعيد، ويجوز أن يجعل ذلك من التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي؛ تنبيها على تحقق وقوعه"(٣).

سابعا: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

تعبر الأساليب البليغة عن الماضي بصيغة المستقبل؛ لغرض استحضار الصورة، وهذا كثير في القرآن الكريم، فالقرآن صالح لكل زمان ومكان، فالخطاب فيه مستمر إلى أن تقوم الساعة، وقد وضح ابن الأثير جمالية هذا الأسلوب بقوله: " إن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك في الفعل الماضي"(٤).

وقد وضح ابن عاشور هذا الأسلوب كثيرا في تفسيره للآيات القرآنية، وبين قيمته البلاغية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾(البقرة:١٥٩)، قال ابن عاشور: " واختير الفعل المضارع للدلالة على التجدد مع العلم بأنه لعنهم أيضا فيما مضى؛ إذ كل سامع يعلم أنه لا وجه لتخصيص لعنهم بالزمن المستقبل"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ١٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٩٨.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٨٣.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط٢، ج٢، ص١٨١.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾(الفتح:١٠)، قال ابن عاشور: " وصيغة المضارع في قوله: (**يُبَايِعُونَكَ**) لاستحضار حالة المبايعة الجليلة؛ لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول هذه الآية مع أنها قد انقضت"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(البقرة:١٢٧)، قال ابن عاشور: " وخولف الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي، بأن يقول وإذ رفع إلى كونه بالمضارع؛ لاستحضار الحالة وحكايتها كأنها مشاهدة؛ لأن المضارع دال على زمن الحال فاستعماله هنا استعارة تبعية(٢)، شبه الماضي بالحال لشهرته ولتكرر الحديث عنه بينهم، فإنهم لحبهم إبراهيم وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه، وأعظمها بناء الكعبة فشبه الماضي لذلك بالحال؛ ولأن ما مضى من الآيات في ذكر إبراهيم من قوله: (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**)(البقرة:١٢٤) إلى هنا مما يوجب امتلاء أذهان السامعين بإبراهيم وشؤونه حتى كأنه حاضر بينهم، وكأن أحواله حاضرة مشاهدة، وكلمة (**إِذْ**) قرينة على هذا التنزيل؛ لأن غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي، وهذا معنى قول النحاة أن إذ تخلص المضارع إلى الماضي"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾(الحج:٦٣)، قال ابن عاشور: " وإنما عبر عن مصير الأرض خضراء بصيغة (**تُصْبِحُ الْأَرْضُ**) مع أن ذلك مفرع على فعل (**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**) الذي هو بصيغة الماضي؛ لأنه قصد من المضارع استحضار تلك الصورة العجيبة الحسنة، ولإفادة بقاء أثر إنزال المطر زمانا بعد زمان كما تقول: أنعم فلان علي فأروح وأغدو شاكرا له"(٤).

ثامنا: وضع المفرد موضع الجمع:

وهو من باب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، فيُذكر المفرد ويراد الجمع، وذلك لأن " المتكلم جعل الجمع كالشيء الواحد، لشدة الاتصال والتماسك لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ولا يحدث بينهما تمايز أو افتراق"(٥)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ ... **وَنُقِرُّ فِي**

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١٥٧.

(٢) عرفها السكاكي فقال: " هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف". – مفتاح العلوم: ٣٨٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧١٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣١٨.

(٥) من بلاغة القرآن، د. علوان: ١٠٤.

الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...﴾(الحج:٥)، قال ابن عاشور: " وقوله (**طِفْلاً**) حال من ضمير (**نُخْرِجُكُمْ**)، أي: حال كونكم أطفالا، وإنما أفرد (**طِفْلاً**) لأن المقصود به الجنس فهو بمنزلة الجمع"(١).

وعلق الزجاج على هذا الموضع، فقال: " إن طفلا في معنى أطفال ودل عليه ذكر الجماعة، وكأن طفلا يدل على معنى: ويُخرج كل واحد منكم طفلاً"(٢).

وقد علل ابن جني سبب استخدام المفرد بدلا من الجمع هنا فقال: " لأنه موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضوع من لفظ الجماعة؛ لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد"(٣).

وقوله تعالى: **﴿ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾**(البقرة:٤١)، قال ابن عاشور: " جمع الضمير في (**تَكُونُواْ**) مع إفراد لفظ (**كَافِرٍ**) يدل على أن المراد من الكافر فريق ثبت له الكفر لا فرد واحد فإضافة (**أَوَّلَ**) إلى (**كَافِرٍ**) بيانية تفيد معنى فريق هو أول فرق الكافرين"(٤).

وقد علق الفراء على هذه الآية بقوله: " فوحّد الكافر وقبله جمع وذلك من كلام العرب فصيح جيد في الاسم إذا كان مشتقا من فعل مثل الفاعل والمفعول، ويراد به ولا تكونوا أول من يكفر، فتحذف (من) ويقوم الفعل مقامها فيؤدي الفعل عن مثل ما أدت (من) عنه من التأنيث والجمع وهو في لفظ توحيد"(٥).

وقوله تعالى: **﴿ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾**(الأنعام:١٢٤)، قال ابن عاشور: " أو أرادوا برسل الله محمدا- صلى الله عليه وسلم- فعبروا عنه بصيغة الجمع تعريضا، كما يقال: إن ناسا يقولون كذا، والمراد شخص معين"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٢٠٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، شرح وتعليق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص٣٣٥.

(٣) المحتسب، ابن جني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج١، ص٢٠٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤٦٠.

(٥) معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م، م١، ٣١- ٣٢.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٥٣.

تاسعا: وضع الجمع موضع المفرد:

وعادة ما تأتي صيغة الجمع للتعظيم إذا أريد منها المفرد، وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**(يونس:٦١)، قال ابن عاشور: " وأخبر بصيغة الجمع عن الواحد وهو الله تعالى تبعا لضمير الجمع المستعمل للتعظيم، ومثله قوله تعالى: (**إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**)(الأنبياء:١٠٤)"(١).

وقوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾**(المؤمنون:٩٩)، قال ابن عاشور: " وضمير الجمع في (**ارْجِعُونِ**) تعظيم للمخاطب، والخطاب بصيغة الجمع لقصد التعظيم طريقة عربية، وهو يلزم صيغة التذكير، فيقال: في خطاب المرأة إذا قصد تعظيمها: أنتم، ولا يقال: أنتن"(٢).

وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**(البقرة:١١٤)، قال ابن عاشور: " وجمع المساجد وإن كان المشركون منعوا الكعبة فقط إما للتعظيم فإن الجمع يجيء للتعظيم... وإما لما فيه من أماكن العبادة وهي البيت والمسجد الحرام ومقام إبراهيم والحطيم، وإما لما يتصل به أيضا من الخيف ومنى والمشعر الحرام وكلها مساجد، والإضافة على هذه الوجوه على معنى لام التعريف العهدي، وإما لقصد دخول جميع مساجد الله؛ لأنه جمع تعرف بالإضافة ووقع في سياق منع الذي هو في معنى النفي ليشمل الوعيد كل مخرب لمسجد أو مانع من العبادة بتعطيله عن إقامة العبادات، ويدخل المشركون في ذلك دخولا أوليا على حكم ورود العام على سبب خاص، والإضافة على هذا الوجه على معنى لام الاستغراق، ولعل ضمير الجمع المنصوب في قوله: (**أَن يَدْخُلُوهَا**) يؤيد أن المراد من المساجد مساجد معلومة؛ لأن هذا الوعيد لا يتعدى لكل من منع مسجدا إذ هو عقاب دنيوي لا يلزم اطراده في أمثال المعاقب، والمراد من المنع منع العبادة في أوقاتها الخاصة بها كالطواف والجماعة إذا قصد بالمنع حرمان فريق من المتأهلين لها منها، وليس منه غلق المساجد في غير أوقات الجماعة؛ لأن صلاة الفذ لا تفضل في المسجد على غيره، وكذلك غلقها من دخول الصبيان والمسافرين للنوم"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ١٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٧٩.

وقد تأتي صيغة الجمع للإبهام، كما في قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾(آل عمران:١٧٣)، قال ابن عاشور: " وقال بعض المفسرين وأهل العربية: إن لفظ الناس هنا أطلق على نعيم بن مسعود وأبي سفيان، وجعلوه شاهدا على استعمال الناس بمعنى الواحد والآية تحتمله، وإطلاق لفظ الناس مرادا به واحد أو نحوه مستعمل لقصد الإبهام"(١).

عاشرا: وضع المفرد موضع المثنى:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾(طه:١١٧)، قال ابن عاشور: " وأسند ترتب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجه إيجازا؛ لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر؛ لتلازمهما في الكون مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة، مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾(ق:١٧)، قال ابن عاشور: " وعطف قوله: **(وَعَنِ الشِّمَالِ)** على جملة **(يَتَلَقَّى)** وليس عطفا على قوله: **(عَنِ الْيَمِينِ)** لأنه ليس المعنى على أن القعيد قعيد في الجهتين، بل كل من الجهتين قعيد مستقل بها، والتقدير: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد آخر"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾(طه:٤٩)، قال ابن عاشور: " ووجه فرعون الخطاب إليهما بالضمير المشترك، ثم خص موسى بالإقبال عليه بالنداء، لعلمه بأن موسى هو الأصل بالرسالة وأن هارون تابع له، وهذا وإن لم يحتو عليه كلامهما فقد تعين أن يكون فرعون علمه من كيفية دخولهما عليه ومخاطبته؛ ولأن موسى كان معروفا في بلاط فرعون لأنه ربيه أو ربي أبيه فله سابقة اتصال بدار فرعون، كما دل عليه قوله له المحكي في آية سورة الشعراء (١٨): **(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)**، ولعل موسى هو الذي تولى الكلام وهارون يصدقه بالقول أو بالإشارة "(٤).

وهذا نفس ما عناه الفراء بقوله: " يكلِّم الاثنين ثم يجعل الخطاب لواحد؛ لأن الكلام إنما يكون من الواحد لا من الجميع، ومثله مما جُعِل الفعل على اثنين وهو لواحدٍ"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٦٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٣٢١.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٠٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢٣١- ٢٣٢.

(٥) معاني القرآن، الفراء: م٢، ١٨٠.

وقوله تعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾(التوبة:٦٢)، قال ابن عاشور: " أي: أحق منكم بأن يرضوهما... فإرضاء الله بالإيمان به وبرسوله وتعظيم رسوله، وإرضاء الرسول بتصديقه ومحبته وإكرامه، وإنما أفرد الضمير في قوله: (**أَن يُرْضُوهُ**) مع أن المعاد اثنان؛ لأنه أريد عود الضمير إلى أول الاسمين، واعتبار العطف من عطف الجمل بتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فيكون الكلام جملتين ثانيتهما كالاحتراس وحذف الخبر إيجاز، ومن نكتة ذلك الإشارة إلى التفرقة بين الإرضاءين"[١].

الحادي عشر: وضع المثنى موضع المفرد:

كقوله تعالى: ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾(الرحمن:٢٢)، قال ابن عاشور: " واللؤلؤ والمرجان يخرجان من أحد البحرين، وهو البحر المالح لا من البحر العذب"[٢]، وأطلق لفظ (**مِنْهُمَا**) وأراد أن يخرج من أحدهما.

وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(يونس:٨٩)، قال ابن عاشور: " وأضيفت الدعوة إلى ضمير التثنية المخاطب به موسى وهارون وإن كانت الدعوة إنما حكيت عن موسى عليه السلام وحده؛ لأن موسى عليه السلام دعا لما كان هارون مواطئا له، وقائلا بمثله لأن دعوتهما واحدة، وقيل: كان موسى عليه السلام يدعو وهارون عليه السلام يؤمن"[٣].

الثاني عشر: وضع المثنى موضع الجمع:

وقد وضح ابن عاشور هذا الضرب في قوله: " تكون التثنية بمعنى التكرير بناء على ما شاع عند العرب من استعمال المثنى في مطلق المكرر نحو (**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**)(الملك:٤)، وقولهم: لبيك وسعديك"[٤].

كما بين الغاية من مجيئه في الكلام: " والعرب تأتي بما يدل في الوضع على تكرر الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التكرير"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٤٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٩٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٧٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٣٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٨٩.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...**﴾(المائدة:٦٤)، قال ابن عاشور: " وذكر اليد هنا بطريقة التثنية لزيادة المبالغة في الجود، وإلا فاليد في حال الاستعارة للجود أو للبخل لا يقصد منها مفرد ولا عدد، فالتثنية مستعملة في مطلق التكرير"[١].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(الحجرات:١٠)، قال ابن عاشور: " وأوثرت صيغة التثنية في قوله: **(أَخَوَيْكُمْ)** مراعاة لكون الكلام جار على طائفتين من المؤمنين، فجعلت كل طائفة كالأخ للأخرى"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾(هود:٣٧)، قال ابن عاشور: " وصيغة الجمع في **(أَعْيُنِنَا)** بمعنى المثنى، أي: بعينينا"[٣].

الثالث عشر: وضع الجمع موضع المثنى:

وقد وضح ابن عاشور هذه المسألة بقوله: " وأكثر استعمال العرب وأفصحه في ذلك أن يعبروا بلفظ الجمع مضافا إلى اسم المثنى؛ لأن صيغة الجمع قد تطلق على الاثنين في الكلام فهما يتعاوران، ويقل أن يؤتى بلفظ المفرد مضافا إلى الاسم المثنى"[٤].

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾(ص:٢١)، قال ابن عاشور: " وضمير الجمع مراد به المثنى، والمعنى: إذ تسورا المحراب، والعرب يعدلون عن صيغة التثنية إلى صيغة الجمع إذا كانت هناك قرينة؛ لأن في صيغة التثنية ثقلا لندرة استعمالها، قال تعالى: **(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)**(التحريم:٤) أي: قلباكما"[٥].

وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾(فصلت:١٤)، قال ابن عاشور: " وضمير **(جَاءتْهُمُ)** عائد إلى عاد وثمود باعتبار عدد كل قبيلة منهما، وجمع الرسل هنا من باب إطلاق صيغة الجمع على الاثنين، مثل قوله تعالى: **(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)**(التحريم:٤)، والقرينة واضحة وهو استعمال غير عزيز، وإنما جاءهم رسولان هود وصالح"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٢٤٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٦٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٣٥٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٢٣١.

(٦) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٥٣.

وقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾(طه:١٣٠)، قال ابن عاشور: "" فالجمع في قوله: **(وَأَطْرَافَ النَّهَارِ)** من إطلاق اسم الجمع على المثنى، وهو متسع فيه في العربية عند أمن اللبس"[١].

وقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(المائدة:٣٨)، قال ابن عاشور: " وجمع الأيدي باعتبار أفراد نوع السارق، وثني الضمير باعتبار الصنفين الذكر والأنثى؛ فالجمع هنا مراد منه التثنية كقوله تعالى: **(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)**(التحريم:٤)"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾(إبراهيم:٣٥)، قال ابن عاشور: " وأراد ببنيه أبناء صلبه، وهم يومئذ إسماعيل وإسحاق، فهو من استعمال الجمع في التثنية، أو أراد جميع نسله تعميما في الخير فاستجيب له في البعض"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٣٣٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٩٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٣٨.

سادسا: القصر وأسراره البلاغية

القصر لغة:

القصر من قَصَرَ الشيءَ يَقْصُره قَصْراً حبسه [١]، وهو من الحصر وهو: الضيق، قال تعالى: ﴿ **حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ**﴾(النساء:٩٠)، أي: ضَاْقَتْ صُدُورُهُمْ [٢]، وهو الاختصاص، يقال: خصّه بالشيء يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً والفتح أَفصح، وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتَصّه أَفْرَدَه به دون غيره، ويقال: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ له إِذا انفرد"[٣]، وهو أيضا من الاستثناء، يقال: استَثْنَيْتُ الشيءَ من الشيء حاشَيْتُه، والثَّنِيَّة ما استُثْني[٤].

فجميع المرادفات السابقة تعطي نفس المعنى الذي ذهب إليه البلاغيون، فهم لم يبعدوا عن المعنى اللغوي.

القصر اصطلاحا:

عرفه القزويني بقوله: " هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[٥]، ولم يخرج العلماء عن هذا التعريف وإن اختلفت الصياغة، فقال السيوطي: " أما الحصر ويقال له القصر، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه[٦].

وهذه المعاني قد وردت عند ابن عاشور في حديثه عن القصر، وتقسيماته، وطرقه، والفائدة البلاغية منه.

وللقصر طرفان[٧]:

١- المقصور، وهو الشيء المخصص.

٢- المقصور عليه، وهو الشيء المخصص به.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ**

---

(١) اللسان: (قصر).

(٢) اللسان: (حصر).

(٣) اللسان: (خصص).

(٤) اللسان: (ثني).

(٥) التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٣٢م، ص١٣٧.

(٦) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ١٢٧، وانظر، معترك الأقران: ج١، ١٣٦.

(٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٤٨.

الشَّاكِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٤)، قال ابن عاشور " وقصر محمدا على وصف الرسالة قصر موصوف على الصفة "[١]. فقد قصر الله- سبحانه وتعالى- محمد- صلى الله عليه وسلم- على الرسالة بطريق مخصوص، وهو النفي والاستثناء بـــ (ما وإلا)، والقصر باعتبار الحقيقة والإضافة قصر إضافي إلى قصر الموصوف على الصفة، بالإضافة إلى صفات أخرى؛ لأنه ما من شخص إلا وفيه صفات يتعذر على البعض معرفتها.

وكقوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(الفاتحة:٥)، قال ابن عاشور: " والحصر المستفاد من تقديم المعمول في قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)** حصر حقيقي؛ لأن المؤمنين الملقنين لهذا الحمد لا يعبدون إلا الله"[٢]. والمقصود بقوله (حقيقي) إلى أن الله المتفرد في هذه الصفة لا يشاركه فيها أحد آخر على الإطلاق، وهو ما عرفه البلاغيون بقولهم: أن القصر الحقيقي هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه ولا يتعداه إلى آخرين[٣]، فالعبادة والاستعانة لا تكونان إلا لله وحده لا شريك له.

أقسام القصر:

أولا: التقسيم القائم على طرفي القصر، وهما قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف.

١- قصر الموصوف على الصفة:

وهو أن " يحبس الموصوف على الصفة ويختص بها دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، ويتم ذلك بتقديم الموصوف على الصفة"[٤]، ومن أمثلة ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾(البقرة:١١)، قال ابن عاشور: " وأفاد **(إِنَّمَا)** هنا قصر الموصوف على الصفة، ردا على قول من قال لهم **(لاَ تُفْسِدُواْ)**؛ لأن القائل أثبت لهم وصف الفساد إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصلاح في شيء، أو باعتقاد أنهم قد خلطوا عملا صالحا وفاسدا، فردوا عليهم بقصر القلب، وليس هو قصرا حقيقيا؛ لأن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا؛ ولأن حرف**(إِنَّمَا)** يختص بقصر القلب كما في (دلائل

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١١٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٨٣.

(٣) انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٤٩.

(٤) مدخل إلى البلاغة العربية: ١١٣.

الإعجاز)[١]، واختير في كلامهم حرف (**إِنَّمَا**) لأنه يخاطب به مخاطب مصر على الخطأ كما في (دلائل الإعجاز) وجعلت جملة القصر اسمية؛ لتفيد أنهم جعلوا اتصافهم بالإصلاح أمرا ثابتا دائما، إذ من خصوصيات الجملة الاسمية إفادة الدوام"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**﴾(النساء:١٧١)، قال ابن عاشور: " وقد أفادت الجملة قصر المسيح على صفات ثلاث: صفة الرسالة، وصفة كونه كلمة الله ألقيت إلى مريم، وصفة كونه روحا من عند الله، فالقصر قصر موصوف على صفة، والقصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه غلوهم في هذه الصفات غلوا أخرجها عن كنهها، فإن هذه الصفات ثابتة لعيسى، وهم مثبتون لها فلا ينكر عليهم وصف عيسى بها، لكنهم تجاوزوا الحد المحدود لها فجعلوا الرسالة البنوة، وجعلوا الكلمة اتحاد حقيقة الإلهية بعيسى في بطن مريم فجعلوا عيسى ابنا لله ومريم صاحبة لله سبحانه، وجعلوا معنى الروح على ما به تكونت حقيقة المسيح في بطن مريم من نفس الإلهية "[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾(مريم:٨٤)، قال ابن عاشور: " و (**إِنَّمَا**) للقصر، أي: ما نحن إلا نعد لهم، وهو قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا، أي: نعد لهم ولسنا بناسين لهم كما يظنون، أو لسنا بتاركينهم من العذاب، بل نؤخرهم إلى يوم موعود"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾(طه:٧٣)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من (**إِنَّمَا**) قصر موصوف على صفة، أي: إنك مقصور على القضاء في هذه الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة، فهو قصر حقيقي"[٥].

---

(١) قال عبد القاهر الجرجاني: " ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه".

– انظر، دلائل الإعجاز: ٣٥٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٨٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٥١– ٥٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١٦٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢٦٧.

٢- قصر الصفة على الموصوف:

وهو أن " تحبس الصفة على موصوفها، وتختص به، فلا يتصف بها غيره، وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات، ويتم ذلك بتقديم الصفة على الموصوف"(١)، ومن أمثلة ذلك كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ (فاطر:١٥)، قال ابن عاشور: " وجملة (**أَنتُمُ الْفُقَرَاء**) تفيد القصر لتعريف جزأيها، أي: قصر صفة الفقر على الناس المخاطبين قصرا إضافيا بالنسبة إلى الله، أي: أنتم المفتقرون إليه وليس هو بمفتقر إليكم، وهذا في معنى قوله تعالى: (**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ**)(الزمر:٧) المشعر بأنهم يحسبون أنهم يغيظون النبي- صلى الله عليه وسلم- بعدم قبول دعوته"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾(الزمر:١٨)، قال ابن عاشور: " وقد أفاد تعريف الجزأين في قوله: (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ**) قصر الهداية عليهم، وهو قصر صفة على موصوف، وهو قصر إضافي قصر تعيين، أي: دون الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾(النازعات:٤٤)، قال ابن عاشور: " وتقديم المجرور على المبتدأ في قوله: (**إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**) لإفادة القصر، أي: لا إليك، وهذا قصر صفة على موصوف"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾(الكوثر:٣)، قال ابن عاشور: " فحصل القصر في قوله: (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**) لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف وهو شانئ النبي- صلى الله عليه وسلم - قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب، أي: هو الأبتر لا أنت"(٥).

ويستنتج من الأمثلة السابقة أن الموصوف إذا تقدم على الصفة يعتبر من قصر الموصوف على الصفة، أما إذا تقدمت الصفة على الموصوف فهو يحتمل أمرين اثنين:

الأول: قصر حقيقي.

والثاني قصر إضافي.

وهذا ما سنعرضه بالتفصيل في التقسيم الآتي.

---

(١) مدخل إلى البلاغة العربية: ١١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٢٨٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٣٦٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٩٦.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٥٧٦.

ثانيا: التقسيم القائم على دلالة جملة القصر على الإثبات والنفي- تبعا لغرض المتكلم- وهذا ما يسمى عند البلاغيين بالقصر الحقيقي والإضافي(١).

١- القصر الحقيقي:

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة لا يتعداه إلى غيره أصلا(٢)، أي: إذا كان الشق الثاني من دلالة جملة القصر وهو النفي، فإن كان عاما كان القصر حقيقيا، و المقصور يختص بالمقصور عليه، أي: يثبت له وينتفي عما عداه انتفاء عاما ومطلقا(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(البقرة:٢٩)، قال ابن عاشور: " وجملة (**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم**) صيغة قصر، وهو قصر حقيقي سيق للمخاطبين من المشركين الذين لا شك عندهم في أن الله خالق ما في الأرض، ولكنهم نزلوا منزلة الجاهل بذلك فسيق لهم الخبر المحصور ؛لأنهم في كفرهم وانصرافهم عن شكره والنظر في دعوته وعبادته كحال من يجهل أن الله خالق جميع الموجودات"(٤). فقد اختصت الصفة بالموصوف ولم تتعداه إلى موصوفين آخرين، فالله هو الخالق لا شريك له في ذلك.

وكقوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾(البقرة:٢٨٥)، قال ابن عاشور: " وتقديم المجرور لإفادة الحصر،أي: المصير إليك لا إلى غيرك، وهو قصر حقيقي قصدوا به لازم فائدته، وهو أنهم عالمون بأنهم صائرون إليه، ولا يصيرون إلى غيره ممن يعبدهم أهل الضلال"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(آل عمران:٦)، قال ابن عاشور: " ودل تعريف الجزأين على قصر صفة التصوير عليه تعالى وهو قصر حقيقي؛ لأنه كذلك في الواقع؛ إذ هو مكون أسباب ذلك التصوير، وهذا إيماء إلى كشف شبهة النصارى؛ إذ توهموا أن تخلق عيسى بدون ماء أب دليل على أنه غير

---

(١) انظر، البلاغة الاصطلاحية: ٢٤٧.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٤٩.

(٣) انظر، البلاغة الاصطلاحية: ٢٤٧.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣٧٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٣٤.

بشر وأنه إله، وجهلوا أن التصوير في الأرحام وإن اختلفت كيفياته لا يخرج عن كونه خلقا، لما كان معدوما فكيف يكون ذلك المخلوق المصور في الرحم إلاها"[(١)].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(التوبة:٧٢)، قال ابن عاشور: " والقصر في (**هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) قصر حقيقي باعتبار وصف الفوز بعظيم"[(٢)].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾(المؤمنون:١١٧)، قال ابن عاشور: " والقصر في قوله: (**فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ**) قصر حقيقي، وفيه إثبات الحساب وأنه لله وحده مبالغة في تخطئتهم وتهديدهم"[(٣)].

وكقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (التغابن:٢)، قال ابن عاشور: " وأفاد تعريف الجزأين من جملة (**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ**) قصر صفة الخالقية على الله تعالى، وهو قصر حقيقي قصد به الإشارة بالكناية بالرد على المشركين؛ إذ عمدوا إلى عبادة أصنام يعلمون أنها لم تخلقهم فما كانت مستحقة لأن تعبد؛ لأن العبادة شكر"[(٤)].

و نلاحظ في جميع الأمثلة التي وردت في القصر الحقيقي أنه من باب قصر صفة على موصوف، ولا يكون قصر موصوف على صفة، وهذا ما أشار إليه البلاغيون.

وقد يأتي القصر حقيقيا ادعائيا مجازيا – وهو قصر مجازي لابتنائه على التشبيه[(٥)]– أساسه الغلو والمبالغة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾(فاطر:٣١)، قال ابن عاشور: " وأفاد تعريف الجزأين قصر المسند على المسند إليه، أي: قصر جنس الحق على (**الَّذِي أَوْحَيْنَا**) وهو قصر ادعائي للمبالغة؛ لعدم الاعتداد بحقية ما عداه من الكتب"[(٦)].

وكقوله تعالى: ﴿ **أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾(البقرة:١٦)، قال ابن عاشور: " والموصول في قوله: (**الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ**) بمعنى المعرف بلام الجنس، فيفيد التركيب قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر ادعائي، باعتبار أنهم

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٥٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٦٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ١٣٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٦٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٥٥.

(٦) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٣٠٩.

بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها؛ إذ جمعوا الكفر والسفه والخداع والإفساد والاستهزاء بالمهتدين"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ (النساء:١٥١)، قال ابن عاشور: " وأفاد تعريف جزأي الجملة والإتيان بضمير الفصل تأكيد قصر صفة الكفر عليهم، وهو قصر ادعائي مجازي بتنزيل كفر غيرهم في جانب كفرهم منزلة العدم، كقوله تعالى في المنافقين: (هُمُ الْعَدُوُّ)(المنافقون:٤)، ومثل هذا القصر يدل على كمال الموصوف في تلك الصفة المقصورة"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام:٧٠)، قال ابن عاشور: " والتعريف للجزأين أفاد القصر، أي: أولئك هم المبسلون لا غيرهم، وهو قصر مبالغة؛ لأن إبسالهم هو أشد إبسال يقع فيه الناس، فجعل ما عداه كالمعدوم"(٣).

وقد برز عند ابن عاشور نوع آخر للقصر الحقيقي لم ينوه عليه علماء المعاني، وسماه بالقصر المقيد، ولعل سبب هذه التسمية التقييد من باب التوكيد؛ لأنه قُصر بأكثر من أداة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(البقرة:١٢٧)، قال ابن عاشور: " وجملة (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) تعليل لطلب التقبل منهما، وتعريف جزءي هذه الجملة والإتيان بضمير الفصل، يفيد قصرين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى، بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم، ويجوز أن يكون قصرا حقيقيا باعتبار متعلق خاص، أي: السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك، وهذا قصر حقيقي مقيد، وهو نوع مغاير للقصر الإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني"(٤).

٢- القصر الإضافي:

وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص، لا إلى ما عدا المقصور عليه(٥)، أي: إذا كان الشق الثاني من دلالة جملة القصر وهو النفي، فإن كان خاصا كان

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٩٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١١.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٩٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧١٩.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٤٩.

القصر إضافيا، أي: بالإضافة إلى صفات أخرى معينة ومحددة، أو إلى موصوفين آخرين معينين ومحددين(١)، فقد اختصت الصفة بالموصوف وتجاوزته إلى موصوفين آخرين، مثل قولنا: (إنما الشهيد أحمد) فالشهادة قصرت على أحمد بالإضافة إلى آخرين غيره، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:٣٣)، قال ابن عاشور: " فالقصر المفاد من (**إِنَّمَا**) قصر إضافي مفاده أن الله حرم الفواحش وما ذكر معها لا ما حرمتموه من الزينة والطيبات، فأفاد إبطال اعتقادهم، ثم هو يفيد بطريق التعريض أن ما عده الله من المحرمات الثابت تحريمها قد تلبسوا بها؛ لأنه لما عد أشياء وقد علم الناس أن المحرمات ليست محصورة فيها، علم السامع أن ما عينه مقصود به تعيين ما تلبسوا به، فحصل بصيغة القصر رد عليهم من جانبي ما في صيغة (**إِنَّمَا**) من إثبات ونفي؛ إذ هي بمعنى (ما وإلا)، فأفاد تحليل ما زعموه حراما، وتحريم ما استباحوه من الفواحش وما معها"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾(السجدة:١٥)، قال ابن عاشور: " ومفاد (**إِنَّمَا**) قصر إضافي، أي: يؤمن بآيات الله الذين إذا ذكروا بها تذكيرا بما سبق لهم سماعه، لم يتريثوا عن إظهار الخضوع لله دون الذين قالوا: (**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**)(السجدة:١٠)، وهذا تأييس للنبي- صلى الله عليه وسلم- من إيمانهم، وتعريض بهم بأنهم لا ينفعون المسلمين بإيمانهم ولا يغيظونهم بالتصلب في الكفر"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(آل عمران:١٤٧)، قال ابن عاشور: " فصيغة القصر في قوله: (**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ**) قصر إضافي لرد اعتقاد من قد يتوهم أنهم قالوا أقوالا تنبئ عن الجزع، أو الهلع، أو الشك في النصر، أو الاستسلام للكفار، وفي هذا القصر تعريض بالذين جزعوا من ضعفاء المسلمين أو المنافقين، فقال قائلهم: لو كلمنا عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان"(٤).

---

(١) انظر، البلاغة الاصطلاحية: ٢٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٩٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٢٢٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٢٠.

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾(الرعد:٧)، قال ابن عاشور: " (**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**)، فقصر النبي- صلى الله عليه وسلم- على صفة الإنذار، وهو قصر إضافي، أي: أنت منذر لا موجد خوارق عاد، وبهذا يظهر وجه قصره على الإنذار دون البشارة؛ لأنه قصر إضافي بالنسبة لأحواله نحو المشركين"[١].

وقوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾(الأنعام:٢٦)، قال ابن عاشور: " والقصر في قوله : (**وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**) قصر إضافي يفيد قلب اعتقادهم؛ لأنهم يظنون بالنهي والنأي عن القرآن أنهم يضرون النبي- صلى الله عليه وسلم- لئلا يتبعوه ولا يتبعه الناس، وهم إنما يهلكون أنفسهم بدوامهم على الضلال وبتضليل الناس، فيحملون أوزارهم وأوزار الناس، وفي هذه الجملة تسلية للرسول- عليه الصلاة والسلام- وأن ما أرادوا به نكايته إنما يضرون به أنفسهم"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(الأنعام:٤٨)، قال ابن عاشور: " والقصر إضافي للرد على من زعموا أنه إن لم يأتهم بآية كما اقترحوا فليس برسول من عند الله، فهو قصر قلب، أي: لم نرسل الرسول للإعجاب بإظهار خوارق العادات"[٣].

ثالثا: التقسيم القائم على حال المخاطب، وينقسم إلى قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين[٤].

١- قصر إفراد:

" وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره"[٥]. وهذا ما وضحه ابن عاشور في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً**﴾(الفرقان:٥٤)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من تعريف الجزءين قصر إفراد؛ لإبطال دعوى شركة الأصنام لله في الإلهية"[٦].

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾(الملك:٢٣)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من تعريف المسند إليه والمسند في

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٩٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٨٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٣٨.

(٤) انظر، البلاغة الاصطلاحية: ٢٤٦.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٥٠.

(٦) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٥٥.

قوله: **(هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ)** إلى آخره، قصر إفراد بتنزيل المخاطبين لشركهم منزلة من يعتقد أن الأصنام شاركت الله في الإنشاء، وإعطاء الإحساس والإدراك"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾(النحل:١٠)، قال ابن عاشور: " وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي: هو لا غيره، وهذا قصر على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكا في ذلك، ولكنهم لما عبدوا أصناما لم تنعم عليهم بذلك، كان حالهم كحال من يدعي أن الأصنام أنعمت عليهم بهذه النعم، فنزلوا منزلة من يدعي الشركة لله في الخلق، فكان القصر قصر إفراد تخريجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ (الأنبياء:٣٣)، قال ابن عاشور: " لما كانت في إيجاد هذه الأشياء المعدودة هنا منافع للناس، سيقت في معرض المنة بصوغها في صيغة الجملة الاسمية المعرفة الجزأين لإفادة القصر، وهو قصر إفراد إضافي، بتنزيل المخاطبين من المشركين منزلة من يعتقد أن أصنامهم مشاركة لله في خلق تلك الأشياء؛ لأنهم لما عبدوا الأصنام والعبادة شكر، لزمهم أنهم يشكرونها وقد جعلوها شركاء لله، فلزمهم أنهم يزعمون أنها شريكة لله في خلق ما خلق؛ لينتقل من ذلك إلى إبطال إشراكهم إياها في الإلهية"(٣).

٢- قصر قلب:

" وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبت بالقصر"(٤)، كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾(هود:٣٣)، قال ابن عاشور: " والقصر في قوله: **(إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء)** قصر قلب بناء على ظاهر طلبهم، حملا لكلامهم على ظاهره على طريقة مجاراة الخصم في المناظرة، وإلا فإنهم جازمون بتعذر أن يأتيهم بما وعدهم؛ لأنهم يحسبونه كاذبا وهم جازمون بأن الله لم يتوعدهم، ولعلهم كانوا لا يؤمنون بوجود الله"(٥).

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾(البقرة:١٤)، قال ابن عاشور: " **(إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)** فقد أبدوا

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١١٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٥٩.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٥٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٦١.

به وجه ما أظهروه للمؤمنين، وجاءوا فيه بصيغة قصر القلب؛ لرد اعتقاد شياطينهم فيهم أن ما أظهروه للمؤمنين حقيقة وإيمان صادق"[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(إبراهيم:٢٢)، قال ابن عاشور: " ومجموع الجملتين يفيد معنى القصر، كأنه قال: فلا تلوموا إلا أنفسكم، وهو في معنى قصر قلب بالنسبة إلى إفراده باللوم وحقهم التشريك، فقلب اعتقادهم إفراده دون اعتبار الشركة، وهذا من نادر معاني القصر الإضافي، وهو مبني على اعتبار أجدر الطرفين بالرد، وهو طرف اعتقاد العكس بحيث صار التشريك كالملغى؛ لأن الحظ الأوفر لأحد الشريكين"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾(الملك:١٥)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من تعريف جزأي (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ**) قصر قلب، بتنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد أن الأصنام خلقت الأرض؛ لأن اعتقادهم إلاهيتها يقتضي إلزامهم بهذا الظن الفاسد وإن لم يقولوه"[(٣)].

وقد تراعي الآية الواحدة جميع أحوال المخاطبين الحضور، سواء كانوا من المسلمين أو المشركين، فالآية ناسبت كلا الطرفين، وهذا ما وضحه ابن عاشور في قصر القلب في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ (الشورى:٢٨)، قال ابن عاشور: " وصيغة القصر في قوله: (**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ**) تفيد قصر القلب؛ لأن في السامعين مشركين يظنون نزول الغيث من تصرف الكواكب وفيهم المسلمون الغافلون، نزلوا منزلة من يظن نزول الغيث منوطا بالأسباب المعتادة لنزول الغيث؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يعتقدون أن المطر من تصرف أنواء الكواكب ... فهذا القصر بالنسبة للمشركين قصر قلب أصلي، وهو بالنسبة للمسلمين قصر قلب تنزيلي"[(٤)]. فقد أنزل المسلمين الغافلين منزلة المشركين أصحاب الاعتقاد الخاطئ.

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٩٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٢٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٩٥- ٩٦.

٣- قصر تعيين:

" وذلك إذا كان المخاطب مترددا في الحكم بين المقصور عليه وغيره"[١]، كما في قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**﴾(المدثر:٢٤)، قال ابن عاشور: " وصيغة الحصر في قوله: (**إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**) مشعرة بأن استقراء أحوال القرآن بعد السبر والتقسيم، أنتج له أنه من قبيل السحر، فهو قصر تعيين لأحد الأقوال التي جالت في نفسه؛ لأنه قال: ما هو بكلام شاعر ولا بكلام كاهن ولا بكلام مجنون"[٢].

وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾(الزمر:١٨)، قال ابن عاشور: " وقد أفاد تعريف الجزأين في قوله: (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ**) قصر الهداية عليهم، وهو قصر صفة على موصوف، وهو قصر إضافي قصر تعيين، أي: دون الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم"[٣].

طرق القصر (أدواته):

للقصر طرق عدة، ومتداخلة ببعضها، وقد نجد في الآية الواحدة اجتماع أكثر من أداة، وقد بذل ابن عاشور جهدا ليس بيسير لتوضيح كل أداة وتبين ما تحمله من معان دلالية وبلاغية، وقد ذكرنا الأدوات حسب الآتي:

أولا: النفي والاستثناء:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾(النحل:٣٥)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر إضافي، لقلب اعتقاد المشركين من معاملتهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن للرسول غرضا شخصيا فيما يدعو إليه"[٤].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(الحج:٥٢)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر موصوف على صفة، وهو قصر إضافي، أي: دون أن نرسل أحدا منهم في حال الخلو من إلقاء الشيطان ومكره"[٥].

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٤٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣١٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٣٦٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٤٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٢٩٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(المطففين:١٢)، قال ابن عاشور: " وصيغة القصر من النفي والاستثناء تفيد قصر صفة التكذيب بيوم الدين على المعتدين الآثمين الزاعمين القرآن أساطير الأولين، فهو قصر صفة على موصوف، وهو قصر حقيقي؛ لأن يوم الدين لا يكذب به إلا غير المتدينين المشركون والوثنيون وأضرابهم ممن جمع الأوصاف الثلاثة، وأعظمها التكذيب بالقرآن، فإن أهل الكتاب والصابئة[(١)] لا يكذبون بيوم الدين، وكثير من أهل الشرك لا يكذبون بيوم الدين مثل أصحاب ديانة القبط"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذاريات:٥٢)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من الاستثناء قصر ادعائي؛ لأن للأمم أقوالا غير ذلك وأحوالا أخرى، وإنما قصروا على هذا اهتماما بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان، إذ يرمون أعقل الناس بالجنون وأقومهم بالسحر"[(٣)].

ثانيا: القصر بـــ (إنما):

فهي تأتي لإثبات ما بعدها ونفي ما عداه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(العنكبوت:٥٠)، قال ابن عاشور: " وأفادت (إِنَّمَا) قصر النبي- عليه الصلاة والسلام- على صفة النذارة، أي: الرسالة لا يتجاوزها إلى خلق الآيات، أو اقتراحها على ربه، فهو قصر إفراد، ردا على زعمهم أن من حق الموصوف بالرسالة أن يأتي بالخوارق المشاهدة"[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت:٦)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من (إِنَّمَا) هو قصر الجهاد على الكون لنفس المجاهد، أي: الصالح نفسه إذ العلة لا تتعلق بالنفس بل بأحوالها، أي: جهاد لفائدة نفسه لا لنفع ينجر إلى الله تعالى، فالقصر الحاصل بأداة (إِنَّمَا) قصر ادعائي؛ للتنبيه إلى ما يغفلون عنه حين يجاهدون الجهاد بمعنييه من الفوائد المنجرة إلى أنفس المجاهدين، ولذلك عقب الرد

---

(١) الصابِئون قوم يَزعُمون أَنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم، وقيل: جنسٌ من أَهل الكتاب، وقِبْلَتُهم من مَهَبِّ الشَّمال عند مُنْتَصَف النهار، وقيل: الصابِئون قوم يُشْبِه دِينُهم دِينَ النَّصارى، إِلاَّ أَنَّ قِبْلَتَهم نحو مَهَبِّ الجَنُوب، يَزْعُمون أَنهم على دِين نوحٍ وهم كاذبون.
- اللسان: (صبأ).

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٩٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٣.

المستفاد من القصر بتعليله بأن الله غني عن العالمين، فلا يكون شيء من الجهاد نافعا لله تعالى ولكن نفعة للأمة"[١].

وعادة ما تختص (**إنَّمَا**) بالتعريض، وقلب اعتقاد وهذا ما وضحه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " اعلمْ أنك إذا استقريتَ وجدتَها أقوى ما تكونُ وأعلَقَ ما ترى بالقلب، إذا كان لا يُرادُ بالكلامِ بعدَها نفسُ معناه، ولكنَّ التّعريضَ بأمرٍ هو مقتضَاه"[٢]، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾(هود:١٢)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من (**إنَّمَا**) قصر إضافي، أي: أنت نذير لا موكل بإيقاع الإيمان في قلوبهم إذ ليس ذلك إليك بل هو لله، كما دل عليه قوله قبله (**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**) فهو قصر قلب، وفيه تعريض بالمشركين برد اعتقادهم أن الرسول يأتي بما يسأل عنه من الخوارق، فإذا لم يأتهم به جعلوا ذلك سندا لتكذيبهم إياه ردا حاصلا من مستتبعات الخطاب ... إذ كثر في القرآن ذكر نحو هذه الجملة في مقام الرد على المشركين والكافرين الذين سألوا الإتيان بمعجزات على وفق هواهم"[٣].

وقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾(آل عمران:١٨٥)، قال ابن عاشور: " (**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) قصر قلب، لتنزيل المؤمنين فيما أصابهم من الحزن على قتلاهم وعلى هزيمتهم، منزلة من لا يترقب من عمله إلا منافع الدنيا وهو النصر والغنيمة، مع أن نهاية الأجر في نعيم الآخرة، ولذلك قال: (**تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ**) أي: تكمل لكم، وفيه تعريض بأنهم قد حصلت لهم أجور عظيمة في الدنيا على تأييدهم للدين منها النصر يوم بدر، ومنها كف أيدي المشركين عنهم في أيام مقامهم بمكة إلى أن تمكنوا من الهجرة"[٤].

والقصر بـــ (**إنَّمَا**) لا يختلف عنه بـــ (**أَنَّمَا**)، وهذا ما وضحه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾(الحديد:٢٠)، قال ابن عاشور: " و (**أَنَّمَا**) المفتوحة الهمزة أخت (**إنَّمَا**) المكسورة الهمزة في إفادة الحصر، وحصر

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢١١.

(٢) دلائل الإعجاز:٣٥٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٨٨.

الحياة الدنيا في الأخبار الجارية عليها، هو قصر أحوال الناس في الحياة على هذه الأمور الستة باعتبار غالب الناس، فهو قصر ادعائي بالنظر إلى ما تنصرف إليه هممم غالب الناس من شؤون الحياة الدنيا، والتي إن سلم بعضهم من بعضها لا يخلو من ملابسة بعض آخر إلا الذين عصمهم الله تعالى، فجعل أعمالهم في الحياة كلها لوجه الله، وإلا فإن الحياة قد يكون فيها أعمال التقى والمنافع والإحسان والتأييد للحق وتعليم الفضائل وتشريع القوانين"[١].

ثالثا: تقديم ما حقه التأخير:

ويأتي بعدة طرق، منها:

- تقديم الجار والمجرور:

كقوله تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**﴾(الرعد:١٤)، قال ابن عاشور: " وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لإفادة التخصيص، أي: دعوة الحق ملكه لا ملك غيره، وهو قصر إضافي"[٢].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾(الأنبياء:١٩)، قال ابن عاشور: " و **(مَن فِي السَّمَاوَاتِ)** مبتدأ، وتقديم المجرور للاختصاص، أي: له من في السماوات والأرض لا لغيره، وهو قصر إفراد، ردا على المشركين الذين جعلوا لله شركاء في الإلهية"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الجاثية:٣٦)، قال ابن عاشور: " وتقديم **(لِلَّهِ)** لإفادة الاختصاص، أي: الحمد مختص به الله تعالى، يعني الحمد الحق الكامل مختص به تعالى"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**﴾(البقرة:١٣٨)، قال ابن عاشور: " وفي تقديم الجار والمجرور على عامله في قوله: **(لَهُ عَابِدونَ)** إفادة قصر إضافي على النصارى الذين اصطبغوا بالمعمودية لكنهم عبدوا المسيح"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٤٠١.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ١٠٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣٥.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٣٧٧.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٤٥.

- **تقديم الظرف:**

كقوله تعالى: ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾(الصافات:٤٧)، قال ابن عاشور: " وتقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص، أي: هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا، فهو قصر قلب"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(يوسف:٥١)، قال ابن عاشور: " وتقديم اسم الزمان للدلالة على الاختصاص، أي: الآن لا قبله؛ للدلالة على أن ما قبل ذلك الزمان كان زمن باطل، وهو زمن تهمة يوسف عليه السلام بالمراودة، فالقصر قصر تعيين؛ إذ كان الملك لا يدري أي الوقتين وقت الصدق، أهو وقت اعتراف النسوة بنزاهة يوسف عليه السلام، أم هو وقت رمي امرأة العزيز إياه بالمراودة"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾(البقرة:٢٧٢)، قال ابن عاشور: " وتقديم الظرف وهو (**عَلَيْكَ**) على المسند إليه وهو (**هُدَاهُمْ**) إذا أجرى على ما تقرر في علم المعاني من أن تقديم المسند الذي حقه التأخير يفيد قصر المسند إليه إلى المسند ... فهو إذا وقع في سياق النفي غير بين؛ لأنه إذا كان التقديم في صورة الإثبات مفيدا للحصر، اقتضى أنه إذا نفي فقد نفي ذلك الانحصار؛ لأن الجملة المكيفة بالقصر في حالة الإثبات هي جملة مقيدة نسبتها بقيد الانحصار، أي: بقيد انحصار موضوعها في معنى محمولها، فإذا دخل عليها النفي كان مقتضيا نفي النسبة المقيدة، أي: نفي ذلك الانحصار؛ لأن شأن النفي إذا توجه إلى كلام مقيد أن ينصب على ذلك القيد"(٣).

- **تقديم المبتدأ:**

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾(يوسف:٢٦)، قال ابن عاشور: " وتقديم المبتدأ على خبره الذي هو فعل يفيد القصر، وهو قصر قلب للرد عليها، وكان مع العزيز رجل من أهل امرأته، وهو الذي شهد وكان فطنا عارفا بوجوه الدلالة"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ١١٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٩١.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٧٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٥٧.

- **تقديم الفاعل:**

كقوله تعالى: ﴿ **اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(البقرة:١٥)، قال ابن عاشور: " ولأجل اعتبار الاستئناف قدم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي، ولم يقل يستهزئ الله بهم؛ لأن مما يجول في خاطر السائل أن يقول: من الذي يتولى مقابلة سوء صنيعهم؟ فاعلم أن الذي يتولى ذلك هو رب العزة تعالى، وفي ذلك تنويه بشأن المنتصر لهم وهم المؤمنون، كما قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**)(الحج:٣٨) فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوي الحكم لا محالة، ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه، فإنه لما كان تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في سياق الإيجاب يأتي لتقوي الحكم، ويأتي للقصر على رأي الشيخ عبد القاهر[(١)] وصاحب (الكشاف)[(٢)] كما صرح به في قوله تعالى: (**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**) في سورة المزمل (٢٠)، كان الجمع بين قصد التقوي وقصد التخصيص جائزا في مقاصد الكلام البليغ...؛ لأن ما يراعيه البليغ من الخصوصيات لا يترك حمل الكلام البليغ عليه، فكيف بأبلغ كلام، ولذلك يقال النكت لا تتزاحم"[(٣)].

- **تقديم المفعول:**

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾(فاطر:٢٨)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من (**إِنَّمَا**) قصر إضافي، أي: لا يخشاه الجهال، وهم أهل الشرك فإن من أخص

(١) قال عبد القاهر الجرجاني: " وإذ قد عرفت أن الاختصاص مع (إلا) يقع في الذي تؤخره من الفاعل والمفعول، فكذلك يقع مع (إنما) في المؤخر منهما دون المقدم، فإذا قلت: إنما ضرب زيدا عمرو كان الاختصاص في الضارب، وإذا قلت: إنما ضرب عمرو زيدا كان الاختصاص في المضروب... واعلم أنك إن عمدت إلى الفاعل والمفعول فأخرتهما جميعا إلى ما بعد (إلا) فإن الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي (إلا) منهما، فإذا قلت: ما ضرب إلا عمرو زيدا كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى أنك قلت: إن الضارب عمرو لا غيره، وإن قلت: ما ضرب إلا زيدا عمرو، كان الاختصاص في المفعول وكان المعنى أنك قلت: إن المضروب زيد لا من سواه".

- دلائل الإعجاز: ٣٤٠، ٣٤٤.

(٢) قال الزمخشري: " وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدّر، هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير، والمعنى: إنكم لا تقدرون عليه، والضمير في (**أَلَّن تُحْصُوهُ**) لمصدر يقدّر، أي: علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية، إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط، وذلك شاق عليكم بالغ منكم".

- الكشاف: ج٤، ٦٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٩٣.

أوصافهم أنهم أهل الجاهلية، أي: عدم العلم، فالمؤمنون يومئذ هم العلماء، والمشركون جاهلون نفيت عنهم خشية الله، ثم إن العلماء في مراتب الخشية متفاوتون في الدرجات تفاوتا كثيرا، وتقديم مفعول **(يَخْشَى)** على فاعله؛ لأن المحصور فيهم خشية الله هم العلماء، فوجب تأخيره على سنة تأخير المحصور فيه"[١].

وكقوله تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾(البقرة:٥٧)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** قدم فيه المفعول للقصر، وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات، ثم أكد بالتقديم؛ لأن حالهم كحال من ينكى غيره، كما قيل: يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو بعدوه"[٢].

- **تقديم النفي:**

كما في قوله تعالى: ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾(الصافات:٤٧)، قال ابن عاشور: " فبنا أن نبين طريقة القصر بالتقديم في النفي، وهي أن القصر لما كان كيفية عارضة للتركيب، ولم يكن قيدا لفظيا بحيث يتوجه النفي إليه، كانت تلك الكيفية مستصحبة مع النفي، فنحو **(لَا فِيهَا غَوْلٌ)** يفيد قصر الغول على الانتفاء عن خمور الدنيا، ولا يفيد نفي قصر الغول على الكون في خمور الجنة"[٣]، وقال في مقام آخر: " وتقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص، أي: هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا، فهو قصر قلب، ووقوع **(غَوْلٌ)** وهو نكرة بعد **(لَا)** النافية أفاد انتفاء هذا الجنس من أصله، ووجب رفعه لوقوع الفصل بينه وبين حرف النفي بالخبر"[٤].

رابعا: التعريف:

كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(الأنعام:٦٠)، قال ابن عاشور: " فقوله: **(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم)** صيغة قصر لتعريف جزأي الجملة، أي: هو الذي يتوفى الأنفس دون الأصنام فإنها لا تملك موتا ولا حياة"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٣٠٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥١٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٧١.

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ١١٣- ١١٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٧٥.

وقوله تعالى: ﴿ **مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(الأعراف:١٧٨)، قال ابن عاشور: " والقصر المستفاد من تعريف جزأي الجملة (**فَهُوَ الْمُهْتَدِي**) قصر حقيقي ادعائي باعتبار الكمال واستمرار الاهتداء إلى وفاة صاحبه، وهي مسألة الموافاة عند الأشاعرة، أي: وأما غيره فهو وإن بان مهتديا فليس بالمهتدي، لينطبق هذا على حال الذي أوتي الآيات فانسلخ منها وكان الشأن أن يرفع بها"(١).

وقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(هود:١٧)، قال ابن عاشور: " وتعريف (**الْحَقُّ**) لإفادة قصر جنس الحق على القرآن، وهو قصر مبالغة لكمال جنس الحق فيه حتى كأنه لا يوجد حق غيره، مثل قولك: حاتم الجواد"(٢).

وقوله تعالى: ﴿**لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**﴾(الكهف:٣٨)، قال ابن عاشور: " قوله: (**لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**) وتعريف المسند والمسند إليه في قوله: (**اللَّهُ رَبِّي**) المفيد قصر صفة ربوبية الله على نفس المتكلم قصرا إضافيا بالنسبة لمخاطبه، أي: دونك إذ تعبد آلهة غير الله، وما القصر إلا توكيد مضاعف، ثم بالتوكيد اللفظي للجملة بقوله: (**وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**)"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(التغابن:٩)، قال ابن عاشور: " وأفاد تعريف جزأي جملة (**ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**) قصر المسند على المسند إليه، أي: قصر جنس يوم التغابن على يوم الجمعة المشار إليه باسم الإشارة، وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف قصرا ادعائيا، أي: ذلك يوم الغبن لا أيام أسواقكم ولا غيرها، فإن عدم أهمية غبن الناس في الدنيا جعل غبن الدنيا كالعدم، وجعل يوم القيامة منحصرا فيه جنس الغبن"(٤).

خامسا: القصر بضمير الفصل:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾(البقرة:٣٢)، قال ابن عاشور: " و (**أَنتَ**) في (**إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) ضمير فصل، وتوسيطه

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٨١.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٣١.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٧٧.

من صيغ القصر، فالمعنى قصر العلم والحكمة على الله قصر قلب، لردهم اعتقادهم أنفسهم أنهم على جانب من علم وحكمة حين راجعوا بقولهم: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**)(البقرة:٣٠) أو تنزيلهم منزلة من يعتقد ذلك على الاحتمالين المتقدمين، أو هو قصر حقيقي ادعائي، مراد منه قصر كمال العلم والحكمة عليه تعالى"[١].

وقوله تعالى: ﴿ **لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**﴾(هود:٢٢)، قال ابن عاشور: " وضمير (**هُمُ الأَخْسَرُونَ**) ضمير فصل يفيد القصر، وهو قصر ادعائي؛ لأنهم بلغوا الحد الأقصى في الخسارة، فكأنهم انفردوا بالأخسرية"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(الحج:٦٢)، قال ابن عاشور: " وأما القصر في قوله: (**وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**) المستفاد من ضمير الفصل، فهو قصر ادعائي لعدم الاعتداد بباطل غيرها، حتى كأنه ليس من الباطل، وهذا مبالغة في تحقير أصنامهم؛ لأن المقام مقام مناضلة وتوعد، وإلا فكثير من أصنام وأوثان غير العرب باطل أيضا"[٣].

وقوله تعالى: ﴿ **فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(الدخان:٥٧)، قال ابن عاشور: " وأتي بضمير الفصل؛ لتخصيص الفوز بالفضل المشار إليه، وهو قصر لإفادة معنى الكمال كأنه لا فوز غيره"[٤].

وقوله تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(لقمان:٢٦)، قال ابن عاشور: " وضمير (**هُوَ**) ضمير فصل مفاده اختصاص الغنى والحمد بالله تعالى، وهو قصر قلب، أي: ليس لآلهتهم المزعومة غنى ولا تستحق حمدا "[٥].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾(الكوثر:٣)، قال ابن عاشور: " فحصل القصر في قوله: (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**) لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف وهو شانئ النبي- صلى الله عليه وسلم- قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب، أي: هو الأبتر لا أنت"[٦].

ولقد أشار ابن عاشور إلى نوع آخر وهو **القصر المقيد**، وذلك باستخدام أداتين معـــا بالتعريف وضمير الفصل، وربما يكون المقصود منه هو قصر القصر فسماه مقيد؛ لأنه قيـــد

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤١٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٣٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣١٦- ٣١٧.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٢٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٨٠.

(٦) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٥٧٦.

حدوده بشدة وأكده، كما يبدو لنا أنه تفرد بهذه التسمية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(البقرة:١٢٧)، قال ابن عاشور: " وتعريف جزئي هذه الجملة والإتيان بضمير الفصل، يفيد قصرين للمبالغة في كمال الوصفين له تعالى، بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم، ويجوز أن يكون قصراً حقيقياً باعتبار متعلق خاص أي السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك، وهذا قصر حقيقي مقيد، وهو نوع مغاير للقصر الإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني"[١].

الأغراض البلاغية للقصر:

تناثرت بلاغة القصر وفوائده في جميع أرجاء التفسير، وقد اتضحت من خلال عرض النماذج التي ذكرت، وذلك مثل:

١- المبالغة[٢].

٢- رغبة السامعين في تلقيه[٣].

٣- التعريض[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧١٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٥٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٩٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٨.

سابعا: بلاغة الإيجاز والإطناب

كل ما يجول في الصدور ويعبر عنه بمعانٍ لا يكاد يخرج عن إيجاز أو إطناب، وذلك بحسب المقام الذي يقتضيه، ومراعاة لأحوال السامعين، وقد جاء الإيجاز والإطناب مراعيا لهذين الأمرين، وقد برع العرب فيهما، فجاء القرآن الكريم أكثر قوة وبراعة متحديا ما برعوا وتفاخروا به، فجاء بأسلوب متنوع ما بين الإيجاز والإطناب بحسب المقام وأحوال المخاطبين.

أولا: الإيجاز

الإيجاز لغة:

الإيجاز من وجز، وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزاً وأَوْجَزَ قَلَّ في بلاغة، وأَوْجَزَه اختصره، ويقال أَوْجَزَ فلانٌ إِيجازاً في كل أَمر، وأَمرٌ وَجِيزٌ وكلام وَجِيز، أَي: خفيف مقتصر[(١)].

الإيجاز اصطلاحا:

هو التعبير عن معان كثيرة بألفاظ قليلة، أي: الاختصار دون إخلال، وهذا ما دارت عليه جميع تعريفات العلماء، فقالوا:

هو" تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز"[(٢)]، و" الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل"[(٣)]، و" إنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة"[(٤)].

كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**﴾(الأعراف:٢٥)، قال ابن عاشور: " وقد دل جمع الضمير على كلام مطوي بطريقة الإيجاز، وهو أن آدم وزوجه استقرا في الأرض، وتظهر لهما ذرية، وأن الله أعلمهم بطريق من طرق الإعلام الإلهي بأن الأرض قرارهم، ومنها مبعثهم، يشمل هذا الحكم الموجودين منهم يوم الخطاب، والذين سيوجدون من بعد"[(٥)].

---

(١) اللسان: (وجز).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي (النكت للرماني)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط٣، ص٧٦.

(٣) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ج٤، ص٤٤.

(٤) إعجاز القرآن، الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ، ص٢٦٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٣٧.

إذن فالإيجاز هو طي المعاني الكثيرة تحت ألفاظ قليلة، مؤدية المعنى دون إخلال في ذلك.

والإيجاز هو البلاغة، وقد دلل الجاحظ على ذلك بحوار دار بين معاوية وأعرابي يسمى صحّار، فقال: " قال له معاوية ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال له صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ"[١].

كما وقد اعتبره ابن عاشور عامود البلاغة، وهذا ما أوضحه في المقدمة التاسعة بقوله: " إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم؛ لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين، كما يقال لمحة دالة"[٢].

وعلى هذا الاعتبار اعتبر أن جميع ضروب البلاغة هي من باب الإيجاز، ويدل على هذا كلامه في نفس المقدمة، فقال: " ولأجل ذلك كثر في كلامهم: المجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكناية، والتعريض، والاشتراك والتسامح في الاستعمال كالمبالغة، والاستطراد ومستتبعات التراكيب، والأمثال، والتلميح، والتمليح، واستعمال الجملة الخبرية في غير إفادة النسبة الخبرية، واستعمال الاستفهام في التقرير أو الإنكار، ونحو ذلك"[٣].

كما تابع التعليل لذلك، فقال: " وملاك ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها؛ ليسهل اعتلاقها بالأذهان، وإذ قد كان القرآن وحيا من العلام سبحانه وقد أراد أن يجعله آية على صدق رسوله، وتحدى بلغاء العرب بمعارضة أقصر سورة منه... فقد نسج نظمه نسجا بالغا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظا ومعنى، بما يفي بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم"[٤].

وبما أن البلاغة هي الإيجاز فقد اعتبره ابن عاشور أساس بلاغة القرآن، فقال: " ولولا إيجاز القرآن لكان أداء ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن، وأسرار التنزيل، ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم، ويزيد عن تبصره"[٥].

---

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٨٨م، ج١، ص٩٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٩٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٩٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٩٣.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٢٢.

وقد عده ابن عاشور محورا للمنافسة بين البلاغيين، فقال: " ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز، وهو متنافسهم وغاية تتبارى إليها فصحاؤهم"(١).

واعتُبر الإيجاز ميزة للمخاطب بهذا الأسلوب، فقال: " والإيجاز مظهر رقي المخاطب وآية فهمه وذكائه بحيث يكفيه من الكلام موجزه، ومن الخطاب أقصره"(٢).

أقسام الإيجاز:

ينقسم الإيجاز إلى قسمين:

١- إيجاز قصر:

هو" التعبير عن المعنى المراد بلفظ أقل منه مع الوفاء به"(٣)، أو هو" تضمين العبارات القصيرة معان قصيرة من غير حذف"(٤).

ولم يخرج ابن عاشور عن هذه التعريفات بل شرحها بوضوح، فقال: " إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفا ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل، ومن ذلك قوله تعالى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)** الآية، جمع بين أمرين ونهيين وبشارتين، ومن ذلك قوله: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)** مقابلا أوجز كلام عرف عندهم وهو **(القتل أنفى للقتل)** "(٥).

فكان هذا المثل مضربا للعرب في قوة بلاغتها المتمثل بقوة إيجازه، فجاء القرآن برد أقوى وأعظم **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)** إذ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتل امتنع عن القتل، وفي ذلك حفاظ على حياته وحياة غيره، ولقد فاقت هذه الآية في قوة الإيجاز قول العرب، وقد ذكرها ابن الأثير في كتابه المثل السائر، فقال: " فإنه قوله تعالى: **(الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)** لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظ كثيرة؛ لأن معناه أنه إذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل، فأوجب ذلك حياة للناس، ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم: القتل أنفى للقتل، فإن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية وليس كذلك، بل بينها فرق من ثلاثة أوجه، الأول: أن القصاص حياة لفظتان، والقتل أنفى للقتل ثلاثة ألفاظ، الوجه الثاني: أن في قولهم القتل أنفى

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٢١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ج١، ص٢١٧.

(٣) علوم البلاغة العربية، د. محمد أحمد ربيع، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩١م، ص١٤٥.

(٤) جواهر البلاغة: ١٧٧، وانظر، البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة، ص٢٤٢.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٢٢.

للقتل تكريرا ليس في الآية، الثالث: أنه ليس كل قتل نافيا للقتل إلا إذا كان على حكم القصاص"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾(الأعراف:١٩٩)، قال ابن عاشور: " وقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق؛ لأن فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفوا عن اعتداء فتدخل في (**خُذِ الْعَفْوَ**)، أو إغضاء عما لا يلائم فتدخل في (**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)، أو فعل خير واتساما بفضيلة فتدخل في (**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**) ... والأمر بالأمر بالشيء أمر بذلك الشيء، وهذا معنى قول جعفر بن محمد(٢) في هذه الآية أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، وهي صالحة لأن يبين بعضها بعضا، فإن الأمر يأخذ العفو يتقيد بوجوب الأمر بالعرف، وذلك في كل ما لا يقبل العفو والمسامحة من الحقوق، وكذلك الأمر بالعرف يتقيد بأخذ العفو وذلك بأن يدعو الناس إلى الخير بلين ورفق"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(الحديد:٨)، قال ابن عاشور: " فهذه الجملة بموقعها ومعناها وعلتها وما عطف عليها أفادت بيانا وتأكيدا وتعليلا وتذييلا وتخلصا لغرض جديد، وهي أغراض جمعتها جمعا بلغ حد الإعجاز في الإيجاز، مع أن كل جملة منها مستقلة بمعنى عظيم من الاستدلال والتذكير والإرشاد والامتنان"(٤).

وهذا القسم" مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى إن بعضهم سئل عن البلاغة، فقال: هي إيجاز القصر"(٥).

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج٢، ٣٣٨- ٣٣٩.

(٢)(٨٠- ١٤٨هـ=٦٩٩- ٧٦٥م) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي أبو عبد الله الملقب بالصادق، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صداعا بالحق، له (رسائل) مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها، مولده ووفاته بالمدينة.
- الأعلام: ج٢، ١٢٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٧١.

(٥) جواهر البلاغة: ١٧٨.

٢- إيجاز حذف:

والحذف لغة: الحذف من حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه، وحَذْفُ الشيء إسْقاطُه [١].

والحذف اصطلاحا:" إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"[٢].

أما إيجاز الحذف فهو: " ما قصد فيه إلى إكثار المعنى مع حذف شيء من التركيب "[٣]، " ويكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر – لا يخل بالفهم- مع قرينة تُعيّن المحذوف"[٤].

وقد بين الباقلاني الهدف العام من الحذف، فقال: " والحذف أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب"[٥].

والمحذوف أنواع شتى، فمنه:

١- حذف الحرف:

كقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً**﴾(النساء:١٢٧)، قال ابن عاشور: " ولحذف حرف الجر بعد (**تَرْغَبُونَ**) هنا موقع عظيم من الإيجاز وإكثار المعنى، أي: ترغبون عن نكاح بعضهن، وفي نكاح بعض آخر، فإن فعل رغب يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يحب، وبحرف (في) للشيء المحبوب، فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف، وذلك قد شمله قوله في الآية المتقدمة (**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ**)(النساء:٣) الخ"[٦].

وكقوله تعالى: ﴿**لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾(الواقعة:٧٠)، قال ابن عاشور: " وحذفت اللام التي شأنها أن تدخل على جواب (**لَوْ**) الماضي المثبت؛ لأنها لام زائدة لا تفيد إلا التوكيد، فكان حذفها إيجازا في الكلام"[٧].

---

(١) اللسان: (حذف).

(٢) البرهان في علوم القرآن: ج٣، ١٠٢.

(٣) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، د. حسن إسماعيل عبد الرازق، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط١، ص٢٣٨.

(٤) جواهر البلاغة: ١٧٩، وانظر، البلاغة الواضحة:٢٤٢.

(٥) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص٢٦٢.

(٦) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢١٣.

(٧) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٢٤.

٢- حذف المبتدأ:

كقوله تعالى: ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(الأنفال:٥٢)، قال ابن عاشور: "(**كَدَأْبِ**) خبر مبتدأ محذوف، وهو حذف تابع للاستعمال في مثله، فإن العرب إذا تحدثوا عن شيء ثم أتوا بخبر دون مبتدأ علم أن المبتدأ محذوف، فقدر بما يدل عليه الكلام السابق، فالتقدير هنا: دأبهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم، أي: من الأمم المكذبين برسل ربهم، مثل عاد وثمود"(١).

٣- حذف الفعل:

كقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾(النحل:٨٤)، قال ابن عاشور: " وانتصب (**يَوْمَ نَبْعَثُ**) على المفعول به للفعل المقدر، ولك أن تجعل (**يَوْمَ**) منصوبا على الظرفية لعامل محذوف يدل عليه الكلام المذكور يقدر بما يسمح به المعنى، مثل: نحاسبهم حسابا لا يستعتبون منه، أو وقعوا فيما وقعوا من الخطب العظيم، والذي دعا إلى هذا الحذف هو أن ما حقه أن يكون عاملا في الظرف وهو(**لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ**) قد حول إلى جعله معطوفا على جملة الظرف بحرف (**ثُمَّ**) الدال على التراخي الرتبي، إذ الأصل: ويوم نبعث من كل أمة شهيدا لا يؤذن للذين كفروا . . . إلى آخره، فبقي الظرف بدون متعلق، فلم يكن للسامع بد من تقديره بما تذهب إليه نفسه، وذلك يفيد التهويل والتفظيع، وهو من بديع الإيجاز"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس:٥٨)، قال ابن عاشور: " ولما قصد توكيد الجملة كلها بما فيها من صيغة القصر قرن اسم الإشارة بالفاء، تأكيدا لفاء التفريع التي في (**فَلْيَفْرَحُواْ**) لأنه لما قدم على متعلقه قرن بالفاء لإظهار التفريع في ابتداء الجملة، وقد حذف فعل (**لْيَفْرَحُواْ**) فصار مفيدا مفاد جملتين متماثلتين مع إيجاز بديع، وتقدير معنى الكلام: قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته لا سواهما فليفرحوا بذلك لا سواه"(٣).

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٤٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٠٤.

٤- حذف الفاعل:

كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**﴾(الملك:٢٧)، قال ابن عاشور: " (**هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**) ملائكة المحشر أو خزنة جهنم، فعدل عن تعيين القائل، إذ المقصود المقول دون القائل، فحذف القائل من الإيجاز"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾(الحج:٧٣)، قال ابن عاشور: " وبني فعل (**ضُرِبَ**) بصيغة النائب فلم يذكر له فاعل ... إذ أسند الضرب إلى المشركين؛ لأن المقصود هنا نسج التركيب على إيجاز صالح لإفادة احتمالين:

أحدهما: أن يقدر الفاعل الله تعالى وأن يكون المثل تشبيها تمثيليا، أي: أوضح الله تمثيلا يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات كما هو مشاهد لكل أحد.

والثاني: أن يقدر الفاعل المشركين ويكون المثل بمعنى المماثل، أي: جعلوا أصنامهم مماثلة لله تعالى في الإلهية"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾(الذاريات:٩)، قال ابن عاشور: " وإنما حذف فاعل (**يُؤْفَكُ**) وأبهم مفعوله بالموصولية للاستيعاب مع الإيجاز"(٣).

ويخرج حذف الفاعل لفوائد، منها:

- **رعاية الفاصلة**: كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾(الضحى:٨)، قال ابن عاشور: " وحذفت مفاعيل (**فَآوَى**)، (**فَهَدَى**)، (**فَأَغْنَى**) للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها، وحذفها إيجاز، وفيه رعاية على الفواصل"(٤).

- **توضيح الأثر المترتب على السلوك**: كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾(الأنعام:١٠)، قال ابن عاشور: " فقوله: (**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ**) يدل على جملة مطوية إيجازا، تقديرها: واستهزأوا بك ولقد استهزأ أمم برسل من قبلك؛ لأن قوله من (**قَبْلِكَ**) يؤذن بأنه قد استهزىء به هو أيضا، وإلا لم

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٥١.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٤٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٠٠.

تكن فائدة في وصف الرسل بأنهم من قبله لأن ذلك معلوم، وحذف فاعل الاستهزاء فبنى الفعل إلى المجهول؛ لأن المقصود هنا هو ترتب أثر الاستهزاء لا تعيين المستهزئين"(١).

٥- حذف المفعول به:

كقول الله تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً**﴾(النساء:٩)، قال ابن عاشور: " فيفهم من الكلام تعريض بالتهديد بأن نصيب أبناءهم مثل ما فعلوه بأبناء غيرهم، والأظهر أن مفعول (**يَخْشَ**) حذف لتذهب نفس السامع في تقديره كل مذهب محتمل، فينظر كل سامع بحسب الأهم عنده مما يخشاه أن يصيب ذريته"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (الأعراف:٤٤)، قال ابن عاشور: " وحذف مفعول (**وَعَدَ**) الثاني في قوله: (**مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ**) لمجرد الإيجاز لدلالة مقابله عليه في قوله: (**مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا**)؛ لأن المقصود من السؤال سؤالهم عما يخصهم، فالتقدير: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم، أي: من العذاب لأن الوعد يستعمل في الخير والشر"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾(الضحى:٣)، قال ابن عاشور: " وحذف مفعول (**قَلَى**) لدلالة (**وَدَّعَكَ**) عليه، كقوله تعالى: (**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**)(الأحزاب :٣٥) وهو إيجاز لفظي لظهور المحذوف، ومثله قوله: (**فَآوَى**)(الضحى:٦)، (**فَهَدَى**)(الضحى:٧)، (**فَأَغْنَى**)(الضحى:٨) "(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ (هود:١١٨)، قال ابن عاشور: " ومفعول فعل المشيئة محذوف؛ لأن المراد منه ما يساوي مضمون جواب الشرط فحذف إيجازا، والتقدير: ولو شاء ربك أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم كذلك"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾(فصلت:١٤)، قال ابن عاشور: "

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٥٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٧١.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٩٦- ٣٩٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٨٨.

فقولهم: **(لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً)** يتضمن إبطال رسالة البشر عن الله تعالى، ومفعول **(شَاء)** محذوف دل عليه السياق، أي: لو شاء ربنا أن يرسل إلينا لأنزل ملائكة من السماء مرسلين إلينا، وهذا حذف خاص هو غير حذف مفعول فعل المشيئة الشائع في الكلام؛ لأن ذلك فيما إذا كان المحذوف مدلولا عليه بجواب **(لَو)**... ونكتته الإبهام ثم البيان، وأما الحذف في الآية فهو للاعتماد على قرينة السياق والإيجاز، وهو حذف عزيز لمفعول فعل المشيئة"[1].

وكقوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** (٨٣) **وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ** (٨٤) **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ**﴾(الواقعة:٨٥)، قال ابن عاشور: " ومفعول **(تَنظُرُونَ)** محذوف تقديره: تنظرون صاحبها، أي: صاحب الروح بقرينة قوله بعده **(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ)**، وفائدة هذه الحال تحقيق أن الله صرفهم عن محاولة إرجاعها مع شدة أسفهم لموت الأعزة"[2].

وكقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾(الشورى:١٦)، قال ابن عاشور: " ومفعول **(يُحَاجُّونَ)** محذوف دل عليه قوله: **(مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ)**، والتقدير: يحاجون المستجيبين لله من بعد ما استجابوا له، أي: استجابوا لدعوته على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – وحذف فاعل **(اسْتُجِيبَ)** إيجازا؛ لأن المقصود من بعد حصول الاستجابة المعروفة"[3].

٦- حذف المضاف:

كقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ**﴾(المائدة:١٠٦)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(اثْنَانِ)** خبر عن **(شَهَادَةُ)**، أي: الشهادة على الوصية شهادة اثنين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأخذ إعرابه، والقرينة واضحة والمقصود الإيجاز "[4].

وكقوله تعالى: ﴿ **مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (لقمان:٢٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: **(كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)** حذف مضاف دل عليه **(مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ)** والتقدير: إلا كخلق وبعث نفس واحدة، وذلك إيجاز "[5].

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٥٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٦٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٨٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٨٤.

٧- حذف المضاف إليه:

كقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾(النساء:٣٣)، قال ابن عاشور: " والتعريف في (الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ) عوض عن مضاف إليه، أي: والداهم وأقربوهم، والمضاف إليه المحذوف يدل عليه الموالي، وهذا التقدير يناسب أن يكون ناشئا عن قوله: (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ)(النساء:٣٢)، أي: ولكل من الصنفين جعلنا موالي يرثونه، وهو الجعل الذي في آيات المواريث"[(١)].

٨- حذف الموصوف:

كقوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً﴾(الإسراء:١٨)، قال ابن عاشور: " و (الْعَاجِلَةَ) صفة موصوف محذوف يعلم من السياق، أي: الحياة العاجلة"[(٢)].

وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾(الإسراء:٩)، قال ابن عاشور: " و (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) صفة لمحذوف دل عليه (يِهْدِي) أي: للطريق التي هي أقوم؛ لأن الهداية من ملازمات السير والطريق، أو للملة الأقوم، وفي حذف الموصوف من الإيجاز من جهة، ومن التفخيم من جهة أخرى ما رجح الحذف على الذكر"[(٣)].

وكقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(الأعراف:١٨٩)، قال ابن عاشور: " و (صَالِحاً) وصف جرى على موصوف محذوف، وظاهر التذكير أن المحذوف تقديره: (ذكرا) وكان العرب يرغبون في ولادة الذكور وقال تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ)(النحل:٥٧) أي: الذكور، فالدعاء بأن يؤتيا ذكرا، وأن يكون صالحا، أي: نافعا؛ لأنهم لا يعرفون الصلاح الحق، وينذران لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين"[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٣٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٥٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٤٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢١٣.

٩- حذف الصفة:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(المائدة:٦٨)، قال ابن عاشور: " فوقع هنا حذف صفة (**شَيْءٍ**) يدل عليها المقام على نحو ما في قوله تعالى: (**فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**)(الكهف:٧٩)، أي: كل سفينة صالحة، أو غير معيبة"(١).

١٠- حذف الجملة:

كقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ**﴾(الدخان:١٧)، قال ابن عاشور: " وأشعر قوله: (**قَبْلَهُمْ**) أن أهل مكة سيفتنون كما فتن قوم فرعون، فكان هذا الظرف مؤذنا بجملة محذوفة على طريقة الإيجاز، والتقدير: إنا منتقمون ففتنوهم فقد فتنا قبلهم قوم فرعون، ومؤذنا بأن المذكور كالدليل على توقع ذلك وإمكانه وهو إيجاز آخر"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(البقرة:٨١)، قال ابن عاشور: " أي: فلا أخلد كما لم يخلد بنو ربيعة ومضر، فـ (**مَن**) في قوله: (**كَسَبَ سَيِّئَةً**) شرطية بدليل دخول الفاء في جوابها، وهي في الشرط من صيغ العموم فلذلك كانت مؤذنة بجملة محذوفة دل عليها تعقيب (**بَلَى**) بهذا العموم؛ لأنه لو لم يرد به أن المخاطبين من زمر هذا العموم، لكان ذكر العموم بعدها كلاما متناثرا، ففي الكلام إيجاز الحذف ليكون المذكور كالقضية الكبرى لبرهان قوله: (**بَلَى**) "(٣).

١١- حذف أكثر من جملة:

كقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾(الروم:٩)، قال ابن عاشور: " وتفريع (**فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ**) على قوله: (**وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ**) إيجاز حذف بديع؛ لأن مجيء الرسل بالبينات يقتضي تصديقا وتكذيبا، فلما فرع عليه أنهم ظلموا أنفسهم علم أنهم كذبوا الرسل، وأن الله جازاهم على تكذيبهم رسله بأن عاقبهم عقابا لو كان لغير جرم لشابه الظلم،

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٦٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٩٤.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٨١.

فجعل من مجموع نفي ظلم الله إياهم، ومن إثبات ظلمهم أنفسهم معرفة أنهم كذبوا الرسل، وعاندوهم وحل بهم ما هو معلوم من مشاهدة ديارهم، وتناقل أخبارهم"(١).

١٢- حذف المخصوص بالمدح:

كقوله تعالى: ﴿ **وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**﴾(هود:٩٩)، قال ابن عاشور: " وفي حذف المخصوص بالمدح إيجاز؛ ليكون الذم متوجها لإحدى اللعنتين لا على التعيين؛ لأن كلتيهما بئيس"(٢).

١٣- حذف الضمير وجاره:

كقوله تعالى: ﴿ **وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(القصص:٧٣)، قال ابن عاشور: " وقد سلك في قوله: (**لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**) طريقة اللف والنشر المعكوس فيعود (**لِتَسْكُنُوا فِيهِ**) إلى الليل، ويعود (**وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**) إلى النهار، والتقدير: ولتبتغوا من فضله فيه، فحذف الضمير وجاره إيجازا، اعتمادا على المقابلة"(٣).

١٤- حذف جواب الشرط:

كقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(النور:٥)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) دليل جواب الشرط إذ حذف الجواب إيجازا، واستغني عن ذكره بذكر علته التي تشمله وغيره، والتقدير: فلا إثم عليهن فإن الله غفور رحيم لأمثالهن ممن أكره على فعل جريمة"(٤).

١٥- حذف جواب (لما):

كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾(يوسف:١٥)، قال ابن عاشور: " وجواب (**لَمَّا**)

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٥٨.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٥٧.
(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٧١.
(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٢٨.

محذوف دل عليه (**أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**)، والتقدير: جعلوه في الجب، ومثله كثير في القرآن، وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن فهو تقليل في اللفظ لظهور المعنى"(١).

١٦- حذف جواب (لو):

كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾(السجدة:١٢)، قال ابن عاشور: " أردف ذكر إنكارهم البعث بتصوير حال المنكرين أثر البعث، وذلك عند حشرهم إلى الحساب، وجيء في تصوير حالهم بطريقة حذف جواب (**لَوْ**) حذفا يرادفه أن تذهب نفس السامع كل مذهب من تصوير فظاعة حالهم وهول موقفهم بين يدي ربهم، وبتوجيه الخطاب إلى غير معين؛ لإفادة تناهي حالهم في الظهور حتى لا يختص به مخاطب"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**﴾(التكاثر:٥)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**) تهويل وإزعاج؛ لأن حذف جواب (**لَوْ**) يجعل النفوس تذهب في تقديره كل مذهب ممكن، والمعنى: لو تعلمون علم اليقين لتبين لكم حال مفظع عظيم، وهي بيان لما في (**كَلَّا**) من الزجر"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾(الأنعام:٩٣)، قال ابن عاشور: " والمقصود من هذا الشرط تهويل هذا الحال، ولذلك حذف جواب (**لَوْ**) كما هو الشأن في مقام التهويل، ونظائره كثيرة في القرآن، والتقدير: لرأيت أمرا عظيما"(٤).

١٧- حذف جواب القسم:

كقوله تعالى: ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾(ق:١)، قال ابن عاشور: " وجواب القسم محذوف؛ لتذهب نفس السامع في تقديره كل طريق ممكن في المقام، فيدل عليه ابتداء السورة بحرف (**ق**) المشعر بالنداء على عجزهم عن معارضة القرآن بعد تحديهم بذلك، أو يدل عليه الإضراب في قوله: (**بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ**) والتقدير: والقرآن المجيد إنك لرسول

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٢٢١.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٥٢١- ٥٢٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٧٧.

الله بالحق، كما صرح به في قوله: **(يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(٣) عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)**(يس:٤)، أو يقدر الجواب: إنه لتنزيل من رب العالمين، أو نحو ذلك"[١].

ومن صور الحذف التي وردت عند ابن عاشور ما يسمى بالتضمين والاحتباك والاكتفاء، ومواقعها في القرآن كثيرة، وهي كالتالي:

أولا: التضمين:

التضمين لغة:

يقال: ضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ أَوْدَعه إياه، كما تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ[٢].

التضمين اصطلاحا:

واعتبره العلماء خاص بعلم العروض، فقيل: " هو أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء، وإن كان مشهورا فلا حاجة إلى التنبيه"[٣].

أما في الاصطلاح البلاغي فذهب البلاغيون إلى غير ذلك، فقيل: " هو استعارة كلام الأخير وإدخاله في الكلام الجديد"[٤].

وقد لخص السيوطي معاني التضمين، فقال إنه يطلق على أشياء[٥]:

أحدهما: إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه وهذا نوع من الإيجاز.

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام؛ لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم، وهذا هو النوع البديعي.

أما ابن عاشور فقد عرفه بشرح واف، فقال: " ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف، والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر، ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول، فيحصل في الجملة معنيان"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٢٧٧.

(٢) اللسان: (ضمن).

(٣) معاهد التنصيص، للعباسي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م، ج٤، ص١٥٣.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: م٢، ٢٦٣.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ٢٢٩- ٢٣٠.

(٦) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٢٣.

كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**﴾(الملك:٢٧)، قال ابن عاشور: " و (**بِهِ**) متعلق بـــ (**تَدَّعُونَ**) لأنه ضمن معنى (تكذبون) فإنه إذا ضمن عامل معنى عامل آخر يحذف معمول العامل المذكور، ويذكر معمول ضمنه ليدل المذكور على المحذوف، وذلك ضرب من الإيجاز "(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ**﴾(الصافات:٧٨)، قال ابن عاشور: " ومتعلق (**عَلَيْهِ**) من قوله: (**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ**) لم يحم أحد من المفسرين حوله فيما اطلعت، والوجه أن يتعلق (**عَلَيْهِ**) بفعل (**تَرَكْنَا**) بتضمين هذا الفعل معنى (أنعمنا) فكان مقتضى الظاهر أن يعدى هذا الفعل باللام، فلما ضمن معنى أنعمنا أفاد بمادته معنى الإبقاء له، أي: إعطاء شيء من الفضائل المدخرة التي يشبه إعطاؤها ترك أحد متاعا نفيسا لمن يخليه هو له ويخلفه فيه، وأفاد بتعليق حرف (على) به أن هذا الترك من قبيل الإنعام والتفضيل، وكذلك شأن التضمين أن يفيد المضمن مفاد كلمتين فهو من ألطف الإيجاز، ثم إن مفعول (**تَرَكْنَا**) لما كان محذوفا وكان فعل (أنعمنا) الذي ضمنه فعل (**تَرَكْنَا**) مما يحتاج إلى متعلق معنى المفعول، كان محذوفا أيضا مع عامله فكان التقدير: وتركنا له ثناء وأنعمنا عليه، فحصل في قوله: (**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ**) حذف خمس كلمات وهو إيجاز بديع، ولذلك قدر جمهور المتقدمين من المفسرين (**وَتَرَكْنَا**) ثناء حسنا عليه"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾(يوسف:٣١)، قال ابن عاشور: " وعدي فعل الخروج بحرف (**عَلَى**)؛ لأنه ضمن معنى (أدخل)؛ لأن المقصود دخوله عليهن، لا مجرد خروجه من البيت الذي هو فيه"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ** (٥) **بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ**﴾(القلم:٦)، قال ابن عاشور: " يضمن فعل (**تُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ**) معنى: توقن ويوقنون، على طريق الكناية بفعل الإبصار عن التحقق؛ لأن أقوى طرق الحس البصر، ويكون الإتيان بالباء للإشارة إلى هذا التضمين، والمعنى: فستعلم يقينا ويعلمون يقينا بأيكم المفتون، فالباء على أصلها من التعدية متعلقة بـــ (**تُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ**)"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ١٣٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٢٦٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٦٧.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(فصلت:١٧)، قال ابن عاشور: " وضمن (**اسْتَحَبُّوا**) معنى: فضلوا، وهيأ لهذا التضمين اقترانه بالسين والتاء للمبالغة؛ لأن المبالغة في المحبة تستلزم التفضيل على بقية المحبوبات، فلذلك عدي (**اسْتَحَبُّوا**) بحرف (**عَلَى**)، أي: رجحوا باختيارهم، وتعليق (**عَلَى الْهُدَى**) بفعل (**اسْتَحَبُّوا**) لتضمينه معنى: فضلوا وآثروا"[١].

ثانيا: الاحتباك:

الاحتباك لغة:

الحَبْك الشدّ وهو شد الإِزار وإِحكامه، وقد حَبَّكْتُ العقدة أَي وثقتها، وحَبَكَ الثوب يَحْبِكُه ويَحْبُكه حَبْكاً أَجاد نسجه وحسَّن أَثر الصنعة[٢].

وهو فن من فنون الحذف، واعتبره ابن عاشور" من بدائع الاستعمال القرآني لقصد الإيجاز، وتوفير المعاني"[٣].

وقد اعتبره البعض من ضمن مصطلحات البديع؛ لأنه قائم على المقابلة، أما ابن عاشور فقد اعتبره من إيجاز الحذف، وفي مواطن أخرى أطلق عليه لفظ محسن، وكأنه ولّف بين آراء العلماء السابقين.

الاحتباك اصطلاحا:

وقد أكثر منه برهان الدين البقاعي في تفسيره نظم الدرر، فعرفه بقوله: " وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازاً، ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه"[٤].

أما الزركشي فقد سماه بالحذف التقابلي، فقال: " الحذف المقابلي وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٦٢.

(٢) اللسان: (حبك).

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٥٤.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٥م، م٢، ص٢٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ج٣، ١٢٩.

من ذلك قول ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً﴾ (الجن:٢١)، قال: " وفي الكلام احتباك؛ لأن الضر يقابله النفع، والرشد يقابله الضلال، فالتقدير: لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا ضلالا ولا رشدا"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:٥٨)، قال ابن عاشور: " أن يكون (الَّذِي) صادقا على نبات الأرض، والمعنى: والنبت الذي خبث لا يخرج إلا نكدا، ويكون في الكلام احتباك إذ لم يذكر وصف الطيب بعد نبات البلد الطيب، ولم تذكر الأرض الخبيثة قبل ذكر النبات الخبيث؛ لدلالة كلا الضدين على الآخر، والتقدير: والبلد الطيب يخرج نباته طيبا بإذن ربه، والنبات الذي خبث يخرج نكدا من البلد الخبيث، وهذا صنع دقيق لا يهمل في الكلام البليغ"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(يونس:٦٧)، قال ابن عاشور: " ولما قابل السكون في جانب الليل بالإبصار في جانب النهار، والليل والنهار ضدان، دل ذلك على أن علة السكون عدم الإبصار، وأن الإبصار يقتضي الحركة، فكان في الكلام احتباك"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الفجر:١٨)، قال ابن عاشور: " وقد حصل في الآية احتباك؛ لأنهم لما نفي إكرامهم اليتيم وقوبل بنفي أن يحضوا على طعام المسكين، علم أنهم لا يحضون على إكرام أيتامهم، أي: لا يحضون أولياء الأيتام على ذلك، وعلم أنهم لا يطعمون المساكين من أموالهم"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة:٢٧٦)، قال ابن عاشور: " ولما جعل المحق بالربا وجعل الإرباء بالصدقات، كانت المقابلة مؤذنة بحذف مقابلين آخرين، والمعنى: يمحق الله الربا ويعاقب عليه، ويربي الصدقات ويبارك لصاحبها على طريقة الاحتباك"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً﴾(مريم:٧٦)، قال ابن عاشور: " وجملة (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) معطوفة على جملة (مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٤٣.
(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٨٦.
(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٢٧.
(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٣٣.
(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٩١.

فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً) لما تضمنه ذلك من الإمهال المفضي إلى الاستمرار في الضلال، والاستمرار: الزيادة، فالمعنى على الاحتباك، أي: فليمدد له الرحمن مدا فيزدد ضلالا، ويمد للذين اهتدوا فيزدادوا هدى"(١).

وفي مواطن لم يصرح بمصطلح الاحتباك، بل سماه بطريق المقابلة، وقد نوه بأن العلماء قد أهملوا هذا الفن ولم يشيروا له، كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(المائدة:٦)، قال ابن عاشور: " وحددت الآية الأيدي ببلوغ المرافق؛ لأن اليد تطلق على ما بلغ الكوع وما إلى المرفق وما إلى الإبط، فرفعت الآية الإجمال في الوضوء لقصد المبالغة في النظافة وسكتت في التيمم، فعلمنا أن السكوت مقصود، وأن التيمم لما كان مبناه على الرخصة اكتفى بصورة الفعل وظاهر العضو، ولذلك اقتصر على قوله: **(وَأَيْدِيكُمْ)** في التيمم في هذه السورة وفي سورة النساء، وهذا من طريق الاستفادة بالمقابلة، وهو طريق بديع في الإيجاز أهمله علماء البلاغة وعلماء الأصول، فاحتفظ به وألحقه بمسائلهما"(٢).

وفي مواطن أخرى اعتبره من ضمن المحسنات فقال في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾(إبراهيم:٢٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: **(بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً)** محسن الاحتباك، وتقدير الكلام: بدلوا نعمة الله وشكرها كفرا بها ونقمة منه، كما دل عليه قوله: **(وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)**الخ"(٣).

أما في بعض مواطن الآيات فقد اعتبره من قبيل الشبيه بالاحتباك، وربما يرجع ذلك إلى أصل معنى الفعل المضارع والماضي، فاعتبر المقابلة على معنى الأصل للفعل، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾(الأنعام:٩٥)، قال ابن عاشور: " وجيء في قوله: **(وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ)** اسما للدلالة على الدوام والثبات، فحصل بمجموع ذلك أن كلا الفعلين متجدد وثابت،

---

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١٥٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٢٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢٢٨.

أي: كثير وذاتي؛ وذلك لأن أحد الإخراجين ليس أولى بالحكم من قرينه، فكان في الأسلوب شبه الاحتباك"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾(التوبة:٤٥)، قال ابن عاشور: " وجيء في قوله (**لاَ يُؤْمِنُونَ**) بصيغة المضارع للدلالة على تجدد نفي إيمانهم، وفي (**وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ**) بصيغة الماضي للدلالة على قدم ذلك الارتياب ورسوخه، فلذلك كان أثره استمرار انتفاء إيمانهم، ولما كان الارتياب ملازما لانتفاء الإيمان كان في الكلام شبه الاحتباك، إذ يصير بمنزلة أن يقال: الذين لم يؤمنوا ولا يؤمنون وارتابت وترتاب قلوبهم"(٢).

ثالثا: الاكتفاء:

الاكتفاء لغة:

كَفَى يَكْفِي كِفايةً إِذا قام بالأَمر، ويقال: كَفاك هذا الأَمرُ أَي حَسْبُك، ويقال: كَفاه الأَمرَ إِذا قام فيه مَقامه(٣).

الاكتفاء اصطلاحا:

كثير من العلماء صنفه ضمن المحسنات، ومن بينهم الطاهر ابن عاشور، فقال: " وهذا محسن الاكتفاء، وهو محسن يرجع إلى الإيجاز"(٤)، لكننا آثرنا أن نضعه كصورة من صور الحذف؛ لأنه يعتمد على الحذف للإيجاز، وقد سمى الرماني هذا النوع الإيجاز بالحذف(٥).

وهو" أن يحذف الشاعر من البيت شيئا يستغني عن ذكره بدلالة العقل عليه"(٦)، وهذا ماذهب إليه جميع العلماء وان اختلفت الصياغة، فقال فيه السيوطي: " وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالبا بالارتباط العطفي، كقوله: (**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**) أي: والبرد، وخصص الحر بالذكر؛ لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة، والوقاية عندهم من الحر أهم؛ لأنه أشد عندهم من البرد، وقيل: لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا في قوله: (**وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا**)"(٧).

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٨٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢١٣.

(٣) اللسان: (كفى).

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٦٣.

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي (النكت للرماني): ٧٦.

(٦) جواهر البلاغة: ٣٣٢.

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ١٥٤.

وأشار إليه ابن عاشور بقوله: " وهذا من الحذف المسمى بالاكتفاء، اكتفاء بذكر الشيء عن ذكر نظيره أو ضده"(١)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(الحديد:١٢)، قال ابن عاشور: " واقتصر على ذكر الأيمان تشريفا لها وهو من الاكتفاء، أي: وبجانبيهم"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً**﴾(الكهف:٣١)، قال ابن عاشور: " وأما قوله: (**مِن ذَهَبٍ**) فإن (**مِن**) فيه للبيان، وفي الكلام اكتفاء، أي: من ذهب وفضة، كما اكتفي في آية سورة الإنسان بذكر الفضة عن ذكر الذهب بقوله: (**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ**)(الإنسان:٢١)، ولكل من المعدنين جماله الخاص"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ (الفرقان:١)، قال ابن عاشور: " والاقتصار في وصف الرسول هنا على النذير دون البشير كما في قوله: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**)(سبأ:٢٨) لأن المقام هنا لتهديد المشركين إذ كذبوا بالقرآن وبالرسول عليه الصلاة والسلام، فكان مقتضيا لذكر النذارة دون البشارة، وفي ذلك اكتفاء؛ لأن البشارة تخطر ببال السامع عند ذكر النذارة "(٤).

ومن خلال هذه الصورة بشكلها العام لم نجد أنها أضافت شيئا جديدا عن مفهوم الحذف العام، لكن العلماء أجهدوا أنفسهم باشتقاق مصطلحات لا طائل من ورائها، فهي لم تضف جديدا سواء من الناحية البلاغية أو النحوية أو اللغوية... .

وقد أشار ابن عاشور لقسم ثالث من أقسام المجاز، وهو **مجاز الحذف والقصر معا**، ويبدو أنه قد تفرد به عن غيره من العلماء السابقين، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة:١١١)، قال ابن عاشور: " فـ (**أَوْ**) ههنا للتوزيع، وهو ضرب من التقسيم الذي هو من فروع كونها لأحد الشيئين، وذلك أنه إيجاز مركب من إيجاز الحذف لحذف المستثنى منه، ولجمع القولين في فعل واحد وهو (**قَالُواْ**) ومن إيجاز القصر؛ لأن هذا الحذف لما لم يعتمد فيه

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ١٨٩.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٨٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣١٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٣١٧.

على مجرد القرينة المحوجة لتقدير، وإنما دل على المحذوف من القولين بجلب حرف أو كانت (أَوْ) تعبيرا عن المحذوف بأقل عبارة، فينبغي أن يعد قسما ثالثا من أقسام الإيجاز وهو إيجاز حذف وقصر معا"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(البقرة:٢١١)، قال ابن عاشور: " وقوله: (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ) تذييل لجملة (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم) الخ، أفاد أن المقصود أولا من هذا الوعيد هم بنو إسرائيل المتحدث عنهم بقوله: (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وأفاد أن بني إسرائيل قد بدلوا نعمة الله تعالى، فدل ذلك على أن الآيات التي أوتيها بنو إسرائيل هي نعم عليهم، وإلا لما كان لتذييل خبرهم بحكم من يبدل نعم الله مناسبة وهذا مما يقصده البلغاء، فيغني مثله في الكلام عن ذكر جمل كثيرة إيجازا بديعا من إيجاز الحذف وإيجاز القصر معا؛ لأنه يفيد مفاد أن يقال كم آتيناهم من آية بينة هي نعمة عليهم فلم يقدروها حق قدرها، فبدلوا نعمة الله بضدها بعد ظهورها فاستحقوا العقاب؛ لأن من يبدل نعمة الله فالله معاقبه؛ ولأنه يفيد بهذا العموم حكما جامعا يشمل المقصودين وغيرهم ممن يشبههم، ولذلك يكون ذكر مثل هذا الكلام الجامع بعد حكم جزئي تقدمه في الأصل تعريضا يشبه التصريح، ونظيره أن يحدثك أحد بحديث فتقول: فعل الله بالكاذبين كذا وكذا تريد أنه قد كذب فيما حدثك، وإلا لما كان لذلك الدعاء عند سماع ذلك الحديث موقع"(٢).

وبما أن الطاهر ابن عاشور قد اعتبر جميع ضروب البلاغة هي من باب الإيجاز، فإن أسلوب القصر ضرب من الإيجاز، فقال: " والقصر من الإيجاز؛ لأنه قائم مقام جملتين: جملة إثبات للمقصود، وجملة نفيه عما سواه"(٣).

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾(الشورى:٦)، قال ابن عاشور: " وأما طرق القصر المعروفة في علم المعاني فهي من أسلوب الإيجاز، والقصر قصر قلب كما هو صريح طرفه الثاني في قوله: (وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) نزل الرسول- صلى الله عليه وسلم- منزلة من يحسب أنه وكيل على إيمانهم، وحصل من هذا التنزيل تعريض بهم بأنهم لا يضرون الرسول- صلى الله عليه وسلم- إذا لم يصدقوه"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٧٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢٩١.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٣٣٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٣٥.

وكقوله تعالى: ﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾(يونس:٨٣)، قال ابن عاشور: " تفريع على ما تقدم من المحاورة، أي: فتفرع على ذلك أن فرعون وملأه لم يؤمنوا بموسى؛ لأن حصر المؤمنين في ذرية من قوم موسى يفيد أن غيرهم لم يؤمنوا وهو المقصود، فكانت صيغة القصر في هذا المقام إيجازا، والتقدير: تفرع على ذلك تصميم على الإعراض"[١].

وقد يأتي الإيجاز في مقام الإطناب وهذا من بديع الإعجاز القرآني، كقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ (البقرة:٢٢٢)، قال ابن عاشور: " عبر بالإتيان هنا وهو شهير في التكني به عن الوطء؛ لبيان أن المراد بالقربان المنهي عنه هو الذي المعنى الكنائي، فقد عبر بالاعتزال، ثم قفي بالقربان، ثم قفي بالإتيان، ومع كل تعبير فائدة جديدة وحكم جديد، وهذا من إبداع الإيجاز في الإطناب "[٢].

ثانيا: الإطناب

الإطناب لغة:

يقال: أَطْنَبَ في الكلام بالَغَ فيه، وأَطْنَبَ في الوصف إِذا بالغ واجْتَهد، وأَطْنَبَ في الكلام إِذا أَبْعَدَ، وأَطْنَبَتِ الإِبلُ إِذا تَبِعَ بعْضُها بعضاً في السير[٣].

الإطناب اصطلاحا:

يقال هو: " تطويل اللفظ والمعنى جميعا للمبالغة في الإفهام"[٤]، أو" هو التعبير عن المراد بزائد، أي: بلفظ زائد على الأصل المراد لفائدة"[٥].

وقد أبدع ابن عاشور وأطال الحديث عنه وعن بلاغته وجماله القرآني، كما أشار إلى صور كثيرة منه، والمعاني البلاغية التي تخرج عن مثل هذه الصور.

فمن الإطناب قوله تعالى: ﴿**بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١)... وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ**

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٥٨.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٦٩.

(٣) اللسان: (أطنب).

(٤) الإكسير في علم التفسير: ٢٣٤.

(٥) خُلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، تحقيق: د. عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض، ص٢٨٣.

وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(التوبة:٣)، قال ابن عاشور: " وجاء التصريح بفعل البراءة مرة ثانية دون إضمار ولا اختصار بأن يقال: وأذان إلى الناس بذلك أو بها أو بالبراءة؛ لأن المقام مقام بيان وإطناب لأجل اختلاف أفهام السامعين فيما يسمعونه، ففيهم الذكي والغبي، ففي الإطناب والإيضاح قطع لمعاذيرهم واستقصاء في الإبلاغ لهم"(١).

فالهدف العام من الإطناب كما وضحه ابن عاشور في المثال السابق هو مراعاة أفهام السامعين؛ كي لا تكون حجة لهم في عدم الفهم من أوامر الله ونواهيه.

والإطناب هو الإطالة في الحديث، وهذه الإطالة تأتي لفائدة، وإلا كان ذلك حشوا، والقرآن متنزه عن ذلك، **ومن المعاني والفوائد البلاغية للإطناب:**

١- التشويق:

كقوله تعالى: **﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾**(الكهف:١٠٤)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ**) بدل من (**بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**) وفي هذا الإطناب زيادة التشويق إلى معرفة هؤلاء الأخسرين، حيث أجرى عليهم من الأوصاف ما يزيد السامع حرصا على معرفة الموصوفين بتلك الأوصاف والأحوال"(٢).

٢- التنويه والتشريف:

كقوله تعالى: **﴿ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾**(غافر:٢٥)، قال ابن عاشور: " ووجه وقوع (**فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا**) بعد قوله: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**)(غافر:٢٣) مع اتحاد مفاد الجملتين فإن مفاد جملة (**جَاءهُم**) مساو لمفاد جملة (**أَرْسَلْنَا**) ومفاد قوله: (**بِالْحَقِّ**) مساو لمفاد قوله: (**بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**)(غافر:٢٣) أن الأول للتنويه برسالة موسى وعظمة موقفه أمام أعظم ملوك الأرض يومئذ، وأما قوله: (**فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ**) فهو بيان لدعوته إياهم وما نشأ عنها، وتقدير الكلام: أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون فلما جاءهم بالحق، فسلكت في هذا النظم طريقة الإطناب للتنويه والتشريف"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٠٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ١٢٢- ١٢٣.

٣- الإيضاح:

والإيضاح هدف ومعنى أساسي للإطناب كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(البقرة:١٣٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**إِلَـهاً وَاحِداً**) توضيح لصفة الإله الذي يعبدونه، فقوله: (**إِلَـهاً**) حال من (**إِلَـهَكَ**)، ووقوع (**إِلَـهاً**) حالا من (**إِلَـهَكَ**) مع أنه مرادف له في لفظه ومعناه، إنما هو باعتبار إجراء الوصف عليه بـ (**وَاحِداً**) فالحال في الحقيقة هو ذلك الوصف، وإنما أعيد لفظ (**إِلَـهاً**) ولم يقتصر على وصف (**وَاحِداً**) لزيادة الإيضاح؛ لأن المقام مقام إطناب ففي الإعادة تنويه بالمعاد وتوكيد لما قبله، وهذا أسلوب من الفصاحة إذ يعاد اللفظ ليبنى عليه وصف أو متعلق، ويحصل مع ذلك توكيد اللفظ السابق تبعا، وليس المقصود من ذلك مجرد التوكيد"[(١)].

٤- التقرير:

كقوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**﴾(الحشر:١٢)، قال ابن عاشور: " وضمير (**أُخْرِجُوا**) و (**قُوتِلُوا**) عائدان إلى (**الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**)(الحشر:١١)، أي: الذين لم يخرجوا ولما يقاتلوا وهم قريظة وخيبر، أما بنو النضير فقد أخرجوا قبل نزول هذه السورة فهم غير معنيين بهذا الخبر المستقبل، والمعنى: لئن أخرج بقية اليهود في المستقبل لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا في المستقبل لا ينصرونهم، وقد سلك في هذا البيان طريق الإطناب، فإن قوله: (**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**)(الحشر:١١) جمع ما في هاتين الجملتين، فجاء بيانه بطريقة الإطناب؛ لزيادة تقرير كذبهم"[(٢)].

٥- التذكير:

كقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾(الملك:١٩)، قال ابن عاشور: " واشتمل التذكير بعجيب خلقة الطير في طيرانها على ضرب من الإطناب؛ لأن الأوصاف الثلاثة المستفادة من قوله: (**فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ**) تصور صورة حركات الطيران للسامعين، فتنبههم لدقائق ربما أغفلهم عن تدقيق النظر فيها نشأتهم بينها من وقت ذهول الإدراك في زمن الصبا"[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٣٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ١٠٠.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٧.

وقد يكون التذكير لهدف التوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** (٧) **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ**﴾(الانفطار:٨)، قال ابن عاشور: " وتعداد الصلات وإن كان بعضها قد يغني عن ذكر البعض، فإن التسوية حالة من حالات الخلق، وقد يغني ذكرها عن ذكر الخلق، كقوله: (**فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**)(البقرة:٢٩) ولكن قصد إظهار مراتب النعمة، وهذا من الإطناب المقصود به التذكير بكل صلة والتوقيف عليها بخصوصها، ومن مقتضيات الإطناب مقام التوبيخ"[١].

٦- الاهتمام والإثبات:

والمقصود بالإثبات التوكيد، كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** (٣) **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**﴾(الأعلى:٤)، قال ابن عاشور: " وإعادة اسم الموصول في قوله: (**وَالَّذِي قَدَّرَ**) وقوله: (**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**) مع إغناء حرف العطف عن تكريره، للاهتمام بكل صلة من هذه الصلات، وإثباتها لمدلول الموصول، وهذا من مقتضيات الإطناب"[٢].

٧- الابتهال:

كقوله تعالى: ﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** (٢) **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ...**﴾(الفلق:٣)، قال ابن عاشور: " وأعيدت كلمة (**مِن شَرِّ**) بعد حرف العطف في هذه الجملة وفي الجملتين المعطوفتين عليها، مع أن حرف العطف مغن عن إعادة العامل قصدا لتأكيد الدعاء تعرضا للإجابة، وهذا من الابتهال فيناسبه الإطناب"[٣].

٨- التحسر والتلهف:

كقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** (٣٨) **إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ** (٣٩) **فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ** (٤٠) **عَنِ الْمُجْرِمِينَ** (٤١) **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**(٤٢) **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ...**﴾ (المدثر:٤٣)، قال ابن عاشور: " وأنهم كذبوا بالجزاء فلم يتطلبوا ما ينجيهم، وهذا كناية عن عدم إيمانهم، سلكوا بها طريق الإطناب المناسب لمقام التحسر والتلهف على ما فات، فكأنهم قالوا: لأنا لم نكن من المؤمنين؛ لأن أهل الإيمان اشتهروا بأنهم أهل الصلاة، وبأنهم في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، وبأنهم يؤمنون بالآخرة وبيوم الدين، ويصدقون الرسل، وقد جمعها قوله تعالى في سورة البقرة (٢-٤)(**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** (٢) **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٧٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٢٧٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٦٢٧.

وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)"(١).

٩- التعريض:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ**﴾(البقرة:٦٨)، قال ابن عاشور: " وجاء في جوابهم بهذا الإطناب دون أن يقول من أول الجواب إنها عوان؛ تعريضا بغباوتهم واحتياجهم إلى تكثير التوصيف، حتى لا يترك لهم مجالا لإعادة السؤال"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً**﴾(الفرقان:٦٣)، قال ابن عاشور: " وفي الإطناب بصفاتهم الطيبة تعريض بأن الذين أبوا السجود للرحمن وزادهم نفورا، هم على الضد من تلك المحامد، تعريضا تشعر به إضافة (**عِبَادُ**) إلى (**الرَّحْمَنِ**)"(٣).

١٠- التهويل:

كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**﴾(الأعراف:١٦٥)، قال ابن عاشور: " و (**مَا ذُكِّرُواْ بِهِ**) و (**مَّا نُهُواْ عَنْهُ**) ما صدقهما شيء واحد، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: فلما نسوا وعتوا عما نهوا عنه وذكروا به قلنا لهم الخ، فعدل عن مقتضى الظاهر إلى هذا الأسلوب من الإطناب لتهويل أمر العذاب، وتكثير أشكاله، ومقام التهويل من مقتضيات الأطناب"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾(التوبة:٣٥)، قال ابن عاشور: " وسلك في التعبير عن التعميم مسلك الإطناب بالتعداد؛ لاستحضار حالة ذلك العقاب الأليم، تهويلا لشأنه، فلذلك لم يقل: فتكوى بها أجسادهم"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٢٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٥١.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٦٧.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٥٣- ١٥٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٧٩.

وكقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ...﴾(القيامة:٢٦)، قال ابن عاشور: " وسلك في الجمل التي بعد (إِذَا) مسلك الإطناب؛ لتهويل حالة الاحتضار على الكافر، وفي ذلك إيماء إلى أن الكافر يتراءى له مصيره في حالة احتضاره"[(١)].

وقد يجر التهويل التفظيع بل زيادة فيهما وهذا ما يقتضيه المقام، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص:٢٨)، قال ابن عاشور: " والمقصود من هذا الإطناب زيادة التهويل والتفظيع على الذين ظنوا ظنا يفضي إلى أن الله خلق شيئا من السماء والأرض وما بينهما باطلا، فإن في الانتقال من دلالة الأضعف إلى دلالة الأقوى، وفي تكرير أداة الإنكار شأنا عظيما من فضح أمر الضالين"[(٢)].

والتهويل عادة ما يحمل في طياته التهديد، كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(الشعراء:٢٩)، قال ابن عاشور: " ومعنى: (لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) لأسجننك، فسلك فيه طريقة الإطناب؛ لأنه أنسب بمقام التهديد؛ لأنه يفيد معنى لأجعلنك واحدا ممن عرفت أنهم في سجني، فالمقصود تذكير موسى بهول السجن"[(٣)].

ومن التهديد قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾(آل عمران:١٣)، قال ابن عاشور: " استئناف ابتدائي، للانتقال من النذارة إلى التهديد، ومن ضرب المثل لهم بأحوال سلفهم في الكفر، إلى ضرب المثل لهم بسابق أحوالهم المؤذنة بأن أمرهم صائر إلى زوال، وأن أمر الإسلام ستندك له صم الجبال، وجيء في هذا التهديد بأطنب عبارة وأبلغها؛ لأن المقام مقام إطناب لمزيد الموعظة، والتذكير بوصف يوم كان عليهم يعلمونه"[(٤)].

صور الإطناب:

تعددت صور الإطناب عند البلغاء وكثرت مصطلحاتها، كما تعددت هذه المصطلحات عند ابن عاشور، رغم ذلك لا نجد فرقا جوهريا بين هذه المصطلحات عنده، والدليل أنه يمزج بينها في كثير من الآيات، وهذا ما سيتضح فيما يلي:

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٦٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٢٥٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٢٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٧٥.

أولا: التفصيل بعد الإجمال:

والتفصيل هو الإيضاح وهو من مستلزمات الإطناب وهدف له، وقد وضح ابن عاشور أهمية هذه الصورة ومكانتها بين صور الإطناب، فقال: " وسلك القرآن مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة، ومن أهم مقامات الإطناب مقام توصيف الأحوال التي يراد بتفصيل وصفها إدخال الروع في قلب السامع"(١).

كما وقد اعتبر التفصيل عاملا أساسيا للتشويق، فقال: " لما في التفصيل من الاهتمام لدى النفوس؛ لأن العقول ترتاح إلى البيان والإيضاح"(٢)، " وشأن التفصيل أن يفيد الطمأنينة للمقصود"(٣)، و" ليتمكن المعنى في ذهن السامع"(٤).

ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾(الفجر:٢٧)، قال ابن عاشور: " وفرع على هذه البشرى الإجمالية تفصيل ذلك بقوله: (**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**) فهو تفصيل بعد الإجمال؛ لتكرير إدخال السرور على أهلها"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾(الجاثية:٢٢)، قال ابن عاشور: " وعطف (**وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**) على (**بِالْحَقِّ**)؛ لأن المعطوف عليه المجرور بالياء فيه معنى التعليل، وهذا تفصيل بعد إجمال، فإن الجزاء على الفعل بما يناسبه هو من الحق؛ ولأن تعليل الخلق بعلة الجزاء من تفصيل معنى الحق، وآثار كون الحق سببا لخلق السماوات والأرض، أو ملابسا لأحوال خلقهما"(٦).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ** ﴾(الأعراف:٤)، قال ابن عاشور: " ففي الآية أخبر عن كيفية إهلاكهم بعد الخبر بالإهلاك، وهذا الترتيب هو في الغالب تفصيل بعد إجمال، فيكون من عطف المفصل على المجمل"(٧).

وقد أشار ابن عاشور للفائدة البلاغية في بعض المواطن لمثل هذه الصورة، وذلك **كالتقرير** ليكون أشد تمكنا في الذهن، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾(النحل:٣٦)، قال ابن عاشور: " عطف

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٢٣.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣١٥.
(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١١٠.
(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٥٥.
(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٤٣.
(٦) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٣٥٦.
(٧) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٢١.

على جملة (**كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**)(النحل:٣٥)، وهو تكملة لإبطال شبهة المشركين إبطالا بطريقة التفصيل بعد الإجمال؛ لزيادة تقرير الحجة"[١].

كما يفيد التفصيل بعد الإجمال **التشويق** دون أن يصرح بذلك، ولكن هذا يفهم من السياق؛ لذلك نجد السامع يترقب ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(البقرة:١٣٣)، قال ابن عاشور: " وقوله تعالى: (**إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ**) بدل من (**إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ**) وفائدة المجيء بالخبر على هذه الطريقة دون أن يقال أم كنتم شهداء إذ قال يعقوب لبنيه عند الموت، هي قصد استقلال الخبر وأهمية القصة وقصد حكايتها على ترتيب حصولها، وقصد الإجمال ثم التفصيل؛ لأن حالة حضور الموت لا تخلو من حدث هام سيحكى بعدها فيترقبه السامع"[٢].

وقد يصرح بالتشويق في مواطن أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾ (غافر:٣٧)، قال ابن عاشور: " وانتصب (**أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ**) على البدل المطابق لقوله: (**الْأَسْبَابَ**) وجيء بهذا الأسلوب من الإجمال ثم التفصيل للتشويق إلى المراد بالأسباب؛ تفخيما لشأنها وشأن عمله؛ لأنه أمر عجيب ليورد على نفس متشوقة إلى معرفته وهي نفس (هامان)"[٣].

كما وقد يأتي التفصيل **للتهويل**، كما في قوله تعالى: ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾(الصف:٣)، قال ابن عاشور: " وانتصب (**مَقْتاً**) على التمييز لجهة الكبر، وهو تمييز نسبة، والتقدير: كبر ممقوتا قولكم ما لا تفعلونه، ونظم هذا الكلام بطريقة الإجمال ثم التفصيل بالتمييز؛ لتهويل هذا الأمر في قلوب السامعين، لكون الكثير منهم بمظنة التهاون في الحيطة منه حتى وقعوا فيما وقعوا يوم أحد، ففيه وعيد على تجدد مثله، وزيد المقصود اهتماما بأن وصف المقت بأنه عند الله، أي: مقت لا تسامح فيه"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٣٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ١٤٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ١٧٥.

كما وقد اعتبر ابن عاشور **الإبدال** صورة من صور التفصيل بعد الإجمال.

الإبدال لغة:

والبَدِيل البَدَل وبَدَلُ الشيء غَيْرُه، وبِدْل الشيء وبَدَله وبَدِيله الخَلَف منه، والجمع أَبدال، وتَبَدَّل الشيءَ وتَبدل به واستبدله واستبدل به كُلُّه اتخذ منه بَدَلاً، وأَبْدَل الشيءَ من الشيء وبَدّله اتَخِذَه منه بدلاً، وأَبدلت الشيء بغيره، وتبديل الشيء تغييره[١].

الإبدال اصطلاحا:

" والقصد به الإيضاح بعد الإبهام وهو يفيد البيان والتأكيد"[٢]، وهذا المعنى قد ورد عند ابن عاشور من خلال شرحه للآيات، فقد صنفه ضمن التفصيل بعد الإجمال الذي بدوره يوحي بالإيضاح بعد الإبهام.

وقد أشار لفائدة الإبدال مستندا وشارحا قول الكشاف، قال الكشاف: " فإن قلت ما فائدة البدل؟... قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير"[٣]، فقال ابن عاشور: " أن فائدة الإبدال أمران يرجعان إلى التوكيد وهما: ما فيه من التثنية، أي: تكرار لفظ البدل ولفظ المبدل منه، وعنى بالتكرير ما يفيده البدل عند النحاة من تكرير العامل... وسماه تكريرا؛ لأنه إعادة للفظ بعينه، بخلاف إعادة لفظ المبدل منه فإنه إعادة له بما يتحد مع ما صدقه، فلذلك عبر بالتكرير وبالتثنية، ومراده أن مثل هذا البدل وهو الذي فيه إعادة لفظ المبدل منه يفيد فائدة البدل وفائدة التوكيد اللفظي، وقد علمت أن الجمع بين الأمرين لا يتأتى على وجه معتبر عند البلغاء إلا بهذا الصوغ البديع، وإن إعادة الاسم في البدل أو البيان ليبنى عليه ما يراد تعلقه بالاسم الأول أسلوب بهيج من الكلام البليغ؛ لإشعار إعادة اللفظ بأن مدلوله بمحل العناية، وأنه حبيب إلى النفس"[٤].

ومن الإبدال قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ**

(١) اللسان: (بدل).

(٢) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٤٥٣.

(٣) الكشاف: ج١، ٥٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٩٢.

فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٢١٧)، قال ابن عاشور: " قوله: **(قِتَالٌ فِيهِ)** وهو بدل اشتمال[١]... وإنما اختير طريق الإبدال هنا وكان مقتضى الظاهر أن يقال: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام لأجل الاهتمام بالشهر الحرام؛ تنبيها على أن السؤال لأجل الشهر، أيقع فيه قتال؟ لا لأجل القتال هل يقع في الشهر وهما متآيلان، لكن التقديم لقضاء حق الاهتمام، وهذه نكتة لإبدال عطف البيان تنفع في مواقع كثيرة، على أن في طريق بدل الاشتمال تشويقا بارتكاب الإجمال ثم التفصيل"[٢].

ومن الفوائد البلاغية للإبدال **زيادة التقرير**، كما في قوله تعالى: **﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**(آل عمران:١٧٨)، قال ابن عاشور: " و **(أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ)** هو بدل اشتمال من **(الَّذِينَ كَفَرُواْ)**، فيكون سادا مسد المفعولين؛ لأن المبدل منه صار كالمتروك، وسلكت طريقة الإبدال لما فيه من الإجمال ثم التفصيل؛ لأن تعلق الظن بالمفعول الأول يستدعي تشوف السامع للجهة التي تعلق بها الظن، وهي مدلول المفعول الثاني، فإذا سمع ما يسد مسد المفعولين بعد ذلك تمكن من نفسه فضل تمكن وزاد تقريرا"[٣].

ومنه إفادة **التعجيب**، كقوله تعالى: **﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾**(الإسراء:٢٠)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء)** بدل من قوله: **(كُلاًّ)** بدل مفصل من مجمل، ومجموع المعطوف والمعطوف عليه هو البدل... والمقصود من الإبدال التعجيب من سعة رحمة الله تعالى"[٤].

ومنه إفادة **التنبيه**، كقوله تعالى: **﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾**(التكوير:٢٨)، قال ابن عاشور: " وأبدل من **(لِّلْعَالَمِينَ)** قوله: **(لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن**

---

(١) بدل الاشتمال هو" تابع يعين أمرا عرضيا، ووصفا طارئا من الأمور والأوصاف المتعددة التي تتصل بالمتبوع، ويشتمل عليها معنى عامله إجمالا بغير تفصيل".

- النحو الوافي: ج٣، ٦٦٩.

" وهذا الاشتمال قد يكون في أمر مكتسب كالعلم، أو غير مكتسب مع ملازمته لصاحبه زمنا كالحسن، أو عدم ملازمته كالكلام، وأيضا قد يكون الاشتمال الظرف على المظروف كالثوب، وتارة لا يكون كالفرس..." .

- حاشية النحو الوافي: ج٣، ٦٦٩.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٢٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٧٦.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٦٢.

يَسْتَقِيمَ) بدل بعض من كل[١]، وأعيد مع البدل حرف الجر العامل مثله في المبدل منه لتأكيد العامل... وفائدة هذا الإبدال التنبيه على أن الذين تذكروا بالقرآن وهم المسلمون، قد شاءوا الاستقامة لأنفسهم فنصحوا أنفسهم، وهو ثناء عليهم"[٢].

ثانيا: عطف العام على الخاص:

ذكره السيوطي ووضح الفائدة منه، فقال: " وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ، والفائدة فيه واضحة وهو التعميم، وأفرد الأول بالذكر اهتماما بشأنه"[٣]، ولم يخرج ابن عاشور عن هذا الرأي، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾(الإسراء:١٢)، قال ابن عاشور: " والحساب يشمل حساب الأيام والشهور والفصول، فعطفه على **(عَدَدَ السِّنِينَ)** من عطف العام على الخاص؛ للتعميم بعد ذكر الخاص اهتماما به"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾(النحل:٥)، قال ابن عاشور: " وعطف **(مَنَافِعُ)** على **(دِفْءٌ)** من عطف العام على الخاص؛ لأن أمر الدفء قلما تستحضره الخواطر"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (الحديد٢٧)، قال ابن عاشور: " فعطف الرحمة على الرأفة، من عطف العام على الخاص؛ لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتم ببعضها"[٦].

---

(١) " بدل بعض من كل، أو بدل جزء من كل، وضابطه: أن يكون البدل جزءا حقيقيا من المبدل منه، سواء أكان هذا الجزء أكبر من باقي الأجزاء، أم أصغر منها، أم مساويا، وأن يصح الاستغناء عنه بالمبدل منه، فلا يفسد المعنى بحذفه نحو: أكلت البطيخة ثلثها، والبرتقالة ثلثيها، ونحو: اعتنيت بوجه الطفل عينيه".

- النحو الوافي: ج٣، ٦٦٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٦٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ١٨١.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٤٥.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ١٠٥.

(٦) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٤٢١.

ثالثا: عطف الخاص على العام:

قال الزركشي: " فيؤتى به معطوفا عليه بالواو، وللتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام؛ تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات"(١)، وقد ذكره ابن عاشور في كثير من المواطن مع الإيضاح الوافي في كثير من مواطنه، من ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(المجادلة:١١)، قال ابن عاشور: " وعطف (**الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**) منهم عطف الخاص على العام؛ لأن غشيان مجلس الرسول- صلى الله عليه وسلم- إنما هو لطلب العلم من مواعظه وتعليمه، أي: والذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون؛ لأن الذين أوتوا العلم قد يكون الأمر لأحد بالقيام من المجلس لأجلهم، أي: لأجل إجلاسهم؛ وذلك رفع لدرجاتهم في الدنيا؛ ولأنهم إذا تمكنوا من مجلس الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان تمكنهم أجمع للفهم وأنفى للملل، وذلك أدعى لإطالتهم الجلوس وازديادهم التلقي وتوفير مستنبطات أفهامهم فيما يلقى إليهم من العلم، فإقامة الجالسين في المجلس؛ لأجل إجلاس الذين أوتوا العلم من رفع درجاتهم في الدنيا"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:٣٣)، قال ابن عاشور: " وعطف (**الْبَغْيَ**) على (**الإِثْمَ**) من عطف الخاص على العام للاهتمام به؛ لأن البغي كان دأبهم في الجاهلية"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً**﴾(الكهف:٥٦)، قال ابن عاشور: " وعطف (**وَمَا أُنذِرُوا**) على (**الآيَاتِ**) عطف خاص على عام؛ لأنه أبلغ في الدلالة على توغل كفرهم وحماقة عقولهم"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(الجاثية:٤)، قال ابن عاشور: " وعطف جملة: (**وَفِي خَلْقِكُمْ**) الخ

(١) البرهان في علوم القرآن: ج٢، ٤٦٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٤١.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٠١.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٥٣.

على جملة (**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ**) عطف خاص على عام، لما في هذا الخاص من التذكير بنعمة إيجاد النوع، استدعاء للشكر عليه"(١).

وفي مواطن أخرى اعتبر العطف شبيه بعطف الخاص على العام، وربما يرجع ذلك على اعتبار الأصل في تسمية ذلك المعطوف، كما في قوله تعالى: ﴿ **جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(المائدة:٩٧)، قال ابن عاشور: " وعطف (**الشَّهْرَ الْحَرَامَ**) على (**الْكَعْبَةَ**) شبه عطف الخاص على العام باعتبار كون الكعبة أريد بها ما يشمل علائقها وتوابعها، فإن الأشهر الحرم ما اكتسبت الحرمة إلا من حيث هي أشهر الحج والعمرة للكعبة"(٢).

ومن قوة الإعجاز القرآني، وبراعة ابن عاشور في تفنيد القضايا البلاغية، استطاع أن يخرّج آية واحدة تجمع عطف العام على الخاص وعطف الخاص على العام ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**﴾(المائدة٧٧)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ**) عطف على النهي عن الغلو، وهو عطف عام من وجه على خاص من وجه، ففيه فائدة عطف العام على الخاص وعطف الخاص على العام، وهذا نهي لأهل الكتاب الحاضرين عن متابعة تعاليم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساءوا فهم الشريعة عن هوى منهم مخالف للدليل؛ فلذلك سمي تغاليهم أهواء؛ لأنها كذلك في نفس الأمر وإن كان المخاطبون لا يعرفون أنها أهواء، فضلوا ودعوا إلى ضلالتهم"(٣).

رابعا: التكرار:

التكرار لغة:

يقال: كَرَّرَ الشيء وكَرْكَره أعاده مرة بعد أُخرى، ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه وكَركَرْتُه (٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٣٢٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٥٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٩٠.

(٤) اللسان: (كرر).

التكرار اصطلاحا:

عرفه ابن الأثير: " هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد... وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مرددا فمنه ما يأتي لفائدة، ومنه ما يأتي لغير فائدة، فأما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب وهو أخص منه، فيقال حينئذ إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب، وليس كل إطناب تكريرا يأتي لفائدة"(١).

وقد وضح ابن رشيق مواضع التكرار، فقال: " وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب... "(٢).

وعادة ما يأتي التكرار لاستحضار الأذهان، لتثبيته في العقول، والتذكير به؛ لأنه لا يكرر إلا الشيء المهم الذي يقتضي التثبيت، وإلا لا داعي للتكرار، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾(المائدة:٢١)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ**) هو الغرض من الخطاب، فهو كالمقصد بعد المقدمة، ولذلك كرر اللفظ الذي ابتدأ به مقالته وهو النداء بـــ (**يَا قَوْمِ**) لزيادة استحضار أذهانهم"(٣).

والتكرير قد يكون تكرير اللفظ، وأحيانا تكرير آية كاملة دون نقصان حرف؛ وذلك حسب ما يقتضيه المقام، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(البقرة:١٤١)، قال ابن عاشور: " تكرير لنظيره الذي تقدم آنفا لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين؛ اهتماما بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين فلم يقتنع فيه بمرة واحدة"(٤). وقد تكررت هذه الآية في قوله تعالى: (**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)(البقرة:١٣٤)، والذي أدى لهذا التكرار حالة المخاطب الذي لم يقتنع لأول مرة؛ وذلك لسوء فهمه، أو جحوده ونكرانه، وربما يكون للبعد الزمني بين الآيتين.

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج٢، ص٣٤٥.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ج٢، ٧٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ١٦٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٤٨.

وقد يكون التكرار بتكرير المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(الأعراف:٩٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ**) تكرير لقوله: (**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى**) قصد منه تقرير التعجيب من غفلتهم، وتقرير معنى التعريض بالسامعين من المشركين، مع زيادة التذكير بأن ما حل بأولئك من عذاب الله يماثل هيئة مكر الماكر بالممكور، فلا يحسبوا الإمهال إعراضا عنهم، وليحذروا أن يكون ذلك كفعل الماكر بعدوه"[(١)].

ومن مواطن تكرير المعنى ما جاء على صورة التشبيه، كقوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ**﴾(البقرة:١٩)، قال ابن عاشور: " عطف على التمثيل السابق وهو قوله: (**كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**)(البقرة:١٧)، أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى، فهو تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جواذب ودوافع، حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس والسخرية بالمسلمين، بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأكدار، جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه وهم يتنافسون فيه لا سيما التمثيلي منه، وهي طريقة تدل على تمكن الواصف من التوصيف والتوسع فيه"[(٢)].

وقد خرج التكرار في القرآن الكريم لنكت بلاغية ودلالية أشار ابن عاشور لها، من هذه المعاني:

١- التعظيم:

كقوله تعالى: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾(الحشر:٢٢)، قال ابن عاشور: " وضمير (**هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**)... وهذا تكرير للاستئناف؛ لأن المقام مقام تعظيم، وهو من مقامات التكرير، وفيه اهتمام بصفة الوحدانية"[(٣)].

٢- الاستئناس:

كقوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (١) ... **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(العلق٣)، قال ابن عاشور: " (**اقْرَأْ**) إعادة للفظ المنزل من الله إعادة تكرير؛ للاستئناس بالقراءة التي لم يتعلمها من قبل"[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٣- ٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣١٤.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ١٢٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٣٦.

٣- التمييز:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْاْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾(البقرة:٦١)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْاْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**) يحتمل أن تكون الإشارة فيه إلى نفس المشار إليه بذلك الأولى، فيكون تكريرا للإشارة لزيادة تمييز المشار إليه حرصا على معرفته، ويكون العصيان والاعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة ولغضب الله تعالى عليهم، والآية حينئذ من قبيل التكرير وهو مغن عن العطف مثل قوله تعالى: (**أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**) (الأعراف:١٧٩)"[١].

٤- التسجيل:

كقوله تعالى: ﴿ ...**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾(البقرة:١٠٣)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**)... وفائدة هذا التكرير التسجيل عليهم بأنهم لا يعلمون ما هو النفع الحق"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(المائدة٧٣)، قال ابن عاشور: " والمراد بـــ (**الَّذِينَ كَفَرُواْ**) عين المراد بـــ (**الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ**) فعدل عن التعبير عنهم بضميرهم إلى الصلة المقررة لمعنى كفرهم المذكور آنفا بقوله: (**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ**) إلخ؛ لقصد تكرير تسجيل كفرهم، وليكون اسم الموصول مومئا إلى سبب الحكم المخبر به عنه، وعلى هذا يكون قوله (**مِنْهُمْ**) بيانا للذين كفروا قصد منه الاحتراس عن أن يتوهم السامع أن هذا وعيد لكفار آخرين"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:٢٠)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**) استئناف لزيادة إيضاح تصلب المشركين وإصرارهم، فهم المراد بالذين خسروا

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٣٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٥٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٨٤.

أنفسهم كما أريدوا بنظيره السابق الواقع بعد قوله: (**لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ**)(النساء:٨٧)، فهذا من التكرير للتسجيل وإقامة الحجة وقطع المعذرة، وأنهم مصرون على الكفر حتى ولو شهد بصدق الرسول أهل الكتاب، كقوله: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ**)(الأحقاف:١٠)، وقيل: أريد بهم أهل الكتاب، أي: الذين كتموا الشهادة، فيكون (**الَّذِينَ خَسِرُواْ**) بدلا من (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**)"[١].

٥- المبالغة:

كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾(المائدة١١٤)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً**) اشتمل على نداءين، إذ كان قوله: (**رَبَّنَا**) بتقدير حرف النداء، كرر النداء مبالغة في الضراعة"[٢].

٦- التقرير:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾(يونس:٣٤)، قال ابن عاشور: " استئناف على طريقة التكرير لقوله قبله (**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)(يونس:٣١)، وهذا مقام تقرير وتعديد الاستدلال، وهو من دواعي التكرير، وهو احتجاج عليهم بأن حال آلهتهم على الضد من صفات الله تعالى، فبعد أن أقام عليهم الدليل على انفراد الله تعالى بالرزق، وخلق الحواس وخلق الأجناس وتدبير جميع الأمور، وأنه المستحق للإلهية بسبب ذلك الانفراد، بين هنا أن آلهتهم مسلوبة من صفات الكمال وأن الله متصف بها، وإنما لم يعطف لأنه غرض آخر مستقل، وموقع التكرير يزيده استقلالا"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾(القصص:٧٢)، قال ابن عاشور: "وكرر الأمر بالقول في مقام التقرير؛ لأن التقرير يناسبه التكرير مثل مقام التوبيخ ومقام التهويل"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٧١- ١٧٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٠٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٦٠- ١٦١.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٧٠.

٧- الامتنان:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾(القمر:٣١)، قال ابن عاشور: " تكرير ثان بعد نظيريه السالفين في قصة قوم نوح وقصة عاد، تذييلا لهذه القصة كما ذيلت بنظيريه القصتان السالفتان، اقتضى التكرير مقام الامتنان، والحث على التدبر بالقرآن؛ لأن التدبر فيه يأتي بتجنب الضلال، ويرشد إلى مسالك الاهتداء، فهذا أهم من تكرير (**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**)(القمر:٣٠) فلذلك أوثر القول في مفرداته كالقول في نظائره، وقصة قوم لوط تقدمت في سورة الأعراف وغيرها"(١). والتكرار حصل أيضا في نفس الآية في لفظتي (**صَيْحَةً وَاحِدَةً**) فلفظة (**وَاحِدَةً**) تكرارا للفظة (**صَيْحَةً**) فجاءت لتأكيد هذه الصيحة.

٨- الاهتمام:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** (٢٣) **قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ...**﴾(الملك:٢٤)، قال ابن عاشور: " إعادة فعل (**قُلْ**) من قبيل التكرير المشعر بالاهتمام بالغرض المسوقة فيه تلك الأقوال"(٢).

٩- التوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** (٦٢)... **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** (٦٥)... **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾(القصص:٧٤)، قال ابن عاشور: " وكررت جملة: (**يَوْمَ يُنَادِيهِمْ**) لأن التكرار من مقتضيات مقام الموعظة، وهذا توبيخ لهم على تكذيبهم الرسل بعد انقضاء توبيخهم على الإشراك بالله"(٣)، وقد وضح هذه الآية في موطن آخر، فقال: " كررت جملة (**يَوْمَ يُنَادِيهِمْ**) مرة ثانية؛ لأن التكرير من مقتضيات مقام التوبيخ فلذلك لم يقل: ويوم ننزع من كل أمة شهيدا، فأعيد ذكر أن الله يناديهم بهذا الاستفهام التقريعي وينزع من كل أمة شهيدا، فظاهر الآية أن ذلك النداء يكرر يوم القيامة"(٤).

ومقام التوبيخ يناسبه التقريع فكلاهما واحد، كقوله تعالى: ﴿ **انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** (٢٩) **انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ**﴾(المرسلات:٣٠)، قال ابن عاشور: " وأعيد فعل

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٦٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٧٢.

(انطَلِقُوا) على طريقة التكرير؛ لقصد التوبيخ أو الإهانة والدفع، ولأجله أعيد فعل **(انطَلِقُوا)** وحرف **(إِلَى)** ومقتضى الظاهر أن يقال: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ظل ذي ثلاث شعب، فإعادة العامل في البدل للتأكيد في مقام التقريع"[1].

١٠- الترتيب والتصنيف:

كقوله تعالى: ﴿**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**﴾(الفجر:٢٢)، قال ابن عاشور: " و**(صَفّاً)** الثاني لم يختلف المفسرون في أنه من التكرير المراد به الترتيب والتصنيف، أي: صفا بعد صف، أو خلف صف، أو صنفا من الملائكة دون صنف، قيل: ملائكة كل سماء يكونون صفا حول الأرض على حدة"[2].

١١- التعجيب:

كقوله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْداً إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى**﴾(العلق:١١)، قال ابن عاشور: " وفصلت جملة: **(أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى)** لوقوعها موقع التكرير؛ لأن فيها تكرير التعجيب من أحوال عديدة لشخص واحد"[3].

١٢- التحسر والحزن:

كقوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ**﴾(الحاقة:٢٦)، قال ابن عاشور: " وجملة **(وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ)**... ويجوز أن يكون عطفا على التمني، أي: يا ليتني لم أدر ما حسابيه، أي: لم أعرف كنه حسابي، أي: نتيجته، وهذا وإن كان في معنى التمني الذي قبله فإعادته تكرير؛ لأجل التحسر والتحزن"[4].

خامسا: الاعتراض:

الاعتراض لغة:

يقال: اعتَرَضَ الشيءُ دون الشيءِ، أَي: حال دونه، واعتَرَضَ فلان الشيءَ تَكَلَّفَه [5].

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٣٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٤٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٣٥.

(٥) اللسان: (عرض).

الاعتراض اصطلاحا:

هو" كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقي الأول على حاله"(١)، أو هو" أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكته"(٢).

والاعتراض كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(البقرة:٩١)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** فصله عما قبله؛ لأنه اعتراض في أثناء ذكر أحوالهم، قصد به الرد عليهم في معذرتهم هذه؛ لإظهار أن معاداة الأنبياء دأب لهم وأن قولهم: **(نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا)** كذب إذ لو كان حقا لما قتل أسلافهم الأنبياء الذين هم من قومهم، ودعوهم إلى تأييد التوراة والأمر بالعمل بها، ولكنهم يعرضون عن كل ما لا يوافق أهواءهم، وهذا إلزام للحاضرين بما فعله أسلافهم؛ لأنهم يرونهم على حق فيما فعلوا من قتل الأنبياء"(٣).

ومن النكت البلاغية للاعتراض التي ظهرت عند ابن عاشور:

١- التذكير:

كقوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ**﴾(البقرة:١٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ)** اعتراض للتذكير بأن المقصود التمثيل لحال المنافقين في كفرهم، لا لمجرد التفنن في التمثيل"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (المنافقون:١١)، قال ابن عاشور: " اعتراض في آخر الكلام، فالواو اعتراضية تذكيرا للمؤمنين بالأجل لكل روح عند حلولها في جسدها، حين يؤمر الملك الذي ينفخ الروح يكتب أجله وعمله ورزقه وشقي أو سعيد"(٥).

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج٣، ٤٠.

(٢) الإيضاح: ٢٠٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٠٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣١٩.

(٥) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٥٥.

٢- التسلية:

كقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾(الأنعام:١١٢)، قال ابن عاشور: " اعتراض قصد منه تسلية الرسول- صلى الله عليه وسلم- والواو واو الاعتراض؛ لأن الجملة بمنزلة الفذلكة، وتكون للرسول – صلى الله عليه وسلم – تسلية بعد ذكر ما يحزنه من أحوال كفار قومه، وتصلبهم في نبذ دعوته، فأنبأه الله بأن هؤلاء أعداؤه، وأن عداوة أمثالهم سنة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبي –عليه الصلاة والسلام- بدعا من شأن الرسل، فمعنى الكلام: ألست نبيا وقد جعلنا لكل نبي عدوا إلى آخره"(١).

ونجد أحيانا أن تسلية النبي غايتها التثبيت، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**﴾(هود:١١٠)، قال ابن عاشور: " اعتراض لتثبيت النبي – صلى الله عليه وسلم- وتسليته بأن أهل الكتاب وهم أحسن حالا من أهل الشرك قد أوتوا الكتاب فاختلفوا فيه، وهم أهل ملة واحدة، فلا تأس من اختلاف قومك عليك، فالجملة عطف على جملة (**فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ**)(هود:١٠٩)"(٢).

٣- الموعظة والعبرة:

كقوله تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾(الكهف:٤٦)، قال ابن عاشور: " اعتراض أريد به الموعظة والعبرة للمؤمنين بأن ما فيه المشركون من النعمة من مال وبنين ما هو إلا زينة الحياة الدنيا التي علمتم أنها إلى زوال، كقوله تعالى: (**لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ**)(آل عمران:١٩٦) وأن ما أعد الله للمؤمنين خير عند الله وخير أملا"(٣).

٤- التنبيه:

كقوله تعالى: ﴿ **لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾(التوبة:٤٧)، قال ابن عاشور: " (**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**) وهذه الجملة اعتراض للتنبيه على أن بغيهم الفتنة أشد خطرا على المسلمين؛ لأن في

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٦٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٣٣٢.

المسلمين فريقا تنطلي عليهم حيلهم، وهؤلاء هم سذج المسلمين الذين يعجبون من أخبارهم، ويتأثرون ولا يبلغون إلى تمييز التمويهات والمكائد عن الصدق والحق"(١).

٥- المبالغة:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**﴾(المائدة:١١٦)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**) اعتراض نشأ عن (**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي**) لقصد الجمع بين الأمرين في الوقت الواحد وفي كل حال، وذلك مبالغة في التنزيه وليس له أثر في التبرىء والتنصل، فلذلك تكون الواو اعتراضية"(٢).

٦- التأكيد:

كقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾(غافر:٧)، قال ابن عاشور: " إعادة النداء في خلال جمل الدعاء اعتراض للتأكيد بزيادة التضرع، وهذا ارتقاء من طلب وقايتهم العذاب إلى طلب إدخالهم مكان النعيم"(٣).

٧- التأييس:

كقوله تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(آل عمران:٨٥)، قال ابن عاشور: " (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ...**) عطف على جملة (**أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ**) وما بينهما اعتراض كما علمت، وهذا تأييس لأهل الكتاب من النجاة

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢١٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١١٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٩٢.

في الآخرة، ورد لقولهم: نحن على ملة إبراهيم، فنحن ناجون على كل حال، والمعنى من يبتغ غير الإسلام بعد مجيء الإسلام"[١].

٨- **التحذير:**

كقوله تعالى: ﴿ **أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾(هود:٢)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**) معترضة بين جملة: (**أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ**) وجملة: (**وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ**)(هود:٣)، وهو اعتراض للتحذير من مخالفة النهي، والتحريض على امتثاله، ووقوع هذا الاعتراض عقب الجملة الأولى التي هي من الآيات المحكمات، إشعار بأن مضمونه من الآيات المحكمات وإن لم تكن الجملة تفسيرية؛ وذلك لأن شأن الاعتراض أن يكون مناسبا لما وقع بعده وناشئا منه، فإن مضمون البشير والنذير هو جامع عمل الرسول- صلى الله عليه وسلم- في رسالته فهو بشير لمن آمن وأطاع، ونذير لمن أعرض وعصى، وذلك أيضا جامع للأصول المتعلقة بالرسالة وأحوال الرسل، وما أخبروا به من الغيب فاندرج في ذلك العقائد السمعية، وهذا عين الإحكام"[٢].

وقد يأتي التحذير مقترنا بالوعظ والتذكير، فالله – سبحانه وتعالى- يذكر ثم يعظ وبالتالي يحذر، كقوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾(النمل:٨٨)، قال ابن عاشور: " وجملة (**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**) تذييل أو اعتراض في آخر الكلام، للتذكير والوعظ والتحذير، عقب قوله (**الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**) لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم، فالذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق فليحذروا أن يخالفوا عن أمره"[٣].

والتحذير يحمل في طياته معنى التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾(سبأ:٩)، قال ابن عاشور: " وجملة (**إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ**) اعتراض بالتهديد، فمناسبة التعجيب الإنكاري بما يذكرهم بقدرة صانع تلك المصنوعات العظيمة على عقاب الذين أشركوا معه غيره، والذين ضيقوا واسع قدرته وكذبوا رسوله – صلى الله عليه وسلم–وما يخطر في عقولهم ذكر الأمم التي أصابها عقاب بشيء من

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٠٢- ٢٠٣.
(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣١٦.
(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٥١.

الكائنات الأرضية كالخسف، أو السماوية كإسقاط كسف من الأجرام السماوية مثل ما أصاب قارون من الخسف، وما أصاب أهل الأيكة من سقوط الكسف"(١).

٩- التكميل:

كقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾(هود:٤٠)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**) اعتراض لتكميل الفائدة من القصة في قلة الصالحين، قيل: كان جميع المؤمنين به من أهله وغيرهم نيفا وسبعين بين رجال ونساء، فكان معظم حمولة السفينة من الحيوان"(٢).

١٠- التعريض والتبشير:

كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(يوسف:١٠٩)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَلَدَارُ الآخِرَةِ**) خبر معطوفة على الاعتراض فلها حكمه، وهو اعتراض بالتبشير وحسن العاقبة للرسل - عليهم السلام- ومن آمن بهم وهم الذين اتقوا، وهو تعريض بسلامة عاقبة المتقين في الدنيا، وتعريض أيضا بأن دار الآخرة أشد أيضا على الذين من قبلهم من العاقبة التي كانت في الدنيا، فحصل إيجاز بحذف جملتين"(٣).

١١- إبطال مزاعم المشركين:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(النحل:١٢٠)، قال ابن عاشور: " (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) اعتراض لإبطال مزاعم المشركين أن ما هم عليه هو دين إبراهيم عليه السلام، وقد صوروا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يستقسمان بالأزلام، ووضعوا الصورة في جوف الكعبة، كما جاء في حديث غزوة الفتح، فليس قوله: (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) مسوقا مساق الثناء على إبراهيم، ولكنه تنزيه له عما اختلقه عليه المبطلون"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ١٥٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٧٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٦٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٣١٦.

١٢- التعجب:

كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**﴾(الإسراء:٦٧)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**) اعتراض وتذييل لزيادة التعجب منهم ومن أمثالهم"[١].

١٣- التوبيخ:

كقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾(ص:٦٩)، قال ابن عاشور: " وجملة (**مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**) اعتراض إبلاغ في التوبيخ على الإعراض عن النبأ العظيم، وحجة على تحقق النبأ بسبب أنه موحى به من الله، وليس للرسول – صلى الله عليه وسلم – سبيل إلى عمله لولا وحي الله إليه به"[٢].

١٤- التهويل:

كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾(التغابن:١٠)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) اعتراض تذييلي لزيادة تهويل الوعيد"[٣].

١٥- الاستطراد:

كما في قوله تعالى: ﴿ **مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾(البقرة:٢٤٥)، قال ابن عاشور: " اعتراض بين جملة: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ**)(البقرة:٢٤٣) إلى آخرها، وجملة (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ**)(البقرة:٢٤٦) الآية، قصد به الاستطراد، للحث على الإنفاق لوجه الله في طرق البر لمناسبة الحث على القتال، فإن القتال يستدعي إنفاق المقاتل على نفسه في العدة والمؤونة، مع الحث على إنفاق الواجد فضلا في سبيل الله بإعطاء العدة لمن لا عدة له، والإنفاق على المعسرين من الجيش، وفيها تبيين لمضمون جملة: (**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)(البقرة:٢٤٤) فكانت ذات ثلاثة أغراض"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٦٠.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٢٩٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٧٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٤٨١.

سادسا: التذييل:

التذييل لغة:

يقال: أن الذَّيْل آخر كل شيء، وذَيْل الثوب والإِزارِ ما جُرَّ منه إِذا أُسْبِلَ(١)، والمقصود به التطويل.

التذييل اصطلاحا:

تعددت تعريفات العلماء له، لكنها جميعا دارت على نفس المعنى، فاعتبره الباقلاني " ضرب من التأكيد"(٢)، أما ابن سنان عرفه بنفس تعريف الإطناب دون خصوصية له، فقال: " وهو أن يكون اللفظ زائدا على المعنى وفاضلا عنه"(٣)، وقال: " وأما التذييل فهو العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه"(٤)، وكان تعريف القزويني أكثر خصوصية، فقال: " وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد"(٥)، لكن الحموي جمع بينها جميعا، فقال: " التذييل هو أن يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدا، وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق"(٦)، أما ابن عاشور فقد جمع هذه الآراء بشيء من التفصيل، فقال: " التذييل المعرف في باب الإطناب بأنه تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها تتنزل منزلة الحجة على مضمون الجملة، وبذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الأولى وزيادة، فالتذييل ضرب من ضروب الإطناب من حيث يشتمل على تقرير معنى الجملة الأولى، ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى، وأبدعه ما أخرج مخرج الأمثال لما فيه من عموم الحكم ووجيز اللفظ"(٧).

وقد أشار إليه في أكثر من موطن أنه ضرب من الإطناب، فقال: " والتذييل من الإطناب كما تقرر في علم المعاني"(٨)، إلا أننا نجده في بعض المواطن قد اعتبره ضرب من

(١) اللسان: (ذيل).

(٢) إعجاز القرآن: ١٠٢.

(٣) سر الفصاحة، الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٠٧.

(٤) سر الفصاحة: ٢١٩.

(٥) الإيضاح: ٢٠٠.

(٦) خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص٢٤٢.

(٧) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٦٧.

(٨) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٤٣٩.

الإيجاز، فقال: " وشأن التذييل الإيجاز"[١]، والتوفيق بين الرأيين يرجع إلى أن في جملة التذييل يكون الإيجاز دون حشو بلا فائدة وهذا الذي عناه؛ لأنها تكون كالأمثال موجزة ذات موقع حسن في النفس، فهي كخلاصة الشيء.

كما وقد اعتبره ابن عاشور ضرب من الاعتراض، فقال: " التذييل من أصناف الاعتراض وهو اعتراض في آخر الكلام"[٢].

ومن مواطن التذييل، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(آل عمران:٦٨)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**) تذييل، أي: هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله ولي إبراهيم، والذين اتبعوه، وهذا النبي والذين آمنوا؛ لأن التذييل يشمل المذيل قطعا، ثم يشمل غيره تكميلا كالعام على سبب خاص"[٣].

وفي كثير من الموطن اعتبر أن الأمثال هي أعلى مراتب التذييل؛ لأنه تذييل بإيجاز، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (الأعراف:١٧٨)، قال ابن عاشور: " هذه الجملة تذييل للقصة والمثل وما أعقبا به من وصف حال المشركين، فإن هذه الجملة تحصل ذلك كله وتجري مجرى المثل، وذلك أعلى أنواع التذييل، وفيها تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال، أي: فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق"[٤].

وقد خرّج ابن عاشور للتذييل نكتا تدل على تمعنه الشديد في آيات الله، وقوة ملاحظته التي تكتسب من شدة الاطلاع وممارسته تحليل الآيات، فمن هذه المعاني:

١- التعظيم والتشريف:

كقوله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(البقرة:٢١٢)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ**) إلخ تذييل قصد منه تعظيم تشريف المؤمنين يوم القيامة؛ لأن التذييل لا بد أن يكون مرتبطا بما قبله، فالسامع يعلم من هذا التذييل معنى محذوفا، تقديره: والذين اتقوا فوقهم فوقية عظيمة لا يحيط بها الوصف؛ لأنها فوقية منحوها من فضل الله

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٧٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢٠٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٧٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٨٠.

وفضل الله لا نهاية له؛ ولأن من سخرية الذين كفروا بالذين آمنوا أنهم سخروا بفقراء المؤمنين لإقلالهم"(١).

٢- الترغيب:

كقوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾(التوبة:٢٢)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**) تذييل وتنويه بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين؛ لأن مضمون هذه الجملة يعم مضمون ما قبلها وغيره، وفي هذا التذييل إفادة أن ما ذكر من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين هو بعض ما عند الله من الخيرات، فيحصل من ذلك الترغيب في الازدياد من الأعمال الصالحة ليزدادوا رفعة عند ربهم"(٢).

٣- التقرير:

كقوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (الزمر:٤٤)، قال ابن عاشور: " وجملة (**لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) لتعميم انفراد الله بالتصرف في السماوات والأرض الشامل للتصرف في مؤاخذة المخلوقات، وتسيير أمورهم، فموقعها موقع التذييل المفيد لتقرير الجملة التي قبله وزيادة"(٣).

٤- التحذير:

كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة:٢٦٤)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) تذييل، والواو اعتراضية، وهذا التذييل مسوق لتحذير المؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن من أحوالهم المن على من ينفقون وأذاه"(٤).

ويأتي التحذير للتذكير كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(النور:٦٠)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) مسوقة مساق

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٥٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٥٠.

التذييل للتحذير من التوسع في الرخصة، أو جعلها ذريعة لما لا يحمد شرعا، فوصف (**السَمِيعٌ**) تذكير بأنه يسمع ما تحدثهن به أنفسهن من المقاصد، ووصف (**العَلِيمٌ**) تذكير بأنه يعلم أحوال وضعهن الثياب وتبرجهن ونحوها"[١].

٥- التعريض:

كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(التوبة:٢٤)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**) تذييل، والواو اعتراضية، وهذا تهديد بأنهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبة الله ورسوله، وعلى الجهاد، فقد تحقق أنهم فاسقون، والله لا يهدي القوم الفاسقين، فحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنهم من الفاسقين"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (يونس:٤٤)، قال ابن عاشور: " تذييل، وشمل عموم الناس المشركين الذين يستمعون ولا يهتدون وينظرون ولا يعتبرون، والمقصود من هذا التذييل التعريض بالوعيد بأن سينالهم ما نال جميع الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب رسل الله"[٣].

٦- التهديد:

كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾(مريم:٤٠)، قال ابن عاشور: " تذييل لختم القصة على عادة القرآن في تذييل الأغراض عند الانتقال منها إلى غيرها، والكلام موجه إلى المشركين لإبلاغه إليهم... وأفاد هذا التذييل التعريف بتهديد المشركين بأنهم لا مفر لهم من الكون في قبضة الرب الواحد، الذي أشركوا بعبادته بعض ما على الأرض، وأن آلهتهم ليست بمرجوة لنفعهم إذ ما هي إلا مما يرثه الله"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٩٩.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ١٥٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٨٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ١١٠- ١١١.

سابعا: التكميل:

التكميل لغة:

يقال: تَكامَل الشيء وأَكمَلْته أَنا وأَكْمَلْت الشيء أَي أَجْمَلْتُه وأَتممته، ويقال كَمَّلْت له عَدَدَ حقِّه ووَفاء حقه تَكْميلاً وتَكمِلة فهو مُكَمَّل، والتَّكمِيل والإِكْمال التمام"(١).

التكميل اصطلاحا:

قال الباقلاني: " ومن البديع التكميل والتتميم، وهو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصحة المتممة لصحته، المكملة لجودته، من غير أن يخل ببعضها، ولا أن يغادر شيئا منها"(٢).

وقد فرّق الحموي بين التذيل والتكميل فقال: " والفرق بينه وبين التكميل: أن التكميل يرد على معنى يحتاج إلى الكمال، والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الأول وتوكيده"(٣)، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور في تخريج آي القرآن الكريم، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **الزَّانِي لَا يَنكِحُ إلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(النور:٣)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) تكميل للمقصود من الجملتين قبلها، وهو تصريح بما أريد من تفظيع نكاح الزانية وببيان الحكم الشرعي في القضية والإشارة بقوله: (**ذَلِكَ**) إلى المعنى الذي تضمنته الجملتان من قبل وهو نكاح الزانية، أي: وحرم نكاح الزانية على المؤمنين، فلذلك عطفت جملة (**وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) لأنها أفادت تكميلا لما قبلها، وشأن التكميل أن يكون بطريق العطف"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً**﴾(الكهف:٨)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً**) تكميل للعبرة وتحقيق لفناء العالم"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(آل عمران:١٣٤)، قال ابن عاشور: " (**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**) وهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الاحتراس؛ لأن كظم الغيظ قد تعترضه ندامة فيستعدي على

---

(١) اللسان: (كمل).

(٢) إعجاز القرآن: ٩٥.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب: ج١، ٢٤٢.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ١٥٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢٥٨.

من غاظه بالحق، فلما وصفوا بالعفو عمن أساء إليهم دل ذلك على أن كظم الغيظ وصف متأصل فيهم مستمر معهم، وإذا اجتمعت هذه الصفات في نفس سهل ما دونها لديها"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾(الأحزاب:٤٠)، قال ابن عاشور: " وعطف صفة **(وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)** على صفة **(رَّسُولَ اللَّهِ)** تكميل وزيادة في التنويه بمقامه – صلى الله عليه وسلم – وإيماء إلى أن في انتفاء أبوته لأحد من الرجال حكمة قدرها الله تعالى، وهي إرادة أن لا يكون إلا مثل الرسل، أو أفضل في جميع خصائصه"[٢]، وقد علق عليها في موطن آخر، فقال: " فلا تجعل قوله: **(وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)** داخلا في حيز الاستدراك لما علمت من أنه تكميل واستطراد بمناسبة إجراء وصف الرسالة عليه"[٣].

ثامنا: التتميم:

التتميم لغة:

تَمَّ الشيء يَتِمُّ تَمّاً وتُمّاً وتَمامةً وتَماماً وتِمامةً وتُماماً وتِماماً وتُمَّة، وأَتَمَّه غيره وتَمَّمَه واسْتَتَمَّه بمعنىً وتَمَّمَه الله تَتْميماً، وتَتِمَّةً وتَمامُ الشيء وتِمامَتُه وتَتِمَّتُه ما تَمَّ به، والتمام وتَتِمَّة كل شيء ما يكون تَمام غايته[٤].

التتميم اصطلاحا:

عرفه القزويني بقوله: " وهو أن يؤتى في كلام لا وهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة، كالمبالغة في قوله تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ)**(الإنسان:٨)"[٥].

أما الزركشي فكان تعريفه أكثر وضوحا، فقال: " وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازا أو احتياطا، وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح، وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا"[٦].

وهذا ما ورد عند ابن رشيق، فقال: " ومعنى التتميم: أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به: إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير"[٧].

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٩١.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٤٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٤٥.

(٤) اللسان: (تمم).

(٥) الإيضاح: ٢٠٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ج٣، ٧٠.

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ج٢، ٥٠.

أما العسكري فقد عقد فصلا سماه التتميم والتكميل وكأنه خلط بين الأمرين، فقال: " وهو أن توفى المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره، كقول الله تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)**(النحل:٩٧)، فبقوله تعالى: **(وَهُوَ مُؤْمِنٌ)** تمَّ المعنى"[(١)].

وقد أشار الحموي إلى خلط العلماء بين التتميم والتكميل، فقال: " ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتتميم، وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل وبالعكس، وتأتي شواهد التكميل في مواضعها والفرق بين التكميل والتتميم: أن التتميم يرد على الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله، إذ الكمال أمر زائد على التتميم، وأيضا أن التمام يكون متمما لمعاني النقص لا لأغراض الشعر ومقاصده، والتكميل يكملها"[(٢)].

أما ابن عاشور فقد خالف رأي الحموي في أن التتميم يرد على المعنى الناقص في جميع مواطنه، فهناك آيات كانت من باب التأكيد على المعنى السابق، والدليل في قوله تعالى: **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** (الحج:٦١)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)** تتميم لإظهار صلاحية القدرة الإلهية"[(٣)]، فلم يكن هنا معنى ناقص بل أراه تأكيدا للمعنى.

وكقوله تعالى: **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**(البقرة:١١٤)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** عطفت على ما قبلها؛ لأنها تتميم لها إذ المقصود من مجموعهما أن لهم عذابين: عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة"[(٤)].

وكقوله تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**(التغابن٢)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** تتميم واحتراس واستطراد، فهو تتميم لما يكمل المقصود من تقسيمهم إلى فريقين؛ لإبداء الفرق بين الفريقين في الخير والشر

---

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٤٣٤.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب: ج١، ٢٧٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣١٦.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٨٢.

وهو عليم بذلك، وعليم بأنه يقع وليس الله مغلوبا على وقوعه، ولكن حكمته وعلمه اقتضيا ذلك "[١].

وهناك آيات جاءت لتتميم معنى ناقص لرفع التوهم فيما قد يختلط على السامع فهمه وإدراكه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾(الملك:٥)، قال ابن عاشور: " هذا تتميم لئلا يتوهم أن العذاب أعد للشياطين خاصة، والمعنى: ولجميع الذين كفروا بالله عذاب جهنم، فالمراد عامة المشركين، ولأجل ما في الجملة من زيادة الفائدة غايرت الجملة التي قبلها فلذلك عطفت عليها"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾ (الرحمن:٥٦)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**وَلَا جَانٌّ**) تتميم واحتراس وهو إطناب دعا إليه أن الجنة دار ثواب لصالحي الإنس والجن، فلما ذكر (**إِنسٌ**) نشأ توهم أن يمسهن جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾(المجادلة:٢)، قال ابن عاشور: " فذكر وصف (**غَفُورٌ**) بعد وصف (**عَفُوٌّ**) تتميم لتمجيد الله، إذ لا ذنب في المظاهرة حيث لم يسبق فيها نهي"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـــي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾(الأعراف:١٢٧)، قال ابن عاشور: " وإخباره ملأه باستحياء النساء تتميم لا أثر له في إجابة مقترح ملئه؛ لأنهم اقترحوا عليه أن لا يبقي موسى وقومه فأجابهم بما عزم عليه في هذا الشأن، والغرض من استبقاء النساء أن يتخذوهن سراري وخدما"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾(التوبة:٨١)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**) تتميم للتجهيل والتذكير، أي: يقال لهم ذلك لو كانوا يفقهون الذكرى، ولكنهم لا يفقهون، فلا تجدي فيهم الذكرى

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٢٦٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٧٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ١٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٥٩.

والموعظة، إذا ليس المراد لو كانوا يفقهون أن نار جهنم أشد حرا؛ لأنه لا يخفى عليهم ولو كانوا يفقهون أنهم صائرون إلى النار، ولكنهم لا يفقهون ذلك"(١).

تاسعا: الإيغال:

الإيغال لغة:

وَغَلَ في الشيء وُغولاً دخل فيه وتوارى به، ووَغَل ذهَب وأَبعَد، وكذلك أَوْغَل في البلاد، وتوَغَّل في الأَرض ذهَب فأَبعَد فيها"(٢).

الإيغال اصطلاحا:

" هو ختم الكلام نثرا كان أو نظما بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها"(٣).

ويبدو أنه لا يوجد فرق جوهري بين الإيغال والتتميم والاعتراض والتذييل، فجميعهم واحد وإن اختلفت التسمية، رغم ذلك فقد فرق ابن أبي الإصبع بين التتميم والإيغال بثلاثة فروق، فقال(٤): " والفرق بين التتميم والإيغال من ثلاثة أوجه، أحدهما: أن التتميم لا يرد إلا على كلام ناقص شيئاً ما، إما حسن معنى أو أدب، أو ما أشبه ذلك... والإيغال لا يرد إلا على معنى تام من كل وجه.

والثاني: اختصاص الإيغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه؛ لأن الموغل في الأرض هو الذي قد بلغ أقصاها أو قارب بلوغه، فلما اختص الإيغال بالطرف لم يبق للتتميم إلا الحشو.

والثالث: أن الإيغال لا بد وأن يتضمن معنى من معاني البديع، والتتميم قد يتضمن وقد لا يتضمن، وأكثر ما يتضمن الإيغال التشبيه، والمبالغة، حتى لو قيل: إنه لا يتعدى هذين الضربين لكان حقاً، والتتميم يتضمن طوراً المبالغة، ويتضمن حيناً الاحتياط، ويأتي مرة غير متضمن شيئاً سوى تتميم ذلك المعنى".

وقد ظهر هذا اللون عند ابن عاشور ولكن بشكل قليل جدا، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (البقرة:١٢٧)، قال ابن عاشور: " وجملة (**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) مقول قول محذوف يقدر حالا من (**يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ**) وهذا القول من كلام إبراهيم؛ لأنه الذي يناسبه الدعاء

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٠، ٢٨١.

(٢) اللسان: (وغل).

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ٣٦٩.

(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٤١.

لذريته؛ لأن إسماعيل كان حينئذ صغيرا، والعدول عن ذكر القول إلى نطق المتكلم بما قاله المحكي عنه، هو ضرب من استحضار الحالة قد مهد له الإخبار بالفعل المضارع في قوله: **(وَإِذْ يَرْفَعُ)** حتى كأن المتكلم هو صاحب القول، وهذا ضرب من الإيغال"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ**﴾(الشعراء:٧٦)، قال ابن عاشور: " ووصف الآباء بالأقدمية إيغال في قلة الاكتراث بتقليدهم؛ لأن عرف الأمم أن الآباء كلما تقادم عهدهم كان تقليدهم آكد"(٢).

ويخرج الإيغال لنكت بلاغية كتسلية الرسول- صلى الله عليه وسلم- كما في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾(ق:٤٤)، قال ابن عاشور: " استئناف بياني ناشئ عن قوله: **(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ)**(ق:٣٩) فهو إيغال في تسلية النبي – صلى الله عليه وسلم – وتعريض بوعيدهم، فالخبر مستعمل مجازا في وعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن الله سيعاقب أعداءه"(٣).

عاشرا: الاحتراس:

الاحتراس لغة:

واحْتَرس منه تَحَرَّزَ، وتَحَرَّسْتُ من فلان واحْتَرَسْتُ منه بمعنى: أَي تحفظت منه(٤).

الاحتراس اصطلاحا:

واعتبره القزويني هو نفس التكميل، فقال: " والإطناب ... إما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضا، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه"(٥).

وقد ذكره ابن أبي الإصبع مع التفريق بينه وبين التتميم، فقال: " وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك، والفرق بين الاحتراس والتكميل والتتميم: أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معاً، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧١٩.
(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٤١.
(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٣٣.
(٤) اللسان: (حرس).
(٥) الإيضاح: ٢٠٣.
(٦) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٢٤٥.

وسماه ابن سنان (التحرز)، فقال: " وأما التحرز مما يوجب الطعن، فأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي مما يتحرز به من ذلك الطعن"(١).

والمقصود من التعريفات السابقة أن الاحتراس هو التحفظ على المعنى، دون دخول أي التباس فيه، فهو كدرع أمان ووقاية للمعنى، وهذا اللون ظهر بوضوح عند ابن عاشور وفي مواطن عدة، منه قوله تعالى: ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾(الإنسان:٢١)، قال ابن عاشور: " هذا احتراس مما يوهمه شربهم من الكأس الممزوجة بالكافور والزنجبيل من أن يكون فيها ما في أمثالها المعروفة في الدنيا، ومن الغول وسوء القول والهذيان، فعبر عن ذلك بكون شرابهم طهورا بصيغة المبالغة في الطهارة، وهي النزاهة من الخبائث، أي: منزها عما في غيره من الخباثة والفساد"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ**﴾(يوسف:٨١)، قال ابن عاشور: " ومعنى (**وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ**) احتراس من تحقق كونه سرق، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنه إلى السرقة، وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالجهم به الشك في وقوع السرقة منه"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(الرعد:٦)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**) احتراس لئلا يحسبوا أن المغفرة المذكورة مغفرة دائمة، تعريضا بأن العقاب حال بهم من بعد"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ**﴾(فصلت:١٦)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى**) احتراس لئلا يحسب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح، فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي: لهم ولكل من عذب عذابا في الدنيا لغضب الله عليه"(٥).

---

(١) سر الفصاحة: ٢٧٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٤٠٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٤٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٩٤.

(٥) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٦١.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾(النمل:٤٨)، قال ابن عاشور: " وعطف (**لَا يُصْلِحُونَ**) على (**يُفْسِدُونَ**) احتراس للدلالة على أنهم تمحضوا للإفساد، ولم يكونوا ممن خلطوا إفسادا بإصلاح"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(النمل:٩١)، قال ابن عاشور: " وتعقيب هذا بجملة (**وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**) احتراس لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها، ليعلم أن تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾(العنكبوت:٢٢)، قال ابن عاشور: " وعطف (**وَلَا فِي السَّمَاء**) على (**فِي الْأَرْضِ**) احتراس وتأييس من الطمع في النجاة وإن كانوا لا مطمع لهم في الالتحاق بالسماء"(٣).

الحادي عشر: الإدماج:

الإدماج لغة:

يقال: أَدْمَجَ الحَبْلَ أَجاد فَتْلَه، وقيل أَحْكَمَ فَتْلَه، ودَمَجَ الشيءُ دُموجاً إِذا دخل في الشيءِ واستحكم فيه، وإِذا دخل في الشيءِ واستتر فيه، وأَدْمَجْتُ الشيءَ إِذا لفقته في ثوب، والدُّموجُ دخول الشيءِ في الشيءِ(٤).

الإدماج اصطلاحا:

" يعد الإدماج من المحسنات البديعة، وهو جدير بأن يعد في الأبواب البلاغية في مبحث الإطناب، أو تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"(٥).

وقد عرفه ابن أبي الإصبع، فقال: " وهو أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني؛ ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصد إليه"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٢٨٢.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٥٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٣٢.

(٤) اللسان: (دمج).

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣٤٠.

(٦) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٤٤٩.

وكأن الإدماج لون من التضمين، قال الجرجاني فيه: " هو تضمين الكلام معنى غير ما سيق له"(١).

وهذا هو نفس تعريف ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٢٣)، قال ابن عاشور: " ففي الآية إدماج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة، وهذا الإدماج من أفانين البلاغة أن يكون مراد البليغ غرضين، فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف"(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾(النساء:٣٦)، قال ابن عاشور: " عطف تشريع يختص بالمعاملة مع ذوي القربى والضعفاء، وقدم له الأمر بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك على وجه الإدماج؛ للاهتمام بهذا الأمر وأنه أحق ما يتوخاه المسلم، تجديدا لمعنى التوحيد في نفوس المسلمين... والمناسبة هي ما أريد جمعه في هذه السورة من أحكام أواصر القرابة في النسب والدين والمخالطة"(٣).

وقد أورد ابن عاشور كثيرا من مواطن الإدماج في تفسيره، ومنه قوله تعالى في إدماج الامتنان والعبرة: ﴿ وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾(الحاقة:٩)، قال ابن عاشور: " إن قوله تعالى: (وَمَن قَبْلَهُ) لما شمل قوم نوح وهم أول الأمم كذبوا الرسل، حسن اقتضاب التذكير بأخذهم لما فيه من إدماج امتنان على جميع الناس، الذين تناسلوا من الفئة الذين نجاهم الله من الغرق، ليتخلص من كونه عظة وعبرة إلى التذكير بأنه نعمة، وهذا من قبيل الإدماج"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ ... وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (٣١) مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾(عبس:٣٢)، قال ابن عاشور: " وهذه الحال واقعة موقع الإدماج، أدمجت الموعظة والمنة في خلال الاستدلال"(٥).

ومنه إدماج التعريض بالوعيد والإنذار، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحج:٦٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) تفويض أمرهم

(١) الإشارات والتنبيهات: ٢٨٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣٣٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٤٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٢٢- ١٢٣.

(٥) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٣٤.

إلى الله تعالى، وهو كناية عن قطع المجادلة معهم، وإدماج بتعريض بالوعيد والإنذار بكلام موجه صالح لما يتظاهرون به من تطلب الحجة، ولما في نفوسهم من إبطان العناد"(١).

وقد يأتي الإدماج بلفظتين والمراد إحداها، مع تأكيد حصول الثانية والتبشير بها، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ...**﴾(البقرة:١٩٦)، قال ابن عاشور: " ولا خلاف في أن هذه الآية نزلت في الحديبية سنة ست حين صد المشركون المسلمين عن البيت... وقد كانوا ناوين العمرة وذلك قبل أن يفرض الحج، فالمقصود من الكلام هو العمرة ؛ وإنما ذكر الحج على وجه الإدماج تبشيرا بأنهم سيتمكنون من الحج فيما بعد، وهذا من معجزات القرآن"(٢).

الثاني عشر: الاستطراد:

الاستطراد لغة:

يقال: اطَّرَدَ الشيءُ تَبِعَ بعضُه بعضاً وجرى، واطَّرَدَ الأَمرُ استقامَ، واطَّرَدَتِ الأَشياءُ إِذا تَبِعَ بعضُها بعضاً، واطَّرَدَ الكلامُ إِذا تتابَع، واطَّرَدَ الماءُ إِذا تتابَع سَيَلانُه"(٣).

الاستطراد اصطلاحا:

وقد اعتبره العلماء من مباحث علم البديع وهذا ما اتضح عند ابن رشيق، فقال: " والاستطراد: أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام، وهي مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول، وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية"(٤).

وقال العسكري: " وهو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببا إليه، كقول الله عز وجل: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)** فبينما يدل الله سبحانه على نفسه بإنزال الغيث، واهتزاز الأرض بعد خشوعها، قال: **(إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى)** فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها، وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلا عليه، ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الإعادة، فاستوفى المعنيين جميعا"(٥).

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣٣٠.
(٢) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢١٦- ٢١٧.
(٣) اللسان: (طرد).
(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ج١، ٢٣٦.
(٥) الصناعتين: ٤٤٨.

وهذا قريب من قول القزويني وقد صنفه ضمن مباحث علم البديع، فقال: " وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"[١].

أما ما يتضح من كلام العسكري والقزويني أنه لعلم البيان أقرب، فهو أشبه بتعليل تلو الآخر، والتعليل هو البيان والتفصيل بذكر السبب، وهذا مجال الإطناب.

أما ابن عاشور فقد أشار بأنه فن من البديع، ورغم ذلك فإن توضيحه وشرحه له أبان أنه من باب الإطناب وهو قريب من التعليل، ويبدو أنه كما عد الإدماج من باب الإطناب لأنه جدير بذلك عد الاستطراد كذلك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾(هود:٩٥)، قال ابن عاشور: " وأما قوله: (**كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**) فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود، ووجه الشبه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد بذم ثمود؛ لأنهم كانوا أشد جرأة في مناوأة رسل الله، فلما تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة، ناسب أن يعاد ذكر أشدها كفرا وعنادا، فشبه هلاك مدين بهلاكهم، والاستطراد فن من البديع"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(الأحقاف:١٥)، قال ابن عاشور: " وما ذكر من الدعاء لذريته بقوله: (**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**) استطراد في أثناء الوصاية بالدعاء للوالدين بأن لا يغفل الإنسان عن التفكر في مستقبله، بأن يصرف عنايته إلى ذريته كما صرفها إلى أبويه؛ ليكون له من إحسان ذريته إليه مثل ما كان منه لأبويه، وإصلاح الذرية يشمل إلهامهم الدعاء إلى الوالد"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾(البقرة:٢٠٧)، قال ابن عاشور: " هذا قسيم (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ**)(البقرة:٢٠٤)، وذكره هنا بمنزلة الاستطراد استيعابا لقسمي الناس، فهذا القسم هو الذي تمحض فعله للخير حتى بلغ غاية ذلك، وهو تعريض نفسه التي هي أنفس الأشياء عليه للهلاك؛ لأجل تحصيل ما يرضي الله تعالى، وإنما رضا الله تعالى بفعل الناس للخير الذي أمرهم به"[٤].

---

(١) الإيضاح: ٣٦١.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ١٥٤.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢٧٢.

الثالث عشر: التعليل:

التعليل لغة:

وعَلَّله بطعام وحديث ونحوهما شَغَلهُ بهما، يقال: فلان يُعَلِّل نفسَه بتَعِلَّةٍ وتَعَلَّل به، أَي: تَلَهَّى به وتَجَزَّأَ، وتَعالَلْت نفسي وتَلوَّمْتها، أَي: استَزَدْتُها[١]. فهي من ذكر السبب لاستزادة المعرفة.

التعليل اصطلاحا:

عرفه ابن أبي الأصبع بقوله: " وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع، أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول، كقوله سبحانه: **(لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب"[٢].

والنفوس أميل وأوعى وأكثر قبولا للأحكام المعللة، وهذا ما وضحه السيوطي بقوله: " وفائدته التقرير والأبلغية فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها، وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وحروفه اللام، وإن، وأن، وإذ، والباء، وكي، ومن، ولعل"[٣].

وقد بين ابن عاشور ذلك في تفسيره وتحدث كثيرا عن مواطنه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**﴾ (البقرة:٧)، قال ابن عاشور: " هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى: **(سَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)**(البقرة:٦) وبيان لسببه في الواقع؛ ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم، ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله، فإذا علم أن على قلوبهم ختما وعلى أسماعهم، وأن على أبصارهم غشاوة، علم سبب ذلك كله وبطل العجب، فالجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(آل عمران:١٧٦)، قال ابن عاشور: "

(١) اللسان: (علل).

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٣٠٩.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ١٩١.

(٤) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٢٥٤.

وجملة (**إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً**) تعليل للنهي عن أن يحزنه تسارعهم إلى الكفر بعلة يوقن بها الرسول عليه الصلاة والسلام"(١).

وكقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾(النساء:٥٦)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً**) واقع موقع التعليل لما قبله، فالعزة يتأتى بها تمام القدرة في عقوبة المجترئ على الله، والحكمة يتأتى بها تلك الكيفية في إصلائهم النار"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأعراف:٢٧)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ**) واقعة موقع التعليل للنهي عن الافتتان بفتنة الشيطان، والتحذير من كيده؛ لأن شأن الحذر أن يرصد الشيء المخوف بنظره ليحترس منه إذا رأى بوادره، فأخبر الله الناس بأن الشياطين ترى البشر، وأن البشر لا يرونها، إظهارا للتفاوت بين جانب كيدهم وجانب حذر الناس منهم، فإن جانب كيدهم قوي متمكن وجانب حذر الناس منهم ضعيف؛ لأنهم يأتون المكيد من حيث لا يدري"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٧٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٩٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٧٩.

الفصل الثالث

علم البديع

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحسنات المعنوية.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية.

علم البديع علم عزيز في الكلام العربي إذا لم يكن متكلفا، وهو كواسطة العقد بين علمي المعاني والبيان ليضفي على الكلام رقة وجمالا.

وقد وضح العلوي مكانة علم البديع، فقال: " اعلم أن هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب، ولا يكون واقعا في المفردات، وهو خلاصة علمي المعاني والبيان ومُصَاصِ سُكَّرِهما... وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة، فإذن هو من صفو الصفو وخلاص الخلاص"(١).

البديع لغة:

من بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه أَنشأَه وبدأَه، والبَدِيعُ المُحْدَثُ العَجيب، والبَدِيعُ والبِدْعُ الشيء الذي يكون أَوّلاً، والبَدِيعُ المُبْدِعُ، وأَبدعْتُ الشيء اخْتَرَعْته لا على مِثال، والبَدِيع من أَسماء الله تعالى لإِبْداعِه الأَشياء وإِحْداثِه إِيَّاها، وهو البديع الأَوّل قبل كل شيء(٢).

البديع اصطلاحا:

هو" علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالته على المراد"(٣)، ووجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه.

وهذا التعريف هو مضمون جميع من ذكره من العلماء، ومنهم القزويني، فقال: " وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"(٤).

" وهذه الرعاية المزدوجة تعني في شقها الأول علم المعاني، وفي شقها الثاني علم البيان؛ لأن وجوه تحسين الكلام لا تجيء قبلهما ولا بدونهما"(٥).

وتتزين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي، فوجوه تحسين الكلام منه ما يرجع إلى المعنى ومنه ما يرجع إلى اللفظ، وهذا ما أشار إليه القزويني و السكاكي، فقال السكاكي وهو يشير أيضا إلى قصد تحسين الكلام: " وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات

---

(١) الطراز: ٥٥٩- ٥٦٠.

(٢) اللسان: (بدع).

(٣) جواهر البلاغة: ٢٨٦.

(٤) الإيضاح: ٣٤٨.

(٥) علوم البلاغة العربية، د. محمد أحمد ربيع، دار الفكر، عمان، ١٩٩١م، ص١٥٩.

التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى، وقسم يرجع على اللفظ"(١).

وقد اعتبر ابن عاشور علم البديع أقصى حدود البلاغة، وذلك في المقدمة السابعة، فقال: " وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك، كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة ، فذلك وجه من وجوه الإعجاز "(٢).

وقد أشار في المقدمة العاشرة إلى أن البديع في القرآن أكثر منه في الشعر ولا أراه كذلك، فقال: " وقد رأيت المحسنات في البديع جاءت في القرآن أكثر مما جاءت في شعر العرب، وخاصة الجناس، كقوله: **(وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)**(الكهف:١٠٤)، والطباق كقوله: **(كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)**(الحج:٤) "(٣).

وقد أشار ابن عاشور لألوان عدة من البديع، ولكنه لا يقاس بإشاراته التفصيلية لعلم المعاني، فقد كان يذكر المحسنات عرضا دون تفصيل في أغلب مواطنه، ويبدو مرجع ذلك إلى أن المحسنات لا يتولد عنها معان ودلالات لها علاقة بتوضيح المعنى وتفسيره وبلاغته غالبا، كما أنه لم يجد ما يتحدث به عن هذا الموضوع، فقد كانت بمثابة الزركشة الكلامية المتناسقة والمساندة لعلمي المعاني والبيان في نظره، وهذا ما سيتضح خلال عرضنا لقوله في المحسنات المعنوية واللفظية.

---

(١) مفتاح العلوم: ٤٢٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٨.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ١٠٨.

أولا: المحسنات المعنوية

المحسنات لغة:

والمحسن من حسَّنْتُ الشيءَ تحْسيناً زَيَّنته[١].

والمحسنات المعنوية: هي " التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى قصدا، وإلى اللفظ عرضا؛ لأنه كلما أفيد باللفظ معنى حسن تبعه، حسن اللفظ الدال عليه"[٢].

ومن هذه المحسنات المعنوية:

أولا: الطباق:

الطباق والمطابقة والتضاد جميعها واحد، ويسمى" التكافؤ"[٣].

والطباق لغة:

والمُطابَقةُ المُوافَقة، والتَّطابُق الاتفاق، وطابَقْتُ بين الشيئين إِذا جعلتهما على حَذْوٍ واحد وأَلزقتهما[٤].

أما التضاد لغة، فهو: ضدُّ الشيءِ خلافُه، ولقد ضادَّه وهما متضادّانِ، يقال: ضادَّني فلان إِذا خالفك فأَرَدْتَ طولاً وأَراد قِصَراً، وأَردْتَ ظُلْمة وأَراد نوراً فهو ضِدُّك وضَديدُك[٥].

والتكافؤ هو: كلُّ شيءٍ ساوَى شيئاً حتى يكون مثله فهو مُكافِئٌ له والتَّكافُؤُ الاستِواء[٦].

نلاحظ من خلال المعنى اللغوي لكل لفظة أن الطباق والتكافؤ يلتقيان في المعنى، أما التضاد فيختلف عنهما لأن معناه العكس، وهو الأقرب للمعنى الاصطلاحي.

الطباق اصطلاحا:

هو" أن تجمع في كلام واحد بين المتقابلين، سواء كان التقابل صريحا أو غير صريح، وسواء كان التقابل بالضدية أو بالسلب والإيجاب أو غيرهما، وسواء كان المتضادان اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين"[٧].

---

(١) اللسان: (حسن).

(٢) علوم البلاغة العربية، د. محمد أحمد ربيع: ١٦١.

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م، ص١٤٣.

(٤) اللسان: (طبق).

(٥) اللسان: (ضدد).

(٦) اللسان: (كفأ).

(٧) الإشارات والتنبيهات: ٢٥٩.

قال الزركشي: " هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد، والليل والنهار، وهو قسمان لفظي ومعنوي"(١).

وأشار إليه ابن عاشور، فقال: " وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بديعية، وهي المسماة الطباق، وبلغاء العرب يغربون بها، وهي عزيزة في كلامهم، وقد جاء كثير منها في القرآن"(٢).

وقد ذكر ابن عاشور كثيرا من مواطن الطباق دون تفصيل أو توضيح أو ذكر أقسامه، فكان يذكره عرضا دون تفصيل بعد ذكر المعاني البلاغية للآية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾(النحل:٧٢)، قال ابن عاشور: " وفي الجمع بين (**يُؤْمِنُونَ**) و (**يَكْفُرُونَ**) محسن بديع الطباق"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(العنكبوت:٥٢)، قال ابن عاشور: " وفي الجمع بين (**آمَنُوا**) و (**كَفَرُوا**) محسن المضادة وهو الطباق"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الحج:٤)، قال ابن عاشور: " وفي الجمع بين (**يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ**) محسن الطباق بالمضادة"(٥).

وكقوله تعالى: ﴿ **خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ**﴾(الواقعة:٣)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ**) محسن الطباق مع الإغراب بثبوت الضدين لشيء واحد"(٦).

وفي بعض المواطن كان يذكر بعض التوضيح وهذا قليل، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(آل عمران:١٥٣)، قال ابن عاشور: " وفي الجمع بين (**مَا فَاتَكُمْ**) و (**مَا أَصَابَكُمْ**) طباق يؤذن بطباق آخر مقدر؛ لأن ما فات هو النافع، وما أصاب هو من الضار"(٧).

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ج٣، ٤٥٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢٣٧- ٢٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٢١.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٧.

(٥) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ١٩٥.

(٦) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٨٣.

(٧) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٣٣.

وكقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ (محمد:٢٨)، قال ابن عاشور: " وفي ذكر إتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه محسن الطباق مرتين للمضادة بين السخط والرضوان، والإتباع والكراهية، والجمع بين الإخبار عنهم بإتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر، للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه؛ لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار "(١).

وقد يسمي بعض الطباق بالشبيه به؛ لأن الأصل واحد، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**﴾(النجم:٤٥)، قال ابن عاشور: " وفي الجمع بين الذكر والأنثى محسن الطباق لما بين الذكر والأنثى من شبه التضاد"(٢). فأصل الذكر والأنثى واحد ولا اختلاف بينهما إلا في طبيعة خلق كل منهم،ا فكلاهما يعتبران من جنس البشر، لذلك اعتبره شبيها بالتضاد.

وطباق الشبه أيضا بين الحروف، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾(الروم:٢٠)، قال ابن عاشور: " وصدرت الجملة بحرف المفاجأة؛ لأن الكون بشرا يظهر للناس فجأة بوضع الأجنة، أو خروج الفراخ من البيض، وما بين ذلك من الأطوار التي اقتضاها حرف المهلة هي أطوار خفية غير مشاهدة، فكان الجمع بين حرف المهلة وحرف المفاجأة تنبيها على ذلك التطور العجيب، وحصل من المقارنة بين حرف المهلة وحرف المفاجأة شبه الطباق، وإن كان مرجع كل من الحرفين غير مرجع الآخر "(٣).

وهناك طباق بين المعنى واللفظ، أو ما يسمى بالطباق الخفي أو المعنوي، فقد وضحه ابن عاشور دون أن يذكر معناه، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً**﴾(نوح:٢٥)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: **(أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً)** محسن الطباق؛ لأن بين النار والغرق المشعر بالماء تضادا"(٤). فدخول النار يتسبب عنه الإحراق وهو مقابل الإغراق.

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١١٩.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ١٤٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٧٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢١٢.

كما وقد أشار ابن عاشور إلى إيهام التضاد، وهو " أن يؤتى بلفظين يوهم في الظاهر أن بينهما تضاد، وهما خلاف ذلك لعدم وجود التضاد حقيقة بين المعنيين"(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ** (١٣) **وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ**﴾(الغاشية:١٤)، قال ابن عاشور: " وبين (**مَّرْفُوعَةٌ**) و (**مَّوْضُوعَةٌ**) إيهام الطباق؛ لأن حقيقة معنى الرفع ضد حقيقة معنى الوضع، ولا تضاد بين مجاز الأول وحقيقة الثاني، ولكنه إيهام التضاد"(٢). رغم أن التضاد موجود حقيقة بين المعنيين فالرفع ضد الوضع.

أما في قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**﴾(هود:٢٤)، قال ابن عاشور: " وفي مقابلة (**الأَعْمَى وَالأَصَمِّ**) بـــ (**الْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ**) محسن الطباق"(٣).

وكأن ابن عاشور هنا لم يفرق بين الطباق والمقابلة واعتبرهما شيئا واحدا، فكل مقابلة طباق، وليس كل طباق مقابلة؛ لأن في المقابلة عدة معاني متضادة، بينما الطباق يقتصر على معنى واحد يقابل الآخر.

ومن أبلغ الطباق عند ابن عاشور ما اجتمع في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(النحل:٧٩)، قال ابن عاشور: " وبين الإنكار عليهم عدم رؤيتهم تسخير الطير، وبين إثبات رؤية المؤمنين لذلك محسن الطباق، وبين نفي عدم رؤية المشركين وتأكيد إثبات رؤية المؤمنين لذلك محسن الطباق أيضا، وبين ضمير (**يَرَوْاْ**) وقوله: (**قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) التضاد أيضا، فحصل الطباق ثلاث مرات، وهذا أبلغ طباق جاء محويا للبيان"(٤).

وقد أخفق ابن عاشور في بعض المواطن حين أسندها للطباق، منه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾(الإسراء:٤٥)، قال ابن عاشور: " وفي الجمع بين (**حِجَاباً**) و (**مَّسْتُوراً**) من البديع الطباق"(٥). فالحجاب هو الساتر فلا طباق هنا.

---

(١) من بلاغة القرآن، د. علوان: ٢٤٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٠٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٤٣.

(٤) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٣٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١١٧.

ثانيا: المقابلة:

المقابلة لغة:

يقال: قَابَل الشيء بالشيء مُقابَلة و قِبالاً: عارضه، والمُقابَلة: المُواجهة و التقابُل مثله[١].

المقابلة اصطلاحا:

" هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب"[٢]. وهي كالطباق إلا أن الفرق بينهما في عدد المعاني المتقابلة، وقد جعلها السكاكي والقزويني جزء من الطباق، قال القزويني: " ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به"[٣].

وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور فقد دمج بين الطباق والمقابلة، ويبدو أنه اعتبرهما شيئا واحدا، وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق، ومن أمثلته في المقابلة قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ**﴾(الأنعام:١٧)، قال ابن عاشور: " وقابل قوله: (**وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ**) بقوله: (**وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ**) مقابلة بالأعم؛ لأن الخير يشمل النفع وهو الملائم، ويشمل السلامة من المنافر، للإشارة إلى أن المراد من الضر ما هو أعم، فكأنه قيل: إن يمسسك بضر وشر وإن يمسسك بنفع وخير، ففي الآية احتباك"[٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (الأعراف:١٧٨)، قال ابن عاشور: " وقد علم من مقابلة الهداية بالإضلال، ومقابلة المهتدي بالخاسر أن المهتدي فائز رابح، فحذف ذكر ربحه إيجازا"[٥].

وكقوله تعالى: ﴿ **هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾(آل عمران:١١٩)، قال ابن عاشور: " استئناف ابتدائي، قصد منه المقابلة بين خلق

---

(١) اللسان: (قبل).

(٢) جواهر البلاغة: ٢٩٢.

(٣) الإيضاح: ٣٥٣- ٣٥٤، وانظر، مفتاح العلوم: ٤٢٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٦٣.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٨١.

الفريقين، فالمؤمنون يحبون أهل الكتاب، وأهل الكتاب يبغضونهم، وكل إناء بما فيه يرشح، والشأن أن المحبة تجلب المحبة إلا إذا اختلفت المقاصد والأخلاق"(١).

وقد يأتي المقابل متأخرا عن مقابله، واعتبرها ابن عاشور من أفانيين وجماليات المقابلة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾ (الحج:٢٤)، قال ابن عاشور: " وجملة (**وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**)... هي كالتكملة لوصف حسن حالهم لمناسبة ذكر الهداية في قوله: (**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ**)، ولم يسبق مقابل لمضمون هذه الجملة بالنسبة لأحوال الكافرين، وسيجيء ذكر مقابلها في قوله: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**) إلى قوله: (**نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**)(الحج:٢٥) وذلك من أفانين المقابلة، والمعنى: وقد هدوا إلى صراط الحميد في الدنيا، وهو دين الإسلام شبه بالصراط؛ لأنه موصل إلى رضى الله"(٢).

ثالثا: المشاكلة:

المشاكلة لغة:

الشَّكْلُ بالفتح الشِّبْه والمِثْل، والشَّكْل المِثْل، تقول: هذا على شَكْل هذا أَي: على مِثَاله، وفلان شَكْلُ فلان أَي: مِثْلُه في حالاته، وقد تَشَاكَلَ الشَّيْئَانِ وشَاكَلَ كُلٌّ واحد منهما صاحبَه(٣).

المشاكلة اصطلاحا:

عرفها السكاكي بقوله: " أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته"(٤)، وذهب القزويني مذهبه، إلا أنه أضاف قسميها، فقال: " وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"(٥).

واعتبرها ابن عاشور من أصل الاستعارة، فقال: " والمشاكلة ترجع إلى استعارة علاقتها المشاكلة اللفظية أو التقديرية"(٦).

وعلل ذلك بقوله: " والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة، وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة، وإنما سماها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه، فأغفلوا

---

(١) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٦٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٢٣٤– ٢٣٥.

(٣) اللسان: (شكل).

(٤) مفتاح العلوم: ٤٢٤.

(٥) الإيضاح: ٣٦٠.

(٦) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٣٩.

أن يسموها استعارة وسموها المشاكلة، وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه، فإن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكورا فهي المشاكلة، ولنا أن نصفها بالمشاكلة التحقيقية"[١]. ومن هذا القول يوضح أن المشاكلة التحقيقية هي القريبة من الاستعارة، أما التقديرية فلا تلتبس بالاستعارة.

وفي موطن آخر قربها من الجناس، فقال: " و المشاكلة من المحسنات، وهي عند التحقيق من قبيل الاستعارة التي لا علاقة لها إلا المشابهة الجملية، التي تحمل عليها مجانسة اللفظ"[٢]. وهي قريبة من الجناس لأن اللفظتين في الرسم واحدة.

وبالتالي نقول أن المشاكلة حلقة وصل ما بين الاستعارة لعلاقة المشابهة، والمجاز لوجود علاقات أخرى غير المشابهة، وبين الجناس لاتفاق رسم اللفظة.

وقد أورد ابن عاشور كثيرا من مواطن المشاكلة في تفسيره، وكثيرا ما يقرنها بالاستعارة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**﴾(البقرة:١٣٨)، قال ابن عاشور: " فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة، وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة"[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً**﴾(النساء:٤)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(فَكُلُوهُ)** استعمل الأكل هنا في معنى الانتفاع الذي لا رجوع فيه لصاحب الشيء المنتفع به، أي: في معنى تمام التملك، وأصل الأكل في كلامهم يستعار للاستيلاء على مال الغير استيلاء لا رجوع فيه؛ لأن الأكل أشد أنواع الانتفاع حائلا بين الشيء وبين رجوعه إلى مستحقه، ولكنه أطلق هنا على الانتفاع لأجل المشاكلة مع قوله السابق: **(وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)**(النساء:٢) فتلك محسن الاستعارة"[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف:١٣١)، قال ابن عاشور: " والطائر: اسم للطير الذي يثار ليتيمن به أو يتشاءم، واستعير هنا للسبب الحق،

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٤٤.
(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٧١.
(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٧٤٤.
(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٢٣٢.

لحلول المصائب بهم بعلاقة المشاكلة لقوله: **(يَطَّيَّرُواْ)** فشبه السبب الحق، وهو ما استحقوا به العذاب من غضب الله بالطائر"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ**﴾(النحل:١٢٦)، قال ابن عاشور: " فقوله: **(بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم)** مشاكلة لـــ **(عَاقَبْتُمْ)** استعمل **(عَاقَبْتُمْ)** في معنى عوملتم به، لوقوعه بعد فعل **(عَاقَبْتُمْ)** ، فهو استعارة وجه شبهها هو المشاكلة، ويجوز أن يكون **(عَاقَبْتُمْ)** حقيقة؛ لأن ما يلقونه من الأذى من المشركين قصدوا به عقابهم على مفارقة دين قومهم، وعلى شتم أصنامهم وتسفيه آبائهم"(٢).

وقد قارن بين المشاكلة والاستعارة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (النساء:١٤٢)، قال ابن عاشور: " فإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تمثيلية وحسنتها المشاكلة؛ لأن المشاكلة لا تعدو أن تكون استعارة لفظ لغير معناه، مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار، فالمشاكلة ترجع إلى التلميح، أي: إذا لم تكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ"(٣).

وفي بعض المواطن جوّز أن تكون استعارة أو مشاكلة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾(الأنبياء:٥٧)، قال ابن عاشور: " وسمى تكسيره الأصنام كيدا على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية؛ لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها، فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد، والكيد: التحيل على إلحاق الضر في صورة غير مكروهة عند المتضرر"(٤).

وفي بعض المواطن من المشاكلة قد بين نوعها، فمن مثل قوله في المشاكلة التقديرية قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:١٩٣)، قال ابن عاشور: " والعدوان هنا إما مصدر عدا بمعنى وثب وقاتل، أي: فلا هجوم عليهم، وإما مصدر عدا بمعنى ظلم كاعتدى فتكون تسميته عدوانا مشاكلة لقوله: **(عَلَى الظَّالِمِينَ)** كما سمي جزاء السيئة بالسوء سيئة، وهذه المشاكلة تقديرية"(٥). وسماها تقديرية لأن اللفظ المشاكل قدّر تقديرا من السياق وهو قوله: **(عَلَى الظَّالِمِينَ)**.

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٦٧.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٣٣٥– ٣٣٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٥، ٢٣٩.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٩٧.

(٥) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٢٠٩.

ويبدو أنه في بعض المواطن سمى التقديرية بالمعنوية لأنها فهمت من السياق، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(الحجرات:١١)، قال ابن عاشور: " ولفظ (**الِاسْمُ**) هنا مطلق على الذكر، أي: التسمية كما يقال: طار اسمه في الناس بالجود أو باللؤم، والمعنى: بئس الذكر أن يذكر أحد بالفسوق بعد أن وصف بالإيمان، وإيثار لفظ (**الِاسْمُ**) هنا من الرشاقة بمكان؛ لأن السياق تحذير من ذكر الناس بالأسماء الذميمة إذ الألقاب أسماء، فكان اختيار لفظ (**الِاسْمُ**) للـــ (**فُسُوقُ**) مشاكلة معنوية"[١].

وقد جمع بين إيهام التضاد والمشاكلة وسماها بالضدية، كقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾(الرحمن:٧)، قال ابن عاشور: " فإطلاق الوضع في الآية بعد ذكر رفع السماء مشاكلة ضدية، وإيهام طباق مع قوله: (**رَفَعَهَا**) ففيه محسنان بديعيان"[٢].

رابعا: التورية:

التورية لغة:

وَرَّيْتُ الخَبر: جعلته ورائي وسَتَرْته، ووَرَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوْرِيةً إِذا سترته وأَظهرت غيره، كأَنه مأْخوذ من وَراء الإِنسان؛ لأَنه إِذا قال وَرَّيته فكأَنه يجعله وراءه حيث لا يظهر[٣].

التورية اصطلاحا:

قال القزويني: " وتسمى الإيهام أيضا، وهي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما"[٤]، أوهي: " أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجازا، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٢٤٩- ٢٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٣٨.

(٣) اللسان: (ورى).

(٤) الإيضاح: ٣٦٤.

(٥) البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة معارف الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص١٨٠.

وقد ذكر ابن عاشور التورية ولكن بشكل قليل جدا، ودون الإشارة إلى أقسامها والشرح المفصل كما اعتاد في شرح كل أمر وبالتفصيل.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾(الأنعام:١٢٦)، قال ابن عاشور: " وجملة: (**قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ**)... والمراد بالآيات آيات القرآن، ومن رشاقة لفظ (**الآيَاتِ**) هنا أن فيه تورية بآيات الطريق التي يهتدي بها السائر"[١]. فلفظة (**الآيَاتِ**) لها معنيان قريب وهي آيات القرآن الكريم، ومعنى بعيد وهو المراد وهو الطريق، والمقصود به طريق الإيمان وهو طريق الخير.

وكقوله تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾(الحديد:٢٠)، قال ابن عاشور: " وعن ابن مسعود أن (**الْكُفَّارَ**): الزراع، جمع كافر وهو الزارع؛ لأنه يكفر الزريعة بتراب الأرض، والكفر بفتح الكاف الستر، أي: ستر الزريعة، وإنما أوثر هذا الاسم هنا وقد قال تعالى في سورة الفتح: (**يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**)، قصدا هنا للتورية بالكفار الذين هم الكافرون بالله؛ لأنهم أشد إعجابا بمتاع الدنيا إذ لا أمل لهم في شيء بعده، وقال جمع من المفسرين: الكفار جمع الكافر بالله؛ لأنهم قصروا إعجابهم على الأعمال ذات الغايات الدنيا دون الأعمال الدينية، فذكر الكفار تلويح إلى أن المثل مسوق إلى جانبهم أولا"[٢]. فلفظة (**الْكُفَّارَ**) لها معنيان قريب وهم الذين كفروا بالله تعالى، والمعنى البعيد وهو المراد وهو الزراع، والسياق قد أيد هذا المعنى؛ لأنه تمثيل لحال الكفار.

خامسا: التجريد:

التجريد لغة:

جَرَدَ الشيءَ يجرُدُهُ جَرْداً وجَرَّدَهُ قشرَه[٣]، أي: نزعه.

التجريد اصطلاحا:

عرفه القزويني فقال: " هو أن ينتزع من أمر ذي صفة، أمرا آخرا مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٦٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٤٠٤- ٤٠٥.

(٣) اللسان: (جرد).

(٤) الإيضاح: ٣٧٤.

وهذا ما ذكره ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾(الأحزاب:٢١)، فقال: " أي: يقتدي به ويعمل مثل عمله، وحق الأسوة أن يكون المؤتسي به هو القدوة ولذلك فحرف (**فِي**) جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة، إذ يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كذاتين... فالأصل: رسول الله أسوة، فقيل: في رسول الله أسوة، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول دون وصف خاص، ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره، واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾(الأعراف:٩٣)، قال ابن عاشور: " وجاء بالاستفهام الإنكاري في قوله: (**فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**) مخاطبا نفسه على طريقة التجريد، إذ خطر له خاطر الحزن عليهم، فدفعه عن نفسه بأنهم لا يستحقون أن يؤسف عليهم؛ لأنهم اختاروا ذلك لأنفسهم، ولأنه لم يترك من تحذيرهم ما لو ألقاه إليهم لأقلعوا عما هم فيه، فلم يبق ما يوجب أسفه وندامته كقوله تعالى: (**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**)(الكهف:٦) وقوله: (**فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**)(فاطر:٨)"(٢).

وللتجريد صور، منها:

١- ما قد يكون المنتزع منه مقترنا بـــ (من) كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ**﴾(النحل:٨٠)، قال ابن عاشور: " وقوله: (**مِّن بُيُوتِكُمْ**) بيان للسكن، فتكون (**مِّن**) بيانية، أو تجعل ابتدائية، ويكون الكلام من قبيل التجريد بتنزيل البيوت منزلة شيء آخر غير السكن، كقولهم: لئن لقيت فلانا لتلقين منه بحرا، وأصل التركيب: والله جعل لكم بيوتكم سكنا"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(آل عمران:١٠٤)، قال ابن عاشور: " وفي هذا محسن التجريد، جردت من المخاطبين أمة أخرى للمبالغة في هذا الحكم كما يقال: لفلان من بنيه أنصار، والمقصود: ولتكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر حتى تكونوا أمة هذه صفتها، وهذا هو الأظهر، فيكون جميع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد خوطبوا بأن يكونوا

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٣٠٢- ٣٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٣٨.

دعاة إلى الخير، ولا جرم فهم الذين تلقوا الشريعة من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مباشرة، فهم أولى الناس بتبليغها، وأعلم بمشاهدها وأحوالها، ويشهد لهذا قوله – صلى الله عليه وسلم – في مواطن كثيرة: (ليبلغ الشاهد الغائب ألا هل بلغت)[(١)]"[(٢)].

٢- ما قد يكون المنتزع منه مقترنا بـــ (في) وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾(فصلت:٢٨)، قال ابن عاشور: " فقوله: (**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**) جاء بالظرفية بتنزيل النار منزلة ظرف لدار الخلد، وما دار الخلد إلا عين النار، وهذا من أسلوب التجريد ليفيد مبالغة معنى الخلد في النار، وهو معدود من المحسنات البديعية"[(٣)]. فمن جملة صفات جهنم أنها دار الخلد للكفار، أي: يخلدون فيها.

٣- ومنها ما يكون بطريق مخاطبة الإنسان نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾(الرحمن:٤٦)، قال ابن عاشور: " ونهى الخائف نفسه مستعار للانكفاف عن تناول ما تحبه النفس من المعاصي والهوى، فجعلت نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات، وهو ينهاه عن هذه الدعوة، وهذا يشبه ما يسمى بالتجريد، يقولون : قالت له نفسه كذا فعصاها، ويقال: نهى قلبه"[(٤)].

سادسا: اللف والنشر:

ويسميه البعض بالطي والنشر، وهما سواء، ويتضح ذلك من المعنى اللغوي:

اللف: من لفَّ الشيء يَلُفُّه لَفّاً جمعه، وقد التَفَّ وجمعٌ لَفِيفٌ مجتمع مُلتفٌّ من كل مكان"[(٥)].

---

(١) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ، قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ.

– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ح٦٧، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـــ، ص٧١.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٧٩.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٩٢.

(٥) اللسان: (لفف).

والطَّيُّ: نَقِيضُ النَّشْرِ طَوَيْته طَيّاً وطِيَّةً وَطِيَةً، ويقال: طَوَى فُلانٌ حَديثاً إِلى حَديثٍ، أَي: لم يُخْبِرْ به وأَسَرَّه في نفسِه فَجازَه إِلى آخر، كما يَطْوِي المُسافِرُ مَنزلاً إِلى مَنزلٍ فلا يَنْزِلُ، وقال بعضهم طُوًى مثل طِوًى وهو الشيء المَثْنِيُّ"(١).

والنَّشْر: خلاف الطيّ، نَشَر الثوبَ ونحوه يَنْشُره نَشْراً ونَشَّره بَسَطه، وتَنَشَّر الشيءُ وانْتَشَر انبَسَط، وانْتَشَر النهارُ وغيره طال وامْتدّ، وانتشَر الخبرُ انْذاع"(٢).

اللف والنشر اصطلاحا:

عرفه السكاكي، فقال: " وهي أن تلف بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له"(٣).

وذكره السيوطي بنفس تعريف السكاكي، فقال: " هو أن يذكر شيئان أو أشياء إما تفصيلا بالنص على كل واحد، أو إجمالا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به"(٤).

أما الحموي فذكره باسم الطي والنشر، فقال: " الطي والنشر هو: أن تذكر شيئين فصاعدا، إما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما، وإما إجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد، وتفوض إلى العقل رد كل واحد إلى ما يليق به"(٥).

فمن خلال التعريفات يتضح أن اللف والنشر هو المقابلة بين أمرين، سواء بطريق الإجمال أو التفصيل، والسياق يحدد رد كل جزء إلى موضعه لاستكمال المعنى المراد، وقد ورد عند ابن عاشور هذا اللون وشرحه شرحا وافيا، مع الإشارة في بعض المواطن إلى أقسامه.

فمن أقسامه:

١- اللف والنشر المرتب:

وهو أن يكون النشر مرتبا على وفق اللف، فكل أمر في اللف يقابل ما في النشر بما يلائمه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا**

---

(١) اللسان: (طوى).

(٢) اللسان: (نشر).

(٣) مفتاح العلوم: ٤٢٥.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ج٣، ٢٣٨.

(٥) خزانة الأدب: ج١، ١٤٩.

بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾(النجم:٣١)، قال ابن عاشور: " وجاء ترتيب التفصيل لجزاء المسيئين والمحسنين على وفق ترتيب إجماله الذي في قوله: **(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى)**(النجم:٣٠) على طريقة اللف والنشر المرتب"(١).

وكقوله تعالى: **﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً (٢٤) إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾**(النبأ:٢٥)، قال ابن عاشور: " واستثناء **(حَمِيماً وَغَسَّاقاً)** من **(بَرْداً)** أو **(شَرَاباً)** على طريقة اللف والنشر المرتب، وهو استثناء منقطع(٢)؛ لأن الحميم ليس من جنس البرد في شيء إذ هو شديد الحر؛ ولأن الغساق ليس من جنس الشراب، إذ ليس المهل من جنس الشراب"(٣).

وكقوله تعالى: **﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾**(محمد:٢٧)، قال ابن عاشور: " والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله، وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر، للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه؛ لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار، ففي الكلام أيضا محسن اللف والنشر المرتب، فكان ذلك التعذيب مناسبا لحالي توقيهم في الفرار من القتال، وللسببين الباعثين على ذلك التوقي"(٤).

وكقوله تعالى: **﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾**(فاطر:٢٢)، قال ابن عاشور: " فجاء قوله: **(إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ)** على مقابلة قوله: **(وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ)** مقابلة اللف بالنشر المرتب"(٥).

٢- اللف والنشر المعكوس:

وهو أن يجيء النشر على عكس اللف، فيرد السامع النشر إلى ما يناسبه في اللف، كما في قوله تعالى: **﴿ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**(الحجر:٩)، قال ابن عاشور: " جاء نشر الجوابين على

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ١٢٠.

(٢) الاستثناء المنقطع هو: أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، مثل قولنا: ما قام القوم إلا حمارا. – انظر، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠ م، ج٢، ص٢١٥.

(٣) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٨.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ١١٩.

(٥) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٢٩٥.

عكس لف المقالين، اهتماما بالابتداء برد المقال الثاني بما فيه من الشبهة بالتعجيز والإفحام، ثم ثني العنان إلى رد تعريضهم بالاستهزاء وسؤال رؤية الملائكة"[1].

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً**﴾(الإنسان:١٠)، قال ابن عاشور: " وأما قوله: (**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً**) فهو مقول لقول يقولونه في نفوسهم، أو ينطق به بعضهم مع بعض وهو حال من ضمير (**يَخَافُونَ**)(الإنسان:٧) أي: يخافون ذلك اليوم في نفوسهم قائلين: (**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً**)، فحكي وقولهم: (**إنما نطعمكم لوجه الله**) وقولهم: (**إِنَّا نَخَافُ**) الخ، على طريقة اللف والنشر المعكوس، والداعي إلى عكس النشر مراعاة حسن تنسيق النظم، ليكون الانتقال من ذكر الإطعام إلى ما يقولونه للمطعمين، والانتقال من ذكر خوف يوم الحساب إلى بشارتهم بوقاية الله إياهم من شر ذلك اليوم، وما يلقونه فيه من النضرة والسرور والنعيم"[2].

أما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(القصص:٧٣)، قال ابن عاشور: " وقد سلك في قوله: (**لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**) طريقة اللف والنشر المعكوس فيعود (**لِتَسْكُنُوا فِيهِ**) إلى (**اللَّيْلَ**) ويعود (**وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**) إلى (**النَّهَارَ**) والتقدير: ولتبتغوا من فضله فيه، فحذف الضمير وجاره إيجازا اعتمادا على المقابلة"[3]. فقد اعتبره من اللف والنشر المعكوس وهو غير ذلك، فذكر الليل والنهار على التفصيل، ثم ذكر ما لكل واحد منهما من فضل على الترتيب، والنشر جاء مرتبا على ترتيب الطي.

وفي موطن آخر سماه شبيها بالمعكوس، كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** (١٨) **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ**﴾(الزمر:١٩)، قال ابن عاشور: " ومعنى (**حَقَّ**) تحققت في الواقع، أي: كانت كلمة العذاب المتوعد بها حقا غير كذب، فمعنى (**حَقَّ**) هنا تحقق، وحق كلمة العذاب عليهم ضد هدي الله الآخرين، وكونهم في النار ضد كون الآخرين لهم البشرى، وترتيب المتضادين جرى على طريقة شبه اللف والنشر المعكوس"[4]. وربما سماه كذلك لأن الكلام المعكوس فيه مقدر يفهم من مقابله، وهو وجود الفئة الضالة التي توعدها الله بعذاب النار.

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٢٠.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٨٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٧١.

(٤) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٣٦٩.

٣- اللف والنشر المشوش:

وهو أن يجيء النشر على غير ترتيب اللف بطريقة مشوشة قد يسبق النشر الثاني الأول وهكذا، فيرد السامع النشر إلى ما يناسبه في اللف، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى** (٧) **وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى** (٨) **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** (٩) **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**(١٠) **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾(الضحى:١١)، قال ابن عاشور: " فإن جعل قوله: (**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**) مقابل قوله (**وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**) على طريقة اللف والنشر المشوش كان قوله: (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) مقابل قوله: (**وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى**) على طريقة اللف والنشر المشوش أيضا"[(١)].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** (١٠) **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** (١١) **فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ (الواقعة:١٢)، قال ابن عاشور: " وجملة (**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**)، مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأنها جواب عما يثيره قوله: (**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**) من تساؤل السامع عن أثر التنويه بهم، وبذلك كان هذا ابتداء تفصيل لجزاء الأصناف الثلاثة على طريقة النشر بعد اللف، نشرا مشوشا تشويشا اقتضته مناسبة اتصال المعاني بالنسبة إلى كل صنف أقرب ذكرا، ثم مراعاة الأهم بالنسبة إلى الصنفين الباقيين، فكان بعض الكلام آخذا بحجز بعض"[(٢)].

سابعا: تأكيد المدح بما يشبه الذم:

" هو أن يبالغ المتكلم في المدح فيعمد إلى الإتيان بعبارة يتوهم السامع منها في بادئ الأمر أنه ذم فإذا هو مدح مؤكد"[(٣)].

" وهو ضربان أفضلهما أن يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها... والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له"[(٤)].

وقد ذكره ابن عاشور في تفسيره، وأفاض القول في التفرقة بين هذين الضربين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً** (٥٦) **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾(الفرقان:٥٧)، قال ابن عاشور: " والاستثناء تأكيد لنفي أن يكون يسألهم أجرا؛ لأنه استثناء من أحوال عامة محذوف ما يدل عليها لقصد التعميم، والاستثناء معيار العموم فلذلك كثر في كلام العرب أن يجعل تأكيد الفعل في صورة الاستثناء، ويسمى

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٨٨.

(٣) البلاغة الصافية: ٢٧١.

(٤) الإيضاح: ٣٨٣- ٣٨٤.

تأكيد المدح بما يشبه الذم، وبعبارة أتقن تأكيد الشيء بما يشبه ضده وهو مرتبتان: منه ما هو تأكيد محض وهو ما كان المستثنى فيه منقطعا عن المستثنى منه أصلا... ومنه مرتبة ما هو تأكيد في الجملة وهو ما المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه، لكنه قريب منه بالمشابهة، لم يطلق عليه اسم المشبه به بما تضمنه الاستثناء كما في قوله: **(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)**(الشورى:٢٣)، ألا ترى أنه نفى أن يكون يسألهم أجرا على الإطلاق في قوله تعالى: **(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)**(ص:٨٦)، فقوله تعالى: **(إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً)** من قبيل المرتبة الثانية؛ لأن الكلام على حذف مضاف يناسب أجرا إذ التقدير: إلا عمل من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا، وذلك هو إتباع دين الإسلام، ولما كان هذا إجابة لدعوة الرسول- صلى الله عليه وسلم – أشبه الأجر على تلك الدعوة فكان نظير قوله: **(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)**(الشورى:٢٣)، وقد يسمون مثل هذا الاستثناء، الاستثناء المنقطع ويقدرونه كالاستدراك"[١].

وقد أكثر ابن عاشور حديثه عن الضرب الأول، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً**﴾(النساء:١٦٩)، قال ابن عاشور: " وقوله: **(إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ)** استثناء متصل إن كان الطريق الذي نفي هديهم إليه الطريق الحقيقي، ومنقطع إن أريد بالطريق الأول الهدى، وفي هذا الاستثناء تأكيد الشيء بما يشبه ضده؛ لأن الكلام مسوق للإنذار، والاستثناء فيه رائحة إطماع، ثم إذا سمع المستثنى تبين أنه من قبيل الإنذار، وفيه تهكم؛ لأنه استثنى من الطريق المعمول **(لِيَهْدِيَهُمْ)** وليس الإقحام بهم في طريق جهنم بهدي؛ لأن الهدي هو إرشاد الضال إلى المكان المحبوب"[٢].

وكقوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً**﴾(الواقعة:٢٦)، قال ابن عاشور: " قوله: **(إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً)**، وهو استثناء من **(لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً)** بطريقة تأكيد الشيء بما يشبه ضده، المشتهر في البديع باسم تأكيد المدح لما يشبه الذم، وله موقع عظيم من البلاغة... وهو المعبر عنه بالاستثناء المنقطع بحسب حاصل المعنى "[٣].

وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً**﴾(نوح:٦)، قال ابن عاشور: " واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع، والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربا من الهدى لكن زادهم فرارا... وهذا من الأسلوب المسمى في

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ٥٨.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٤٨.

(٣) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٩٧.

علم البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وهو هنا تأكيد إعراضهم المشبه بالابتعاد بصورة تشبه ضد الإعراض، ولما كان فرارهم من التوحيد ثابتا لهم من قبل كان قوله: **(لَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً)** من تأكيد الشيء بما يشبه ضده"[١].

وكقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾(الحج:٤٠)، قال ابن عاشور: " والاستثناء في قوله: **(إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)** استثناء من عموم الحق، ولما كان المقصود من الحق حقا يوجب الإخراج، أي: الحق عليهم، كان هذا الاستثناء مستعملا على طريقة الاستعارة التهكمية[٢]، أي: إن كان عليهم حق فهو أن يقولوا ربنا الله، فيستفاد من ذلك تأكيد عدم الحق عليهم بسبب استقراء ما قد يتخيل أنه حق عليهم، وهذا من تأكيد الشيء بما يوهم نقضه، ويسمى عند أهل البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم"[٣].

ثامنا: تجاهل العارف:

والجَهْل نقيض العِلْم، وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة وجهِلَ عليه وتَجَاهل أَظهر الجَهْل، وتَجَاهَل أَرَى من نفسه الجَهْل وليس به[٤].

وأفرد له العسكري فصلا، فقال: (في تجاهل العارف ومزج الشك باليقين) وعرفه فقال: " هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا"[٥].

وأشار إلى ذلك ابن عاشور بشكل قليل جدا مستندا على رأي السكاكي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾(القمر:٤٣)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في قوله: **(أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ)** يجوز أن يكون على حقيقته، ويكون من المحسن البديعي الذي سماه السكاكي (سوق المعلوم مساق غيره) [٦]، وسماه أهل الأدب من

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٩٤.

(٢) الاستعارة التهكمية وتسمى التمليحية، وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة.

- انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ١٥٨- ١٥٩.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٢٧٥.

(٤) اللسان: (جهل).

(٥) الصناعتين: ٤٤٥.

(٦) قال السكاكي: " ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا أحب تسميته بالتجاهل"

- مفتاح العلوم: ٤٢٧.

قبله بـــ (تجاهل العارف)، وعدل السكاكي عن تلك التسمية، وقال: لوقوعه في كلام الله تعالى نحو قوله: **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)**(سبأ:٢٤) وهو هنا للتوبيخ"(١).

فأعرض السكاكي عن تسميته بـــ (تجاهل العارف) تأدبا مع قول الله؛ لأن الكلام والسؤال جاء على لسان الله عز وجل وهو العليم الخبير.

واعتبره البعض قائم على علاقة المشابهة، منهم قول المظفر(٢): " ومعنى تجاهل العارف أن الشاعر أو الناثر يسأل عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه؛ ليعلم أن شدة الشبه بالمشبه قد أحدثت عنده ذلك، وهو كثير في أشعار العرب وخطبهم"(٣).

وسماه العلوي (التجاهل) وقال: " هو أن تسأل عن شيء تعلمه موهما أنك لا تعرفه، وأنه مما خالجك فيه الشك والريبة، وشبهة عرضت بين المذكورين، وهو مقصد من مقاصد الاستعارة يبلغ به الكلام الذروة العليا، ويحله في الفصاحة المحل الأعلى"(٤).

أما ابن عاشور فجرى على غير هذا المجرى، فلم يقم الأمر عنده على المشابهة، فالأمر قائم على الاستخفاف بمن وجه له السؤال والإنكار عليه استهزاء وسخرية به، من ذلك سؤال إبراهيم لأبيه عن عبادتهم الأصنام في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾(الأنبياء:٥٢)، قال ابن عاشور: " والاستفهام في قوله تعالى: **(مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ)** يتسلط على الوصف في قوله تعالى: **(الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)** فكأنه قال: ما عبادتكم هذه التماثيل؟ ولكنه صيغ بأسلوب توجه الاستفهام إلى ذات التماثيل؛ لإبهام السؤال عن كنه التماثيل في بادئ الكلام، إيماء إلى عدم الملاءمة بين حقيقتها المعبر عنها بالتماثيل، وبين وصفها بالمعبودية المعبر عنه بعكوفهم عليها، وهذا من تجاهل العارف، استعمله تمهيدا لتخطئتهم بعد أن يسمع جوابهم، فهم يظنونه سائلا مستعلما، ولذلك أجابوا سؤاله بقولهم **(وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ)**، فإن شأن السؤال بكلمة **(مَا)** أنه لطلب شرح ماهية المسئول عنه"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢١٠.

(٢) يسمى العلوي (٠٠٠-٦٥٦هـــ=٠٠٠-١٢٥٨م) وهو المظفر بن الفضل بن يحيى أبو علي العلوي الحسيني، أديب عراقي، ألف للوزير محمد بن العلقمي كتاب (الاغريض في نصرة القريض خ) في الأحمدية بتونس، وفى دار الكتب (نضرة الاغريض في نصرة القريض).

- الأعلام: ج٧، ٢٥٧.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: م٢، ٣٩.

(٤) الطراز: ٤٣٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٩٤.

وهذا الأسلوب أقرب ما يكون إلى أسلوب الحكيم؛ لأن كلا الأسلوبين يحتاجان إلى ذكاء وحنكة القائل والتظاهر بخلاف المقام، لما فيه من تسخير وتغيير أسلوب المقام من ضده إلى صالحه، فيخرج القائل من مسئول إلى سائل وكأنه سيد الموقف.

تاسعا: الإرداف:

الإرداف لغة:

الرِّدْفُ ما تَبِعَ الشيءَ وكل شيء تَبِع شيئاً فهو رِدْفُه، وإذا تَتابع شيء خلف شيء فهو التَّرادُفُ، ورَدِفَ الرجلَ وأَرْدَفَه رَكِبَ خَلْفَه(١).

الإرداف اصطلاحا:

" الإرداف والتوابع أن يريد المتكلم الدلالة على معنى، فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده، وذلك مثل قول الله تعالى: **(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)** وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع و الإرداف، وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها، فكان قصور الطرف ردفا للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف"(٢).

وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله: " وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع به، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع"(٣)، وقد مثل لذلك بقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(آل عمران:٩٤)، قال ابن عاشور: " فأطلقوا على الإخبار عن شيء بأنه وقع ولم يقع اسم الافتراء بمعنى الكذب، كأن أصله كناية عن الكذب وتلميح، وشاع ذلك حتى صار مرادفا للكذب، ونظيره إطلاق اسم الاختلاق على الكذب، فالافتراء مرادف للكذب، وإردافه بقوله هنا: **(الْكَذِبَ)** تأكيد للافتراء، وتكررت نظائر هذا الإرداف في آيات كثيرة"(٤). ويتضح من هذا القول أن الإرداف هو الترادف في اللغة عند ابن عاشور، مع أن الترادف في القرآن لا أصل له، وكثير من العلماء أثبت بعدم وجوده في العربية أصلا، ونحن نميل إلى ذلك؛ لأن عدم وجوده يترتب عليه الإعجاز القرآني، فعدمه

---

(١) اللسان: (ردف).

(٢) الصناعتين: ٣٨٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٠.

جزء أساسي من هذا الإعجاز، فكل لفظة لها دلالة معينة يوضحها السياق، وهي في موضعها مستحيل أن تستبدل بكلمة أخرى وتعطينا نفس قوة المعنى المرادة.

أما في باقي المواطن فقد اعتبر الإرداف من التابع للمتبوع، لهدف ونكتة بلاغية يزينها السياق، وقد ذكر بعض المواطن التي يتضح فيها الإرداف، فقال: " عادة القرآن في إرداف التوبيخ بالترغيب، والوعيد بالوعد، والنذارة بالبشارة، والذم بالثناء"(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(النور:٣٩)، قال ابن عاشور: " لما جرى ذكر أعمال المتقين من المؤمنين وجزائهم عليها بقوله تعالى: **(يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ)** إلى قوله: **(لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**(النور:٣٦-٣٨) أعقب ذلك بضده من حال أعمال الكافرين التي يحسبونها قربات عند الله تعالى، وما هي بمغنية عنهم شيئا على عادة القرآن في إرداف البشارة بالنذارة"(٢). ويتضح من ذلك أن الإرداف أشبه بالمقابلة بين أمرين ضدين، فهو قد أنذر من خلال الصورة التوضيحية التي عرضها كي لا يقع بالخطأ أصحاب العقول التي تطمح بالوصول للجنة، ثم يعقب ذلك ببشارة يستحقها كل من خاف مقام ربه الأعلى ليبعث السرور والطمأنينة لهؤلاء، فوجود المقابلة باعث على الراحة النفسية، وجلاء الأمور.

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾(النور:٥٤)، قال ابن عاشور: " وجملة: **(وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)** إرداف الترهيب الذي تضمنه قوله: **(وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ)** بالترغيب في الطاعة استقصاء في الدعوة إلى الرشد"(٣).

عاشرا: المزاوجة:

المزاوجة لغة:

والمُزاوَجَةُ والازْدِواجُ بمعنى، وازْدَوَجَ الكلامُ وتَزَاوَجَ أَشبه بعضه بعضاً في السجع أَو الوزن، أَو كان لإِحدى القضيتين تعلق بالأُخرى وهي التزاوج(٤).

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٧٤.

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٥٠.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٨١.

(٤) اللسان: (زوج).

المزاوجة اصطلاحا:

هي: " أن تزاوِجَ بينَ معنيينِ في الشرطِ والجزاءِ معاً، كقولِ البُحتري:

إِذا ما نَهى النّاهِي فَلجَّ بيَ الهوى أصاخَتْ إِلى الوَاشِي فلجَّ بها الهَجْرُ

وقوله:

إِذا احْتَرَبَتْ يَوْماً ففاضتْ دِماؤُها تذكَّرتِ القُربى ففاضَتْ دُمُوعُها[1]"[2].

فلابد للمتكلم أن يجاوز بين المعنيين في جملتي الشرط والجزاء، و" أن يرتّب على كل منهما معنى رتّب على الآخر"[3]. ومعنى هذا الكلام أنها قريبة من اللف والنشر المرتب.

أما عند ابن عاشور فكان الأمر خلاف ذلك، فقد اعتبرها من قبيل المقابلة في المعنى، دون وجود شرط أو جزاء، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾(هود:١)، قال ابن عاشور: " و **(مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)** أي: من عند الموصوف بإبداع الصنع لحكمته، وإيضاح التبيين لقوة علمه، والخبير: العالم بخفايا الأشياء، وكلما كثرت الأشياء كانت الإحاطة بها أعز، فالـ **(حَكِيمٍ)** مقابل لـ **(أُحْكِمَتْ)**، والـ **(خَبِيرٍ)** مقابل لـ **(فُصِّلَتْ)** وهما وإن كانا متعلق العلم ومتعلق القدرة إذ القدرة لا تجري إلا على وفق العلم، إلا أنه روعي في المقابلة الفعل الذي هو أثر إحدى الصفتين أشد تبادرا فيه للناس من الآخر، وهذا من بليغ المزاوجة"[4].

وكقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**﴾(هود:٢٤)، قال ابن عاشور: " وأما الداعي إلى العطف في صفتي **(الْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ)** بالنسبة لحال فريق المؤمنين فبخلاف ما قررنا في حال فريق الكافرين؛ لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي **(الْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ)** إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين، فلو ثبتت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء، إذ الأمران المشبه بهما أمران وجوديان فهما في قوة الإثبات، فتعين أن الكون الداعي إلى عطف **(السَّمِيعِ)** على **(الْبَصِيرِ)** في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة، لتكون العبارة عن حال المؤمنين

---

(١) لم نعثر على هذه الأبيات في ديوان البحتري.

– ديوان البحتري، تحقيق: عبد الرحمن أفندي البرقوقي، مطبعة هندية، مصر، ط١، ١٩٩١م.

(٢) دلائل الإعجاز: ٩٣، وانظر، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م، ج٧، ص١٢٨.

(٣) جواهر البلاغة: ٣٠٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٣١٥.

مماثلة للعبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام، والمزاوجة من محسنات الكلام ومرجعها إلى فصاحته"(١).

وفي بعض المواطن اعتبر المزاوجة من باب البدل لتأكيد الحديث فهو تتمة له وتأكيد عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ** (١٧) **فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ**﴾(البروج:١٨)، قال ابن عاشور: " والكلام على حذف مضاف؛ لأن فرعون ليس بجند ولكنه مضاف إليه الجند الذين كذبوا موسى عليه السلام وآذوه، فحذف المضاف لنكتة المزاوجة بين اسمين علمين مفردين في الإبدال من الجنود"(٢).

وهذا تأييد لكلام أبو حيان، فقال: " **(فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)** بدل من **(الْجُنُودِ)**، وكأنه على حذف مضاف، أي: جنود فرعون، واختصر ما جرى لهم إذ هم مذكورون في غير ما سورة من القرآن"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٤٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٢٥١.

(٣) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م، ج٨، ٤٤٥.

ثانيا: المحسنات اللفظية

والمحسنات اللفظية: وهي الراجعة إلى تحسين اللفظ أولا وبالذات، وإن كان بعضها يفيد تحسين المعنى(١). فالهدف الأساسي هو زخرفة لفظية قد تفيد أحيانا معنى.

ومن هذه المحسنات اللفظية:

أولا: الجناس:

الجناس لغة:

ومنه المُجانَسَةُ والتَجْنِيسُ، والجِنْسُ الضَّربُ من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النَحْوِ والعَرُوضِ والأَشياء جملةٌ، ويقال هذا يُجانِسُ هذا أَي: يشاكله، وفلان يُجانس البهائم ولا يُجانس الناسَ إِذا لم يكن له تمييز ولا عقل(٢).

الجناس اصطلاحا:

عرفه السكاكي بقوله: " تشابه الكلمتين في اللفظ"(٣)، وقد أطال ابن الأثير في الحديث عن هذا اللون، فقال: " اعلم أن التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لا سيما المحدثين منهم... وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا؛ لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، وحقيقته أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى مختلفا، وعلى هذا فإنه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء"(٤).

وقد أشار إلى أقسامه واعتبرها مشابهة للجناس؛ لأن الجناس الحقيقي في نظره هو ما اتحد لفظه واختلف معناه، فقال: " إلا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا، وتلك تسمية بالمشابهة لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه، وعلى هذا فإني نظرت في التجنيس وما شبه به فأجرى مجراه، فوجدته ينقسم إلى سبعة أقسام، واحد منها يدل على حقيقة التجنيس؛ لأن لفظه واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة"(٥).

وقد أكثر ابن عاشور من ذكر ألوان الجناس، ونجده يذكره أحيانا دون الإشارة إلى قسمه، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**﴾(الشعراء:٣٢)، قال ابن عاشور: "

---

(١) انظر، خلاصة المعاني: ٤٠٤.

(٢) اللسان: (جنس).

(٣) مفتاح العلوم: ٤٢٩.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج١، ٢٦٢.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج١، ٢٦٢.

وبالاختلاف بين (**مُّبِينٍ**) الأول و (**مُّبِينٌ**) الثاني اختلفت الفاصلتان معنى فكانتا من قبيل الجناس"[1]. وهذا ما يسمى بالجناس التام وسنذكره لاحقا.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(هود:٤٤)، قال ابن عاشور: " وفي مقابلة (**ابْلَعِي**) بـــ (**أَقْلِعِي**) محسن الجناس"[2]، " واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر، ولمجيء حظ التجانس بينه وبين أقلعي أوفر"[3]. وهذا ما يسمى بالجناس اللاحق؛ لأنه اختلف فيه الحرفان المتباعدان مخرجا[4].

وفي مواطن كثيرة كان يشير إلى أقسامه، **ومن هذه الأقسام:**

١- الجناس التام:

" وهو أن تتفق الكلمتان في الحروف عددا وهيئة وترتيبا"[5]. أي أن تكون الكلمتان متفقتان رسما واحدا، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** (١)... **سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ**﴾(المسد:٣)، قال ابن عاشور: " وبين لفظي (**لَهَبٍ**) الأول و (**لَهَبٍ**) الثاني الجناس التام"[6]. فاللفظة الأولى كنية الشخص المذكور، والثانية مقصود بها نار جهنم.

وكقوله تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** (١٨)... **وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**﴾(ق:٢٣)، قال ابن عاشور: " أن (**عَتِيدٌ**) هنا صفة مشبهة من قولهم (عتد) بضم التاء إذا جسم وضخم كناية عن كونه شديدا، وبهذا يحصل اختلاف بينه وبين قوله الآتي (**هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**)(ق:٢٣) ويحصل محسن الجناس التام بين الكلمتين"[7].

وكقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾(الروم:٥٥)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**السَّاعَةُ**) و (**سَاعَةٍ**) الجناس التام"[8].

فاللفظة الأولى المقصود بها يوم القيامة، والثانية الساعة الزمنية المعروفة.

وقد أشار ابن عاشور إلى الجناس التام بين الحروف، كما في قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء**

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٢٣.

(٢) التحرير والتنوير: م٥، ج١٢، ٧٨.

(٣) الإيضاح: ٣٤٥.

(٤) مفتاح العلوم: ٤٢٩.

(٥) الإشارات والتنبيهات: ٢٨٩.

(٦) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٩٠.

(٧) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٠٤.

(٨) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ١٢٩.

تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم:٢٨)، قال ابن عاشور: " و **(مِّن)** في قوله **(مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم)** تبعيضية، و **(مِّن)** في قوله **(مِّن شُرَكَاء)** زائدة مؤكدة لمعنى النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري، فالجمع بين هذه الحروف في كلام واحد من قبيل الجناس التام"(١).

وكقوله تعالى: **﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾**(يس٢٨)، قال ابن عاشور: " و **(مِنْ)** في قوله: **(مِنْ جُندٍ)** مؤكدة لعموم **(جُندٍ)** في سياق النفي، و**(مِّنَ)** في قوله: **(مِّنَ السَّمَاءِ)** ابتدائية، وفي الإتيان بحرف **(من)** ثلاث مرات مع اختلاف المعنى محسن الجناس"(٢).

وكقوله تعالى: **﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾** (الشورى:٤٨)، قال ابن عاشور: " و **(إِنْ)** الثانية نافية، والجمع بينها وبين **(إِن)** الشرطية في هذه الجملة جناس تام"(٣).

وفي مقام آخر قال فيه شبه التام، ولا نراه كذلك بل هو التام نفسه، كما في قوله تعالى: **﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)... وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾**(النجم:٣)، قال ابن عاشور: " وبين **(هَوَى)** و **(الْهَوَى)** جناس شبه التام"(٤).

٢- الجناس المضارع:

" التجنيس المضارع أو المطرف: وهو أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج"(٥). وقد طبق ابن عاشور هذا الكلام بشكل مغاير فقد اختلط عليه الأمر، كما يبدو في قوله تعالى: **﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥)... وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾**(الليل:١٧)، قال ابن عاشور: " وبين **(الْأَشْقَى)** و **(الْأَتْقَى)** محسن الجناس المضارع"(٦). فصوت الشين والتاء لا التقاء بينهما في المخرج؛ فالشين مخرجها من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، أما التاء

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٨٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٣، ٦.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ١٣٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٩٣.

(٥) مفتاح العلوم: ٤٢٩.

(٦) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٣٩٠.

فمخرجها من ظهر طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا[1]، وبالتالي سمى العلماء الجناس الذي يختلف فيه الحرفين في المخرج باللاحق[2].

وفي بعض المواطن نجده يسمي الجناس المضارع بالقريب من التام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾(الأنعام:٢٦)، قال ابن عاشور: " وبين قوله: (**يَنْهَوْنَ... وَيَنْأَوْنَ**) الجناس القريب من التمام"[3]. وهذا حقيقة ما يسمى بالجناس المضارع؛ لأن مخرج الهاء والهمزة واحد، فكلاهما يخرجان من أقصى الحلق[4].

٣- الجناس الناقص:

وهو غير التام، وذلك بأن يكون قد نقص في إحدى الكلمتين حرف أو أكثر، فإن كان الاختلاف بحرف واحد سواء كان في الأول أو الآخر فيسمى مطرّف؛ لوقوع الزائد في الطرف[5]، وقد أشار ابن عاشور إليه في الجناس الناقص دون ذكر اسمه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾(غافر:٣٧)، قال ابن عاشور: " وبين (**إِلَى**) و (**إِلَهِ**) الجناس الناقص بحرف"[6].

٤- الجناس المقلوب:

ويسمى المعكوس[7]،" وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف نحو حسامه فتح فتح لأوليائه وحتف لأعدائه"[8]، أو " هو الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص، ويخلف أحدهما الآخر في الترتيب"[9]، " وهذا الضرب من التجنيس

---

(١) انظر، الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١٩٧١،٤م، ص٦٢، ٧٧، ٧٨، وانظر، التيسير في علم التجويد برواية حفص عن عاصم، د. عبد الرحمن الجمل، ط٦، ٢٠٠٧م، ص٣٢- ٣٣.

(٢) انظر، جواهر البلاغة: ٣٢٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ١٨٣.

(٤) انظر، الأصوات اللغوية: ٨٩- ٩٠، وانظر، التيسير في علم التجويد برواية حفص عن عاصم: ٣٠.

(٥) انظر، خلاصة المعاني: ٤٥٨.

(٦) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ١٤٦.

(٧) انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٩٨.

(٨) جواهر البلاغة: ٣٢٤، وانظر، خلاصة المعاني: ٤٦١.

(٩) البلاغة العربية تأصيل وتجديد: ١٩٢- ١٩٣.

له حلاوة وعليه رونق، وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب (التبديل) وذلك اسم مناسب لمسماه؛ لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدما في جزء كلامه الأول مؤخرا في الثاني، وبما كان مؤخرا في الأول مقدما في الثاني، ومثله قدامة بقول بعضهم: اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك، ومن هذا القسم قوله تعالى: **(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ)**(يونس:٣١)،(الروم:١٩)"[(١)].

لكن ابن عاشور ذهب غير هذا المذهب، حيث اعتبره مجرد قلب الحروف من مكانها بغير طريق عكسي للفظة، وذلك في مثل قوله تعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(المجادلة:١٥)، قال ابن عاشور: " وبين **(يَعْمَلُونَ)** و **(يَعْلَمُونَ)** الجناس المقلوب قلب بعض"[(٢)].

وفي بعض المواطن اعتبره من ضمن الجناس المقلوب والناقص، واللفظتان أبعد ما يكونان عن الجناس، كما في قوله تعالى: **﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾**(ق:٣٤)، قال ابن عاشور: " وبين كلمة **(ادْخُلُوهَا)** وكلمة **(الْخُلُودِ)** الجناس المقلوب الناقص"[(٣)].

وفي مواطن أخرى أطلق عليه جناس مركب؛ لأنه ركب من نوعين من أنواع الجناس، لكنه لا يمت للجناس بصلة، كما في قوله تعالى: **﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**(الحديد:١٦)، قال ابن عاشور: " وبين قوله: **(فَقَسَتْ)** وقوله: **(فَاسِقُونَ)** محسن الجناس، وهذا النوع فيه مركب مما يسمى جناس القلب، وما يسمى الجناس الناقص وقد اجتمعا في هذه الآية"[(٤)].

٥- جناس الاشتقاق:

وهو" توافق في الحروف الأصول المرتبة، والاتفاق في المعنى"[(٥)]، " ويسمى الاقتضاب أيضاً، ومنهم من عده أصلاً برأسه، ومنهم من عده أصلاً في التجنيس، وهو أن يجئ بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ)**"[(٦)].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج١، ٢٧٤- ٢٧٥.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٤٩.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٢١.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٩٣.

(٥) خلاصة المعاني: ٤٦٢.

(٦) نهاية الأرب في فنون الأدب: ج٧، ٨٠.

وقد شرح ابن عاشور هذا اللون من الجناس في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾(الشورى:٢٣)، قال ابن عاشور: " ولما كانت الحسنة مأخوذة من الحسن جعلت الزيادة فيها من الزيادة في الحسن مراعاة لأصل الاشتقاق، فكان ذكر الحسن من الجناس المعبر عنه بجناس الاشتقاق نحو قوله تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ**)(الروم:٤٣)، وصار المعنى نزد له فيها مماثلا لها، ويتعين أن الزيادة فيها زيادة من غير عمله، ولا تكون الزيادة بعمل يعمله غيره؛ لأنها تصير عملا يستحق الزيادة أيضا، فلا تنتهي الزيادة فتعين أن المراد الزيادة في جزاء أمثالها عند الله"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾(الأنفال:٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**لِيُحِقَّ الْحَقَّ**) جناس الاشتقاق، وفيه دلالة على أن أصل مادة الحق هو فعل حق، وأن أصل مادة الباطل هي فعل بطل"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾(الأنعام:١٠٤)، قال ابن عاشور: " وفي الآية محسن جناس الاشتقاق بين (**بَصَآئِرُ**) و (**أَبْصَرَ**)"(٣).

٦- الجناس المحرّف:

وهو" ما اختلف ركناه في هيآت الحروف، أي: حركاتها وسكناتها نحو: جُبَّة البُردِ جُنّة البَردِ"(٤)، والاتفاق في النوع والعدد والترتيب وسمي بذلك؛ لانحراف هيئة أحد اللفظين عن هيئة الآخر(٥)، وسماه الحموي جناس التحريف، وقال: " جناس التحريف وهو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك، فإن القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه، وهو الغاية التي لا تدرك كقوله تعالى: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ**) (الصافات:٧٣)، ولا يقال إن اللفظين متحدان في المعنى؛ لأنهما من الإنذار فلا يكون بينهما

---

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٨٥.
(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢٧١.
(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٢٠.
(٤) جواهر البلاغة: ٣٢٣.
(٥) انظر، خلاصة المعاني: ٤٥٧، وانظر، البلاغة العربية تأصيل وتجديد: ١٩٢.

تجنيس، فاختلاف المعنى ظاهر إذ المراد بالأول الفاعلون وهم الرسل، وبالثاني المفعولون وهم الذين وقع عليهم الإنذار"(١).

أما ابن عاشور فتجاوز هذا المحرف وأطلق على غيره نفس الاسم، فقد أطلقه على كل لفظتين اشتقتا من نفس مادة الحروف الأصلية للفظة، وهذا ما لاحظناه من خلال أمثلته التي أوردها في تفسيره، منها قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(البقرة:٢٩)، قال ابن عاشور: " وبين (**اسْتَوَى**) و(**سَوَّاهُنَّ**) الجناس المحرف"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾(الأنعام:٦٤)، قال ابن عاشور: " وبين (**الشَّاكِرِينَ**) و(**تُشْرِكُونَ**) الجناس المحرف"(٣).

ونجده قد أطلقه على أنواع أخرى من الجناس، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً**﴾(الإنسان:١١)، قال ابن عاشور: " وبين (**وَقَاهُمُ**) و (**لَقَّاهُمْ**) الجناس المحرف"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾(غافر:٧٥)، قال ابن عاشور: " وبين (**تَفْرَحُونَ ... تَمْرَحُونَ**) الجناس المحرف"(٥). وهذا ما أشرنا إليه باسم الجناس اللاحق.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً**﴾(فاطر:٤٢)، قال ابن عاشور: " وبين: (**أَهْدَى**) و (**إِحْدَى**) الجناس المحرف"(٦)، وهذا ما أشرنا إليه باسم الجناس المضارع.

وفي موطن آخر أطلق على الجناس المضارع جناس محرف شبيه بالتام، والتام يختلف عن المضارع والمحرف أصلا، كقوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾(القيامة:٢٣)، قال ابن عاشور: " وبين (**نَّاضِرَةٌ**) و (**نَاظِرَةٌ**) جناس محرف قريب من التام"(٧).

---

(١) خزانة الأدب: ج١، ٨٧.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٣٨٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٢٨٣.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٨٨.

(٥) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٤، ٢٠٦.

(٦) التحرير والتنوير: م٩، ج٢٢، ٣٣٢.

(٧) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٥٦.

٧- الجناس المصحّف:

وهو ما تماثل ركناه وضعا واختلفا نقطا، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر، كقول بعضهم: إذا زل العالِم زل بزلته العالَم(١)، وذكره ابن منقذ فقال: " أن تجنيس التصحيف، هو أن تكون النقط فرقاً بين الكلمتين"(٢).

وهذا ما اتفق عليه ابن عاشور في جميع ما أشار إليه بالجناس المصحف، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ (الكهف:١٠٤)، قال ابن عاشور: " وبين (**يَحْسَبُونَ**) و (**يُحْسِنُونَ**) جناس مصحف، وقد مثل بهما في مبحث الجناس"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾(ق:٢٤)، قال ابن عاشور: " وبين لفظي (**عَتِيدٌ**)(ق:١٨)، و (**عَنِيدٍ**) الجناس المصحف"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)... وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(البقرة:٢٦٥)، قال ابن عاشور: " وقد حصل من تمثيل حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بــ (**حَبَّةٍ**) ثم بــ (**جَنَّةٍ**) جناس مصحف"(٥).

وقد تجاوز ابن عاشور الجناس المصحف وأطلقه على غيره لمجرد تشابه الحروف وهذا بعيد عن الصواب، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَنُسْكِنَنَّــكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** (١٤) **وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾(إبراهيم:١٥)، قال ابن عاشور: " وبين (**خَافَ وَعِيدِ**) و (**خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**) جناس مصحف"(٦). فلا جناس مصحف في المقام.

---

(١) جواهر البلاغة: ٣٢٣.

(٢) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، ص٤.

(٣) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٤٧.

(٤) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣١٢.

(٥) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٥٢.

(٦) التحرير والتنوير: م٦، ج١٣، ٢١٠.

٨- الجناس المذيّل:

هو" ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل"[١]، وقال الحموي: " اختلف جماعة المؤلفين في اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية، فإن فيها مطابقة للمسمى، وما ذاك إلا أن المذيل هو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل"[٢]، وقد يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره[٣].

وبرز هذا اللون عند ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** (١٩)... **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾(الرحمن:٢٢)، قال ابن عاشور: " وبين قوله: **(مَرَجَ)** (الرحمن:١٩) وقوله: **(الْمَرْجَانُ)** الجناس المذيل"[٤].

وفي موطن آخر اعتبر ابن عاشور الجناس المذيل هو نفسه المطرف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ**﴾(الشعراء:١٦٨)، قال ابن عاشور: " وذلك أكمل في الجناس؛ لأنه يكون جناسا تاما فقد حصل بين **(قَالَ)** وبين **(الْقَالِينَ)** جناس مذيل ويسمى مطرفا"[٥]. وهذا مخالف لرأي العلماء، فالمطرف يكون بزيادة حرفين في أوله[٦].

٩- الجناس المزدوج:

وهو تجنيس المردد أو المركب[٧]، وهذا ما أشار إليه العلوي فقال: " وهو أن تأتي في في أواخر الأسجاع في الكلام المنثور، أو القوافي من المنظوم بلفظتين متجانستين، إحداهما ضميمة إلى الأخرى على جهة التتمة والتكملة لمعناها... وإنما لقب هذا بالمزدوج لما يظهر بين الكلمتين من الاستواء، ومنه الازدواج وهو الاستواء، ويقال له التجنيس المردد، ويقال له المكرر أيضا، وينقسم إلى ما يكون الازدواج واردا على جهة الانفصال في الكلمتين جميعا، كقولك: من جدّ وجد، ومن لَجّ ولج، والى ما يكون الازدواج واردا على جهة الانفصال في إحداهما والاتصال في الأخرى، كقولك إذا ملأ الصّاع انصاع"[٨].

---

(١) البلاغة العربية تأصيل وتجديد: ١٩١.

(٢) خزانة الأدب: ج١، ٧٠.

(٣) انظر، جواهر البلاغة: ٣٢٢.

(٤) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٢٥٠.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٨٠.

(٦) انظر، خزانة الأدب: ج١، ٨٤، وانظر، جواهر البلاغة: ٣٢٢.

(٧) انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٨٨.

(٨) الطراز: ٣٧٦.

وقد أشار إليه ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾(النمل:٢٢)، قال ابن عاشور: " وبين بـــ **(سَبَإٍ)** و **(بِنَبَإٍ)** الجناس المزدوج، ومنه قوله تعالى : **(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)** (الشعراء:٧٩-٨٠)"[١]. فلفظة **(بِنَبَإٍ)** مكملة ومتممة للفظة **(سَبَإٍ)** وكلاهما بجوار بعض، وهذا يختلف بالنسبة للشاهد الثاني في**(يَسْقِينِ** و **يَشْفِينِ)**، فهما متباعدتان، وشرطه أن يكون أحد المتجانسين قد ولي الآخر من غير فصل[٢]، فقد نعتبره من الجناس اللاحق؛ لاختلاف مخرجي مخرجي السين والشين والفاء والقاف.

١٠- الجناس الخطي:

وهو توافق اللفظين في الكتابة، وقد عرفه ابن عاشور بقوله: " جناس الخط وهو أن تكون صورة الكلمتين واحدة في الخط، وإنما تختلفان في النطق"[٣]، ولكن أساء في تطبيقه، وهذا ما تضح في قوله تعالى: ﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ**﴾(الحاقة:٢٨)، قال ابن عاشور: " وفي **(أَغْنَى عَنِّي)** الجناس الخطي، ولو مع اختلاف قليل كما في قولهم: (غرك عزك، فصار قصارى، ذلك دلك)"[٤]. فالشاهد لم يمثل الجناس الخطي، وربما تجاوزا نقول أنه مصحف رغم زيادة في أول اللفظة فيسمى أيضا مطرفا، وقد يسمى ذلك بالجناس المركب لأنه ركب من أكثر من نزع في الجناس، أما ما ساقه من أمثلة ليدعم كلامه فهو بعيد عما أراد، فـــ (غرك عزك، ذلك دلك) تعتبر جناس تصحيف لتشابه الرسم واختلاف في النقط، أما (فصار قصارى) قد نعتبره تجاوزا أيضا أنه جناس لاحق لاختلاف مخرج القاف عن الفاء، وقد نعتبره مذيل لزيادة في آخره.

وفي أحد المواطن اعتبره جناس خط ومحرف معا مع الاختلاف الواضح بينهما، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(القصص:٥٠)، قال ابن عاشور: " وبين **(هَوَاهُ)** و **(هُدًى)** جناس محرف وجناس خط"[٥]. وهذا أبعد ما يكون عن الجناس بجميع صوره.

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٨٠.

(٢) انظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢، ٨٦.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٩، ١٨٠.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ١٣٦.

(٥) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ٢٤٢.

ومن خلال ما مر بنا من صور الجناس التي عرضها ابن عاشور في تفسيره نجده لم يوفق في كثير منها، لقد حاول ليّ عنق الآيات ليجيرها ويثبتها على قاعدة الجناس؛ كي يثبت وجودها في القرآن الكريم والقرآن غني عن ذلك؛ لأن هدفه أسمى وأقوى من ذلك بكثير.

فالعلماء بشكل عام بالغوا كثيرا في صور الجناس حد الغلاء فيه، فالجناس حقيقة لا يعدو الجناس التام والناقص؛ لأنهما قريبان من المعنى اللغوي لكلمة تجنيس وتجانس وجناس، أما الصور الأخرى فلا علاقة لها به، فهي مجرد إرهاق للمتلقي وإبعاده عن التذوق الحقيقي له، وترك العقل للعب بالحروف بشكل رياضي مزخرف، دون النظر لجمال الجناس المعنوي واللفظي وإن أسموه باللفظي.

ثانيا: رد العجز على الصدر:

الرد لغة هو: صرف الشيء ورَجْعُه، والرَّدُّ مصدر رددت الشيء ورَدَّهُ عن وجهه يَرُدُّه رَدّاً ومَرَدّاً وتَرْداداً صرفه[1]، وسماه ابن منقذ ترديدا وتصديرا، والتصدير لغة: الصَّدْر أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله، حتى إِنهم ليقولون صَدْر النهار والليل، وصَدْر الشتاء والصيف وما أَشبه ذلك، والتَّصَدُّر نصْب الصَّدْر في الجُلوس، وصَدَّر كتابه جعل له صَدْراً، وصَدَّره في المجلس فتصدَّر[2].

وقال ابن منقذ: " باب الترديد ويسمى التصدير، اعلم أن الترديد هو رد أعجاز البيوت على صدوره إن أورد كلمة من النصف الأول إلى النصف الثاني"[3]. وهذا ما ذكره المظفر العلوي أيضا فقال: " باب التصدير، ويلقبه قوم رد إعجاز الكلام على صدوره، وهو أن يبتدئ الشاعر بكلمة في البيت ثم يعيدها في عجزه، أو نصفه ثم يردها في النصف الأخير، وإذا نظم الشعر على هذه الصفة، تيسر استخراج قوافيه قبل أن تطرق أسماع مستمعيه"[4]. ومن خلال التعريفين السابقين يتضح أن رد العجز على الصدر هو تكرر اللفظة من الصدر إلى العجز تأكيدا للمعنى، أما في كلام العلوي فيتضح التكرار بشكل عام سواء ما يتعلق باللفظ أو المعنى، فقال: " وهو أن يأتي في آخر الكلام بما يوافق أوله"[5].

وقد ورد عند ابن عاشور هذا اللون البديع في كثير من مواطن تفسيره، فمن ذلك قوله تعالى: **﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**

---

(١) اللسان: (ردد).

(٢) اللسان: (صدر).

(٣) البديع في نقد الشعر: ٢٦.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: م٢، ٢٣١.

(٥) الطراز: ٥٦٣.

(البقرة:١٢٢)، قال ابن عاشور: " أعيد نداء بني إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير في الغرض الذي سيق الكلام الماضي لأجله، فإنه ابتدأ نداءهم أولا بمثل هاته الموعظة في ابتداء التذكير بأحوالهم الكثيرة خيرها وشرها عقب قوله: **(وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)** (البقرة:٤٦) فذكر مثل هاته الجملة هناك كذكر المطلوب في صناعة المنطق قبل إقامة البرهان، وذكرها هنا كذكر النتيجة في المنطق عقب البرهان؛ تأييدا لما تقدم وفذلكة له، وهو من ضروب رد العجز على الصدر"(١).

فقد كرر الله – سبحانه وتعالى– الآية كما هي في قوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(البقرة:٤٧)، فكانت بمثابة التذكير لهم؛ لأن ما بين الآيتين عرض للنعم التي أنعم الله بها عليهم، وطريقتهم في ملاقاة هذه النعم.

وكقوله تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ**﴾(الدخان:٥٩)، قال ابن عاشور: " وفي هذه الخاتمة رد العجز على الصدر؛ إذ كان صدر السورة فيه ذكر إنزال الكتاب المبين، وأنه رحمة من الله بواسطة رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وكان في صدرها الإنذار بارتقاب يوم تأتي السماء بدخان مبين، وذكر البطشة الكبرى، فكانت خاتمة هذه السورة خاتمة عزيزة المنال اشتملت على حسن براعة المقطع وبديع الإيجاز"(٢).

فكان صدر السورة قوله تعالى: ﴿ **حم** (١) **وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ** (٢)... **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ** (٩) **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾(الدخان:١٠)، فتأكيدا لعظم ما سيحدث، وتنبيها لهم من هول ذلك اليوم، فقد كرر لفظ **(ارْتَقِبْ)** من باب رد العجز على الصدر، وما بين الآيتين مشاهد عظم هذا المقام؛ لأخذ العظة والعبرة كي لا يتعرض له كل ذي لب.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** (١٥٧) **وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ**﴾(آل عمران:١٥٨)، قال ابن عاشور: " وقدم القتل في الأولى والموت في الثانية اعتبارا بعطف ما يظن أنه أبعد عن الحكم، فإن كون القتل في سبيل الله سببا للمغفرة أمر قريب، ولكن كون الموت في غير السبيل مثل ذلك أمر خفي مستبعد، وكذلك تقديم الموت في الثانية؛ لأن القتل في سبيل الله قد يظن أنه بعيد عن أن يعقبه الحشر مع ما فيه من التفنن، ومن رد العجز على الصدر، وجعل القتل مبدأ الكلام وعوده"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٩٧– ٦٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٣٢٢.

(٣) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٤٣– ١٤٤.

وكقوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾(الذاريات:٦٠)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (**مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**) مع قوله في أول السورة (**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ**)(الذاريات:٥)، رد العجز على الصدر، ففيه إيذان بانتهاء السورة وذلك من براعة المقطع"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾(القيامة:٤٠)، قال ابن عاشور: " وقد جاء في هذا الختام بمحسن رد العجز على الصدر، فإن السورة افتتحت بإنكار أن يحسب المشركون استحالة البعث، وتسلسل الكلام في ذلك بأفانين من الإثبات والتهديد والتشريط والاستدلال، إلى أن أفضى إلى استنتاج أن الله قادر على أن يحيي الموتى وهو المطلوب الذي قدم في قوله: (**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ**)(القيامة:٣- ٤)"(٢).

وقد يتضح في بعض الشواهد أن رد العجز على الصدر أشبه بالمقارنة الفعلية بين أمرين، ومن أشكال المقارنة الكثيرة في القرآن الكريم أحوال الفريقين، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾(المؤمنون:١١٧)، قال ابن عاشور: " وفيه ضرب من رد العجز على الصدر إذ افتتحت السورة بـــ (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**)(المؤمنون:١)، وختمت بـــ (**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**) وهو نفي الفلاح عن الكافرين ضد المؤمنين"(٣).

ومن خلال ما سبق ذكره في رد العجز على الصدر نستطيع أن نقول أن جميع القرآن في آياته يندرج تحت هذا اللون؛ لأن القرآن جميعه مترابط ببعض، مترتب بعضه على بعض، فيذكر الأمر ثم يكرره في موطن آخر ويتبعه لتأكيد المعنى وتوثيقه، أو من باب التذكير، وأكبر مثال قصة موسى عليه السلام، وآيات الوعظ، وأهل الجنة والنار، والمؤمنين والكفار... وإن كان في بعض المواطن لا يذكر اللفظ فالمعنى كفيل بتوضيح أن الكلام مردود على أوله، وبذلك يتضح معنى تعريف العلوي الذي تركه مطلقا بلا تقييد لفظ أو معنى.

---

(١) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٧، ٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٣٦٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ١٣٦.

ثالثا: تشابه الأطراف:

قال ابن أبي الإصبع: " هذا الباب سماه الأجدابي[١] التسبيغ، وفسره بأن قال: هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، والتسبيغ زيادة في الطول، ومنه قولهم: درع سابغة، إذا كانت طويلة الأذيال، وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء، وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى، فرأيت أن أسمي هذا الباب تشابه الأطراف؛ لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها... ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)**"[٢].

وقد أطلق عليه القزويني مراعاة النظير، فقال: " ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، كقوله تعالى: **(لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)** فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئا فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به"[٣]. ومن هذا القول يتضح تشابه الأطراف من خلال المعنى، أما ما ذكره النويري فيتعلق باللفظ، فقال: " وأما تشابه الأطراف فهو أن يجعل الشاعر قافية بيته الأول أول البيت الثاني، وقافية الثاني أول الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه"[٤].

أما ابن عاشور فقد اتفق مع تعريف النويري، وهو تكرر لفظ آخر الجملة مع الجملة التي تليها، وقد ذكره في تفسيره مرة واحدة، وكان مستندا فيه على حد قوله على رأي ابن عرفة[٥][٦]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا**

---

(١)(٠٠٠- نحو٤٧٠هـ= ٠٠٠ - نحو١٠٧٧م) إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي، أبو إسحاق، لغوي باحث، من أهل طرابلس الغرب، نسبته إلى اجدابية، له كتب منها: (كفاية المتحفظ - ط) وكتابان في (العروض) ومختصر في (علم الأنساب) و (الأزمنة والأنواء - ط) ورسالة في (الحول) وكان أحول.

- الأعلام: ج١، ٣٢.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٥٢٠.

(٣) الإيضاح: ٣٥٦- ٣٥٧.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب: ج٧، ١٤٩.

(٥) لم نجد هذا الكلام عند ابن عرفة.

- تفسير ابن عرفة المالكي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط١، ١٩٨٦م.

(٦)(٧١٦ - ٨٠٣هـ = ١٣١٦- ١٤٠٠م) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠هـ وقدم لخطابته=

مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور:٣٥)، قال ابن عاشور: " وإعادة لفظ (**الْمِصْبَاحُ**) دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة، كما قال: (**كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**) إظهار في مقام الإضمار للتنويه بذكر المصباح؛ لأنه أعظم أركان هذا التمثيل، وكذلك إعادة لفظ (**الزُّجَاجَةُ**) في قوله: (**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**) لأنه من أعظم أركان التمثيل، ويسمى مثل هذه الإعادة تشابه الأطراف في فن البديع"(١).

ودليل استناده على رأي ابن عرفة توضيح ذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾(القدر:٣)، قال ابن عاشور: " قال ابن عرفة وفي قوله: (**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**) المحسن المسمى تشابه الأطراف، وهو إعادة لفظ القافية في الجملة التي تليها كقوله تعالى: (**كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**)(النور:٣٥) اهـ، يريد بالقافية ما يشمل القرينة في الأسجاع والفواصل في الآي"(٢).

رابعا: الاتزان:

والمِيزانُ العَدْلُ، ووازَنَه عادله وقابله، وهو وَزْنَهُ وزِنَتَهُ ووِزانَهُ وبوِزانه، أَي: قُبَالَتَه، وقد وَزَنَ الشِّعْرَ وَزْناً فاتَّزَنَ (٣).

ولم نجد له أصلا عند العلماء، وقد وضع ابن عاشور له تعريفا في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(الأعراف:١٩٠)، فقال: " وفي جملة: (**فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) محسن من البديع وهو مجيء الكلام متزنا على ميزان الشعر، من غير أن يكون قصيدة، فإن هذه الجملة تدخل في ميزان الرمل"(٤).

=سنة ٧٧٢ وللفتوى سنة ٧٧٣، من كتبه (المختصر الكبير– ط) في فقه المالكية... قال فيه السخاوي: شديد الغموض.

- الأعلام: ج٧، ٤٣.

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٣٦.

(٢) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ٤٦١.

(٣) اللسان: (وزن).

(٤) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٢١٥.

وكقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾(عبس:١٧)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) محسن الاتزان، فإنه من بحر الرمل من عروضه الأولى المحذوفة"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأحقاف:١٧)، قال ابن عاشور: " واعلم أن في قوله تعالى: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا) محسن الاتزان فإنه بوزن مصراع من الرمل عروضه محذوفة، وضربه محذوف، وفيه الخبن والقبض، ويزاد فيه الكف على قراءة غير نافع وحفص"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾(الأحزاب:١٣)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ) محسن بديعي وهو الاتزان؛ لأن هذا القول يكون منه مصراع من بحر السريع من عروضه الثانية المخبولة المكشوفة، إذ صارت مفعولات بمجموع الخبل والكشف إلى فعلن فوزنه: مستفعلن مستفعلن فعلن"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(المزمل:٤)، قال ابن عاشور: " ووقع في قوله تعالى: (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ) إذا شبعت فتحة نون القرآن محسن الاتزان، بأن يكون مصراعا من بحر الكامل أحذ دخله الإضمار مرتين"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ﴾(الأنفال:٣٨)، قال ابن عاشور: " وفي قوله تعالى: (إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) محسن بديعي وهو الاتزان؛ لأنه في ميزان الرجز"(٥).

ولا ندري كيف لعالم علامة في العلوم اللغوية والشرعية أن يدرج مثل هذا الكلام! كيف له أن يخضع كلام الله جل وعلا لكلام البشر ويقيسه عليه، ويخضعه لأوزان العروض الشعرية، هل نسي وغفل عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾(يس:٦٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾(الحاقة:٤١)؟

---

(١) التحرير والتنوير: م١٢، ج٣٠، ١٢٢.

(٢) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٢٧٥.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٦١.

(٥) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ٣٤٥.

ألم يطلع على مطاعن الضالين والرد عليهم عند السكاكي في نهاية كتابه! مع أن مفتاح العلوم كان إحدى مراجعه اللغوية والبلاغية.

الفصل الرابع

توجيه القراءات القرآنية بلاغيا عند ابن عاشور

علم القراءات علم جليل، فهو سبب لمسبب عظيم، فالقرآن نزل على سبعة أحرف كما قال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ"(١).

وهو من أقدم العلوم في الإسلام نشأة وعهدا، وأشرفها منزلة، حيث أن أول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان حفظ القرآن وقراءته، وعندما اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه، دعت الحاجة إلى علم يميز به الصحيح المتواتر والشاذ النادر، ومن ثم يتقرر به ما يسوغ القراءة به وما لا يسوغ، وقاية لحفظه من التحريف، ودفعا للخلاف بين أهل القرآن(٢).

فتنوع القراءات نعمة كبيرة، ودلالة عظيمة على مرونة القرآن الكريم، ولها فوائد جمة، منها ما ذكره ابن الجزري، فمن هذه الفوائد(٣):

– أنها نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات.

– تعد من عظيم البرهان وواضح الدلالة، فمع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه، لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما هذا إلا قمة البلاغة، وبرهان قاطع على صدق ما جاء به صلى الله عليه وسلم.

فـــ" علم القراءة علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع، أو يقال علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله، وموضوعه كلمات القرآن من حيث يبحث فيه عن أحوالها كالمد والقصر والنقل، واستمداده من السنة والإجماع، وفائدته صيانته عن التحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء مع ما فيه من التسهيل على الأمة"(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح٤٩٩١، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٣م، ص١٠٦٦.

(٢) انظر، مقدمة الناشر في كتاب التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمين بن سعيد الداني.

(٣) انظر، النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٥٢– ٥٤.

(٤) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص٦.

وقد خص ابن عاشور المقدمة السادسة في تفسيره للقراءات، و سار على نهج من سبقوه من المفسرين في التعرض لها، ولولا ذلك لما كان مضطرا للحديث عنها، وقد بين سبب ذلك بقوله: " لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن حتى في كيفيات الأداء، لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك؛ لأن علم القراءات علم جليل مستقل قد خص بالتدوين والتأليف، وقد أشبع فيه أصحابه وأسهبوا بما ليس عليه مزيد، ولكني رأيتني بمحل الاضطرار إلى أن ألقى عليكم جملا في هذا الغرض تعرفون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير، ومراتب القراءات قوة وضعفا، كي لا تعجبوا من إعراضي عن ذكر كثير من القراءات في أثناء التفسير"(١).

وبين فيها سبب إعراضه عن ذكر كثير من القراءات، فقال: " تنبيه أنا أقتصر في هذا التفسير على التعرض لاختلاف القراءات العشر المشهورة، خاصة في أشهر روايات الراوين عن أصحابها لأنها متواترة، وإن كانت القراءات السبع قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين في أقطار الإسلام، وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى ابن مينا المدني الملقب بقالون – ولكنه لم يلتزم بذلك كما سنرى فيما سنعرضه من أمثلة– ؛ لأنها القراءة المدنية إماما وراويا؛ ولأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس، ثم أذكر خلاف بقية القراء العشرة خاصة"(٢).

كما وقد وضح الفائدة من توضيح أوجه الاختلاف في القراءات، فقال: " وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"(٣).

وكان ابن عاشور يشير في الآية الواحدة إلى أكثر من غرض بلاغي، وذكر المعاني المتولدة عن هذا الاختلاف، ولكن بشكل سطحي في آخر ذكره لكل تبعاتها، فكان بمثابة الخاتمة النهائية لما يتعلق بشروح الآية، لكنه لم يفضل قراءة على أخرى، وكان في بعض الأحيان يرد على بعض القراءات، وذلك بشكل ضئيل، وهذا في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً**﴾(مريم:١٩)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**لِأَهَبَ**) بهمزة المتكلم بعد لام العلة، ومعنى إسناد الهبة إلى نفسه مجاز عقلي؛ لأنه سبب هذه الهبة، وقرأه أبو عمرو، وورش عن نافع (**لِيهَبَ**) بياء الغائب، أي: ليهب ربك لك، مع أنها مكتوبة

(١) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥١.

(٢) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٦٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١، ج١، ٥٦.

في المصحف بألف، وعندي أن قراءة هؤلاء بالياء بعد اللام إنما هي نطق الهمزة المخففة بعد كسر اللام بصورة نطق الياء"(١).

وفي بعض المواطن كان يرد على تفسير بعض المفسرين بألفاظ قاسية، إذا لم يعجبه تخريجهم للآية، من ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾(آل عمران:١٦١)، قال ابن عاشور: " وصيغة (**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ**) صيغة جحود تفيد مبالغة النفي... فإذا استعملت في الإنشاء كما هنا أفادت المبالغة في النهي، والمعنى على قراءة الجمهور نهي جيش النبي عن أن يغلو؛ لأن الغلول في غنائم النبي – صلى الله عليه وسلم – غلول للنبي إذ قسمة الغنائم إليه، وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم فمعنى أن النبي لا يغل أنه لا يقع الغلول في جيشه، فإسناد الغلول إلى النبي مجاز عقلي لملابسة جيش النبي نبيهم، ولك أن تجعله على تقدير مضاف، والتقدير: ما كان لجيش نبي أن يغل، ولبعض المفسرين من المتقدمين ومن بعدهم تأويلات للمعنى على هذه القراءة فيها سماجة"(٢).

ونجده في بعض المواطن يبين المعاني الجمالية المترتبة على القراءة، ولكن بشكل قليل أو شبه معدوم، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾(النمل:٦٢)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**تَذَكَّرُونَ**) بتاء الخطاب، وقرأه روح عن أبي عمرو وهشام عن ابن عامر بياء الغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ففي قراءة الجمهور نكتة توجيه الخطاب إلى المشركين مكافحة لهم، وفي قراءة روح وهشام نكتة الإعراض عنهم؛ لأنهم استأهلوا الإعراض بعد تذكرهم"(٣).

وأحيانا أخرى يناقش رأي من سبقه مع توضيح الفرق بين كل قراءة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾(المؤمنون:٧٢)، قال ابن عاشور: " وقد قرأ الجمهور: (**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ**)، وقرأ ابن عامر: (**خرجا فخرج ربك**)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (**أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير**)، فأما قراءة الجمهور فتوجيهها على اعتبار ترادف الكلمتين أنها جرت على التفنن في الكلام؛ تجنبا لإعادة اللفظ في غير المقام المقتضي إعادة اللفظين مع قرب اللفظين، بخلاف قوله تعالى: (**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**)(سبأ:٤٧) فإن لفظ أجر أعيد بعد ثلاثة ألفاظ،

(١) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٨١.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٤، ١٥٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج٢٠، ١٦.

وأما على اعتبار الفرق الذي اختاره الزمخشري(١) فتوجيهها باشتمالها على التفنن، وعلى محسن المبالغة، وأما قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، فتوجيهها على طريقة الترادف أنهما وردتا على اختيار المتكلم في الاستعمال، مع محسن المزاوجة بتماثل اللفظين"(٢).

وقد يذكر اختلاف القراءات ويبن أنه لا خلاف في المعنى بينهم، فالمعنى واحد، كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(يونس:٢٣)، قال ابن عاشور: " و (**مَّتَاعَ**) مرفوع في قراءة الجمهور على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو متاع الحياة الدنيا، وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على الحال من (**بَغْيُكُمْ**)، ويجوز أن يكون انتصابه على الظرفية للبغي؛ لأن البغي مصدر مشتق فهو كالفعل، فناب المصدر عن الظرف بإضافته إلى ما فيه معنى المدة... والمعنى على كلتا القراءتين واحد، أي: أمهلناكم على إشراككم مدة الحياة لا غير، ثم نؤاخذكم على بغيكم عند مرجعكم إلينا"(٣).

وأحيانا أخرى يذكر القراءات الشاذة لمجرد الذكر فقط، كما في قوله تعالى: ﴿ **لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(البقرة:٢٨٤)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور(**فَيَغْفِرُ**) (**وَيُعَذِّبُ**) بالجزم، عطفا على (**يُحَاسِبْكُم**)، وقرأه ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بالرفع على الاستئناف، بتقدير: فهو يغفر، وهم وجهان فصيحان، ويجوز النصب ولم يقرأ به إلا في الشاذ"(٤).

فمن قوله في اختلاف القراءة مابين **المجاز العقلي والاحتباك**، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**﴾(الأحقاف:١٢)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع وابن عامر والبزي عن ابن كثير ويعقوب (**لِّتُنذِرَ**) بالمثناة الفوقية خطابا للرسول - صلى الله عليه وسلم- فيحصل وصف

---

(١) قال الزمخشري: " والخراج: ما لزمك أداؤه، والوجه أنّ الخرج أخصّ من الخراج، كقولك: خراج القرية، وخرج الكردة، زيادة اللفظ لزيادة المعنى؛ ولذلك حسنت قراءة من قرأ: خرجاً فخراج ربك، يعني: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير".
- الكشاف: ج٣، ١٩٩

(٢) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٩٧.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ١٤٠.

(٤) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ١٣١.

الرسول – صلى الله عليه وسلم– بأنه منذر ووصف كتابه بأنه (**بُشْرَى**) وفيه احتباك، وقرأه الجمهور بالمثناة التحتية على أنه خبر عن الكتاب، فإسناد الإنذار إلى الكتاب مجاز عقلي"(١).

فالاحتباك يظهر من خلال السياق أن هناك ما يدل على مقابل محذوف، والتقدير: كتاب لينذر الذين ظلموا ويبشر الذين اهتدوا، وهذا على قراءة (**لتنذر**)، أما على قراءة (**لِّيُنذِرَ**) ففيه مجاز عقلي لإسناده فعل النذارة للقرآن الكريم.

وفي موطن آخر نجده قد خرّج اختلاف القراءة ما بين **الظرفية والمجاز العقلي**، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾(الأنعام:٩٤)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم بفتح نون (**بَيْنَكُمْ**)، فـ (**بَيْنَ**) على هذه القراءة ظرف مكان دال على مكان الاجتماع والاتصال فيما يضاف هو إليه، وقرأ البقية بضم نون (**بَيْنَكُمْ**) على إخراج (**بَيْنَ**) عن الظرفية فصار اسما متصرفا، وأسند إليه التقطع على طريقة المجاز العقلي، وحذف فاعل تقطع على قراءة الفتح؛ لأن المقصود حصول التقطع، ففاعله اسم مبهم مما يصلح للتقطع وهو الاتصال، فيقدر: لقد تقطع الحبل أو نحوه، قال تعالى: (**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**)(البقرة :١٦٦)، وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز"(٢).

وفي موطن آخر نجد الاختلاف ما بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول نتج عنه المجاز العقلي باختلاف العلاقة مابين الفاعلية والمفعولية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(النور:٤٦)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (**مُّبَيَّنَاتٍ**) بفتح الياء على صيغة اسم المفعول، أي: بينها الله ووضحها ببلاغتها وقوة حجتها، وقرأ الباقون بكسر الياء على صيغة اسم الفاعل، فإسناد التبيين إلى الآيات على هذه القراءة مجاز عقلي لأنها سبب البيان، والمعنى أن دلائل الحق ظاهرة، ولكن الله يقدر الهداية إلى الحق لمن يشاء هدايته"(٣).

وقد أكثر ابن عاشور بشكل ملحوظ من ذكر **الالتفات** الناتج عن اختلاف القراءة، فمعظم تخريجه للقراءات كان مندرجا تحت هذا اللون البلاغي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً** (٦٧) **أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً**

(١) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٢٦.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٣٨٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٨، ج١٨، ٢٦٧.

(٦٨) **أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً**﴾(الإسراء:٦٩)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور ألفاظ (**يَخْسِفَ**) و (**يُرْسِلَ**) و(**يُعِيدَكُمْ**) و(**فَيُرْسِلَ**) و(**فَيُغْرِقَكُم**) خمستها بالياء التحتية، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو بنون العظمة على الالتفات من ضمير الغيبة الذي في قوله: (**فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ**) إلى ضمير التكلم، وقرأ أبو جعفر ورويس عن يعقوب (**فَتُغْرِقَكُم**) بمثناة فوقية، والضمير عائد إلى (**الرِّيحِ**) على اعتبار التأنيث، أو(**على الرياح**) على قراءة أبي جعفر"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً**﴾(الطلاق١١)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر (**نُدْخِلْهُ**) بنون العظمة، وقرأه الباقون بالتحتية على أنه عائد إلى اسم الجلالة من قوله: (**وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ**) وعلى قراءة نافع وابن عامر يكون فيه سكون الالتفات"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(النحل:١)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**يُشْرِكُونَ**) بالتحتية على طريقة الالتفات، فعدل عن الخطاب ليختص التبرؤ من شأنهم أن ينزلوا عن شرف الخطاب إلى الغيبة، وقرأه حمزة والكسائي بالمثناة الفوقية تبعا لقوله: (**فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ**) "(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(الحج:٦٢)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر(**تَدْعُونَ**) بالتاء الفوقية على الالتفات إلى خطاب المشركين؛ لأن الكلام السابق الذي جرت عليهم فيه ضمائر الغيبة مقصود منه إسماعهم، والتعريض باقتراب الانتصار عليهم، وقرأ البقية بالتحتية على طريقة الكلام السابق"(٤).

وكقوله تعالى: ﴿ **أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً**﴾(الإسراء:٩٣)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**قُلْ**) بصيغة فعل الأمر، وقرأه ابن كثير وابن عامر (**قال**) بألف بعد

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ١٦٤.

(٢) التحرير والتنوير: م١١، ج٢٨، ٣٣٨.

(٣) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٩٨.

(٤) التحرير والتنوير: م٧، ج١٧، ٣١٧.

القاف بصيغة الماضي على أنه حكاية لجواب الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن قولهم: **(لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً)** على طريقة الالتفات"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾(آل عمران:٣٦)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور **(وَضَعَتْ)** بسكون التاء، فيكون الضمير راجعا إلى امرأة عمران، وهو حينئذ من كلام الله تعالى وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها، وتعليم بأن من فوض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب، بضم التاء على أنها ضمير المتكلمة امرأة عمران، فتكون الجملة من كلامها المحكي، وعليه فاسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة، فيكون قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر"(٢).

وكان قد بين مع الالتفات لون بلاغي آخر، من ذلك اختلاف القراءة مابين **الالتفات والاستفهام** وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(الأعراف:١٦٩)، قال ابن عاشور: " خوطبوا بـــ **(أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)** بالاستفهام الإنكاري، وقد قرئ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ ليكون أوقع في توجبه التوبيخ إليهم مواجهة، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وابن ذكوان، وحفص عن عاصم، ويعقوب، وأبي جعفر، وقرأ البقية بياء الغيبة، فيكون توبيخهم تعريضا"(٣).

ومنه أيضا اختلاف القراءة مابين **الالتفات والاستئناف** كقوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾(الأنعام:١٠٩)، قال ابن عاشور: " وعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وخلف وأبي بكر في إحدى روايتين عنه **(أَنَّهَا)** بكسر الهمزة يكون استئنافا، وحذف متعلق **(يُشْعِرُكُمْ)** لظهوره من قوله **(لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا)** والتقدير: وما يشعركم بإيمانهم إنهم لا يؤمنون إذا جاءت آية، وعلى قراءة ابن عامر وحمزة وخلف بتاء المخاطب، فتوجيه قراءة خلف الذي قرأ **(أَنَّهَا)** بكسر الهمزة أن تكون جملة **(أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ)** الخ خطابا موجها إلى المشركين، وأما

---

(١) التحرير والتنوير: م٦، ج١٥، ٢١١.

(٢) التحرير والتنوير: م٢، ج٣، ٢٣٣.

(٣) التحرير والتنوير: م٤، ج٩، ١٦٣.

على قراءة ابن عامر وحمزة اللذين قرآ (أَنَّهَا) بفتح الهمزة فأن يجعل ضمير الخطاب في قوله: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) موجها إلى المشركين على طريقة الالتفات على اعتبار الوقف على (يُشْعِرُكُمْ)"(١).

وكقوله في **الاستئناف**، قوله تعالى: ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(المائدة:٤٥)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع وحمزة وعاصم وأبو جعفر وخلف (**وَالْجُرُوحَ**) بالنصب عطفا على اسم (**أَنَّ**)، وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي ويعقوب بالرفع على الاستئناف؛ لأنه إجمال لحكم الجراح بعد ما فصل حكم قطع الأعضاء"(٢).

ومن قوله في اختلاف القراءة مابين **الاستئناف والعطف**، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾(التوبة:١٠٧)، قال ابن عاشور: " فالجملة مستأنفة ابتدائية على قراءة من قرأها غير مفتتحة بواو العطف، وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، ونكتة الاستئناف هنا التنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها، وبين حال المراد بالجملة التي قبلها، وهم المرجون لأمر الله، وقرأها البقية بواو العطف في أولها، فتكون معطوفة على التي قبلها؛ لأنها مثلها في ذكر فريق آخر مثل من ذكر فيما قبلها، وعلى كلتا القراءتين فالكلام جملة إثر جملة، وليس ما بعد الواو عطف مفرد"(٣).

كما أن **الاستئناف** يظهر من اختلاف القراءة في زمني الفعل، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً**﴾(الجن:٢٠)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**قال**) بصيغة الماضي، وقرأه حمزة وعاصم وأبو جعفر (**قُلْ**) بدون ألف على صيغة الأمر، فتكون الجملة استئنافا، والتقدير: أوحي إلي أنه لما قام عبد الله إلى آخره قل إنما أدعو ربي، فهو من تمام ما أوحي به إليه"(٤).

ومن قوله في اختلاف القراءة مابين **الاستفهام والخبر**، كما وضح المعنى المترتب على كليهما، والجمال في ذلك تساوي القراءتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾(الأعراف:٨١)، قال ابن عاشور: " وقرأ نافع

(١) التحرير والتنوير: م٣، ج٧، ٤٤٠- ٤٤١.

(٢) التحرير والتنوير: م٣، ج٦، ٢١٥.

(٣) التحرير والتنوير: م٥، ج١١، ٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٤٣.

والكسائي وحفص عن عاصم وأبو جعفر (**إِنَّكُمْ**) بهمزة واحدة مكسورة بصيغة الخبر، فالبيان راجع إلى الشيء المنكر بهمزة الإنكار في (**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**)، وبه يعرف بيان الإنكار، ويجوز اعتباره خبرا مستعملا في التوبيخ، ويجوز تقدير همزة استفهام حذفت للتخفيف ولدلالة ما قبلها عليها، وقرأه البقية (**أَإِنَّكُمْ**) بهمزتين على صيغة الاستفهام فالبيان للإنكار، وبه يعرف بيان المنكر، فالقراءتان مستويتان"(١).

وكقوله تعالى: ﴿ **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾(طه:٧١)، قال ابن عاشور: " وقرأ قالون وورش من طريق الأزرق، وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر وروح عن يعقوب (**آمَنتُمْ**) بهمزة واحدة بعدها مدة، وهي المدة الناشئة عن تسهيل الهمزة الأصلية في فعل آمن على أن الكلام استفهام، وقرأه ورش من طريق الأصفهاني، وابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بهمزة واحدة على أن الكلام خبر، فهو خبر مستعمل في التوبيخ، وقرأه حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وخلف بهمزتين على الاستفهام أيضا"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾(الأحقاف:٢٠)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**أَذْهَبْتُمْ**) بهمزة واحدة على أنه خبر مستعمل في التوبيخ، وقرأه ابن كثير (**أَأَذْهَبْتُمْ**) بهمزتين على الاستفهام التوبيخي"(٣).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾(السجدة:١٠)، قال ابن عاشور: " وقرأه نافع والكسائي ويعقوب (**أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**) بهمزة واحدة على الإخبار اكتفاء بدخول الاستفهام على أول الجملة ومتعلقها، وقرأ الباقون (**أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**) بهمزتين، أولاهما للاستفهام والثانية تأكيد لهمزة الاستفهام الداخلة على (**ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا**) وقرأ ابن عامر بترك الاستفهام في الموضعين، على أن الكلام خبر مستعمل في التهكم"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ٢٣١.

(٢) التحرير والتنوير: م٧، ج١٦، ٢٦٣.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٤٤.

(٤) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٢١٨- ٢١٩.

ومن قوله في اختلاف القراءة مابين **الأمر والتعليل**، كقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾(العنكبوت:٦٦)، قال ابن عاشور: " وأما اللام في قوله: (**وَلِيَتَمَتَّعُوا**) بكسر اللام على أنها لام التعليل في قراءة ورش عن نافع، وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب، وقرأه قالون عن نافع وابن كثير، وحمزة والكسائي وخلف بسكونها فهي لام أمر، وهي بعد حرف العطف تسكن وتكسر، وعليه فالأمر مستعمل في التهديد نظير قوله: (**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**)(فصلت:٤٠)، وهو عطف جملة التهديد على جملة: (**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ**) الخ"(١).

ومن قوله في **التذييل** قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:٣٨)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور: (**لاَّ تَعْلَمُونَ**) بتاء الخطاب على أنه من تمام ما خاطب الله به الأمة الأخرى، وقرأه أبو بكر عن عاصم بياء الغيبة فيكون بمنزلة التذييل خطابا لسامعي القرآن، أي: قال الله لهم ذلك وهم لا يعلمون أن لكل ضعفا، فلذلك سألوا التغليظ على القادة، فأجيبوا بأن التغليظ قد سلط على الفريقين"(٢).

ومن قوله في **حذف المبتدأ** قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾(الدخان:٧)، قال ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (**رَبِّ السَّمَاوَاتِ**) برفع (**رَبُّ**) على أنه خبر مبتدأ محذوف، وهو من حذف المسند إليه لمتابعة الاستعمال في مثله، بعد إجراء أخبار أو صفات عن ذات ثم يردف بخبر آخر، ومن ذلك قولهم بعد ذكر شخص: فتى يفعل ويفعل، وهو من الاستئناف البياني إذ التقدير: إن أردت أن تعرفه فهو كذا، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بجر (**رَبِّ**) على أنه بدل من قوله: (**رَّبِّكَ**)(الدخان:٦)"(٣).

ومن قوله في **حذف الفاعل** قوله تعالى: ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً**﴾(الجن:٢٨)، قال ابن عاشور: " وقرأ رويس عن يعقوب (**لِيُعْلَمَ**) بضم الياء وفتح اللام مبنيا للمفعول، على أن (**أَن قَدْ أَبْلَغُوا**) نائب عن الفاعل، والفاعل المحذوف حذف للعلم به، أي: ليعلم الله أن قد أبلغوا"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: م٨، ج٢١، ٣٣.
(٢) التحرير والتنوير: م٤، ج٨، ١٢٣- ١٢٤.
(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٥، ٢٨٣.
(٤) التحرير والتنوير: م١٢، ج٢٩، ٢٥١.

ومن قوله في **الجناس** قوله تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾(البقرة:١٤٤)، قال ابن عاشور: " وفي قوله: **(لَيَعْلَمُونَ)** وقوله: **(عَمَّا يَعْمَلُونَ)** الجناس التام المحرف على قراءة الجمهور، والجناس الناقص المضارع على قراءة ابن عامر ومن وافقه"(١).

ومن قوله في **الاتزان** قوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾(الحجر:٤٩)، قال ابن عاشور: " واعلم أن في قوله تعالى: **(نَبِّئْ عِبَادِي)** إلى **(الرَّحِيمُ)** من المحسنات البديعية محسن الاتزان إذا سكنت ياء **(أَنِّي)** على قراءة الجمهور بتسكينها، فإن الآية تأتي متزنة على ميزان بحر المجتث الذي لحقه الخبن في عروضه وضربه، فهو متفعلن فعلاتن مرتين"(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾(الأحقاف:١٧)، قال ابن عاشور: " واعلم أن في قوله تعالى: **(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا)** محسن الاتزان فإنه بوزن مصراع من الرمل عروضه محذوفة، وضربه محذوف، وفيه الخبن والقبض، ويزاد فيه الكف على قراءة غير نافع وحفص"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: م١، ج٢، ٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: م٦، ج١٤، ٥٧.

(٣) التحرير والتنوير: م١٠، ج٢٦، ٣٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وفي نهاية بحثنا هذا حول الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في تفسيره، لا يسعنا إلا أن نقف وقفة إجلال وإعظام لهذا الإمام الفذ، الذي سطر لنا في تفسيره الفوائد القيمة، والفرائد النادرة، التي قل أن يوجد لها نظير في تفسير آخر، لذلك نستطيع أن نسميه صفوة التفاسير، بل موسوعة التفاسير، فقد اشتمل على جميع العلوم الإنسانية، مع الإشارات العلمية التي تتعلق بالجانب الإعجازي العلمي.

وهذا يدلنا على السعة العلمية والثروة اللغوية التي تمتع بها في علوم اللغة والبلاغة، لذلك يعتبر تفسيره جملة تفسيرا بلاغيا ودلاليا.

وما استعرضته في بحثي هذا إنما هو غيض من فيض، لا يغني عن قراءة ودراسة التفسير بأكمله، وإنما قصدت من هذا البحث أن يكون بوابة علمية لدراسة مصنفات الإمام وآرائه، دراسة علمية منهجية تستنبط منها الفوائد، وأخص بالذكر تفسيره العظيم (التحرير والتنوير) الذي تناولته بالدراسة قدر المستطاع، فكان بحق حصيلة نتاجه العلمي والثقافي، وثمرة نضجه العلمي والفكري، ودليل عام على عظم الجامعة الزيتونية وقوة علومها وتعليمها.

فمن خلال البحث وجدنا أنفسنا أمام إمام لغوي من أئمة اللغة، وفارس من فرسان البلاغة والفصاحة، بل ريانا من علوم اللغة العربية وآدابها، ووقفاته أمام الإعجاز البياني لآي القرآن الكريم، وتحليلاته الرفيعة خير شاهد له بذلك، يعرض ويناقش، ويحلل ويعارض أكبر أئمة التفسير البلاغي؛ ليخرج برأي منفرد عن كل من سبقوه، وبالتالي أضاف آراء لغوية وبلاغية للمكتبة العربية.

فإن أصبت فلا عجب ولا غرر ... وإن نقصت فإن الناس ما كملوا
والكامل الله في ذات وفي صفة ... وناقص الذات لم يكمل له عمل

– تم بحمد الله وحسن توفيقه–

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق سيدنا ومولانا محمد وعلى آله كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، ورضي الله عن أصحاب رسوله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

مراجع البحث

أولا: الكتب

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٤. أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه السِّلَفي الأصبهاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٣م.

٥. الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.

٦. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرف، بيروت، ١٩٧٩م.

٧. أساليب البيان، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

٨. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة والقاهرة، مطبعة المدني، ط١، ١٩٩١م.

٩. أسرار الحروف، أحمد رزقه، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

١٠. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د.عبد القادر عبد الجليل، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.

١١. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن على الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر.

١٢. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١٩٧١،٤م.

١٣. إعجاز القرآن، الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

١٤. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

١٥. الإكسير في علم التفسير، الطوفي البغدادي، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ١٩٨٩م.
١٦. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٤، ١٩٧٥م.
١٧. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
١٨. البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ.
١٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
٢٠. البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
٢١. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، د. حسن إسماعيل عبد الرازق، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٢. البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ا.د. حميد آدم ثويني، دار المناهج، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٣. البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة معارف الإسكندرية، ١٩٨٥م.
٢٤. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٥م.
٢٥. بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٦م.
٢٦. البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة.
٢٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٨٨م.
٢٨. التأسيس في علوم البلاغة، عبد الحميد قاسم النجار، الجامعة الإسلامية، غزة.
٢٩. تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية.
٣٠. التبيان في البيان، للإمام الطيبي، تحقيق ودراسة: د. عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣١. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، الطيبي، تحقيق: د. هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٧م.

٣٢. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

٣٤. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥. تفسير ابن عرفة المالكي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط١، ١٩٨٦م.

٣٦. تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

٣٧. تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي.

٣٨. التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٣٢م.

٣٩. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٤٠. التيسير في علم التجويد برواية حفص عن عاصم، د. عبد الرحمن الجمل، ط٦، ٢٠٠٧م.

٤١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي، تحقيق: د. محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط٣.

٤٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٣. جامع الزيتونة المعلم ورجاله، محمد العزيز بن عاشور، دار سرار للنشر، تونس.

٤٤. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، وأ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٤٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح: د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٤٦. حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٤٧. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٤٨. الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، دار الهدى، بيروت، ط٢.

٤٩. خُلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، تحقيق: د. عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض.

٥٠. الدر المصون، السمين الحلبي، تحقيق: الشيخ محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٥١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ط٣، ١٩٩٢م.

٥٢. ديوان البحتري، تحقيق: عبد الرحمن أفندي البرقوقي، مطبعة هندية، مصر، ط١، ١٩٩١م.

٥٣. سر الفصاحة، الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٥٤. سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، جرجي شاهين عطية، دار ريحاني، بيروت، ط٤.

٥٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م.

٥٦. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠م.

٥٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٥٨. صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٣م.

٥٩. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٠. الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٦١. العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٦٢. علم الجمال اللغوي " المعاني – البيان – البديع "، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.
٦٣. علم المعاني– البيان– البديع د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
٦٤. علوم البلاغة العربية، د. محمد أحمد ربيع، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩١م.
٦٥. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.
٦٦. العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
٦٧. الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، د. شرف الدين علي الراجحي، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٥.
٦٨. فتح منزل المباني بشرح أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني، أبى يحي زكريا الأنصاري، تصحيح: سالم رضوان العيوني، الجمالية محارة الروم، مصر، ط ٦، ١٩٤١م.
٦٩. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ٢.
٧٠. فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
٧١. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
٧٢. كتاب التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمين بن سعيد الداني.
٧٣. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٧٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٥. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور، ضبطه: د. طه بن علي بوسريح التونسي، دار السلام، القاهر، ط١، ٢٠٠٦م.

٧٦. اللامات، د. عبد الهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.

٧٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٣.

٧٨. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

٧٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط٢.

٨٠. المحتسب، أبي الفتح عثمان بن جني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

٨١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م.

٨٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

٨٣. مدخل إلى البلاغة العربية، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

٨٤. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٨٥. معاني التراكيب دراسة تحليلية في بحوث علم المعاني، د. عبد الفتاح لاشين، دار الكتاب الجامعي.

٨٦. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، شرح وتعليق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٨٧. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.

٨٨. معاهد التنصيص، للعباسي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.

٨٩. معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٩٠. معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرباط، ط٣، ١٩٨٨م.

٩١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.

٩٢. المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ط١.

٩٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، جدة.

٩٤. المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. نور الدين عتر، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.

٩٥. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٩٦. من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٩٧. من بلاغة القرآن الكريم، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، الدار العربية للنشر، ط٢، ١٩٩٨م.

٩٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

٩٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.

١٠٠. المنهل في بيان قواعد علم الحروف، رؤوف جمال الدين، دار الهجرة، إيران، ط١، ١٩٨٥م.

١٠١. النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩.

١٠٢. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط ١٥.

١٠٣. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
١٠٥. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.
١٠٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م.
١٠٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ثانيا: الدوريات

١٠٨. تجليات العقل الإسلامي من خلال الصيرورة التاريخية لجامعة الزيتونة، د. عز الدين عناية، مجلة النهج، تصدر عن مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، العدد٧٣، ٢٠٠٠م.
١٠٩. جامع الزيتونة حصن للتنوير والتحرير، من الأهرام العربي، مجلة المجاهد، تصدر عن المكتب الإعلامي المركزي لحركة الجهاد الإسلامي، غزة، م١٢، العدد١٠٤، ٢٠٠٠م.
١١٠. صفحات من تاريخ جامع الزيتونة، الشيخ محمد الشاذلي النيفي، مجلة جوهر الإسلام، العدد٩- ١٠.
١١١. العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، د. أحمد عيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، العدد الثالث، ٢٠٠٣م.
١١٢. القيمة العلمية لتفسير الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، محمد صلاح المستاوي، مجلة البلاغ، العدد٧٤٠، ١٩٨٤م.
١١٣. منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي، أ. محمد مسعود جبران، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد الخامس، ١٩٨٨م.
١١٤. نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، د. حسن عبد الجليل عبد الرحيم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م٢١، العدد الأول، ٢٠٠٥م.

ثالثا: الرسائل العلمية

١١٥. أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن محمد الزهراني، تحت إشراف: أ. د. محمد عطية باشة، ١٤٢٦-١٤٢٧هـ، (رسالة دكتوراه).

١١٦. معاني حروف الجر بين الوصف النحوي القديم والاستعمال اللغوي المعاصر، مارينا نجار، ١٩٨٦م، (رسالة ماجستير).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	١
التمهيد: حياة ابن عاشور وتتمثل في:	٦
– اسمه ونسبه ومولده	٦
– عصره	٧
– حياته العلمية	٧
– شيوخه	٨
– تلاميذه	٩
– المناصب التي تقلدها	١٠
– مكانته العلمية	١١
– آثاره العلمية	١٣
– وفاته	١٤
– تفسير التحرير والتنوير	١٤
– منهج التفسير	١٦
– أسلوبه العام في تفسيره	١٧
الفصل الأول تأثر ابن عاشور بالعلماء السابقين	٢٠
أولا: الزمخشري	٢١
ثانيا: ابن عطية	٣١
الفصل الثاني مسائل علم المعاني	٣٧

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: مادة الكلمة وملاءمتها للسياق	٤٠
أولا: التعريف والتنكير	٤٠
الأغراض البلاغية للتعريف	٤٢
الأغراض البلاغية للتنكير	٧٤
ثانيا: أدوات الربط	٨٠
الباء	٨٢
التاء	٨٩
السين	٨٩
الفاء	٩٢
الكاف	٩٩
اللام	١٠١
الواو	١١٠
أَلاَ	١١٢
أَمْ	١١٤
أَوْ	١١٥
إِذْ	١١٨
إِذَا	١٢١
إِلَى	١٢٣
إنّ	١٢٥
انْ	١٢٦
بَلْ	١٢٨
بَلَى	١٢٩
ثُمَّ	١٢٩

الموضوع	الصفحة
حَتَّى	١٣٣
حَيْثُ	١٣٦
عَلَى	١٣٧
عَن	١٤٠
عِندَ	١٤١
فِي	١٤٥
قَدْ	١٤٩
كَأَيِّ	١٥٠
لكن	١٥١
لَن	١٥٢
لَوْ	١٥٣
لَوْلاَ	١٥٤
مع	١٥٦
ما	١٥٨
مِّن الابتدائية	١٥٩
مَنْ الاستفهامية	١٦٥
مَنْ الشرطية	١٦٧
مَنْ الموصولة	١٦٩
المبحث الثاني: البحث في الجملة	١٧١
ثالثا: الخبر والإنشاء	١٧١
أولا: الخبر	١٧١
الأغراض البلاغية للخبر	١٧٣
ثانيا: الإنشاء	١٨٤

الموضوع	الصفحة
أولا: الإنشاء غير الطلبي	١٨٥
١- صيغتا التعجب	١٨٥
أ- صيغة (أفعل به)	١٨٥
ب- صيغة (ما أفعله)	١٨٥
٢- القسم	١٨٥
٣- صيغ المدح والذم	١٨٦
٤- الرجاء	١٨٧
ثانيا:الإنشاء الطلبي	١٨٨
أولا: الأمر	١٨٩
الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر	١٨٩
ثانيا: النهي	١٩٧
الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي	١٩٨
ثالثا: الاستفهام	٢٠٢
الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام	٢٠٢
رابعا: النداء	٢١٨
الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء	٢١٩
رابعا: المجاز العقلي	٢٢٣
علاقات المجاز العقلي:	٢٢٤
١- الزمانية	٢٢٤
٢- المكانية	٢٢٥
٣- السببية	٢٢٦
٤- المصدرية	٢٢٧
٥- الفاعلية	٢٢٨

الموضوع	الصفحة
٦- المفعولية	٢٢٨
خامسا: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر	٢٢٩
أولا: الالتفات	٢٢٩
صور الالتفات:	٢٣٠
١- الالتفات من الغيبة إلى التكلم	٢٣٠
٢- الالتفات من التكلم إلى الغيبة	٢٣٠
٣- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	٢٣١
٤- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب	٢٣٢
٥- الالتفات من الخطاب إلى التكلم	٢٣٢
٦- الالتفات من أسلوب إلى أسلوب	٢٣٢
٧- الالتفات من المفرد إلى الجماعة	٢٣٣
فوائد الالتفات	٢٣٣
ثانيا: التغليب	٢٣٩
ضروب التغليب	٢٤٠
١- تغليب المخاطب على الغائب	٢٤٠
٢- تغليب المذكر على المؤنث	٢٤١
٣- تغليب الأب على العم	٢٤٢
٤- تغليب الجمع على المفرد	٢٤٢
٥- تغليب الأكثر على الأقل	٢٤٢
٦- تغليب العاقل على غير العاقل	٢٤٣
٧- تغليب غير العاقل على العاقل	٢٤٣
٨- تغليب المثنى على الجمع	٢٤٤
٩- تغليب الجمع على المثنى	٢٤٤

الموضوع	الصفحة
١٠- تغليب الموجود على غير الموجود	٢٤٤
١١- تغليب العطف على الفصل	٢٤٥
١٢- تغليب الماضي على المستقبل	٢٤٥
١٣- تغليب اللفظ على المعنى	٢٤٥
١٤- تغليب المعنى الحقيقي على المعنى المجازي	٢٤٦
ثالثا: أسلوب الحكيم	٢٤٦
صور أسلوب الحكيم:	٢٤٧
١- تلقي المخاطب بغير ما يترقب	٢٤٧
٢- تلقي السائل بغير ما يتطلب	٢٤٨
رابعا: وضع الظاهر وضع المضمر	٢٤٩
خامسا: وضع المضمر موضع الظاهر	٢٥٨
سادسا: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي	٢٥٩
سابعا: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل	٢٦٠
ثامنا: وضع المفرد موضع الجمع	٢٦١
تاسعا: وضع الجمع موضع المفرد	٢٦٣
عاشرا: وضع المفرد موضع المثنى	٢٦٤
الحادي عشر: وضع المثنى موضع المفرد	٢٦٥
الثاني عشر: وضع المثنى موضع الجمع	٢٦٥
الثالث عشر: وضع الجمع موضع المثنى	٢٦٦
سادسا: القصر وأسراره البلاغية	٢٦٨
أقسام القصر:	٢٦٩
١- قصر الموصوف على الصفة	٢٦٩
٢- قصر الصفة على الموصوف	٢٧١

الموضوع	الصفحة
٣- القصر الحقيقي	٢٧٢
٤- القصر الإضافي	٢٧٤
٥- قصر إفراد	٢٧٦
٦- قصر قلب	٢٧٧
٧- قصر تعيين	٢٧٩
طرق القصر (أدواته):	٢٧٩
أولا: النفي والاستثناء	٢٧٩
ثانيا: القصر بـــ (إنما)	٢٨٠
ثالثا: تقديم ما حقه التأخير	٢٨٢
- تقديم الجار والمجرور	٢٨٢
- تقديم الظرف	٢٨٣
- تقديم المبتدأ	٢٨٣
- تقديم الفاعل	٢٨٤
- تقديم المفعول	٢٨٤
- تقديم النفي	٢٨٥
رابعا: التعريف	٢٨٥
خامسا: القصر بضمير الفصل	٢٨٦
القصر المقيد	٢٨٧
الأغراض البلاغية للقصر	٢٨٨
المبحث الثالث: بلاغة الإيجاز والإطناب	٢٨٩
سابعا: بلاغة الإيجاز والإطناب	٢٨٩
أولا: الإيجاز	٢٨٩
أقسام الإيجاز:	٢٩١

الموضوع	الصفحة
١- إيجاز قصر	٢٩١
٢- إيجاز حذف	٢٩٣
أنواع المحذوف:	٢٩٣
١- حذف الحرف	٢٩٣
٢- حذف المبتدأ	٢٩٤
٣- حذف الفعل	٢٩٤
٤- حذف الفاعل	٢٩٥
٥- حذف المفعول به	٢٩٦
٦- حذف المضاف	٢٩٧
٧- حذف المضاف إليه	٢٩٨
٨- حذف الموصوف	٢٩٨
٩- حذف الصفة	٢٩٩
١٠- حذف الجملة	٢٩٩
١١- حذف أكثر من جملة	٢٩٩
١٢- حذف المخصوص بالمدح	٣٠٠
١٣- حذف الضمير وجاره	٣٠٠
١٤- حذف جواب الشرط	٣٠٠
١٥- حذف جواب (لما)	٣٠٠
١٦- حذف جواب (لو)	٣٠١
١٧- حذف جواب القسم	٣٠١
صور الحذف:	٣٠٢
أولا: التضمين	٣٠٢
ثانيا: الاحتباك	٣٠٤

الموضوع	الصفحة
ثالثا: الاكتفاء	٣٠٧
ثانيا: الإطناب	٣١٠
الفوائد البلاغية للإطناب	٣١١
صور الإطناب:	٣١٥
أولا: التفصيل بعد الإجمال	٣١٦
ومن صور التفصيل بعد الإجمال الإبدال	٣١٨
ثانيا: عطف العام على الخاص	٣٢٠
ثالثا: عطف الخاص على العام	٣٢١
رابعا: التكرار	٣٢٢
خامسا: الاعتراض	٣٢٨
سادسا: التذييل	٣٣٥
سابعا: التكميل	٣٣٩
ثامنا: التتميم	٣٤٠
تاسعا: الإيغال	٣٤٣
عاشرا: الاحتراس	٣٤٤
الحادي عشر: الإدماج	٣٤٦
الثاني عشر: الاستطراد	٣٤٨
الثالث عشر: التعليل	٣٥٠
الفصل الثالث علم البديع	**٣٥٢**
المبحث الأول: المحسنات المعنوية	٣٥٥
أولا: الطباق	٣٥٥
ثانيا: المقابلة	٣٥٩

الموضوع	الصفحة
ثالثا: المشاكلة	٣٦٠
رابعا: التورية	٣٦٣
خامسا: التجريد	٣٦٤
سادسا: اللف والنشر	٣٦٦
أقسامه:	٣٦٧
١- اللف والنشر المرتب	٣٦٧
٢- اللف والنشر المعكوس	٣٦٨
٣- اللف والنشر المشوش	٣٧٠
سابعا: تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣٧٠
ثامنا: تجاهل العارف	٣٧٢
تاسعا: الإرداف	٣٧٤
عاشرا: المزاوجة	٣٧٥
المبحث الثاني: المحسنات اللفظية	٣٧٨
أولا: الجناس	٣٧٨
أقسامه:	٣٧٩
١- الجناس التام	٣٧٩
٢- الجناس المضارع	٣٨٠
٣- الجناس الناقص	٣٨١
٤- الجناس المقلوب	٣٨١
٥- جناس الاشتقاق	٣٨٢
٦- الجناس المحرّف	٣٨٣
٧- الجناس المصحّف	٣٨٥
٨- الجناس المذيّل	٣٨٦

الصفحة	الموضوع
٣٨٦	٩- الجناس المزدوج
٣٨٧	١٠- الجناس الخطي
٣٨٨	**ثانيا:** رد العجز على الصدر
٣٩١	**ثالثا:** تشابه الأطراف
٣٩٢	**رابعا:** الاتزان
٣٩٥	**الفصل الرابع** توجيه القراءات القرآنية بلاغيا
٤٠٧	**الخاتمة**
٤٠٨	**مراجع البحث**
٤١٧	**فهرس الموضوعات**
٤٢٨	**ملخص البحث**

ملخص البحث

يعد محمد الطاهر بن عاشور علم من أعلام التفسير في العصر الحديث، وتفسيره المعروف بـــ (التحرير والتنوير) يعتبر صفوة التفاسير لما سطّر فيه من الفوائد القيمة، والفرائد النادرة التي قل أن توجد مجتمعة في تفسير آخر، فقد ضمنه علوم وخبرات من سبقه في هذا المجال، مضيفا ثقافته التي اكتسبها من شيوخه التي عكست ثقافة ذلك العصر، وقوة علوم وتعليم الجامعة الزيتونية.

لقد ضمن تفسيره الكثير من فنون العربية التي أظهرت إعجاز القرآن الكريم، فيعتبر تفسيره جملة تفسيرا بلاغيا ودلاليا.

وقد شمل هذا البحث الفنون البلاغية المتمثلة في علمي المعاني والبديع في تفسير (التحرير والتنوير) لإظهار وبيان مدى قدرة هذا العلم في استخراج المعاني البلاغية بصورة عقلية فذة، وإمكاناته الإبداعية في هذا المجال مع دراسة مفصلة لعلمي المعاني والبديع، وما يندرج تحتهما من فنون أثرت البلاغة العربية.

وقد استدعت طبيعة البحث أن تتوزع مباحثه على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، فكان التمهيد مشتملا على حياة ابن عاشور وما يتعلق بها وبتفسيره، وكان مضمون الفصل الأول عن تأثر ابن عاشور بمن سبقه من علماء التفسير البلاغي كالزمخشري وابن عطية، أما الفصل الثاني فقد تناول علم المعاني، والفصل الثالث علم البديع، أما الفصل الرابع والأخير فكان عن توجيهات ابن عاشور البلاغية في القراءات القرآنية.

وكانت ثمرة هذا البحث إظهار علم من أعلام البلاغة الذين كان لهم بصمة واضحة في هذا العلم، لما له من نظرة عميقة تنم عن مدى تمكنه واطلاعه على نتاج من سبقه حتى وصل إلى آراء مختمرة ظهرت في تفسيره، وتجلت فيها آراءه البلاغية التي أثرت المكتبة العربية.

فكان هذا البحث إثبات حيوية البلاغة العربية وبقائها مقترن ببقاء القرآن الكريم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

Abstract

Mohammed Al-Taher Ben Ashour is considered one of the famous interpreters in the modern era, and his interpretation, known as (Altahreer & Altanweer) is an elite line of the interpretation of the valuable benefits, and unique benefits the few to say that they are combined in the interpretation of another, the experiences within which science and of his predecessors in this area he said, adding culture gained from elderly, which reflected the culture of that era, and the power of science and education of Al-Zaytona university .

His interpretation has explained a lot of Arab arts that have emerged miracle of the Noble Quran, is considered a eloquent tagged explanation . This research has included the arts of eloquence in scientific meanings and magnificent interpretation (Altahreer & Altanweer) to show and demonstrate the ability of this science to extract the meanings in a unique eloquent mentality, and creative potential in this area with detailed study of the scientific meanings and magnificent, and what was beneath the arts that influenced eloquence in Arabic.

Nature of the search was distributed to the introduction and four chapters, the boot was built around the life of Ben Ashour and the related interpretion, and the content of the first chapter on implications of Ben Ashour including previous scholars eloquent interpretation as Elzmakhshary and Ibn Atiya, the second chapter dealing with semantics, III Badi science, chapter IV and the last one were the guidance of Ben Ashour rhetoric in the readings.

The result of this research shows the scholar of the scholars of eloquence who had the clear effect of this science, because of its insight reveal how to enable and knowledge of the product of his predecessors until he reached the fermented opinions emerged in interpretation, and reflected the views of eloquence that has affected the Arab library.

This research was to prove the dynamic Arab eloquence and survival associated with the survival of Quran until Allah the Earth and what upon it.

" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

العماد الأصفهاني